



٤١٧

الأمثال والحِكَمُ الْمُسْتَجِيزَةُ

من

نَهْجِ النَّبِيِّ ﷺ

محمد بن عروى

مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى

بمادة الطباعة من طبع المؤسسة



٤١٧

الأمثال والحكم المستخرجة

كتابخانه
مركز تحقيقات کامپیوتری علوم اسلامی
شماره ثبت: ۰۰۲۵۷۴
تاریخ ثبت:

من
نهج البلاغه

محمد العنوي

مؤسسة النشر الإسلامي (العام)
لجاعة المدرسين بعين المشرفة (البر)



مركز تحقيقات كليات العلوم الإسلامية

الكتاب: الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة

تأليف: الحاج الشيخ محمد الغروي

طبع ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم.

المطبوع: ٥٠٠ نسخة

التاريخ: ١٤٠٧ هجري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد
خاتم النبيين، وعلى عليٍّ أمير المؤمنين وأولاده الخلفاء المعصومين،
ولا سيما بقيّة الله في الأرضين الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه
الشريف.

مركز تحقيقات كميته پير علمي رسولي

تمهيد

في ضمن دراستنا للأمثال والحكم استخرجنا ما يقرب من ألف
مثّل من كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام في كتاب
(نهج البلاغة)، وغيره. سَمّيناه (الأمثال والحكم العلوية)؛ تباعاً لكتابنا
(الأمثال النبوية). (١)

وقد رأينا أن نقدّم قسماً من الأمثال والحكم المستخرجة من
نهج البلاغة، تلبيةً لطلب بعض الإخوان؛ وليكون بداية خير للأمثال
العلوية.

• وأول الغيث رش ثم ينسكب • (٢).

هذا، و قد أستخرجنا من روايات سائر أهل البيت المعصومين عليهم
السّلام كميةً كبيرةً من الامثال لا تقلّ عن هذا العدد في هذه
الدراسة المثلية؛ لاشتراكها كلّها في تهذيب النفوس، و الأهداف
الرفيعة، والدعوة إلى دين الله جلّ جلاله الخالص.

(١) طبع في بيروت - في مجلدين - عام ١٤٠١ هـ.

(٢) التمثيل والمحاضرة: ٢٣٦ - وفي هامشه: (قطر) بدل: (رش).

الأمثال:

تنقسم الأمثال إلى: مَثَلٍ سائرٍ، ومَثَلٍ قياسيٍّ.
والمَثَلُ السَّائرُ: ما قاله القائل من العرب، أو غير العرب في واقعة
أقتضته، ثم جرى على الألسن، وسار به الركبان يتمثل به في الشيء
المنشود المشابه للواقعة بدون تبديل.

والقياسي: هو تصويرٌ، يخلقه المصوِّر، لتوضيح فكرةٍ عن طريق
تشبيه، يسميه أرباب البلاغة: (التمثيل المركب)؛ أو إبداعٌ، يقصد
جمال التصوير به، ويجمع بينه وبين ما ينشده المتمثل من أهداف.

وإن شئت قلت عن الأول: كل حكمةٍ جاريةٍ على الألسن، كما
قاله العسكري (١) وعن الثاني: كل ما يُبدعه الممثل.

والمَثَلُ المبحوث في هذا الكتاب ما يشمل الأقسام حتى الصالح
لأن يكون مثلاً، كما يمر إن شاء الله تعالى.

التصنيف:

بوسعنا أن نصنّف الأمثال في (نهج البلاغة)، وسائر كلمات الإمام
عليه السلام إلى: قرآنية، وأمثال سائرة، وقياسية؛ وإلى: نثرية، وشعرية؛
وإلى: جاهلية، وإسلامية، ومغضومة؛ وإلى ما سواها من صنوف.

(١) جهرة الأمثال المطبوعة على هامش (مجمع الأمثال) للميداني، سنة

١٣١٠ هجرية بالمطبعة الخيرية بمصر - ج: ٥/١.

الفوائد:

قد استوفينا كتابة شيءٍ كثيرٍ من فوائد الأمثال، في مقدمة (الأمثال النبوية)، و(الأمثال العلوية)، مضافة إلى (الأمثال القرآنية)؛ وكذلك تعاريف القوم لها، فلانعيد.

الكتب المؤلفة:

قد أشار إلى عدة منها صاحب رسالة الإسلام كما يلي، قال: وأراني قبل أن أدخل البحث مطالباً بالإشادة، بذكر جهود متقدمين، ساهموا في جمع جملة من أمثال الإمام عليه السلام وحكمه، مما هو ضمن (نهج البلاغة)، وما هو في غيره، وكذلك شاركوا في شرحها بما يوضح معانيها.

مركز تحقيق التراث

و مجموعاتهم حسبما يذكرها كارل بروكلمان - هي:

١- ١٠٠ حكمة ومثل. وقد ترجمت إلى الفارسية والتركية والألمانية.

وشرحت من قبل:

أ- رشيد الدين الوطواط.

ب- المستشرق فلاشر.

ج- حسين بن معين الدين الميبدتي.

د- محمد العمري.

هـ- جمال خلوتي.

- ٢ - غرر الحکم و درر الکلم - جمع عبدالواحد الآمدي التميمي.
 - ٣ - حکم جمعها ابن دريد.
 - ٤ - أمثال ينسب جمعها إلى الجاحظ.
 - ٥ - حکم الإمام علي - عليه السلام - (مجلّة المشرق - ج: ٥ - بيروت).
 - ٦ - شذرات الأدب من كلام العرب، وبعض أمثال علي الخليفة ولاية العجم وخطبة للشيخ الرئيس.
 - ٧ - نثر الآلي (المجموعة الثانية من فلايش).
 - ٨ - كلمات علي بن أبي طالب - عليه السلام -، شرح الشيخ محمد عبده.
 - ٩ - أقوال أمير المؤمنين - عليه السلام -، علي بخاري.
 - ١٠ - صد كلمه مولاي متقيان أمير المؤمنين - عليه السلام -، وقد ترجمه وليم يول إلى الإنكليزية.
 - ١١ - ألف كلمة من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - مجردة من شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة.
- وبُغية الوقوف على مخطوطات ومطبوعات هذه المؤلفات، والمكتبات التي توجد فيها، يرجع إلى الجزء الأول من (تاريخ الأدب العربي) تأليف بروكلمان، ترجمة الدكتور عبدالحليم التجار، تحت عنوان (أمثال سيدنا علي) - عليه السلام - (١).

(١) رسالة الإسلام: العددان، السابع والثامن، السنة الثانية، ١/ ذي القعدة/

١٣٨٨ هـ - ١/ شباط/ عام ١٩٦٨ م، ص: ١٠٩ - ١١٠.

ولا يخفى أنَّ بعض هذه الكتب متداخل في بعضها الآخر، فراجع.
 وفيما نقلناه ههنا الكفاية، ومن أحبَّ التوسع نظر المظان؛ فإنه قد كتب
 عنه عليه السلام الشيء الكثير حتى عدَّ من كلماته بهذا الصدد مافوق
 ثلاثة عشر ألف من مثَلٍ وحكمةٍ كما في كتاب: (عيون الحكم
 والمواعظ): ثلاثة عشر ألفاً وستمائة وثمانية وعشرين حكمة... للشيخ
 علي بن محمد الليثي الواسطي كما في الذريعة. (١)
 ومن تلك المظانَّ الجزء الأول، من أربعة أجزاء كتاب: (مصادر
 نهج البلاغة وأسانيده)، تأليف السيّد عبد الزهراء الحسيني الخطيب.

أمثال قرآنية:

في كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام آيات قرآنية، تمثل بها لما
 رام من أهداف توفرت فيها الشروط.
 قال صاحب رسالة الإسلام: إنَّ جميع ما أستشهد به الإمام
 عليه السلام من آيات قرآنية مثلية في كلامه هي من نوع ما أصطلح
 عليه بـ (الأمثال المكنية)، وهي التي (تتجلّى فيها الشروط الأساسية
 التي وضعها أرسطو لتحديد المثل من حيث الإيجاز، والتشبيه، وإصابة
 الغرض):

١ - ولتعلمن نبأه بعد حين - ٨٨/ص.

(١) ج: ٣٧٩/١٥، في (ع ي و). - ظ: ثمان لا ثمانية..

٢ - ولا يَنْبُتُكَ مثل خبير - ١٤/فاطر.

٣ - عفا الله عما سلف - ٩٥/المائدة.

٤ - أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخُسْرُونَ - ١٩/المجادلة.

٥ - إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى - ٢٦/التازعات.

٦ - وما هي من الظَّالِمِينَ ببعيد - ٨٣/هود.

إِنَّ الإمام - عليه السلام - يكثر من استعمال آيات القرآن الكريم في كلامه، وبخاصة الآيات الوعظية والمثلية، وهي شيء طبيعي من أديب خرجته مدرسة القرآن الكريم، وتأثر به أي تأثر. وظاهرة أخرى: هي أَنَّ الإمام - عليه السلام - غالباً ما يأتي بالآية ختاماً لكلامه، فقد رأيت في اثنين وعشرين نصّاً ممّا استشهد فيه بالقرآن يختمه بالآية...

إِنَّ الإمام - عليه السلام - يتبع طريقة المزج في الكثير من الآيات التي استعملها، فيخيل للقارئ - بادي الأمر - وهو يقرأ الآية في سياق كلام الإمام - عليه السلام - أنها منه، لولا ما يبدو عليها من أسلوب القرآن المتفرد فيميزها.

ومن أمثلة ذلك قوله - عليه السلام -: «ثم خرج إليّ جُنَيْدٌ متذائبٌ ضعيفٌ، كأنّما يساقون إلى الموت وهم ينظرون» (١) وقوله - عليه السلام -: «وإن تكن الأخرى، فلا تذهب نفسك عليهم حسرت إن الله عليهم بما يصنعون» (٢) وقوله - عليه السلام -: «ولو أشاء أن أقول

(١) الأنفال: ٦. التهج: ٣٠٠/٢، الخطبة: ٣٩.

(٢) فاطر: ٨. التهج: ٢٤١/٩، الخطبة: ١٦٣.

لقلت: عفا الله عما سلف». (١). (٢)

لم يقصر تمثله عليه السلام بالآيات القرآنية على العدد المذكور، بل أكثر من أن يحصى، ولسنا بصدد تحريره، وهو ديدن أهل البيت عليهم السلام، ومن هذا حذوهم.

هذه فاطمة الزهراء عليها السلام تقول في خطبتها: «وما عشت أراك الدهر عجباً، وإن تعجب فعجب قولهم»!! (٣) «ليت شعري إلى أي إسناد استندوا؟! وعلى أي عماد اعتمدوا؟!... لبئس المولى ولبيئس العشير». (٤) و«بئس للظلمين بدلاً». (٥). (٦)

أقول: كذا في طبعة التّجف الأشرف، وفي طبعة بيروت (سناد) بدل (إسناد).

استعرضناه عند التّكلم على (الأمثال الفاطمية)، المستخرجة من كلماتها - روعي فداها -.

وهكذا الإمام الحسن والحسين إلى المهدي عليهم السلام، وعجل الله فرجهم الشريف؛ وفي ذلك بلاغ مبين، وأداء للرسالة السماوية مهما كان نوع الأداء، واندفاع إلى القرآن الكريم، وأنه المصدر لكل أمر، وشاهد صدق عليه: «ومن أصدق من الله قيلاً». (٧) وأحسن الحديث

(١) المائدة: ٩٥. التّهج: ٦١/١٠، الخطبة: ١٧٩.

(٢) رسالة الإسلام: العدد: ٧-٨، عام ١٣٨٨هـ، ص: ١١١-١١٣.

(٣) الرّعد: ٥. (٦) الاحتجاج: ١/١٤٨.

(٤) الحج: ١٣. (٧) النساء: ١٢٢.

(٥) الكهف: ٥.

كما قال جلّ جلاله: «الله نزل أحسن الحديث كِتَاباً». (١)
على أنّه كلام الحبيب يطيب للمحبّين أن يلهجوا به، إنّهُ أحلى من
الشّهد، وقد تجلّى الله جلّ جلاله في كتابه، كما قال عليه السّلام:
«فتجلّى لهم سبحانه في كتابه، من غير أن يكونوا رؤوه بما أراهم من
قدرته...». (٢).

نهج الكتاب:

نَهَجُنَا في هذا الكتاب هو نَهْجُ (الأمثال النبويّة)، على طريقة
حروف التّهجّي، الحرف الأوّل فالأوّل، وإلغاء حرف التعريف تسهياً
للاستخراج، ونقصد من المثل فيه، بأنواعه من السائر والقياسي، وما
يصلح للتمثّل به، وإن لم يكن من الأمثال، وهو ديدنا في مؤلفاتنا المثلية
على الإطلاق مقتصرين على طرف منها. (خ-ط) للخطبة، و(ك) للكتاب
والكلام، و(ح) للحكمة. واعتمدنا على التّهج: المطبوع ١٣٨٥، وشرحه
للمعتزلي بتحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم في عشرين جزءاً في (الأمثال
العلوية)، و(الأمثال والحكم المستخرجة)، وهو هذا الكتاب الذي بين يدي
القارئ الكريم. وما توفّيقني إلّا بالله، والله الحمد في بداية الأمور ونهايتها،
حمداً لا يقدر على إحصائه إلّا هو، بلا نهاية له، ولا أمد. ولننعم ما قال
بعض الفضلاء:

(١) الزمر: ٢٣.

(٢) التّهج: ١٠٣/٩، الخطبة: ١٤٧.

الحمد لله بقدر الله لا قدر وُسع العبد ذي التناهي
والحمد لله الذي برهانه أن ليس شأن ليس فيه شانه
والحمد لله الذي من ينكره فإنما ينكر من يصوره (١)



مرکز تحقیقات و نشر علوم اسلامی

(١) شرح التهج: ٦٠/١.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

١- آخر الدواء الكي

تمثل به عليه السلام في كتاب له، جواباً لقوم سألوه، عقاب من أجلب على عثمان بعدما بويع:
﴿يا إخوتاه! إنني لست أجهل ما تعلمون... وسأمسك الأمر ما استمسك، وإذا لم أجد بداً، فأخر الدواء الكي﴾ (١).

لأنه إنما يقدم عليه بعد أن لا ينفع كل دواء: أي إذا أعضل وأبى قبول كل دواء حسم بالكي. (٢)
وقيل: (آخر الدواء الكي)، ورد أنه من غلط العاقبة، إذ الكي ليس من الدواء، ليكون آخره.

قيل: أول من قال المثل لقمان بن عاد، في قصة امرأة غازلت رجلاً، زعمته أخاها، حتى لقي لقمان زوجها، أسمه هاني، يسوق إبله، ويقول:
(الرجز)

روحي إلى الحي فإن نفسي رهينة فيهم بخير عرس

(٢) المستقصى: ٣/١.

(١) التهجد: ٢٩١/٩، ط ١٦٩.

حَسَانَةُ الْمُقْلَةِ ذَاتِ أَنْسٍ لَا يَشْتَرِي الْيَوْمَ لَهَا بِأَمْسٍ

فَهْتَفَ بِهِ لَقْمَانُ، يَا هَانِي! وَقَالَ:

(الرَّجُلُ)

يَا ذَا الْبَجَادِ (١) الْحَلِكَه (٢) وَالزُّوجَةَ الْمُشْتَرَكَةَ
عَشْرَ رُؤْيَدًا إِبْلَكَةً لَسْتُ لِمَنْ لَيْسَ لَكَ {

قال هاني: نورٌ نورٌ لله أبوك . قال لقمان: عليّ التنوير، وعليك
التغيير، مررتُ بها تغازل رجلاً، زعمته أخاها، قال: فما الرأي؟ قال: أن
تقلب الظهر بطناً، حتى يستبين لك الأمر. قال: أعالجها بكتية تُوردها
المنية، قال: (آخر الدواء الكي).

يضرب فيمن يستعمل في أول ما يجب استعماله في آخره، وفي
إعمال المحاشنة مع العدو، إذا لم يجد معه اللين والمدارة (٣) صدقت
القصة أم لا، فإنه يساعدها الاعتبار.

يريد عليه السلام من ضرب المثل الناس إن استقاموا أصابوا
رشدهم وحظهم، وإن اعوجوا فلا بد من إقامة اعوجاجهم مهما كلف
الأمر. قال البحراني: أي الحرب والقتال؛ لأنها الغاية التي ينتهي

(١) البجاد: الكساء.

(٢) الحلك: الأسود.

(٣) المستقصى: ١/٣-٥.

أمر العصاة إليها ومداواة أمراض قلوبهم كما تنتهي مداواة المريض إلى أن
يكوى (١). 

٢- اتباع الكلب للضرغام يلوذ بمخالبه

من كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاص:

«فإنَّك قد جعلت دينك تبعاً لدنيا أمرئ ظاهر غيّه، مهتوك ستره،
يُشِينُ الكريم بمجلسه، ويسفّه الحليم بخلطته، فاتَّبعت أثره، وطلبت
فضله، اتباع الكلب للضرغام يلوذ بمخالبه، ينتظر ما يلقي إليه من فضل
فريسته، فأذهبت دنياك وآخرتك، ولو بالحق أخذت أدركت ما
طلبت...» (٢). 

وجه التمثيل له بمتابعة الكلب للأسد للحصول على فضل فريسته
واضح لقاعدة وهي: إذا دنّت نفس المرء غرّبت عنها المكارم
الإنسانية والأخلاق المرضية، ورسخت فيها أضدادها، واستحكمت
خلال البهائم والسباع فيها إلى الغاية، فإذا استولى الغضب عليها فأسدّ

(١) شرح التهج: ٣/٣٢٣، ولا يخفى أنه قد جاء: «آخر الدواء الكي» في كتاب (أمثال
وحكم) ١/١٩، وكتاب وسائل الشيعة ١٧/١٨١، باب ١٣٦ من أبواب الأطعمة المباحة،
ح ٥، و٦ عن الباقر عليه السلام.

(٢) التهج: ١٦/١٦٠، ك ٣٩.

مفترس لاهم له سوى الافتراس، وإذا ملكها القطع فصاحبها كلب لا ئد
ينتظر ما يلقى إليه، أو الاحتيا ل فثعلب.

وهلم جرأ (١) في كل خصلة تختصلها السباع والحيوانات تنكشف
لذوي البصائر من الناس، فضلاً عن أمير المؤمنين الذي يرى الأشياء كما
هي، إذا وصف شيئاً منحه نعوته الجديرة به، لأنه عليه السلام الحكم
العدل الذي يعطي كل ذي حق حقه.

فمن نظر إلى معاوية وأبن العاص وجد الخلال التي بينها الإمام
عليه السلام من الفسق، وشين الكرم، وتسفيه الحليم فيهما؛ وأنها يجريان
مجرى الكلاب والأسود عند الفريسة تابعة ومتبوعة.

عن ابن مزاحم في كتاب صفين بلفظ:
«أما بعد، فإنك تركت مروءتك لأمرى فاسق، مهتوك ستره،
يشين الكرم بمجلسه، ويسفه الحليم بخلطته، فصار قلبك لقلبه تبعاً، كما
قيل: (وافق شئ طبقة). (٢) فسلبك دينك، وأمانتك، ودنياك،
وآخرتك... فصرت كالذئب يتبع الضرغام، إذا ما الليل دجى، أو أقي
الصبح، يلتمس فاضل سوره، وحوايا فريسته، ولكن لانجاة
من القدر...» (٣).

(١) مثل سائر ذكره الميداني في مجمع الأمثال: ٤٠٢/٢، حرف الهاء.

(٢) من أمثال سائرة: مجمع الأمثال: ٣٥٩/٢. وحرف الواو مع الألف من

الأمثال العلوية.

(٣) شرح التهج: ١٦٣/١٦.

٣ - أحب حبيبك هوناً مآ

قال عليه السلام:

«أحب حبيبك هوناً مآ، عسى أن يكون بغيضك يوماً مآ، وأبغض بغيضك هوناً مآ، عسى أن يكون حبيبك يوماً مآ».

من كلمات الإمام عليه السلام الحكيمية (١).

عده أبوهلال العسكري من الأمثال في جمهرته، وقال: المثل لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه - عليه السلام - وهوناً: أي قصداً غير إفراط، وهو من قول الثمر بن تولى:

وأحب حبيبك حباً رويدا لئلا يعولك أن تصرما
وأبغض بغيضك رويدا إذا أنت حاولت أن تحكما

ومن أجود ما قيل في هذا المعنى قول بعضهم: (لا تكن مُكثرأ، ثم تكون مقلأ، فيعرف سرفك في الإكثار، وجفاؤك في الإقلال) . (٢)

(١) النّهج: ١٩/١٥٦، ح ٢٧٤.

(٢) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ١/١٣٢.

قال الشارح: الهون بالفتح: التآني. والبغيض: المبغض. وخلاصة هذه الكلمة: النهي عن الإسراف في المودة والبغضة، فرثما انقلب من تود فصار عدواً، ورتبنا انقلب من تعاديه فصار صديقاً.

وقال بعض الحكماء: توقّ الإفراط في المحبة، فإن الإفراط فيها داع إلى التقصير منها، ولأن تكون الحال بينك وبين حبيبك نامية، أولى من أن تكون متناهية.. وقال الشاعر:

وأحب إذا أحببت حباً مقارباً فإنك لا تدري متى أنت نازع
وأبغض إذا أبغضت غير مباين فإنك لا تدري متى أنت راجع

وقال عدّي بن زيد:

ولا تأمن من مبغض قرب داره ولا من محب أن يملّ فيبعدا. (١)

وقد جاء: «عشرة الاسترسال لا تستقال» (٢).

إذا كان الحب مع الله عز وجل، فأحب حباً إلى الغاية بدون تقليل بل إلى حدّ العشق، وهو الحب المفرط، وأبغض الشيطان، والنفس الأمارة، وما يصدك عن الله تعالى بغضاً إلى الغاية.

(١) شرح التهج: ١٥٦/١٩.

وفي مجمع الأمثال: ١٠٧/١: «أبغض بغيضك هوناً ما» البغيض بمعنى: المبغض، كالحكيم بمعنى: المحكم. وهوناً: أي قليلاً سهلاً: أي بغضاً غير مستقصى فيه، فلعلكما ترجعان إلى المحبة، فتستحييا من بغضكما. ودخلت (ما) للتوكيد.

(٢) حديث العشرة في غرر الحكم: ٢٢١، حرف العين.

٤ - اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى الكسيرة

من كتاب له عليه السلام لابن عمه ابن عباس، استنكاراً لأخذه من بيت المال، حينما كان والياً من قبله على البصرة، وفيه:

«فلما أمكنتك الشدة في خيانة الأمة، أسرعت الكرة، وعاجلت الوثبة، واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى الكسيرة، فحملته إلى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متأثم من أخذه» (١).

الذئب الأزل: الخفيف الوركين، وذلك أشد لعدوه، وأسرع لوثبته، وإن اتفق أن تكون شاة من المعزى كسيرة ودامية أيضاً، كان الذئب على اختطافها أقدر. (٢)

والأزل في الأصل: الصغير العجز، وهو في صفات الذئب الخفيف. وقيل: هو من قولهم: (زل زليلاً) إذا عدا. (٣)

٤١ - إبراهيم ٤١

(١) التهج: ١٦/١٦٧.

(٢) شرح التهج: ١٦/١٦٩.

(٣) النهاية: في (زلل)، والمثل من هذه المادة.

وإنما خصّ الدّامية دون غيرها، لأنّ في طبع الذّئب محبّة الدّم، فهو
يؤثر الدّامية على غيرها، ويبلغ به طبعه في ذلك أنّه يرى الذّئب مثله وقد
دمى، فيشب عليه ليأكله.
قال الشاعر:

(من الطّويل)

فكنت كذئب السّوء لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحوال على الدّم
وقال آخر:

(من البسيط)

إني رأيتك كالورقاء يوحشها قرب الأليف وتغشاه إذا عُقرا

(:أي الأليف)، والورقاء: ذئبة، يقول: لا تقرب الذّئب وتستوحش
منه، فإذا عُقر وثبت عليه. (١)

والمعز: الشاة من الغنم خلاف الضأن، وخصّ الإمام عليه السّلام
الكسير منه لخروج الدّم الذي يختطفه من أجله. وإنّما اختار عليه السّلام
كلمة (الاختطاف)، للسرعة المأخوذة في معناها: أي الأخذ بسرعة،
ومنه البرق الخاطف.

يقول عليه السّلام: يابن عباس! قد أخذت الأموال من غير حلّ، إذ

(١) غريب الحديث لابن قتيبة: ١٣٦/٢.

هي لليتامى والأرامل، برحب الصدر منك في استلابها وحملها إلى
الحجاز، لصرفها فيما تشتهي بلا احتشام ولا خوف من الله ولا مني ولا
من ذورها، وليس اختطافك لها إلا كاختطاف الذئب الوثأب المعز
الدامي الكسير السهل التناوش، اعتداء القوي على الضعيف، ومنه
يعرف حال الأقوياء المعتدين على من دونهم بلا اختصاص بابن عباس.
فمن شاء أن يكون ذئباً عادياً فليفعل فعله وليختطف، إلا أن يتوب
ويرد مظلمة العباد.

٥ - اختلف النجر، وتشئت الأمر

من خطبة له عليه السلام بعد الحمد والاستغاثة والشهادة لله عز
وجل، قال:

«وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالدين المشهور، والعلم
المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع، والأمر
الصّادع؛ إزاحة للشبهات، واحتجاجاً بالبينات، وتحذيراً بالآيات،
وتخويفاً بالمثلات؛ والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين، وتزعزعت
سواري اليقين، واختلف النجر، وتشئت الأمر...» (١).

نجر الخشب ينجرها نجرأ، من باب قتل: نحتها، والصانع النجار،

(١) النّهج: ١/١٣٥-١٣٦، الخطبة ٢.

والتجارة مثل الصناعة. ونجران: بلدة من بلاد همدان من اليمن، سميت باسم بانيتها نجران بن زيدان. وفي النهاية: موضع معروف بين الحجاز والشام واليمن.

وفي الحديث: «شَرَّ النَّصَارِيِّ نَصَارِيَّ نَجْرَان» (١).
للتَّجَر معان: منها، الأصل، وأسماء عدة مواضع، والجزاء، ومنه قولهم: «لَا تُنَجِّرَنَّ نَجِيرَتَكَ»: أي لأَجْرَيْنَ جزاءك، ونجار كغراب، والأصل، واللون.

وفي المَثَل: (كَلَّ نُجَارٌ إِبِلَ نَجَارِهَا)، وهذا من قول رجل كَانَ يَغِيرُ عَلَى النَّاسِ، وَيَطْلُبُ إِبِلَهُمْ ثُمَّ يَأْتِي بِهَا السُّوقَ، فَيَعْرِضُهَا عَلَى الْبَيْعِ، فَيَقُولُ الْمُشْتَرِي: مَنْ أَتَى إِبِلَ هَذِهِ؟ فَيَقُولُ الْبَائِعُ: تَسْأَلُنِي الْبَاعَةَ: أَيْنَ دَارُهَا؟ لَا تَسْأَلُونِي، وَاسْأَلُوا: مَا نَارُهَا؟ (كَلَّ نُجَارٌ إِبِلَ نُجَارِهَا). وَالْبَاعَةُ هَهُنَا: الْمُشْتَرُونَ، وَالنَّارُ مِنْ سَمَاتِ الْإِبِلِ. وَالنَّجْرَانُ كَسْكَرَانَ: الْعَتَبَةُ قَالَ:

صَبَبْتُ الْمَاءَ فِي النَّجْرَانِ حَتَّى تَرَكْتُ الْبَابَ لَيْسَ لَهُ صَرِيرٌ. (٢)

وكيف كان:

يريد عليه السلام: بيان حال الناس قبل الإسلام، في فتن تقطع الذين فيها، لا يقين لهم بالمعاد ولا بالمبدأ، كلٌّ منهم له طور من الجهالة،

(١) مجمع البحرين: في (نجر).

(٢) منتهى الأرب: في (نجر) بعد التعريب.

كانهم نحتوا بأنواع شتى من النُّحت، فلكلّ نحتٍ يخصّه، وأصل باطل ترعرع عليه، ولا تجد أمورهم إلّا وهي متشّبة لتشتّت أصولهم، وطباعهم الكدرة، ونفوسهم الشريرة، حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدين الإسلام، والقرآن النور الساطع والضياء اللامع، فأضاء الجزيرة، بل الدنيا بربوعها بضياء حقائق النبوة الأحمديّة، والأحكام السماويّة المهدّبة للطبائع والتفوس الخاضعة للأصنام الحجرية والأوثان التّحاسيّة، فهداهم الإسلام إلى التوحيد، والذين الخالفوا، وترك الأنداد، فسادوا العالم كلّه ببركة دين الله عزّ وجلّ، والإيمان بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

والكلام صالح للتمثّل به؛ للفكر المتشّتت، والفرقة.

٦ - أخرج الحقّ من خاصرته

مركز تحقيقات كميّة وعلوم إسلاميّة

في آخر خطبة له عليه السّلام:

«وأيم الله لأبقرن الباطل، حتّى أخرج الحقّ من خاصرته» (١).
وآخر أخرى بلفظ: «فلأنقبن الباطل، حتّى يخرج الحقّ من جنبه» (٢).

ونظيره ما ذكره الميدانيّ من المَثَل السّائر: (يخرج الحقّ من

(١) التّهج: ١١٤/٧، الخطبة ١٠٣.

(٢) التّهج: ١٨٥/٢، الخطبة ٣٣.

خاصرة الباطل)، يضرب لمن يفرق بينهما. (١) يراد بذلك: تحقيق الحق، وإبطال الباطل، مهما كلف الأمر.

قال المعتزلي: كأنه جعل الباطل كالشيء المشتمل على الحق، غالباً عليه، ومحيطاً به، فإذا بقر ظهر الحق الكامن فيه. (٢) وقال شارحاً للأخرى: «فلأنقبت الباطل»: كأنه جعل الباطل كشيء، قد اشتمل على الحق، واحتوى عليه، وصار الحق في طيه كالشيء الكامن المستتر فيه، فأقسم لينقب ذلك الباطل، إلى أن يخرج الحق من جنبه. (٣) كلا الشرحين متقارب.

وقد جاء المثل للحق والباطل في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأحاديث أهل البيت عليهم السلام.

من الأول آية: «أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال» (٤).

في الآية تمثيلان: الأول تمثيل الوحي والمعارف بالماء النازل من السماء، وهو الحق، ويقابله تمثيل الأوهام بالزبد الذاهب، وهو الباطل. والثاني، تمثيل كل ما ينفع الناس، بما يوقد عليه في النار من الحلي والفلزات وآلات الحرب، وما يبقى بعد الطبخ للأكل وغيره، وهو

(٣) شرح التهج: ١٨٦/٢.

(٤) الرعد: ١٧.

(١) مجمع الأمثال: ٤٢٩/٢.

(٢) شرح التهج: ١١٦/٧.

الحقّ، ويقابله ما لا يعتدّ به من الخليط والأزباد والتافهات: وهي الباطل الذي لا ينتفع به.

ومن السنّة: «الحقّ ثقيل مرّ، والباطل خفيف حلو». (١)

ومن الروايات: المثلّ الجاري المبحوث عنه.

ومن المثلّ السائر: (الحقّ أبلج، والباطل لجج).

ولنعد إلى ما كنّا فيه من التمثيل العلويّ للباطل بحيوان له

خاصرة يخرج منها الحقّ ببقرها أونقها؛ والبقرة: الشقّ والفتح، والتوسّع في

الشيء. وسمّي الإمام الباقر عليه السلام باقراً؛ لأنّه يقر العلم بقرّاً: أي

يشقّه ويفتحه. (٢)

ومن السّعة الحديث: «سيأتي على الناس فتنةٌ باقرةٌ، تدعّ الحليم

حيران»: أي واسعة عظيمة. (٣) والمناسب للمقام الشقّ.

والخاصرة من الخصر، له معنيان: البرد، ووسط الشيء، من

الأول قول حسان:

ربّ خالٍ لي لو أبصرتسه سبّط المشية في اليوم الخصر

- السبّط: المسترسل. - والخصر، خصر الإنسان وغيره: وهو

(١) البحار: ٧٧/٨٤. الأمثال التّبويّة: ٣٧٢/١. الرّقم: ٢٣٧، حرف الحاء مع القاف.

(٢) مجمع البحرين: في (بقر).

(٣) التّهاية: في (بقر).

وسطه المستدقّ فوق الوركين. (١)

إذا دريت ذلك تجلّي لك ما أَراده عليه السّلام؛ إنّهُ المحقّق الحقّ، والمبطل الباطل مهما كان، وفيه جاء النبويّ:
«عليّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ، ولن يفترقا، حتّى يرثي عليّ
الحوض يوم القيامة». و «عليّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ، يدور حيثما دار». نقله العلامة الأميني رحمه الله بطرق متعدّدة. (٢) وهذه
الخصيصة لا تفارق الأربعة عشر المعصومين، أوّلهم محمّد خاتم الأنبياء،
وآخرهم خاتم الأوصياء، سمي الرسول، عبّجّل الله فرجه الشريف.

٧ - إذا تمّ العقل نقص الكلام



قال عليه السّلام:
«إذا تمّ العقل نقص الكلام». (٣)

والوجه في نقص الكلام (: أي قلّته)، إذا تمّ العقل، بيّنه
عليه السّلام في بعض حكمه، قال عليه السّلام: «لسان العاقل وراء قلبه،
وقلب الأحمق وراء لسانه». (٤)
قال الرّضويّ رحمه الله تعالى: وهذا من المعاني العجيبة الشريفة،

(٣) التّهج: ٢١٧/١٨، الحكمة: ٦٩.

(٤) التّهج: ١٥٩/١٨، الحكمة: ٤٠.

(١) مقاييس اللّغة: في (خسر).

(٢) الغدير: ١٧٦/٣ - ١٨٠.

والمراد به: أنَّ العاقل لا يُطلق لسانه إلا بعد مشاورة الرّويّة ومؤامرة الفكر والأحقّ تسبق حذفات لسانه، وفلتات كلامه مراجعة فكره وتماخضة رأيه، فكأنَّ لسان العاقل تابع لقلبه، وكأنَّ قلب الأحقّ تابع للسانه. (١) أي فلا يتكلّم العاقل، إلا بعد التّروي والفكر فيما يريد ممّا له أو عليه في العاجل والآجل، فلا محالة يقلّ كلامه، وهو من المثل السائر، وقد جاء في (مجمع الأمثال) (٢) و (التّمثيل والمحاضرة) في أثناء ذكر نبذة في العقل والعاقل، قال:

(العقل عقال النفس). (عقول كلّ قوم على قدر زمانهم).
 (العقل أشرف الأحساب). (العقل جنة واقية). (العقل الإصابة بالظن، ومعرفة ما لم يكن بما كان). (أشدّ الفاقة عُدَم العقل). (لو صور العقل لأضاء معه الليل، ولو صور الجهل لأظلمت معه الشمس). (كلّ عمل يأذن فيه العقل فهو صواب). (كلّ شيء إذا كثر رخص إلا العقل، فإنّه إذا كثر غلا). (العقل غريزة، تربّيها التجارب). (إذا تمّ العقل نقص الكلام). (حسن الصورة الجمال الظاهر، وحسن العقل الجمال الباطن). (ليس الإنسان الصورة، إنّما الإنسان العقل). (ما أبين وجوه الخير والشرّ في مرآة العقل). (مَنْ غلبه الهوى فليس لعقله سلطان). (العاقل مَنْ عقل لسانه، والجاهل مَنْ جهل قدره). (العقل صفاء النفس، والجهل كدرها). (العاقل لا يستقبل التّعمة ببطر، ولا يودّعها بجزع). (لا ينبغي للعاقل أن يطلب طاعة غيره، وطاعة نفسه عليه

(٢) ج: ٤٥٥/٢.

(١) التهج: ١٨/١٥٩، الحكمة: ٤٠.

ممتنعة). (أيدي العقول تمسك أعتة النفوس عن الهوى). (اقصر عن شهوة خالفت عقلك). (أعقل الناس أعذرهم للناس). (أخربمن كان عاقلاً أن يكون عما لايعنيه غافلاً). (١)

وكفى في شرف العقل أنه إذا جرى حديثه مدحه الكل، والحمق أوالجهل ذمه الكل، وجاء القرآن الكريم ممتدحاً للعقل في تسعة وأربعين موضعاً تصريحاً أو تلويحاً منها: «والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيتٍ لقوم يعقلون». (٢)

وحول العقل بحوث:

منها: تعريفه، مثل الرضا عليه السلام: «ما العقل؟ فقال: التجرع للغصة، ومداهنة الأعداء، ومداواة الأصدقاء». (٣) ونبوي: «إنَّ العقل عقال من الجهل». (٤) و تعريفه بآثاره، إقما لعدم تعقل الناس لكنه، أو أنَّ الغرض يترتب على الآثار دون معرفة الكنه. ومنها: أين محله من البدن، ففي نبوي: «مَثَلُ العقل في القلب كمثل السراج وسط البيت». (٥) وصادقي: «وموضع العقل الدماغ، الأثرى أنَّ الرجل إذا كان قليل العقل، قيل له: ما أخف دماغك». (٦) وقيل: محله الدماغ والقلب معاً، فراجع (٧).

(١) ص: ٤٠٧ - ٤٠٩. (٢) التحل: ١٢.

(٣) أمالي الصدوق: ٢٥٢. (٤) التحف: ١٥.

(٥) جامع البروجردي: ٩٦/١، المقدمات، باب: ١٠.

(٦) تفسير البرهان: ٧٤/٤.

(٧) الأمثال النبوية: ١٩٥/٢، رقم المثل: ٥٠١، وفيه تفاصيل.

٨ - إذا لم يكن ماتريد، فلا تُبَل كيف كنت

قال عليه السلام:

«إذا لم يكن ماتريد، فلا تُبَل كيف كنت». (١)

قال المعتزلي: قد أعجم تفسير هذه الكلمة على جماعة من

الناس.

وقالوا: المشهور في كلام الحكماء: إذا لم يكن ما تريد، فأرد ما يكون. ولا معنى لقوله: «فلا تُبَل كيف كنت». وجهلوا مراده: إذا لم يكن ماتريد، فلا تُبَل بذلك: أي لا تكثر بفوت مرادك، ولا تبتس بالحرمان.

ولو وقف على هذا، لتم الكلام، وكمل المعنى، وصار هذا مثل قوله: «فلا تكثر على ما فاتك منها أسفاً»، ومثل قول الله تعالى: «لكيلا تأسوا على ما فاتكم». (٢) لكنه تتم وأكد، فقال: «كيف كنت»: أي لا تُبَل بفوت ما كنت أملت، ولا تحمل لذلك همًا، كيف كنت، وعلى

(١) النهج: ٢١٥/١٨، الحكمة: ٤٧. «٦٩ - ح ٦٩»

(٢) الحديد: ٢٣.

أَيَّ حال كنت، من حبس، أو مرضي، أو فقير، أو فقد حبيب.

وعلى الجملة: لا تبال الدهر، ولا تكثر بما عكس عليك من غرضك، ويحرمك من أملك، وليكن هذا الإهوان به والاحتقار له ممّا تعتمد دائماً على أيّ حال أفضى بك الدهر إليها. (١) في حديث قدسي: «يا داود! تريد، وأريد، ولا يكون إلا ما أريد». (٢) إذ ليس كلّ ما يريده الإنسان يدركه، لأنّ المراد لا يخلو عن شيئين: إمّا غير مقدّر لاله ولا لغيره، كالبقاء في الدنيا، وقد قال تعالى: «كلّ من عليها فان» ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام». (٣) أو من وسائل العيش الدنيوي، وهو أيضاً لا يدرك منه إلا ما قد قدر وأوتي من ذلك.

كما دلّ على هذا التبعض كلمة (منها) في آية: «ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب». (٤)

عن الصادق عليه السلام:

«المال والبنون حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة، وقد يجمعها لأقوام». (٥)

كما قال الشاعر:

(١) شرح التهج: ٢١٥/١٨.

(٢) التوحيد: ٣٣٧.

(٣) الرحمن: ٢٦ - ٢٧.

(٤) الشورى: ٢٠.

(٥) تفسير البرهان: ١٢١/٤.

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتماعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل (١)

و ما أكثر حواجز الوصول إلى ما يتمناه الإنسان وليس يدركه،
وإن عاش ما عاش، على حد قول القائل:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن (٢)

وهنا أمر هام: وهو أن الإنسان إذا لم يدرك أمنيته، وكان على
نهج الحق، فلم يبل كيف كان . ومنه قول الشهيد علي بن الحسين
الأكبر عليهما السلام:

«لما نزل الحسين عليه السلام الثعلبية، فوضع رأسه، فرقد، ثم
استيقظ، فقال: قد رأيت هاتفاً يقول: أنتم تسرعون، والمنايا تسرع بكم
إلى الجنة، فقال له ابنه علي: يا أبة! أفلسنا على الحق؟ فقال: بلى يا
بنّي! والذي إليه مرجع العباد، فقال: يا أبة! إذن، لانبالي بالموت،
فقال له الحسين: جزاك الله يا بنّي خير ما جزى ولداً عن والدٍ». (٣)

وهذا قول أهل البيت عليهم السلام كلهم، بل كل من عرف

(١) الأمثال النبوية: ٤٢١/١. تحت الرقم: ٢٦٩.

(٢) التمثيل والمحاضرة: ١١٢.

(٣) البحار: ٣٦٧/٤٤.

الله عز وجل، وفناء الأشياء إلا وجهه تعالى.

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكلّ نعيم لا محالة زائل (١).

٩ - ارتوى من آجن

من كلماته عليه السلام الحكيمة في صفة بعض القضاة: «بكر فاستكثر من جمع، ما قلّ منه خير ممّا كثر، حتّى ارتوى من آجن، واكتنز من غير طائل، جلس بين الناس قاضياً لتخليص ما التبس على غيره». (٢).

هذا جزء من كلامه عليه السلام، وزعناه على نبذة أمثالي

(١) جامع الأصول: ١٧٩/٥. الأمثال النبوية: ١٠٦/١، تحت رقم المثل: ٦٦.

ثم إنّ للحديث الجاري معنى آخر، قال الشيخ محمد بن عبده: إذا كان لك مرام لم تنله، فاذهب في طلبه كلّ مذهب، ولا تبال أن حقروك أو عظموك، فإنّ عظم السير الغاية، (أو هو المعنى المذكور في الشرح على حدّ قول القائل:

إذا لم نستطع شيئاً فدمه وجاوزه إلى ما نستطيع).

هامش مصادر نهج البلاغة: ٥٥/٤.

قوله: (لا تبال)، الصواب (ولا تبال) على التّهي، فإنّ التّهي غير مناسب، وقيل بجواز إبقاء الألف في مثله.

(٢) التّهج: ٢٨٣/١، كلام: ١٧. ص ١٧

مضروبة لقسمين من القضاة، فلأول منهم: «حَمَال خطايا غيره». (١)
 ولثاني: «ما قلّ منه خير ممّا كثر». (٢) «حتّى ارتوى من آجن» المبحوث
 هنا. «هو من الشّبهات في مثل نسج العنكبوت». (٣) «خبّاط
 جهالات». (٤) «لم يعضّ بضرّس قاطع». (٥) «يذري.. إذرّاء الرّيح
 الهشيم». (٦) «تعبّج منه المواريث». (٧)

وكله عندنا، من الأمثال السائرة أو الصالحة أن يتمثل بها على
 ماسلكناه في هذا الكتاب، «بكر فاستكثر من جمع»، راجع معناه إلى:
 «ما قلّ منه خير ممّا كثر».

قوله عليه السلام: «حتّى ارتوى من آجن»، قال ابن الأثير في
 حديث عليّ - عليه السلام: «ارتوى من آجن»: هو الماء المتغيّر الطعم
 واللون. ويقال فيه: آجنّ وآجنّ ويأجنّ أجنا وأجونا، فهو آجنّ وآجنّ.
 ومنه حديث الحسن عليه السلام: «أنّه كان لا يرى بأساً
 بالوضوء من الماء الآجن». (٨) وقال الطريحي في الحديث: «نهي عن
 الوضوء في الماء الآجن»: أي المتغيّر لونه وطعمه. (٩)

أقول: إذا خرج عن صدق الماء عليه بقول مطلق بأن صار
 مضافاً، مثل ماء الورد، لم يجز الوضوء به عند علمائنا الإماميّة، وباقي

(١) حرف الحاء مع الميم.

(٢) الميم مع الألف.

(٣) الهاء مع الواو.

(٤) الحاء مع الباء.

(٥) اللام مع الميم.

(٦) الياء مع الذال.

(٧) التاء مع العين.

(٨) التّهاية: في (أجنّ).

(٩) بجمع البحرين: في (أجنّ).

الفروع في الفقه، وفي حديث الصادق عليه السلام: «إن تغير الماء فلا تتوضأ منه». (١).

ثم الإمام عليه السلام شبه ما اكتنزه هذا الجالس بين الناس قاضياً لرفع المخاصمات، من مزعلاته وأوهامه الفاسدة، بما تغير لونه وطعمه الذي لا يجوز شربه، ولا الوضوء به، ولا سائر الاستعمالات، وذلك لأجل الحرمان من علوم أهل البيت عليهم السلام، ومعارفهم المستقاة من نير القرآن الكريم، والأبجر التي مجراها من الرحمن عز وجل، قال السيد الأمين:

هم أبحر العلم التي ما شأنها كدر ومجرها من الرحمن (٢)

١٠ - أرعدوا، وأبرقوا

مركز تحقيقات كويتية للعلوم الإسلامية

من كلام له عليه السلام:

«وقد أرعدوا، وأبرقوا، ومع هذين الأمرين الفشل، ولسنا نرعد

حتى نُوقع، ولا نسيل حتى نمطر». (٣)

الفقرة: «لسنا نرعد حتى نوقع...»، تكلمنا عليها. (٤) ونبحث الآن

عن المثل الجاري: «أرعدوا وأبرقوا»، وهو المثل السائر: (يرعد

(٣) التهجد: ٢٣٧/١، كلام ٩.

(٤) حرف اللام مع السين.

(١) الوسائل: ١٠٣/١.

(٢) المجالس السنية: ٣٦٨/٥.

ويُبرق).

قال الميداني بعد ذكره: يقال: رعد الرجل وبرق، إذا تهدد، ويروى:
(يُبرق ويُرعد)، وينشد:

أُبرِقْ وأرْعِدْ يا يزيد د؛ فما وعيدك لي بضائر

وأنكر الأصمعي هذه اللغة. (١)

قال الشارح المعتزلي: أرْعَدَ الرجل وأُبرِقَ، إذا أُوْعِدَ وتهَدَّدَ، وكان
الأصمعي ينكره، ويزعم أنه لا يقال إلا رعد وبرق، ولما احتج عليه
ببيت الكمي:

* أُبرِق... *

قال - : أي الأصمعي -: الكمي قروي لا يحتج بقوله. وكلام
أمير المؤمنين عليه السلام حجة دالة على بطلان قول الأصمعي.
والفشل: الجبن والخور. وقوله عليه السلام: «ومع هذين الأمرين
الفشل» معنى حسن، لأنَّ الغالب من الجبناء كثرة الضوضاء والجلبة
يوم الحرب، كما أن الغالب من الشجعان الصمت والسكون. (٢)
وذكر الشارح بعد ما تقدّم مثلاً من فريقى الجبناء والشجعان،
موضحاً لقول الإمام عليه السلام: «مع هذين الأمرين الفشل»،

(١) مجمع الأمثال: ٤١٦/٢، حرف الياء.

(٢) شرح التهج: ٢٣٧/١ - ٢٣٨.

ويتجلى ما قابل ذلك بالمقايضة. قال: سمع أبو طاهر الجنابي -متولي القرامطة- ضوضاء عسكر المقتدر بالله، ودبادبهم وبوقاتهم، وهو في ذلك ألف وخمسمائة، وعسكر المقتدر في عشرين ألفاً، مقدمهم يوسف بن أبي السّاج، فقال لبعض أصحابه: ما هذا الزّحل؟ قال: فشل قال: أجل.

ويقال: إنّه ما رئي جيشٌ كجيش أبي طاهر، ما كان يُسمع لهم صوت، حتّى إنّ الخيل لم تكن لها حممة، فرشق عسكر ابن أبي السّاج القرامطة بالسّهام المسمومة، فجرح منهم أكثر من خمسمائة إنسان. وكان أبو طاهر في عمارية له، فنزل وركب فرساً. وحمل بنفسه ومعه أصحابه حملة على عسكر ابن أبي السّاج، فكسروه وقلّوه وخلصوا إلى يوسف فأسروه وتقطّع عسكره بعد أن أتي بالقتل على كثير منهم، وكان ذلك في سنة خمس عشرة وثلاثمائة.

مركز تحقيقات كويتية للدراسات والبحوث

ومن أمثالهم:

(الصدق ينبئ عنك لا الوعيد). (١) لسنا نجابه ما ذكره من تطبيق

القصة أو كذبها بعد عدم عزّة التمثيل!

وما أجاب به الأصمعيّ من دلالة كلام الإمام عليه السلام على بطلان زعمه حقّ، ونظيره من وجه قول الباقر عليه السلام، عندما سأله زرارة بن أعين: ألا تخبرني، من أين علمت، وقلت: أنّ المسح ببعض الرأس وبعض الرجلين؟ فضحك، فقال: «يا زرارة! قاله رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-، ونزل به الكتاب... فقال: فامسحوا

(١) شرح التهذيب: ٢٣٨/١.

برؤوسكم. فعرفنا حين قال: برؤوسكم، أن المسح ببعض الرأس،
لمكان الباء» إلى آخر الحديث. (١)

فزعم سيبويه أن استعمال (الباء) في التبويض غلط، فدلّ على
بطلان زعمه هذا الخبر الصحيح الباقي. وتفصيل البحث في الفقه،
والغرض التنظير لا أكثر.

ثم لإبراق وإلارعاد، كما تقدّم عن الميداني وغيره، يتمثل به
للتهديد ولعدمه إذا نفاهما المتكلم، فقال: لسنا نُبرق ولا نُرعد، ويجوز أن
يتمثل بذلك في غير التهديد، كما في المنافق، حيث يظهر ما ليس له
حقيقة، وهو شأن كلّ مرءٍ يُري للناس ما ليس فيه، ومن هنا جاء
التشديد في الإخلاص في العبادة لله، بل جميع الحالات. ففي علوي:
«الدنيا كلّها جهل إلا مواضع العلم، والعلم كلّه حجة إلا ما عمل
به، والعمل كلّه رياء إلا ما كان مخلصاً، والإخلاص على خطر حتى
ينظر العبد بما يختم له». (٢)

(١) الوسائل: ٢٩٠/١ - ٢٩١، الباب: ٢٣ من أبواب الوضوء.

(٢) السفينة: ٤٠١/١، في (خط). الأمثال التبتية: ٥٨/١، حرف الهمزة مع الخاء

رقم المثل: ٣١.

ومما يناسب المقام ما ذكره الميداني: (بَرَقَ لو كان مَطَرًا)، يُضْرَبُ لَمَنَ له رِواء، ولا
معنى وراءه. مجمع الأمثال: ٩٩/١، حرف الباء. وما جاء في بعض أشعار يوم صفين منها
قول بعضهم في أبيات له:

إِنَّكَ بِمَا يُشْجِيكَ سَبَطَ الْأَنَامِلِ

فَأَبْرَقَ وَأَرَعَدَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنِّي

وَقَعَةُ صَفِيْنٍ لِنَصْرَبِنِ مَزَاحِمِ، ص: ٤١٦.

وليس الإبراق والإرعاد تبرز ظاهرتها في القول فحسب، بل في العمل أيضاً، إذا كان بغير الذي أضمرته السريرة، فلا يفارقه الفشل، لا محالة، عند تبين الحال.

١١ - أعذر بما أنذر

من خطبة مطوّلة له عليه السلام تسمّى بالغراء، وهي من الخطب العجيبة، أولها:

«الحمد لله علا بحوله، ودنا بطوله» - إلى أن قال عليه السلام: -
«أوصيكم بتقوى الله الذي أعذر بما أنذر، واحتج بما نهج...» (١).

وهو من الأمثال السائرة. قال الميداني: (أعذر من أنذر): أي من حذر ما يحلّ بك، فقد أعذر إليك: أي صار معذوراً عندك. (٢) وقال جار الله: (أعذر من أنذر): أي من حذر ما يحلّ بك، فقد بالغ في العذر. (٣) يرميان غرضاً واحداً.

ولعلّ إلى ذلك ينظر قوله تعالى: «عذراً أونذراً» (٤). قيل: معناه: عذراً للمحققين، ونذراً للمبطلين، وصفان للملائكة الملقيات ذكراً. وللآية تفسير، يطلب من مظانّه. ومن المحتمل أن تكون (أو) في «عذراً أو نذراً» بمعنى الواو، وعليه يناسب المثل الجاري والحديث المروي: «أنا

(٣) المستقصى: ٢٤٠/١.

(٤) المرسلات: ٦.

(١) النهج: ٢٦٨/٦، الخطبة: ٨٢، ٨٣.

(٢) مجمع الأمثال: ٢٩/٢، حرف العين.

التنذير العريان». (١) إذ العَرَى أبين للتَّظَر، وأدلّ على الحذر، وكان من عادة العرب إذا أرادوا التحذير من العدو، والمُحَذَّرُ بعيد، حذر القوم بالتعرّي أو التّار في بعض الحالات.

والإنذار على أقسام يجمعها مطلوبيّة الحذر من المُنذَر منه، مثلاً قوله تعالى: «فأنذرتكم ناراً تَلَظَّى». (٢) للتَّحَذَّرُ عَمَّا يَسَبِّب دخولها؛ وقد صُرح لهذا الغرض في آية: «فلولا نفرٌ من كلّ فرقةٍ منهم طائفةٌ ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون». (٣) جعل غاية الإنذار حذر القوم، وحذف متعلّق الحذر دليلٌ على عموم ما يسبّب العذاب والعقاب على ما بيّن لهم إن تمردوا.

والمقام كذلك، حيث صدر الكلام العلوي بإيصاء التقوى، ثم وصف الله تعالى بأنّه المُعْذِرُ المُنذِرُ.

وأما الإعذار المقرون بالإنذار في المثل (أَعَذَرَ مَنْ أَنْذَرَ)، أو «بما أَنْذَرَ» كما في كلام الإمام عليه السلام، وقد تعرّض له الشيخ الطريحي أيضاً. (٤) فيراد به: أنّه صار ذا عذر، فلا يلام إذا أخذ المُنذِرُ (بالكسر) المُنذَرُ (بالفتح)، وعاقبه على عدم القيام بما يقتضيه المقام. ونظيره مِنْ وَجْهِ، قوله الآخر عليه السلام لابن ملجم:

(١) أمثال الحديث: ١٠٨، الأمثال النبوية: ١٨٤/١، الرقم: ١١٦، حرف الهمزة مع النون.

(٢) الليل: ١٤.

(٣) التوبة: ١٢٢.

(٤) مجمع البحرين: في (عذر).

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد (١)

يريد بقوله: (عذيرك) فإن أوقعتُ به كنتُ معذوراً. (٢) وبلفظ آخر: قد تمت الحجة عليه.

١٢ - أكبر مكيدته أن يمنح القرم سُبَّته

من كلام له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص:
«عجباً لابن التابغة! يزعم لأهل الشام: أنَّ في دُعَابَةٍ، وأني امرؤٌ
تلعابَةٌ، أعافس وأمارس! لقد قال باطلاً، ونطق آثماً. أما - وشر القول
الكذب - إنه ليقول فيكذب، ويعد فيخلف، ويُسأل فيبخل، ويسأل
فيلحف، ويخون العهد، ويقطع الإل؛ فإذا كان عند الحرب فأني زاجرٍ
وأمير هو! ما لم تأخذ السيوف مأخذها، فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته
أن يمنح القرم سُبَّته». (٣)

(١) البحار: ١٩٢/٤٢ - ١٩٣.

(٢) هامش المصدر.

(٣) التَّهَجُّج: ٢٨٠/٦، الكلام: ٨٣. في المصدر: «يمنح القوم»، ونحن كتبنا: «يمنح
القرم»؛ لأنه الموجود في بقية النسخ، دون «القوم»؛ لعدم صحته بخلاف «القرم» وهو
الفعل. والسيد الكريم، كما في كتب اللغة.

للكلام تنمة لم نذكرها، والجملة الأخيرة المذكورة صالحة للمثل، وإن لم يرسلها الإمام عليه السلام مثلاً.

ومنع الإست القرّم المعبر عنه بالسُّبّة المراد به: كشف العورة، عملٌ شنيعٌ أقدم عليه ابن العاص، لينجوبه من القتل، ومن ثم قيل له: نجاً بعورته عندما قرب أجله بسيف الإمام عليه السلام الذي ما اعتلا امرأً إلا قذّه، وما اعترضه إلا قطه (١) ودخل النار.

زعم ابن التّابغة الجبان: أنّ في أمير المؤمنين عليه السلام دُعاةً ومعايسةً وممارسةً، وأنّه تلعاةٌ.

الدُّعاة: المزاح، كما في حديث صادقٍ: «ما مِنْ مؤمنٍ إلا وفيه دُعاةٌ، قلت: وما الدُّعاة؟ قال: المزاح». (٢) وهو من حسن الخلق، صرح به في حديث يونس الشَّيباني، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «كيف مداعة بعضكم بعضاً؟ قلت: قليل. قال: فلا تفعلوا، فإنّ المداعة من حسن الخلق، وإنك لتدخل بها السرور على أخيك. ولقد كان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يداعب الرجل، يريد أن يسره». (٣) يراد به (فلا تفعلوا): أي القلة لا تفعلوها.

فالدُّعاة سنةٌ ممدوحة، جعلها عمرو بن العاص، ومن قبل عمرو، عُمر ذمّاً لا يليق بالخلفاء، بل يحسن فيهم الغلظة والفظاظة. قياساً على

(١) التّهاية: في (قطط).

(٢) الوسائل: ٤٧٧/٨.

(٣) الوسائل: ٤٧٨/٨.

أنفسهم، حيث كانوا كذلك ؛ وإبطالاً لقوله تعالى امتداحاً لنبيه صلى
الله عليه وآله وسلم: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ». (١) وردعاً له: «ولو
كُنْتُ فِظاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ». (٢)

والثَّلَعَابَةُ: الكثير اللَّعِب. (٣) فواعجباً كيف تسمع أمة محمد صلى الله
عليه وآله وسلم ذلك، ثم تغضي طرفها؟! أينسب إلى المعصوم
عليه السلام اللَّعِب، وقد قال: «أما والله إنني ليمنعني من اللَّعِب ذكر
الموت»..؟! (٤) والمنع منه متحقق في المؤمنين، فكيف بأئمة المؤمنين
عليه السلام؟!!

وفي الفائق: العفاس والمراس: ملاعبة النساء ومصارعتهن. والعجب
من مؤلفه رواية الحديث المخلوق: (علي رضي الله تعالى عنه -
عليه السلام - كان تلعب، فإذا فرغ فرغ إلى صرس حديد). (٥) تصحيحاً
لقول ابن العاص ومن قبله.

والمعتزلي أنكر ما نسب إلى الإمام عليه السلام أشد الإنكار ،
فقال: فأصل ذلك كلمة قالها عمر، فتلقفها حتى جعلها أعداؤه عيباً
له، وطعنوا عليه. (٦)

(١) القلم: ٤.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) معجم مقاييس اللغة: في (لعب). والفائق: في (لعب).

(٤) التهج: ٢٨٠/٦.

(٥) الفائق: ٣١٩/٣، في (لعب). والتهج: في (فرغ).

(٦) شرح التهج: ٣٢٦/٦.

وقال: فإذا نظرت إلى كُتب الحديث والسَّير لم تجد أحداً، من خلق الله، عدواً ولا صديقاً روى عنه شيئاً من هذا الفن، لا قولاً ولا فعلاً. ولم يكن جدُّ أعظم من جدّه، ولا وقارٌ أتم من وقاره، وما هزلَ قط، ولا لعبَ، ولا فارق الحقَّ والتَّاموس الدينيَّ سرّاً ولا جهراً؛ وكيف يكون هازلاً، ومن كلامه المشهور عنه: «ما مزح امرؤُ مزحَةً إلا ومجَّ معها من عقله مجَّةً»!

ولكنه خلق على سجيّة لطيفة، وأخلاقٍ سهلة، ووجهٍ طلقٍ، وقولٍ حسنٍ، وبشرٍ ظاهرٍ؛ وذلك من فضائله وخصائصه التي منحه الله بشرفها، واختصّه بمزيّتها... (١)

وأنت تجد التناقض في كلامه، حيث قال: أصل ذلك كلمة قالها عمر، ثم يقول: لم نجد، من خلق الله، عدواً ولا صديقاً، روى عنه شيئاً من هذا الفن. فهل ما قاله عمر فيه عليه السلام كذب أو صدق؟ وهل هو عدو أو صديق؟

بلى هي كلمة، تقال حتى تصرف الوجوه عنه عليه السلام، كما كانت كلمته عند انتشار موت الرّسول صلى الله عليه وآله وسلّم: أنّه لم يمّت، ومَن قال: إنّّه قد مات، ضربته بسيّفي، حتى جاء أبوبكر فقال: مَن كان يعبد محمداً فقد مات.. ثمّ تلا قوله تعالى: «أَفَايُنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ...» (٢). (٣)

كلمة يقولها المصلحيّون السياسيّون، يصرفون وجوه النّاس عمّن

(٣) شرح التّهج: ١٧٨/١ - ١٧٩.

(١) شرح التّهج: ٣٣٧/٦.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

لا يريدونه، وإن أراد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم والحديث
ذوشجون. (١)

وفي الكلام العلوي بيان خصائص ابن العاص:
إذا قال كذب، وإذا وعد أخلف وإذا يُسأل يبخل، وإذا سأل
ألحف، خائن قاطع الإل: أي العهد، بائع الدين بدنيا غيره؛ وألف
رذيلة أخرى فيه.

والذي يروم الاطلاع على طائفة كبيرة من رذائله، فلينظر المناظرة
والمفاخرة بين الإمام الحسن بن عليّ عليها السلام وبين جمع اجتمعوا
عند معاوية، وهم:

١ - عمرو بن العاص

٢ - الوليد بن عقبة بن أبي معيط

٣ - عتبة بن أبي سفيان بن حرب

٤ - المغيرة بن شعبة. (٢)

فإنها فاضحة لهم ورأسهم معاوية. وله عليه السلام في المغيرة مثل،
يجدر النظر إليه. (٣)

قوله عليه السلام: «أكبر مكيدته أن يمنح القرم سُبَّته»، هذا بعض
الجملة، وهي: «فإذا كان عند الحرب، فأتي زاجرٍ وأمرٍ هو! ما لم تأخذ

(١) مجمع الأمثال: ١/١٩٧، حرف الحاء.

(٢) شرح النُّهج: ٦/٢٨٥ - ٢٩٤.

(٣) المصدر: ٢٩٣.

السيف مأخذها، فإذا كان ذلك، كان أكبر مكيدته أن يمنح القرم
سبته».

قال المعتزلي: أي ما لم تبلغ الحرب إلى أن تخالط الرؤوس: أي هو
بالتحريض والإغراء قبل أن تلتحم الحرب، فإذا التحمت واشتدت فلا
يمكث، وفعل فعلته التي فعل. (١) من كشف سوءته ليسلم من القتل
من عمل الجبان الذيء الساقط من أمثال عمرو بن العاص.

وهذا الكلام ينطبق على كل من هو مثل ابن العاص العاصي، أصل
الشر والفساد والرديلة، فيشمل الكاذب إذا قال، المخلف إذا وعد،
البخيل إذا سئل، الملحف إذا سأل، قاطع العهد الخائن، بائع الدين
بالدنيا وألف رذيلة موروثة من ابن العاص.

وهكذا شأن جميع كلمات الإمام عليه السلام التمثيلية، التي قالها
في حق غير ابن العاص من المفسدين والمنحرفين، لم تخصهم خاصة، وإن
جاءت فيهم، لأن حكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد، والشيء
يشمله حكم مثله، وهذا معنى قوله عليه السلام في بعض خطبه:

«اعقل ذلك، فإن المثل دليل على شبهه، إن البهائم همها بطونها،
وإن السباع همها العدوان على غيرها، وإن النساء همهن زينة الحياة
الدنيا والفساد فيها». (٢)

وكذا الآيات القرآنية النازلة في الأقوام الماضية، لا تخصهم خاصة، بل
تعم كل من كان حاله حالهم، وعلى صفتهم، إذ لو كانت خاصة بهم

(١) شرح النهج: ٦/٢٨١.

(٢) النهج: ٩/١٦٠، الخطبة: ١٥٣.

دون غيرهم، فلو ماتوا كما ماتوا ماتت الآيات.

وإليك التصريح بذلك في رواية خيشمة عن أبي جعفر عليه السلام:
«ولو أن الآية إذا نزلت في قوم، ثم مات أولئك، ماتت الآية، لما
بقي من القرآن شيء، ولكن القرآن يجري أوله على آخره، مادامت
السموات والأرض، ولكل قوم آية، يتلوها هم منها من خيرا وشر». (١)
وأي بصير عن الصادق عليه السلام قال:

«ولو كانت إذا نزلت آية على رجل، ثم مات ذلك الرجل، ماتت
الآية، لما مات الكتاب، ولكنه حي يجري فيمن بقي كما جرى فيمن
مضى». (٢)

والسنة النبوية وجميع روايات أهل البيت عليهم السلام كالكتاب
العزیز، تجري مجرى الشمس والقمر. كما جاء التمثيل بها في رواية
عبد الرحيم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:
«إن القرآن حي لم يمت، وأنه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما
تجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا». (٣)
فما جاء في الخطبة العلوية من فضائل أو رذائل، غير مختصة بمورد.

(١) مقدمة تفسير البرهان: ص: ٥.

(٢) المصدر.

(٣) المصدر.

١٣- أَمْحَى الظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ!

مَثَلٌ مِنْ أَمْثَالِ ثَلَاثَةِ، أَوَّلُ مَنْ قَالَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي كَلَامٍ لَهُ يَحْتَثُ أَصْحَابَهُ عَلَى الْجِهَادِ:

«وَاللَّهِ مُسْتَادِيكُمْ شُكْرُهُ، وَمُورِثُكُمْ أَمْرُهُ، وَمُمْهِلُكُمْ فِي مَضْمَارٍ مَمْدُودٍ لِيَتَنَازَعُوا سَبْقَهُ. فَشُدُّوا عُقْدَ الْمَآزِرِ، وَاطَّوُّوا فَضُولَ الْخَوَاصِرِ، لَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ. مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ! وَأَمْحَى الظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ!». (١)

«لا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ» و«مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ!»، مَثَلَانِ تَكَلَّمْنَا عَلَيْهِمَا، (٢) وَثَالَتُهُمَا: «أَمْحَى الظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ!»، وَاسْتَوْفِينَا الْبَحْثَ عَمَّا قَبْلَ الثَّلَاثَةِ (٣) مِنَ الْخُطْبَةِ.

قَالَ الْمُعْتَزَلِيُّ فِي شَرْحِ الْمَثَلِ الثَّالِثِ: أَيُّ الظُّلَمِ الَّتِي يَنَامُ فِيهَا لَا كُلَّ الظُّلَمِ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَنَمْ فِي الظُّلْمَةِ، بَلْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْ شِدَّةِ الْعِزْمِ وَقُوَّةِ التَّصْمِيمِ مَا لَا يَنَامُ مَعَهُ، فَإِنَّ الظُّلْمَةَ لَا تَمْحُو تَذَاكِيرَ هِمَمِهِ.

(١) النَّهْجُ: ١٤٢/١١، كَلَامٌ ٢١٥. ر ٢٠٠

(٣) الْمَصْدَرُ.

(٢) حَرْفُ اللَّامِ مَعَ الْأَلْفِ، وَالْمِيمُ مَعَ الْأَلْفِ.

والتذاكير جمع تذكّار.

والمثلان الأولان أحسن من الثالث، وكان الثالث من تنمّة الثاني.

وقد قالت العرب في الجاهلية هذا المعنى. وجاء في القرآن العزيز:

«أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ». (١)

وهذا مثل قوله: «لا تجتمع عزيمة ووليمة»: أي لا يجتمع لكم دخول

الجنة والدعة والقعود عن مشقة الحرب. (٢)

أقول: الظلم جمع الظلمة، وهي كما تطلق على ظلمة الليل، تقال على الكفر والفسق، وما يترك على لوحة النفس من سواد الذنوب و ظلمتها. وعليه فلعل المراد: المعنى الأعم من ظلمة الليل التي ينام فيها، الذاهبة بأنوار الهم وتذاكيرها، ومن ظلمة النفس المتكوّنة عن الذنوب، وهي أيضاً تمحوضياء الفكرة ونور الهمّة.

فهذا المثل الثالث أحسن من المثلين المتقدمين، وأدقّ منهما، والذي دعا المعتزليّ على العكس هو العطف له على الثاني، ولعلّ النسخة الأصلية بلفظ: «وما أمحى الظلم لتذاكير الهمم!» والله العالم.

وكيف كان، إنّ الإمام عليه السلام يحذّر مغبة التساهل في الجهاد الظاهري والباطني، والكلام العلويّ جامع لهما، بل الباطنيّ أهمّ، لأنّه الجهاد الأكبر على ما نطق الخبر:

(١) البقرة: ٢١٤.

(٢) شرح التهجد: ١١/١٤٤.

«إِنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - بَعَثَ سَرِيَّةً، فَلَمَّا رَجَعُوا قَالَ: مَرْحَبًا بِقَوْمٍ قَضَوْا الْجِهَادَ الْأَصْغَرَ، وَبَقِيَ عَلَيْهِمُ الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ؟ قَالَ: جِهَادُ النَّفْسِ» (١).
 فَيَا هَذَا مِنْ حَرْبٍ مَا أَكْثَرَ قَتْلَهَا، وَأَقْلَ مِنْ نَجَامِنَهَا...!

١٤ - أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوْىِ

فِي خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَشْكُو أَصْحَابَهُ مِثْلًا بِقَوْلِهِ:

أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوْىِ فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النَّصْحَ إِلَّا ضُحَى الْغَدِ

خُطِبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَا بَعْدَ التَّحْكِيمِ:

«... فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاةَ، وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةَ، حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنَصْحِهِ، وَضُنَّ الزَّوْدُ بِقَدْحِهِ، فَكُنْتُ أَنَا وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُوهُوَازِنُ:

أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوْىِ فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النَّصْحَ إِلَّا ضُحَى الْغَدِ» (٢)

(١) الوسائل: ١١/١٢٢.

(٢) التَّهْج: ٢/٢٠٤ ط ٣٥٥، ٥٥١.

وأخو هوازن - صاحب الشعر- هو ذُرَيْدُ بن الصَّمّة، والأبيات
مذكورة في الحماسة، وأولها:

نصحت لعارضٍ وأصحاب عارض	ورھط بني السّوداء والقوم شھدي
فقلتُ لهم: ظنّوا بأنّي مُدَجِّج	سراثُهم في الفارسيّ المسرّد
أمرتُهم أمري بمنعرج اللّوى	فلم يستبينوا التصحّ إلّا ضحى الغد
فلما عصوني كنتُ منهم وقد أرى	غوايتهم وأنّني غير مُهتد
وما أنا إلّا من غزيرة إن غوت	غويّت وإن ترشّد غزيرة أرشد. (١)

حادثة التحكيم عند مخالفة أصحابه عليه السّلام يعرف عظمها من
كلامه، حيث يقول: «فأبيت عليّ إباء المُخالفين الجُفأة...». والكلّ يدري ما يصنع المخالف الجافي والمنابد العاصي على أميره،
وهو ناصحه حتّى ارتاب بنصحه *بمركبة كعب بن زيد*

وقوله عليه السّلام: «وضنّ الزند بقدحه»: أي لم يقدر لي بعد ذلك
رأي صالح، لشدة ما لقيتُ منكم من الإباء والخلاف والعصيان، لأنّ
المُشير الناصح إذا اتّهم واستغشّ عَمي قلبه وفَسُد رأيه. (٢)
نعم المعصوم عليه السّلام لم يعم قلبه، ولم يفسد رأيه، ويصبر على
البلوى، والأمر بطابعه الأوّلِيّ كذلك.

(١) شرح التهج: ٢٠٥/٢.

(٢) المصدر.

١٥ - أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك

قال عليه السلام لرجل أفرط في الثناء عليه - وكان له متهماً:
«أنا دون ما تقول، وفوق ما في نفسك». (١)

وذكره الميداني في مجمع الأمثال، قال: قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه - عليه السلام - لرجلٍ مدحه نفاقاً. (٢) والزنجشري في المستقصى. (٣)
قال الشارح المعتزلي:

قالت الحكماء: إنه يحدث للممدوح في وجهه أمران مهلكان:
أحدهما: الإعجاب بنفسه.

والثاني: إذا أثنى عليه بالدين أو العلم، فترَوَقَلَ اجتهداه، ورضي عن نفسه، ونقص تشميره وجدّه في طلب العلم والدين؛ فإنه إنما يتشمر من رأى نفسه مقصراً، فأما من أطلقت الألسن بالثناء عليه، فإنه يظن أنه قد وَصَلَ وأدركَ، فيقلّ اجتهداه، ويتكل على ما قد حصل له عند الناس.

(١) النهج: ٢٣٣/١٨، الحكمة ٨٠، ٨١.

(٢) ٥٣/١، حرف الهمزة، الرقم ٢١٦، بلفظ: (أنا دون هذا...).

(٣) ٣٧٧/١.

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله - وسلم لمن مدح إنسانا كاديسمعه: «ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح».

فأما قوله عليه السلام: «وفوق ما في نفسك»؛ فإنه إنما أراد أن ينبّهه على أنه قد عرف أنه كان يقع فيه وينحرف عنه، وإنما أراد تعريفه ذلك، لما رآه من المصلحة، إما لظنه أنه يقلع عما كان يذمه به، أو ليُعلمه بتعريفه أنه قد عرف ذلك، أوليخوفه ويزجره، أولغير ذلك. (١)

أقول: لا يُدْرِي بأيّ بيان كان قد مدح الإمام عليه السلام، إلا أن في ردعه إتياءه، وتفويق نفسه الشريفة عما في نفس المادح درساً للأمة لترك المدح في الوجه، والكف عن القول فيما لم يحط به، وترك التفاق بإظهار ما لم يصدقه القلب، كما في قوله تعالى في ردع المنافقين: «إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون». (٢)

فليس ردع المدح عن صفة أن الصفة غير موجودة، بل على نفس المادح نفاقاً، أوجهلاً، أطمعاً، أوصوناً له، أو غير ذلك من الوجوه، ففي النبوي: «احثوا في وجوه المادحين التراب». (٣) أونفس الممدوح.

أما الإمام المعصوم فلا يحيط أحدٌ بفضائله، إلا المعصوم عليه السلام بعد الله عز وجل، وقد جاء في الحديث: «يا علي لا يعرف الله إلا أنا

(١) شرح التهجد: ٢٣٣/١٨ - ٢٣٤.

(٢) المنافقون: ١.

(٣) الوسائل: ١٣٢/١٢. الأمثال النبوية: ٥٤/١. الرقم: ٢٨. حرف الهمزة

مع الحاء.

وأنت، ولا يعرفني إلا الله وأنت، ولا يعرفك إلا الله وأنا». (١) ما مضمون ذلك، وكفى في تعريف الله عز وجل الإمام عليه السلام ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن سائر الناس، ولذكره مقام آخر.

١٦ - انفجرتم عن السرار

في خطبة له عليه السلام:

«بنا اهتديتم في الظلماء، وتستمتم العلياء، وبنا انفجرتم عن السرار. وَقَرَّ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهُ الْوَاعِيَةَ...» (٢) (٣)

قال المعتزلي: وأما قوله عليه السلام: «بنا اهتديتم في الظلماء»، فيعني بالظلماء: الجهالة. «وتستمتم العلياء»: ركبت سنامها، وهذه استعارة. قوله: «وبنا انفجرتم عن السرار»: أي دخلتم في الفجر، والسرار: الليلة والليلتان يسترفيهما القمر في آخر الشهر، فلا يظهر. (٣) من معاني السر: الإخفاء، يقابل الإعلان، ومنه المثل: «سِرْك دَمَك، فلا تجريته إلا في أوداجك». (٤) «مايوم خليمة يسر». (٥)

(١) مشهور على الألسن، وهي حقيقة ثابتة لا ريب فيها.

(٢) التهج: ٢٠٧/١. ٢١٣/١ ج ١ ص ٢٠٧

(٣) شرح التهج: ٢٠٨/١.

(٤) التهج: ٢٨٥/٢٠، الحكم المنسوبة ٢٦٦.

(٥) منتهى الأرب في لغة العرب: في (سر).

وخط الجبهة، ومنه العلوي في وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ورونق الجلال يطرّد في أسيرة جبينه». (١)
وأول الشهر ووسطه وآخره، ومنه التبرّي: «صوموا الشهر وسره»: أي أوله أو وسطه. وسرّ كل شيء جوفه، أو آخر ليلة يستتر الهلال بنور الشمس. (٢)

والتكاح، ومنه السرية؛ لأنه أمر لا يعلن به.
وقيل: هو من الأضداد: أي الإخفاء والإظهار، ومنه قوله تعالى: «وأسرّوا الندامة لما رأوا العذاب». (٣) عن أبي عبيدة: أسررت الشيء: أعلنته، قال في الآية: أظهروها. (٤)

والمناسب للمقام هو الاستتار المكتى به عن الجهل وظلمته، وبالأنفجار عن نور ولاية أهل البيت عليهم السلام وهداهم. لولا هم لوقعنا في الشقاوة الأبدية، والجهالة الجاهلية، فبضياتهم عليهم السلام اهتدينا، وبسببهم وجدنا الطريق المستقيم، وبولايتهم نجونا، والحمد لله جلّت نعمائه.

«ولو أنّ عبداً عبداً لله بين الركن والمقام، وصام دهره، وقام ليله، ولم يأت بولاية أهل البيت عليهم السلام، لم يقبل الله منه شيئاً أبداً». (٥)

(١) النهاية: في (سر).

(٢) المصدر.

(٣) يونس: ٥٤.

(٤) معجم مقاييس اللغة: في (سر).

(٥) الوسائل: ٩٠/١ - ٩٦. مامضمونه

ولا يجوز العبد يوم القيامة إلا بجوازٍ منهم وإذن. وهل الإنسان يستطيع الانفجار عن السرار، والدخول في الفجر؟ لا... إنما الله عز وجل يدخل من يشاء في رحمته، «بل يُريدُ الإنسانُ ليفجرَ أمّاه». (١)

لعلّ المعنى على بعض التفاسير: التخلّص عمّا يلقاه من جرّاء أعماله، والخروج عمّا فيه من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ومن الهلاك إلى النجاة؛ والآية رادعة له عن الاستطاعة، وعن إرادته إلا بسبب أهل البيت عليهم السلام، يوفق للانفجار عن السرار: أي الخروج عن الظلماء إلى الضياء.

والكلمة صالحة للمثل، بل هي منه، وقد عدّها كغيرها ابن أبي الحديد من الأمثال المذكورة في هذه الخطبة الشريفة. فلا بدّ من مزيد تدبرٍ فيها.



١٧- إن العطية على قدر النية

من وصية له عليه السلام، لابنه الحسن عليه السلام: «فلا يقنطنك إبطاء إجابته، فإنّ العطية على قدر النية، وربّما أخرت عنك الإجابة، ليكون ذلك أعظم لأجر السائل، وأجزل لعطاء الآمل». (٢)

(١) القيامة: ٥.

(٢) النهج: ١٦/٨٧، الوصية: ٣١، ٣١.

لإبطاء الإجابة أسباب: منها: النية، فلعلها لم تكن خالصة.
ومنها: ربما أخرت، ليكون أعظم لأجر السائل بتحمل المشقة،
لأن الأجر على قدر المشقة، ولأنه أفضل، للتبوي: «أفضل الأعمال
أحزها». (١)

ومنها: أنه لو أعطي ما أراد السائل كان فيه هلاكه، أفساد دينه.
ومنها: أن الدنيا فانية، لا تبقى له، ولا يبقى لها، وإنما الآخرة باقية له،
يفتقر إلى تزويد الزاد لها، والصبر على الحرمان ربما كان منه.

ومنها: ما قاله الله عز وجل: «ما عندكم ينفد وما عند الله باق» (٢)
وهذا الوجه. يعود لعله إلى الوجه المتقدم، وإن كان بينها فرق معنوي.
ومنها: أن الله يحب أن يسمع صوت عبده ودعاءه، وأن له دويًا في
عالم الملكوت، تفرح به الملائكة.
ومنها: أن ذلك سبب لغفران الذنوب، ومكفر لها، وغير ذلك
من الوجوه.

وليس معنى الإبطاء ردّ دعوة الداعي، فإنه استبخال له تعالى، وهو
كفر، وقد تظاهرت روايات أهل البيت عليهم السلام بالدعاء، وكفى قوله
تعالى: «وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا
دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون». (٣)

(١) الأمثال النبوية: ١/١٤٠. الرقم: ٤٨٥ حرف الهمزة مع الفاء.

(٢) التحل: ٩٦.

(٣) البقرة: ١٨٦.

فانظر كيف جعل جلّ جلاله نفسه المقدسة ضمان الإجابة ستّ
مرّات كرّرها، وقد اشتملت الآية على التّضمين البالغ غايته ، لوتدبرها
متدبراً.

ثمّ المثل السائر ينطبق عليه تماماً ما ذكره أبو هلال العسكري: من
جعل كلّ حكمة سائرة مثلاً. (١)

ولاريب في كونه كلمة حكمة سائرة على الألسن. وللکلمة معنى
عالي رفيع المستوى، أخذاً بما لها من إطلاق شامل، وذلك المعنى هو: أنّ
التأوي إذا جرّد النّية عن كلّ أمرٍ فاني، وأخلصها للباقي، عظمت
عطيته. ومن الواضح أنّ كلّ شيءٍ فاني إلا وجهه تعالى، كما قال: «كلّ
من عليها فاني» ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام». (٢)

فمن اختار الله عزّ وجلّ ولم ينو سواه، كان الله تعالى هو عطيته
الباقية. فاختر من العطايا ما شئت.

مركز تحقيقات کلامی و فقهی

(١) الأمثال النبویة: ٧/١.

(٢) الرّحمن: ٢٦ - ٢٧.

١٨ - إِنَّ غَدًا مِنْ الْيَوْمِ قَرِيبٌ

قال عليه السلام:

«فسابقوا رحمكم الله إلى منازلكم التي أمرتم أن تعمروها، والتي رُغِبتم فيها، ودُعِيتُم إليها، واستتموا نعم الله عليكم بالصبر على طاعته، والمجانبة لمعصيته. فَإِنَّ غَدًا مِنْ الْيَوْمِ قَرِيبٌ. ما أسرع الساعات في اليوم، وأسرع الأيام في الشهر، وأسرع الشهور في السنة، وأسرع السنين في العمر». (١)

وفي خطبة أخرى: «وإِنَّ غَدًا مِنْ الْيَوْمِ قَرِيبٌ، يذهب اليوم بما فيه، ويحيي الغد لاحقاً به». (٢)

وخطبة أخرى: «وما أقرب اليوم من تبشير غدٍ». (٣)

والتبشير: أوائل كل شيء، ومنه تبشير الصبح: أوائله. ولا

(١) التهج: ٩٩/١٣، الخطبة: ٢٣٤/١٨٨، البحار: ٤٣٣/٧٧.

(٢) التهج: ٢١٠/٩، ط ١٥٨.

(٣) التهج: ١٢٦/٩، الخطبة: ١٥٠.

يكون منه فعل. (١) وبمعنى البشري (٢): أي تبشّر أوائل الغد بلحقه اليوم، وحلوله محله.

قال المعتزلي: قوله عليه السلام: «إِنَّ غَدًا مِنْ الْيَوْمِ قَرِيبٌ»، كلام يجري مجرى المَثَل، والأصل فيه قول الله تعالى: «إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ». (٣) ومنه قوله:

« فَإِنَّ غَدًا لَنَاظِرُهُ قَرِيبٌ »

وقوله:

« غَدٌ مَا غَدٌ مَا أَقْرَبُ الْيَوْمِ مِنْ غَدٍ » (٤)



وصدر البيت الأول:

« فَإِنْ يَكُ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَلَّى » (٥)

قال الميداني: أول من قال:

« إِنَّ غَدًا لَنَاظِرُهُ قَرِيبٌ »

قراة بن أجدع في قصّة طويلة، ذكرها في المجمع. (٦)

(١) معجم مقاييس اللغة: في (بشر).

(٢) مجمع البحرين: في (بشر).

(٣) هود: ٨١.

(٤) شرح النّهج: ٢١٦/٩ و ١٣/١٠٠.

(٥) هامش المصدر الأول.

(٦) مجمع الأمثال: ٧٠/١، حرف الهمزة.

وجاء ذكره في كتاب التمثيل والمحاضرة، (١) والفاخر، (٢) وبماثل
المثل المذكور قولهم: (كلّ ماهوآتٍ قريبٌ). (٣) وقولهم: (ما فات فات،
وما أقرب ماهوآتٍ). (٤) (إنّ مع اليوم غداً) وهو قول منصور المصري:

يا من يخاف أن يكو ن ما يخاف سرمداً
أما سمعت قولهم: إنّ مع اليوم غداً (٥)

وقولهم: (مع اليوم غداً). قال أبو هلال العسكري: يضرب مثلاً
للنظر في العواقب. وقال الرازي:

لا تقلوها وأدلوها دلواً إنّ مع اليوم أخاه غدواً

والقلو: السير الحثيث، والدلو: السير الرقيق. يقول: ارفق بها، ولا
تقتلها اليوم بشدة السير، فإنك تحتاج إليها غداً. وقال: غدوا على
الأصل، وأصل (غد) غدو. ونحوه قول الشاعر:

(١) ص: ٢٤٥.

(٢) ص: ٢٦٥.

(٣) مجمع الأمثال: ١٧١/٢.

(٤) المصدر: ٣٢٧/٢.

(٥) التمثيل والمحاضرة: ١٠٥.

خفت مأثور الحديث غداً وغداً أدنى لمنتظره

وقال التابعه الجعدي:

وإنّ مع اليوم الذي علموا غداً وإنّ الأمور بالرجال تقلب

وقال غيره:

فإن يك صدر هذا اليوم ولّي فإن غداً لناظره قريب

وهذا مثلاً لمن حرم مراده اليوم، فوعده في غدٍ، وفي خلافه.

قول الرّاجز:

يا عجباً لقولهم غداً غداً قولاً كشح الإرة المزهد

* ولا يحجىء دسّم على يدي *

ولا تكاد الأعراب تنشده إلا غداً غداً بالكسر. (١)

ثم إنّ المثل الجاري -: أي قول الإمام عليه السلام:

«إنّ غداً من اليوم قريب» - يضرب للتّغيب والتّظر في العواقب،

ومنه: «فسابقوا رحمكم الله إلى منازلكم...».

والتّرهيب عمّا فيه ذكر الموت، وما ينبّه الذاكر المتفكّر، ومنه قوله

(١) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ٢٢٧/٢. الإرة: القديد. وقيل: هو أن يُغلى

اللحم بالخلّ، ويحمل في الأسفار. وفي حديث بُريدة الثّبوي: (اللحم المطبوخ في كرش).

التهاية: في (أرت). وفيه أنّ التّاء عوض عن الياء.

عليه السلام لزياد بن أبيه:

«فدع الإسراف مقتصدًا، واذكر في اليوم غداً». (١)

وقد ذكرنا شيئاً من الموت عند التكلم على المثل: «كلّ متوقع آتٍ، وكلّ آتٍ قريب دان». (٢)

وجاء ذكر الموت في القرآن الكريم في ١٦٥ موضعاً، وقد أطلق على النوم، كما في دعاء الانتباه بعد النوم: «الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور» (٣) سُمي النوم موتاً، لأنه يزول معه العقل والحركة، تمثيلاً أو تشبيهاً لا تحقيقاً.

وقيل: الموت في كلام العرب يطلق على السكون، يقال: ماتت الرّيح، إذا سكنت.

والموت يقع بحسب أنواع الحياة على ما قال الشيخ الطريحي: فمنها: ما هو بإزاء القوة النامية الموجودة في الحيوان والنبات، كقوله تعالى: «ويحيي الأرض بعد موتها» ١٩/٣٠.

ومنها: زوال القوة الحسية، كقوله تعالى: «يليتني متّ قبل هذا» ٢٣/١٩.

ومنها: زوال القوة العاقلة، وهي الجهالة، كقوله تعالى: «أو من

(١) التهج: ١٣٩/١٥، الكتاب: ٢١.

(٢) حرف الكاف مع اللام.

(٣) مفاتيح الجنان: ١٣٧، هامشه.

كان ميتاً فأحيينهُ» ١٢٢/٦، و«إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتِ» ٨٠/٢٧.
ومنها: الحزن والخوف المُكَدِّر للحياة، كقوله تعالى: «وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ
كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ» ١٧/١٤.
وقد يستعار الموت للأحوال الشاقة، كالفقر والذلّ والسؤال والهدم
وغير ذلك. (١)

أما حقيقة الموت فقد تناولها الحكماء بالبحث، بأنه خَلْعٌ وَلَبْسٌ،
كمن ينزع لباساً على بدنه، ويلبس آخر، ولكنه كما قال مولانا
أمير المؤمنين عليه السلام:
«فغيرُ موصوفٍ ما نزل بهم، اجتمعت عليهم سَكْرَةُ الموت، وحَسْرَةُ
الفوت». (٢)

«واستعدّوا للموت، فقد أظلمكم، وكونوا قوماً صريح بهم فانتبهوا». (٣)
وفي الديوان المنسوب إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام:

إِلَى مَ تَجَرَ أَذْيَالُ التَّصَابِي	وَشَيْبُكَ قَدْ نَضَابُرْدُ الشَّبَابِ
بِلَالِ الشَّيْبِ فِي فَوْدِكَ نَادِي	بِأَعْلَى الصَّوْتِ حَيَّ عَلَى الذَّهَابِ
خَلَقْتَ مِنَ التَّرَابِ وَعَنْ قَرِيبٍ	تُغَيِّبُ تَحْتَ أَطْبَاقِ التَّرَابِ
ظَمَعْتَ إِقَامَةً فِي دَارِ ظَمْعِنٍ	وَلَا تَظْمَعُ فَرَجْلَكَ فِي الرِّكَابِ

(١) مجمع البحرين: في (موت).

(٢) التهج: ٢٠١/٧، الخطبة: ١٠٨.

(٣) التهج: ١٤٥/٥.

وأرخيت الحجاب فسوف يأتي رسولك ليس يُحجَّبُ بالحجاب
أعامر قصركَ المرفوع اقصر فإنك ساكن القبر الخراب (١).

١٩- إنها خدعة الصبي عن اللبن في أول الفصل

من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً عن كتابه - قال عليه السلام في آخره :-
«وأما تلك التي تريد؛ فإنها خدعة الصبي عن اللبن في أول الفصل، والسلام لأهله» (٢).

ذكر الميداني المثل: (إنها ليست بخدعة الصبي)، ضد المثل العلوي، وأنه لمعاوية، فراجع (٣).
الحاجة التي يريد بها معاوية التلبس على الناس، بأنه صاحب دم عثمان، وبالنتيجة التراس عليهم من وراء ذلك، وهم لا يعلمون أن مطالبته لدم عثمان خدعة، يراد بها الرئاسة لا الثأر، كما يخدع الصبي عن اللبن، لغاية الانفصال عنه.

وخدعة الصبي عن اللبن: هي تلطيف الثدي بشيء مؤلم، لينفر عن الالتقام، مقدمة للفطام، وليس القصد من ذلك إلا الانفصال فحسب،

(١) بهج الصباغة: ١١/٨ - ١٢.

(٢) التهج: ٢٥١/١٧، كتاب ٦٤.

(٣) مجمع الأمثال: ٦٠/١، حرف الهمزة.

عند انقضاء حولين كاملين، كما قال تعالى: «والولدتُ يُرضعن أولدهنَّ
حوْلين كاملين لمن أراد أن يُتمَّ الرِّضاعة». (١)

فيقصد معاوية ومن قبله عائشة - خالقة حرب الجمل، الطالبة بدم
عثمان - التَّراس. أمَّا معاوية فلنفسه، والأخرى لطلحة والزبير، وبالأخير
دفع الإمام عليه السلام عن الخلافة، المنصوصة له بنص الغدير وغيره؛
والخادعون - وإن ظفروا بما خدعوا من أجله في الدنيا للدنيا، وربما لم
يظفروا به - حال السَّاحر في الكيد والخداع، في عدم الفلاح. كما
قال جلّ جلاله: «إنَّما صنعوا كيد سحر ولا يفلح السَّاحر حيث أتى». (٢)
(٢) هذا في الدنيا، وفي الآخرة يرون جزاء خداعهم.

ولا ريب أنَّ مخادعة الإمام عليه السلام المفترض الطاعة مخادعة
الرَّسول، صَلَّى الله عليه وآله وسلم، ومخادعته مخادعة الله عزَّ وجلَّ، وقد
قال تعالى: «إنَّ المنافقين يَخْذَعُونَ اللهَ وهو خادِعُهُمْ». (٣) بافتضاحهم
في الدنيا، وعذابهم في الآخرة.

وفي الحقيقة إنَّما المخادع يخادع نفسه، شعر بذلك أم لا؛ والغالب
عليهم عدم الشعور، كما قال جلّ جلاله: «يَخْذَعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
وما يَخْذَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وما يَشْعُرُونَ». (٤)

والخدعة تنشأ من دناءة النفس وخبثها، وترفع عنها النفوس
النظيفة، والعقول الحصيفة. وقد يقال للمجرب في الخداع: داهية، ومن

(٣) النساء: ١٤٢.

(٤) البقرة: ٩.

(١) البقرة: ٢٣٣.

(٢) طه: ٦٩.

هنا عذ معاوية وعمرو بن العاص من الذّاهة، والإمام عليه السّلام قال:
«ولولا كراهية الغدر، لكنتُ من أذهي الناس» (١).

٢٠ - أهل الدّنيا كركبٍ، يسار بهم، وهم نيامٌ

قال عليه السّلام:

«أهل الدّنيا كركبٍ، يسار بهم، وهم نيامٌ». (٢)

التمثيل بالركب السّائرة وهم نيام ناظر إلى سرعة تصرّم العمر، في
حين غفلة العامر، والإدبار عن الدّنيا، والإقبال إلى الآخرة، حيث إنّ
السّائر إلى مكان يتعدّ عما كان قبل السّير، ويقرب إلى ما يسير إليه،
قرباً وبُعْداً قهريّاً، علم السّائر به أم لم يعلم، وأنّ الموت نازل بهم لا محالة.
إنّ الدّنيا قنطرة، يعبرون عليها إلى الآخرة، ومنازل يتحوّلون عنها إلى
منازل لازوال لها ولا تحوّل عنها؛ لأنّها دار بقاء لا فناء لها.
سرور الدّنيا غرور، نعيمها زائل، وعيشها باطل، وإنّ أهلها
كركبٍ، أناخوا عشياً في منزلٍ، وفي الصّبح عنه راحلون.

تزود من الدّنيا فإنك راحل وبادر فإنّ الموت لاشكّ نازل

(١) راجع المثل: «قد يرى الحوّل القلب وجه الخيلة» حرف القاف مع الدّال، مامعناه.

والنّهج: ٢١١/١٠، كلام ١٩٣، نقضه.

(٢) النّهج: ٢٠٩/١٨، الحكمة: ٦٢.

سرورك في الدنيا غرورٌ وحسرةٌ وعيشك في الدنيا محالٌ وباطل
ألا إنما الدنيا كمنزل راكبٍ أناخ عشيّاً وهو في الصبح راحل (١)

قل للمقيم بغير دار إقامةٍ حان الرحيل فودّع الأحبابا
إن الذين لقيتهم وصحبهم صاروا جميعاً في القبور ترابا (٢)

ومن حكمه عليه السلام: «وإن أهل الدنيا كركبٍ، بيناهم حلّوا إذ
صاح بهم سائقهم، فارتحلوا» (٣)، ويناسبه قول أبي العتاهية:

إنّ داراً نحن فيها لدارٌ ليس فيها لمقيم قرار
كم وكم قد حلّنا من أناس ذهب الليل بهم والنهار
فهم الركب قد أصابوا مناخاً فاستراحوا ساعة ثم ساروا
وكذا الدنيا على ما رأينا يذهب الناس وتخلو الديار (٤)

وله عليه السلام في خطبة: «فإنما أنتم كركبٍ وقوفٍ، لا يدرون متى
يؤمرون بالمسير». (٥)

(١) نهج السعادة: ١، الوصايا: ٧١.

(٢) المصدر: عن الإمام الحسن عليه السلام.

(٣) التّهج: ٥٢/٢٠، الحكمة: ٤٢٣. البحار: ١٣/٧٨.

(٤) شرح التّهج: ٥٣/٢٠.

(٥) البحار: ٤٣٣/٧٧.

والتمثيل بالركب السائرة مرةً والوقوف أخرى: بلحاظ الفناء
التدرجي، والبقاء الموهوم، والحياة المزعومة، والأعمار المتصرمة،
و(الناس نيام، إذا ماتوا انتبهوا). (١) وليس الحياة إلا لحظات، وكما قال
القائل:

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان (٢)

أنفاس المرء خطاه إلى الموت، فهاذه الظمأنينة وأنت مُزعج؟! وما
هذا الولوج وأنت مخرج؟! جمعك إلى تفريق، ورفوك إلى تمزيق،
وسعتك إلى ضيق؛ فيا أيها المفتون، والطامع بما لا يكون! «أفحسبتم أنها
خلقنكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون» (٣)

ستندم عند الموت شرندامة إذا ضمّ أعضاك الثرى والمطابق
وعاينت أعلام المنية والردى ووافاك ما تبيض منه المفارق
وصيرت رهيناً في ضريحك مفرداً وباعدك الجار القريب الملاصق (٤)

وقوله عليه السلام: «فإنما أنتم سفرٌ حلول، والموت بكم نزول» (٥)

(١) التمثيل والمحاضرة: ٢٥.

(٢) قيل: لأحمد المصري.

(٣) المؤمنون: ١١٥.

(٤) نهج السعادة: ١، الوصايا: ٦٨.

(٥) البحار: ١٩/٧٨.

والآخرة: «إنما أنتم فيها كركب، عرسوا وارتاحوا، ثم استقلّوا، فغدوا وراحوا». (١) نظائر المثل المبحوث عنه.

٢١ - أوري قبس القابس

هذا من تمثيلاته عليه السلام، في خطبة له علّم فيها الناس الصلاة على النبي، صلى الله عليه وآله وسلم. أولها:-
«اللهم داحي المدحوات... اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك، على محمد عبدك ورسولك... قائماً بأمرك، مستوفزاً في مرضاتك، غير ناكلٍ عن قُدَم، ولا واهٍ في عِزِّم؛ واعياً لوحيك، حافظاً لعهدك، ماضياً على نفاذ أمرك، حتّى أوري قبس القابس، وأضاء الطريق للمخابط...» (٢).

جئنا على بعض الخطبة عند التمثيل: «الدامغ صولات الأضاليل». (٣)

(١) البحار: ١٨/٧٨ و ٣٥٠/٧٧.

أقول: وفي كلام له عليه السلام: «يا بني! إن من كان مطيته الليل والنهار...» ما معناه. التّهج: ٩٣/١٦.

(٢) التّهج: ١٣٨/٦، الخطبة: ٧١. شرح التّهج: ١٣٥/١٩، برواية سلامة الكندي.

(٣) حرف الذال مع الألف.

وبعضها الآخر عند قوله عليه السلام:

«أضاء الطريق للخابط» (١).

المستوفز من الوفز: العجلة: أي المستعجل في مرضاة الله تعالى،
والقُدم: الإقدام، ومعناه: غير الجبان، والواهي: الضعيف، «واعياً
لوحيك»: أي فاهمه، والماضي في نفاذ الأمر: المصرف فيه.

قال ابن الأثير: (ورى الزند يري)، إذا استخرج ناره، والزند
الواري: الذي تظهر ناره سريعة، ومنه حديث علي عليه السلام: «حتى
أورى قبساً لقابس»: أي أظهر نوراً من الحق لطالب الهدى؛ والقبس:
الشعلة من النار، والقابس: طالب النار. (٢)

أقول: الإبراء والقبس لغة قرآنية. أقول: الإبراء والقبس لغة قرآنية.
من الأول: «فالمُوريت قدحاً» (٣): أي حوافر خيول المجاهدين
في سبيل الله، إذا صكت أحجار الأرض أخرجت نار الجباحب
(٤) بقدها لها. وآية: «أفرء يتم النار التي تُورون»، (٥): أي
تستخرجونها.

(١) الهزمة مع الضاد، من الأمثال العلوية.

(٢) النهاية: في (ورى) و(قبس).

(٣) العاديات: ٢.

(٤) الجباحب: اسم رجل بخيل، يضرب به المثل. راجع تفسيره، هامش الكشف:

٧٨٦/٤.

(٥) الواقعة: ٧١.

ومن الثاني: «لعلّي آتاكم منها بقبس أو أجِدُ على النار هُدًى». (١)
«أو آتاكم بشهابٍ قَبَسٍ لعلكم تصطلون». (٢)

كما وفي خطبة الزهراء عليها السلام: «وقبسة العجلان». (٣)
ومن أمثال العرب: (القابس العجلان). (٤) جاء فيه لفظ: (القبس).
ومعنى خطبة الإمام عليه السلام: خصّ يا ربّ صلواتك الشريفة،
وبركاتك الثامية، بمحمد الرسول القائم بالأمر الرسالي، المستعجل في
طلب المرضاة، الفاهم لوحيك، الحافظ لعهدك، المصّرّ في تنفيذ
أوامرك، حتّى اهتدى طالب الهدى بنوره، وأبصر المتحيّر طريقه بإضاءة
شريعته الغراء، والقرآن المنزل عليه، وانمحت ظلمة الجهالة الجاهليّة بنور
التبوّة، والعلم، والهدى؛ وأزيح المانع عن الوصول إلى المعارف الإلهيّة
التي كانت منطمسة الأعلام، مظلمة السبيل بالأباطيل والأضاليل.
فيا أيّها القابسون! اقتبسوا من الأنوار...

مركز تحقيق وتطوير علوم

(١) طه: ١٠.

(٢) التمل: ٧.

(٣) الاحتجاج: ١/١٣٥.

(٤) الفاخر: ٢٤١، المثل: ٣٦٦.

٢٢ - أيادي سبأ

من كلام له عليه السلام: «... فما آتي على آخر قولي، حتى أراكم متفرقين أيادي سبأ...» (١).

اختلف: أن المَثَل إسلامي، أصله قوله تعالى: «ومزقنهم كلَّ ممزق». (٢) في قصة أهل سبأ وتفرقهم المذكورة في القرآن الكريم، وروايات أهل البيت عليهم السلام. أو جاهلي، كما ذهب إليه الدكتور صفاء خلوصي، لأنَّ سبأ وجدت قبل الإسلام. (٣)

أقول:

وهل وجود قوم سبأ قبل الإسلام يصير المَثَل مثلاً جاهلياً، أولاد من ضربه لتلك الحالة في ذلك الزمن؟.. قال ابن أبي الحديد: «أيادي سبأ» مَثَلٌ، يضرب للمتفرقين، وأصله قوله تعالى عن أهل سبأ: «ومزقنهم كلَّ ممزق».

(١) التهذيب: ٧٠/٧، ط ٩٦، ر ٩٧.

(٢) سبأ: ١٩.

(٣) دراسة في الأمثال العربية كما في رسالة الإسلام: عدد: ٧-٨، ص: ١١٦.

وسباً مهموز، وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ويقال: (ذهبوا أيدي سبا، وأيادي سبا). الياء ساكنة، وكذلك الألف، وهكذا نقل المثل: أي ذهبوا متفرقين. وهما اسمان، جعلاً واحداً مثل: (معدى كرب). (١) وهو كالصريح في كونه إسلامياً.

وكيف ما كان، فيمكن أن يكون لمعنيين: يضرب المثل المذكور، لبيان تفرق القوم المقصود جمعهم، كما تقدم، وللدعاء عليهم: أي لا تفارقهم الفرقة.

ولعل الثاني أولى بكلام الإمام عليه السلام، ليكون جملة: «أيادي سبا» دعاء عليهم، ولكن ظهورها في تشبيه تفرق أصحابه عند خطابه عليه السلام بتفرق قوم سبا يمنع الدعاء، اللهم إلا أن يعم المعنيين بالاشتراك إن صح ذلك.

لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يعاني من تفرق أصحابه، المسبب لإبادتهم بغلبة العدو، وقد نهى الله عز وجل عن الفرقة، وأمر باعتصام الحبل الإلهي، في آية: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا». (٢)

والإمام المعصوم هو الحبل الذي أمر العباد بتمسكه، ولا ينافي كونه القرآن أو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، إذ كل ذلك واحد في المعنى، يدعو إلى الواحد الأحد، وهو الله تعالى، ويؤول الاعتصام بالآخرة به وإليه تعالى.

(١) شرح التهجد: ٧٤/٧ - ٧٥.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

٢٣ - إِيَّاكَ وما يعتذر منه

جاء المَثَل في كتاب له عليه السلام إلى قُثم بن عباس، وهو عامله على مكة، أوله:

«أما بعد، فإن عيني بالمغرب كتب إليّ، يعلمني، أنه وُجّه إلى الموسم أناس ... إِيَّاكَ وما يعتذر منه...» (١)

قال الميداني بعد المَثَل المذكور: أي لا ترتكب أمراً تحتاج فيه إلى الاعتذار منه: (٢) وهو من الأمثال المرسلة، وإن لم يرسله الإمام عليه السلام. ثم الاعتذار ممّا يوجب، إنما هو من صنع الجاهل، حيث يقدم على ما لا يدري مغيبته، ولا حسنه من قبحه، أو خيره من شره، فإذا انكشف الحال ندم واعتذر. أمّا العاقل فلا يترأى قبل أن يترؤى، ولا يقدم على عمل إلّا بعد التثبت والعلم بمغيبته.

وقد قالوا: المَثَل: (شرّ الرأي الذبري)، والذبري: الذي يجيء بعد ما يفوت الأمر (٣)؛ ومن أجله رغبت المشورة، وأمر الجاهل بالسؤال من

(١) التهج: ١٦ / ١٣٨، ك ٣٣ / ٣٣٣

(٢) مجمع الأمثال: ٤٤ / ١، حرف الهمزة.

(٣) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ١٢ / ١، حرف الشين.

أهل الذكر في الكتاب والسنة في أمور الدين والدنيا، والمستبد برأيه هالك، والتثبت في كل شيء حتى لا يقع فيما لا يحمد عقباه، وعدم جواز الأخذ بنبأ الفاسق إلا بعد التبين، لئلا يصيب إنساناً بجهالة، فيصبح على ما فعل نادماً، كما قال تعالى: «إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم ندمين» (١).

والمورد لا يخص، فيجري فيما ماثله من نوعه، ثم المثل يشمل كل ما ذكر وما لم يذكر من الموارد التي تورث الاعتذار بعدها، سواء أكان من قول أو عمل، بل مطلق السكون والحركة التي لا يخلو منها الإنسان. فلا بد من التفكير فيه أولاً، فإن علم أن في ذلك رشداً أقدم، أو غيياً أحجم عنه. ويقف عند الشبهة لئلا يهلك من حيث لا يعلم، كما جاء ذلك في حديث التثليث: «الأمر بين رشده فيتبع، وأمر بين غيّه فيجتنب، وشبهات بين ذلك؛ فمن أخذ بها هلك من حيث لا يعلم، ومن وقف نجا» (٢). ما مضمون الحديث فراجع.

(١) الحجرات: ٦.

(٢) الوسائل: ١١٤/١٨.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

٢٤ - باع اليقين بشكّه والعزيمة بوهنه

من بعض خطبة له عليه السلام يصف آدم عليه السلام: «ثم أسكن آدم داراً، أرغد فيها عيشه، وآمن فيها محلته، وحذره إبليس وعداوته، فاغتره عدوه نفاسة عليه بدار المقام، ومرافقة الأبرار، فباع اليقين بشكّه، والعزيمة بوهنه، واستبدل بالجلد وجلاً، وبالاغترار ندماً...» (١).

البيع: مبادلة مال بمال، (٢) وأخذ شيء بإعطاء شيء مطلقاً، ولم يختص بتمليك عين بعوض، على ما اصطلاح عليه الفقهاء، والدليل: الكتاب والحديث. مركزية كويت

من الأول: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - إلى قوله تعالى: - فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به». (٣)
وتناول الشراء في خمسة وعشرين موضعاً إيجاباً وقبولاً بدون قصرٍ على التفسير الفقهي.

ومن الثاني: «باع اليقين بشكّه»، والمراد: نسيان العهد الرباني من

(٣) التوبة: ١١١.

(١) التهجد: ١/١٠٢، الخطبة ١/١٠١.

(٢) المصباح المنير: في (بيع).

التَّهْي عن اقتراب الشَّجرة. ويدلّ على التَّسيان قوله تعالى: «ولقد عهدنا إلى آدَم من قبلُ فَنَسِيَ ولم نَجِدْ له عِزْماً». (١)

عن الباقر عليه السلام: «إِنَّ الله تعالى عهد إلى آدم: أن لا يقرب هذه الشَّجرة، فلمَّا بلغ الوقت كان في علم الله أن يأكل منها، فنسي فأكل منها». (٢)

وعنه عليه السلام أيضاً: «إِنَّ الله قال لآدم وزوجته: لا تقرباها، فقالا: نعم يا ربنا لا نقرها، ولانأكل منها. ولم يستثنيا في قولهما: نعم، فوكلهما الله في ذلك إلى أنفسهما، وإلى ذكرهما». (٣)

وصادقي: «سمي الإنسان إنساناً؛ لأنَّه ينسى. قال الله تعالى: «ولقد عهدنا إلى آدم من قبلُ فَنَسِيَ». (٤)

والتَّسيان مرفوعٌ لاعقاب عليه، لعدم الاختيار، نعم إذا كان السَّبب اختياريّاً، فلا يمنعه العقل، لأنَّ الامتناع بالاختيار لا ينافي الاختيار، وإليه تشير آية: «فمن اضطرَّ غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه». (٥) فيثبت الإثم على المضطرِّ الباغي والعادي.

أمَّا إطلاق العصيان والغواية على آدم في آية: «وعصى آدم ربه فغوى». (٦) فحقٌّ إذ كان عليه الاهتمام الأكثر، حتّى لا يقع فيما لا ينبغي الوقوع فيه، وإن كان حال التَّسيان لا إثم عليه لعدم توجّه

(٤) المصدر ص: ٧٩ - ٨٠.

(٥) البقرة: ١٧٣.

(٦) طه: ١٢١.

(١) طه: ١١٥.

(٢) تفسير الصّافي: ٧٩/٢.

(٣) المصدر.

الخطاب إلى الناسي .

فالإطلاق باعتبار المقدمة الاختيارية، على أن آدم عليه السلام لم يظن بمن يقسم بالله عز وجل كاذباً، وقد نسي كل ما قال الله تعالى له من نهي الشجرة وغيره، وإليك بعض ما اقتضه الله عز وجل عنه، حيث قال تعالى: «ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءتهما وقال ما نهكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أوتكونا من الخالدين * وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين * فدلتهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة». (١)

إلى آخر الآيات الدالة على نهي الله عز وجل، والوعد الإبلسي له بالخلود، والقسم على ذلك . وبالنتيجة وقوع آدم وحواء فيما لا يجدر بهما عليهما السلام . والعقل قاصٍ بلزوم العصمة للأنبياء عليهم السلام، وعليه لا بد من تأويل ما ظاهره المناقاة؛ للبرهان القاطع العقلي .

قال المعتزلي: إن قيل: كلام أمير المؤمنين عليه السلام تصريح بوقوع المعصية من آدم عليه السلام.

الجواب: أما أصحابنا فإنهم لا يمتنعون من إطلاق العصيان عليه، ويقولون: إنها كانت صغيرة، وعندهم أن الصغائر جائزة على الأنبياء عليهم السلام.

(١) الأعراف: ١٩ - ٢٣.

وأما الإمامية فيقولون: إنَّ التَّهْيِي كان نهي تنزيه، لا نهي تحريم، لأنَّهم لا يُجيزون على الأنبياء الغلط والخطأ، لا كبيراً ولا صغيراً. وظواهر هذه الألفاظ تشهد بخلاف قولهم. (١) نعم لولا الدليل العقلي على العصمة. والبحث مُشَبَّعٌ في محله.

ثمَّ إن قلنا: إنَّ البيع مبادلة خاصّة، لا تشمل بيع اليقين بالشك، لفقد العين المعتبرة فيه، كان تمثيلاً. والمختار عندنا الشمول؛ لأنَّ أسماء الأجناس - ومنها البيع - موضوعة للطبائع الكلّية المشتركة المطبقة على أفرادها، كالإنسان المشترك الكلّي المطبق على جزئياته، وباقي البحث في الأصول. فيكون مثلاً إطلاقاً، ونظيره المثل السائر: (باع كرمه، واشترى معصرة) (٢) (باع دينه بدنياه، أو بدنياه غيره). (٣) (البيع مرتخص وغال) (٤).



مركز تحقيقات كليات علوم اسلامی

(١) شرح التهج: ١٠٣/١.

(٢) مجمع الأمثال: ١٢٠/١، حرف الباء.

(٣) الوسائل: ٣٢٩/١١، في نبوي، وفي غرر الحكم: ص ١٥٠، في علوي: «بش

الرجل من باع دينه بدنياه غيره».

(٤) الفاخر: ١٦٢.

٢٥ - باحتمال المؤمن يجب السؤدد

قال عليه السلام:

«بكثرة الصمت تكون الهيبة، وبالتصفة يكثر المواصلون، وبالإفضال تعظم الأقدار، وبالتواضع تتم النعمة، وباحتمال المؤمن يجب السؤدد، وبالسيرة العادلة يقهر المناوئ، وبالجلم عن السفه تكثر الأنصار عليه». (١)

سبع كلمات حكيمية، لكل واحدة منهن تفسير يخصها.
قال المعتزلي: ولا سؤدد إلا باحتمال المؤمن، كما قال أبو تمام:

والحمد شَهْدٌ لا ترى مشواره يجنيه إلا من نقيع الحنظل
غُلٌّ لحامله ويحسبه الذي لم يؤه عاتقه خفيف الحمل (٢)

ليس كل نفس تحتمل الصعاب في سبيل راحة الناس، ومن ثم

(١) التهج: ٤٨/١٩، الحكمة: ٢٢٠، ر ١٢٤

(٢) شرح التهج: ٤٨/١٩.

جاء في صفات المؤمن: «نفسه في تعب، والناس منه في راحة، وخيره مأمول، وشره مأمون». (١)

وقبل كل شيء قوله تعالى: «وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآيتنا يوقنون». (٢)

فانظر كيف كان عاقبة صبرهم على احتمال الصعاب والمؤمن، أن جعلهم الله عز وجل قدوة للناس، يدعونهم إليه تعالى. فالصبر يوجب السؤدد والتقدم والرفعة بين الناس، وأي سؤدد أرفع من جعلهم أئمة، يهدون بأمره عز وجل؛ ومن هنا تعرف ما للأئمة المعصومين عليهم السلام من رفعة وسؤدد رباني، بين خلق الأولين والآخرين.

ولمحتل المؤمن مراتب عاليات ودانيات، وللكل فضل، حتى المحتمل في دار من أذى الجار، الإحسان إليه بدل المكافأة، فإنه السيد في منطقته، لأجل قوة احتمال الأذى، وهكذا المحتمل من عشيرته وأصحابه أو أمته، كما جاء الحديث النبوي:

«ما أوزي أحد مثل ما أوزيت». (٣)

فكما أن أذاه صلى الله عليه وآله وسلم لا يحتمله غيره، من نبي أو غيره، كذلك لا يداني سؤدده سؤدد. فهو سيد البشر جميعاً، ومن بعده وصيه علي بن أبي طالب، وولده الظاهرون عليهم السلام.

(١) الوسائل: ١١/١٤٣.

(٢) السجدة: ٢٤.

(٣) الجامع الصغير: ٢/١٤٤.

فالإمام عليه السلام عندما يقول: «وباحتمال المؤمن يجب السؤدد»، هو من أجلى مظاهره، وكذا خواص أصحابه المحتملون الأذى في سبيل الله عز وجل، لهم السيادة في الدنيا والآخرة. ويمثل المثل المبحوث عنه المثل السائر: (السؤدد مع السواد)، (١): أي مع احتمال أذاهم.

٢٦ - بعد اللثيا والتي

قال عليه السلام في خطبة له: «.. وإن أقل يقولوا: حرص على الملك، وإن أسكت يقولوا: جزع من الموت. هيات بعد اللثيا والتي، والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه...» (٢).

مركز تحقيق التراث

وهو من الأمثال الجارية على الألسن، تمثل به الإمام عليه السلام حين مني بأصحابه المتمردين.

و(اللثيا): تصغير التي، كما أن اللذيا تصغير الذي. وفي القاموس: بفتح اللام المشددة وضمتها. وهيات، لظنهم فيه الجزع: أي أبعد اللثيا والتي أجزع؟! أبعد أن قاسيت الأهوال الكبار والصغار، ومُنيت بكل

(١) مجمع الأمثال: ٣٥٧/١، حرف السين.

(٢) التهج: ٢١٣/١، ط ٥ ٥.

داهية عظيمة وصغيرة فاللثيا للصغيرة، والتي للكبيرة. (١)
ومن الامثال السائرة قولهم: (بعد اللثيا والتي)، كما جاء ذكره في
فهرس أمثال النهاية. (٢)

وقال الميداني بعد ذكر المثل: هما الداهية الكبيرة والصغيرة، وكنتي
عن الكبيرة بلفظ التصغير، تشبيهاً بالحية، فإنها إذا كثر سُمها صغرت،
لأن السُم يأكل جسدها.

وقيل: الأصل فيه أن رجلاً من جديس تزوج امرأة قصيرة، فقاسى
منها الشدائد، وكان يعبر عنها بالتصغير. فتزوج امرأة طويلة، فقاسى منها
ضعف ما قاسى من الصغيرة، فطلقها، وقال: بعد اللثيا والتي، لا أتزوج
أبدًا، فجرى ذلك على الداهية.

وقيل: إن العرب تصغر الشيء العظيم، كالذهب، والذهب، وذلك منهم
رمز. (٣)

وهو مثل سائر، يضرب لأمرين داهيتين، إحداها أدهى من
الأخرى.

يريد عليه السلام بالقول: مطالبة الخلافة من الشيخين، إذا طالبها
بها، قال الناس: حرص على الملك الدنيوي، أترى حين تقمصاها، لم
لا يقولوا لهما: حرصتما على الملك؟!

(١) شرح التهج: ٢١٤/١.

(٢) ج: ٣٥٢/٥.

(٣) مجمع الأمثال: ٩٢/١، حرف الباء.

ويقولون ذلك لأُمير المؤمنين عليه السّلام، وهو على حدّ أن يقولوه
لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ لأنّ النّبوة والخلافة كلتاها أمر
سماويّ.





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

٢٧ - تُرسل في غير سدد

من كلام له عليه السلام لبعض أصحابه ، وقد سأله : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام ، وأنتم أحقّ به ؟ فقال عليه السلام :
« يا أخا بني أسد ! إنك لقلق الوضين ، تُرسل في غير سدد ، ولك بعدُ ذمامة الصّهر ، وحقّ المسألة ، وقد استعلّمت فاعلم ... » (١).

عند التّكلم على التّمثّل : « ودّع عنك نهياً صريحاً في حجراته » ذكرنا بعض كلام الإمام عليه السلام (٢).
القلق : الانزعاج ، والوضين : حزام الرّحل ، ومنه البيت الذي تمثّل به النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عند إفاضته من عرفات ، على ما روي :

إليك تعدو قلّقا وضينا مخالفاً دين التّصارى دينها . (٣)

(١) التّهج : ٢٤١/٩ . ج ٢٢٢ - ص ١٦٧

(٢) حرف الواو مع الدّال .

(٣) التّهاية : في (قلق) .

والإرسال في غير سدد: التَّكَلَّمَ في غير قصد، وغير صواب. والاستداد
والسَّدَد: الاستقامة. (١)

وحاصل الكلام العلوي: إِنَّكَ أَيُّهَا الْأُسْدِيُّ! قلق الخاطر،
ومضطرب الحزام. والحزام لا يضطرب إلا وأن صاحبه مضطرب الفكر،
فيضطرب بدنه، وحزامه بالتبع.

ويسبب الإرسال في غير سدد فقد الاستقامة في الكلام، فيأتي بغیر
الصَّواب؛ والعامل لاضطراب البدن، وخبط الكلام، هو تقلقل الفكر،
واضطرابه، فيأتي بما لا يضمن الصَّواب، ويكون كالمتهافت في الشيء،
على حدِّ المَثَل السَّائِر: (يخبط خبط عشواء)، يضرب للمتهافت في
الشيء، كما قاله الميداني. (٢) أو: «كحاطب ليل»، يضرب مثلاً
للرجل يجمع كلَّ شيء، ولا يميز بين الجيد من الرديء. والحاطب الذي
يجمع الخطب، وإذا حَظَب بالليل جمع في حبله الحية والعقرب، على ما
في جمهرة العسكري. (٣)

وفي المقام ربّما كان الكلام كالحية والعقرب، إذا لم يكن صواباً
وسداداً. فحال المرسل في الكلام حال الحاطب في الليل.
وجملة: «تُرسل في غير سدد» صالحة للتمثل بها، وضربها للمهذار،
وللقائل المضطرب. ونظيره أيضاً قولهم:

(١) شرح التهج: ٢٤٢/٩.

(٢) مجمع الأمثال: ٤١٤/٢، حرف الياء.

(٣) على هامش مجمع الأمثال: ١٤٧/٢.

(أُخِبطُ من حاطب ليل)، و (أُخِبطُ من عشواء)، (١).

ثم مسألة الخلافة التي سأل الأسدي أمير المؤمنين عليه السلام عنها هي من أهم المسائل المذهبية، عند الجعفري والسني. فتجد الشارح المعتزلي حينما يتناول هذا الكلام يجتهد في صرفه إلى ما يوافق مذهبه، مهما كان له من ظهور، أو صراحة على مذهب الإمامية. فلو حاولت نقل مواضع اجتهاده لخرج بنا عن البحث، وإليك بعض المواضع من نفس الكلام الجاري. قال عليه السلام: «وقد استعلمت فاعلم، أما الاستبداد علينا، ونحن الأعلى نسباً، والأشدون بالرسول صلى الله عليه وآله - وسلم نوطاً، (٢) فإنها كانت أثره، شخت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، والحكم الله، والمعود إليه يوم القيامة». (٣) قال المعتزلي: ويعني بالنفوس التي سخت: نفسه، وبالنفوس التي شخت: أما على قولنا، فإنه يعني: نفوس أهل الشورى بعد مقتل عمر، وأما على قول الإمامية: فنفس أهل السقيفة، وليس في الخبر ما يقتضي صرف ذلك إليهم، فالأولى أن يحمل على ما ظهر عنه من تألمه من عبد الرحمن بن عوف، وميله إلى عثمان. (٤)

(١) مجمع الأمثال: ١ / ٢٦١، رقم المثل: ١٣٧٦، و ١٣٧٧.

(٢) النوط: الاتصال.

(٣) التهج: ٢٤١/٩، كلام: ١٦٣.

(٤) شرح التهج: ٢٤٣/٩.

لا يخفى أن الشيخ المفيد رحمه الله روى كلام الإمام عليه السلام في الفصول المختارة:

ص ٤٦.

حكّم عقلك بعد الإحاطة بكلامه عليه السّلام، وبما قاله في آخره:
«والحكم الله، والمعود إليه يوم القيامة».

وهل سؤال الأسديّ كان عن إحدى الطائفتين، حتّى يطابق
الجواب السؤال، أو كان عن أصل الخلافة، فيكون الجواب طبقاً له؟
حكّم عقلك، ثمّ اقض بما شئت. والحكم الله، والمعود إليه
يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

٢٨ - تزول الجبال ولا تزُلْ

من كلام له عليه السّلام لابنه محمّد بن الحنفية لما أعطاه الرّاية يوم
الجمّل:

«تزول الجبال، ولا تزُلْ، غَضَّ على نَاجِذِكَ، أَعِيراً اللهُ جُمُجُمَتَكَ،
يَدُ فِي الأَرْضِ قَدَمَكَ، أَرَمَ بِبَصْرِكَ أَقْصَى القَوْمِ، وَغَضَّ بِبَصْرِكَ ؛ وَاعْلَمْ
أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ سَبْحَانَهُ». (١)

الخطاب عام، وإن كان المخاطب ابن الحنفية، إذ هو سبب صدوره،
وأنّه من أفرادِهِ، كبقية الخطابات غير المقصورة على مورد الصدور.
قد حوى الخطاب العلويّ على مهامّ آداب الحرب. وهي سبعة:
الأوّل: الثّبات فيها، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً

(١) التّهج: ٢٤١/١، كلام: ١١ ر ١١

فأثبتوا». (١) «وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام» (٢)؛ ومن هنا حسن التمثيل بالجبال التي لا تحركها القواصف، لثبوتها وعدم زوالها. وزاد الإمام عليه السلام فرض زوالها بفرض المحال العادي في مبالغة الثبات في ميدان الحرب بقوله: «تزول الجبال، ولا تزُلُّ»: أي إن زالت، فلا تزُلُّ أنت، وأثبت بدون فرار أو تحرف.

ومن شأن الجبال الثبوت لثقلها، وقد ضربت أمثالاً سائرة في الجبل. قالت العرب: (أثقل من شمام)، قال الميداني: وهو مبني على الكسر عند الحجازيين، وهو جبل له رأسان، يسميان: (ابني شمام). قال ليبد:

فهل نبئت عن أخوين داما على الأحداث إلا ابني شمام



(أثقل من نضاد) هذا أيضاً جبل بالعالية:

لو كان من حَضَنَ تَضَاعَلَ ركنه أو من نضاد بكى عليه نضاد

(أثقل من عماية) هي جبل بالبحرين من جبال هُذَيْل. (أثقل من أُحُد) هو جبل بيشرب، معروف مشهور. (أثقل من دمع الدماخ) هو

(١) الأنفال: ٤٥.

(٢) الأنفال: ١١.

جبل من جبال ضخام في حمى ضريّة، والدّماغ: اسم لتلك الجبال.
(١)، وأصرحها دلالةً على الثبوت قوله عليه السّلام: «كالجبل لا تحركه
القواصف، ولا تُزيله العواصف». (٢)

الثاني من آداب الحرب: غَضّ التّاجذ، وهو أقصى الأضراس، وبه
ينبو السّيف عن الدّماغ. كما قال عليه السّلام: «وعَضُّوا على التّواجذ،
فإنّه أنبي للسّيوف عن الهام». (٣)

الثالث: إعاره الله جلّ جلاله الجمجمة، كناية عن بذلها في طاعته،
ليردّها عليه، إمّا في الدّنيا بالتّصر، أو الآخرة ثواب الشّهداء.

الرّابع: وتد القدم في أرض المعركة، ويراد به: الرّسوخ فيها، وهو
تأكيد في عدم الزّوال المتقدّم بيانه في الأوّل.

الخامس: رمي البصر إلى أقصى المحاربين.

السّادس: غَضّ البصر. قال المعتزلي: ولا تناقض بين قوله
-عليه السّلام-: (ارم ببصرك) وقوله: (غَضّ بصرك)؛ وذلك لأنّه في
الأولى أمره أن يفتح عينه، ويرفع طرفه، ويحدّق إلى أقاصي القوم ببصره،
فعل الشّجاع اليقّدام، غير المكترث، ولا المبالي؛ لأنّ الجبان تضعف
نفسه، ويخفق قلبه، فيقصر بصره، ويدهش، ويستشر خوفًا. فكأنّه
-عليه السّلام- قال: إذا عَزَمْتَ على الحملة، وصمّمت، فغَضّ حينئذٍ

(١) مجمع الأمثال: ١/١٥٥ - ١٥٦، حرف الثاء.

(٢) التّهج: ٢/٢٨٤، الخطبة: ٣٧، وحرف الكاف مع الجيم.

(٣) التّهج: ٥/١٦٨، الخطبة: ٦٥.

بصرک، واحمل، وکن کالعشواء أَلتي تخط ما أمامها، ولا تبالي. (١)
 السَّابع: اليقين بأنَّ النَّصر هو من عند الله عزَّ وجلَّ، لا بساعده
 وبسالته. فإنَّه كم من كميَّ باسِلٍ صُرع في المعركة.
 ولئن ذكر عليه السَّلام هذه الآداب الحربيَّة لغيره، فإنَّها قد تجمَّعت
 فيه بأعلى مراتبها، وأقصاها. وهو الَّذي يضرب به الأمثال في الحروب؛
 وكانت شجعان العرب تفتخر أن ترى مصرعها بيده. هذه أخت
 عمرو بن ودَّ قاتلة: كانت منيَّته على يد كفوِّ كريمٍ من قومه، ما سمعت
 بأفخر من هذا يا بني عامر!! ثمَّ أنشأت تقول:

* لو كان قاتل عمرٍ غير قاتله *



الأبيات (٢).

مركز تحقيقات كويتية للدراسات الإسلامية

(١) شرح التَّهَج: ٢٤١/١ - ٢٤٢.

(٢) إرشاد الشَّيخ المفيد: ٥٧. شرح التَّهَج: ٢٠/١، فلاحظ.

٢٩ - تَعَجُّ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ

من كلامه عليه السلام في وصف فاقد الأهلية لمنصب القضاء بين الناس:

«تصرخ من جور قضائه الدماء، وتعجُّ منه المواريث، إلى الله أشكو من معشر، يعيشون جهالاً، ويموتون ضلّالاً». (١)

صرخ يصرخ، من باب (قتل)، صراخاً، وهو: الصياح باستغاثة وجدّ وشدة، وفي الدعاء: «يا صريخ المستصرخين». (٢)

وتعجُّ من العج: أي رفع الصوت، وفي حديث جبرئيل: «يا محمد! مر أصحابك بالعج والثج»: أي رفع الصوت في التلبية. والثج: إسالة الدماء من الذبح والتحر في الأضاحي. (٣) وقد جمع الصراخ والعج مع الضج في دعاء التوبة: «وليصرخ الصارخون، ويضج الضاجون، ويعج العاجون». (٤)

(١) التهجد: ٢٨٣/١ - ٢٨٤، كلام: ١٧.

(٢) مجمع البحرين في (صرخ).

(٣) مجمع البحرين: في (عجج). والنهاية كذلك.

(٤) مفاتيح الجنان: ٥٣٥.

قال ابن فارس: العين والجيم أصل واحد يدلّ على ارتفاع في شيء من صوت، أو غبار، وما أشبه ذلك، من ذلك، العَجَج: رفع الصوت، عَجَّوا بالدعاء، إذا رفعوا أصواتهم. وفي الحديث: «أفضل الحجج: العَجَجُ والثَّجَجُ». قال ورقة:

ولوجاً في الذي كرهت معدة ولو عَجَّجت بمكثها عَجيجاً

أراد: دخولاً في الدين. وعجيج الماء: صوته، ومنه، الثَّهَر العَجَّاج، ويقولون: عَجَّت القوس: إذا صَوَّت، قال:

تعَج بالكف إذا الرامي اعترَم

ترنَّم الشَّارِف في أخرى النَّعَم

قال أبو زيد: عَجَّت الرِّيح، وأَعَجَّت، إذا اشتدَّت وسأقت التُّراب. و ممَّا يجري مجرى المَثَل والتَّشْبِيه: (فلان يلق عَجاجتَه على فلان)، إذا أغار عليه، وكأنَّ ذلك من عَجاجة الحرب وغيرها قال الشَّنْفَرى:

وإنِّي لأهوى أن ألق عجاجتي على ذي كساءٍ من سلامان أو بُرد (١)

قيل: استعمال الصَّراخ والعَجَج في كلامه عليه السَّلام من باب

(١) مقاييس اللغة: في (عجج).

الاستعارة، أو التمثيل للدم والميراث بإنسان قد ظلم، وجير عليه، ويستغيث من ظلم ظالمه، وجور جائره. وليس الصراخ والعجّ فيهما على الحقيقة، إذ لا صراخ للدم، ولا عجيج للميراث.

وعليه فيكون من باب التمثيل هذا، إن لم نقل بالاشتراك المعنوي في مادة الاشتقاق، بالإضافة إلى جميع مشتقاتها. فثلاً، الصراخ والعجّ بمعنى: الصوت الخاص، ورفع لهب الحزن، مختلف حسب المقامات، والمراد منه: أن المهرق دمه، أو المأخوذ منه المال، بحكم قضاوٍ باطل، يستغيث بطبع الحال، ويطلب القصاص، وإرجاع المال من الظالم الغاصب.

٣٠ - تقصر دونها الأنوق، ويحاذي بها العيوق

من كتابه عليه السلام إلى معاوية: *من تحتية كميتر علمي*

«... ..» وقد أتاني كتاب منك، ذو أفانين من القول، ضعفت قواها عن السلم، وأساطير لم يحكها عنك علم ولا حلم، أصبحت منها كالحائض في الدهاس، والخابط في الدّيماس، وترقيت إلى مرقبة بعيدة المرام، نازحة الأعلام، تقصر دونها الأنوق، ويحاذي بها العيوق...» (١).

في كلامه عليه السلام أكثر من تمثيل، يظهر بعد شرح مفرداته:

(١) التّهج: ٢٢/١٨، ك ٦٥ هـ

أفانين القول: أساليبه المتنوعة. وضعف قوى الأفانين عن السلم: أي الإسلام،: أي عدم صدورها عن مسلم، حيث طلب توليه العهد، وإبقائه بالشام رئيساً.

الأساطير جمع أسطورة: الأباطيل. حوكها: نظمها. والدّهاس بالكسر جمع دّهس، وبالفتح مفرد، وهو: المكان السهل، ليس هو بتراب ولا طين. والدّيماس بالكسر: السّرّب المظلم تحت الأرض.

والمراقبة: الموضع العالي، يراقب عليه. والأعلام جمع علم: ما يهتدى به في الطرقات. والأنوق بالفتح: طائر، وهو الرّخمة. وفي المثل: (أعزّ من بيض الأنوق)، (١) لأنها تحرزه، لا يظفر به أحد. والعيوق: كوكب فوق زحل في العلوّ: أي أنت بكتابك المشتمل على دعا وباطلة، لا تصدر عن مسلم، ولا يحكى عن علم وحلم كاتبه؛ لست إلا كالحائض في أرض رخوة، يقوم ويقع، والخابط في نفق مظلم، لا يهتدي الطريق.

سمت همّتك إلى الخلافة، وهي منك بموضع مرتفع عالٍ، لا سبيل إليه ولا أعلام تهتدي بها، وهي كالرّخمة التي لا يظفر ببيضاها، والكوكب الذي فوق الكواكب كلّها؛ وكيف ترومها؟! (٢)

ضربت هذه الأمثال، لبُعد معاوية عن الخلافة التي يريدّها. يضرب المثل المذكور لقصور طالب الشيء، وفي معنى المثلّين قولهم: (دونه بيض الأنوق) و(دونه العيوق) (٣).

(١) مجمع الأمثال: ٤٤/٢، حرف العين.

(٢) تلخيص من شرح التهذيب: ٢٧-٢٥/١٨.

(٣) مجمع الأمثال: ٢٦٥/١، حرف الدال.

٣١ - التَّقْوَى مطايا دُلُّلُ حُمْلِ عَلَيْهَا أَهْلُهَا

في خطبة له عليه السلام:
«ألا وإن الخطايا خيلٌ شُمُسٌ، حُمْلُ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَخَلَعَتْ لُجُمُهَا،
فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ، أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مطايا دُلُّلُ، حُمْلُ عَلَيْهَا أَهْلُهَا،
وَأَعْطَوْا أَرْزَمَتَهَا، فَأُورِدَتْهُمْ الْجَنَّةَ». (١)

تمثيلان تكلّمنا على أولهما (٢) الخاصّ بالذنوب. وأمّا الثاني فقد
جاء في القرآن الكريم، أَنَّ التَّقْوَى خير الزاد، وهو قوله عز وجل:
«وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى». (٣) بناءً على أنّه تمثيل بزاد المسافر
الذي هو من أهمّ لوازم السفر.

وقد تناول التنزيل التقوى بما لها من مشتقات في مائتين وستين
موضعاً. ولا تجد أجمع تعريف للتقوى، وأوجزه، كقوله تعالى: «والذي
جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون»؛ (٤) لأنّه اشتمل على إيجاز

(١) التّهج: ٢٧٢/١، ط ١٦، ١٧/

(٢) حرف الخاء مع الظاء.

(٣) البقرة: ١٩٧.

(٤) الزمر: ٣٣.

بليغ، وتعريف مطرد، منعكس لها، بحيث لم يحى الإنسان بالصدق والتصدق، إلا والتقوى تلازمه، ويلازمها.

وكلمة: (جاء بالصدق) إشارة إلى عدم قصر الصدق على القول، وإلا لقال تعالى: (والذي صدق)، فيعم الفعل والقصد وكل حركة وسكون. فمن كان صادقاً قولاً، وعملاً، ونيةً، بل في كل حركة تصدر منه، أوسكون؛ فهو في غاية التقوى. ومن ثم فسر بالأنبياء عليهم السلام؛ لأنه العصمة، لا يستطيع سائر الناس ذلك. ولكن الآية لها إطلاقها المنطبق على كل من كان كذلك من البشر، فتدبر.

فلو لم يكن لبيان التقوى والمتقى إلا قوله تعالى: بأنها خير الزاد، وأن الجائي بالصدق، المصدق بالصدق، وهو المتقى، لكفى مقياساً كاملاً لمن أراد أن يذكر أو أراد أن يعرف كيف يتقى؟ ومن هو المتقى؟ وما هي نتيجة التقوى في سفر الآخرة، وهو السفر إلى الله جل جلاله؟.

ولا ينال ما عند الله تعالى، ولا ولاية أهل البيت عليهم السلام إلا بالتقوى. «إن أوليائه إلا المتقون». (١) وإن كان تعليلاً لقوله تعالى: «وما كانوا أولياءه»، (٢): أي البيت الحرام؛ لأنه مبني على تقوى، فلا يلي أمره إلا المتقون.

إلا أن أهل البيت عليهم السلام بما أنهم أمراء المتقين، لم يكن أوليائهم إلا المتقين، بمناسبة الحكم والموضوع. ويشهد لذلك قول

(١) الأنفال: ٣٤.

(٢) الأنفال: ٣٤.

الصّادق عليه السّلام: «يا خَيْشمة! إنّنا لا نُغني عنهم من الله شيئاً، إلّا بالعمل الصّالح، فإنّ ولايتنا لا تنال إلّا بالورع». (١) «ولباس التّقوى ذلك خير». (٢) ترى المثل الرائع، حيث جعل التّقوى في ملازمتها للإنسان لزوم اللباس له، سترّاً للعودة، وحفظاً من الحرّ والقرّ، وزينةً ووقاراً.

وأما التّمثيل العلوي بأنّ التّقوى مطايا سهلة الرّكوب يتوصّل بها حاملها إلى مآربه قد ملك زمامها يسير عليها إلى الجنّة بعزّ وافتخار. فهو ما يجده كلّ متّقٍ عياناً لا يفتقر إلى بيان.

٣٢ - تميد بأهلها ميدان السّفينة

من خطبة له عليه السّلام: *مركز حقيقتك بغير علم ورسول*

«بَعَثَهُ حين لا علم قائم، ولا منار ساطع، ولا منهج واضح؛ أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحذركم الدنيا، فإنّها دارشخوص، ومحلة التّنغيص ساكنها ظاعن، وقاطنها بائن، تميد بأهلها ميدان السّفينة، تقصفها القواصف في لجج البحار، فمنهم الغرق الويق، ومنهم التّاجي على بطون الأمواج، تحفزه الرّياح بأذيالها، وتحمله على أهوالها؛ فما غرق منها فليس

(١) الوسائل: ٤٠٠/٨.

(٢) الأعراف: ٢٦. وفي آخر الآية: «ذلك من آيات الله لعلهم يذكّرون».

بمستدرك ، وما نجامنها فإلى مهلك .» (١)

كم من خطبة لأمر المؤمنين عليه السلام، يصف فيها الدنيا ويكشف عن حقيقتها للناس، ويضرب لهم الأمثال، ومنها المثل المذكور في هذه الخطبة، حيث ضَرَبَ عليه السلام لأهل الدنيا مثلاً براكبي السفينة في البحر، وقد مادت بهم. فمنهم الهالك على الفور، ومنهم من لا يتعجل هلاكه، وتحمله الرياح ساعة أو ساعات، ثم مآله إلى الهلاك أيضاً.

قبل أن يشرح الشارح المثل العلوي، شرح صدر الكلام، يقول: بعث الله سبحانه محمداً صلى الله عليه وآله - وسلم-، لما لم يبق علم يهتدي به المكلفون؛ لأنه كان زمان الفترة، وتبدل المصلحة، واقتضاء وجوب اللطف عليه سبحانه تجديداً لبعثته؛ ليعرف المبعوث المكلفين الأفعال التي تقربهم من فعل الواجبات العقلية، وتبعدهم عن المقبحات العقلية. والمنار الساطع: المرتفع، سطع الصبح سطوعاً: ارتفع. ودار شخوص: دار رحلة. والظاعن: المسافر. والقاطن: المقيم. والبائن: البعيد. يقول: ساكن الدنيا ليس بساكن على الحقيقة، بل هو ظاعن في المعنى، وإن كان في الصورة ساكناً. والمقيم بها مفارق، وإن ظن أنه مقيم. وتميد بأهلها: تتحرك وتميل. والميدان: حركة واضطراب. (٢)

(١) التهج: ١٧٦/١٠، الخطبة: ١٨٩، ر ١١٠

(٢) شرح التهج: ١٧٦/١٠ - ١٧٧.

وإنما يحذر العباد عن الدنيا وغرورها، بما قد أخذ عليه السلام قبل التحذير جذره، ويوصيهم بتقوى الله. وهو إمام المتقين، ورأس الزهد والتقوى.

قال الشارح: وأما الزهد في الدنيا، فهو سيد الزهاد، وبدل الأبدال، وإليه تشدّ الرّحال، وعنده تنفض الأحلاس؛ ما شبع من طعام قط، وكان أحسن الناس مأكلًا وملبسًا.

قال عبد الله بن رافع: «دخلت إليه يوم عيد، فقدم جراباً مختوماً، فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً، فقدم، فأكل، فقلت: يا أمير المؤمنين! فكيف تحتّمه؟ قال: خفتُ هذين الولدَيْن أن يلتآه بسمنٍ أوزيتٍ». (١)

إنّه اقتدى بأخيه رسول الله صلى الله عليه وآلهما وسلم، ولقد كان نبيّ الزّهاد، كما أنّ عليّ بن أبي طالب إمامهم، بل وفاطمة الزّهراء والأحد عشر بها مقتدون عليهم السّلام، بل هو كديدن شيعتهم الصادقين في تشييعهم إلى يوم القيامة.

ثم تشبيه الدنيا بالبحر الموبق، لا ينجي راكبه والسّفينة الدنيويّة، المائدة بأهلها. بل هنا سفينة، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى، وهي أهل بيت الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم. كما في التّبويّ المتّفق على نقله الفريقان: «مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَجَّ فِي النَّارِ».

(١) شرح التّهج: ٢٦/١.

ولمّا رأيت الناس قد ذهبّت بهم
مذاهبهم في أبحر الغي والجهل
ركبت على اسم الله في سفن التجا
وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرّسل (١).



(١) الأمثال النبویة: ١٧٩/٢، وهامشه، رقم المثل: ٤٨٨، حرف الميم مع الثاء.



مرکز تحقیقات کپیویر علوم اسلامی

٣٣ - ثكلتك أمك

قال عليه السلام لقائل، قال بحضرته: أستغفر الله: «ثكلتك أمك! أتدري ما الاستغفار؟! إنَّ للاستغفار درجة العَلَّين، وهو اسم واقع على ستة معان:

أولها: التَّدم على ما مضى، الثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً، والثالث: أن تؤدِّي إلى المخلوقين حقوقهم، حتَّى تلقى الله عزَّ وجلَّ أملس ليس عليك تبعة، والرَّابع: أن تعتمد إلى كلِّ فريضة عليك ضيَّعتها، فتؤدِّي حقَّها، والخامس: أن تعتمد إلى اللحم الَّذي نبت على السَّحت، فتُذِيبه بالأحزان حتَّى تُلصق الجلد بالعظم، وينشأ بينهما لحم جديد، السادس: أن تذيب الجسم ألَمَّ الطَّاعة، كما أذقته حلاوة المعصية؛ فعند ذلك تقول: أستغفر الله». (١)

قوله عليه السلام: «ثكلتك أمك» من المَثَل السَّائر؛ قال الميداني: (ثكلتك أمك أيَّ جرد ترقع). الجرد: الثوب الخلق، يقال: ثوب سحق

(١) التَّهَجُّج: ٥٦/٢٠، الحكمة: ٤٢٥.

وَجَرَد: أي خَلَق. ونصب (أي) بترقع.

يضرب لمن يطلب ما لا نفع له فيه. (١) وما نحن فيه للدعاء على الإنسان، ومثله: (ثكلتك الجثل): أي صاحبة الشعر الكثير من الأم، أو غيرها من قومه.

راجع المثل: «يا أمه اثكليه». (٢)

ومنه المثل: (ثكلتك الرعبل): أي الخرقاء، من رعبل الثوب، إذا خرقه، يعني: أمه. يضرب في دعاء الشر. (٣) وقد أشبعنا البحث عند المثل: «هبلتك الهبول». (٤)

والمراد منه هنا: الردع عن التلّفظ بكلمة الاستغفار، والغفلة عن حقيقة معناه، وأنه ليس من مقولة اللفظ، بل الاستغفار اسم واقع على حقيقةٍ حاصلةٍ من ستّة أمور، لولاها لما كان استغفاراً: الندم على الماضي، والعزم على ترك العود، وأداء حقوق المخلوق والمخالق عز وجلّ، وإذابة اللحم الثابت من السّحت بالأحزان، وإذابة الجسم ألم الطاعة؛ فإذا فعل ذلك كلّهُ، ثمّ قال: أستغفر الله، كان صادقاً في استغفاره، وإلاّ فهو كاذب لاغ.

والشّروط الأوّل إذا صدق فيه، تحقّق الثاني، وفرغ للثالث والرّابع، ويتبع ذلك كلّهُ الخامس والسادس. فإنّ هذه الأمور الستّة يتبع بعضها

(١) مجمع الأمثال: ١/١٥٥، حرف الثاء.

(٢) الباء مع الألف من الأمثال العلوية.

(٣) المستقصى: ١/٣٤.

(٤) حرف الهاء مع الباء.

بعضاً، لا أنّها أمور متباينة؛

والعلّة في ذلك أنّ العبد إذا خاف مقام ربّه ، قام بتلك الأمور،
وجاءه الشّوق إلى لقاء الله تعالى. والمشتاق إليه نادم على كلّ ماضى
منه في سبيل غيره، وصرف همه فيه، وودّع ماسواه برّد الحقوق. فيُشعل
الحبّ نار الفراق، فيحترق منه الجسد، ويبقى هزياً ناعلاً، ليس له إلّا
الله همّ، وترك العالم وكلّ بني آدم لأجله تعالى.



مرکز تحقیقات کتب و تدریس علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کپیویر علوم اسلامی

٣٤ - جاءَ بأمرٍ لم يُعرفَ بابُه

من كلام له عليه السلام في معنى طلحة بن عبيدالله، أوله:
«قد كنت وما أهدد بالحرب...»، ... والله ما صنَّع في أمر عثمان
واحدة من ثلاث: لئن كان ابن عفان ظالماً - كما كان يزعم - لقد كان
ينبغي له أن يوازر قاتليه، وأن يباد ناصريه. ولئن كان مظلوماً، لقد
كان ينبغي له أن يكون من المُنْهَنِّهين عنه، والمُعْذِّرين فيه. ولئن كان
في شكٍّ من الخصلتين، لقد كان ينبغي له أن يعتزله، ويتركَّ جانباً،
ويَدَعِ النَّاسَ معه.

فما فَعَلَ واحدةٌ مِنَ الثلاث؛ وجاءَ بأمرٍ لم يُعرفَ بابُه، ولم تَسَلَمْ
معاذيرُهُ». (١)

(١) التهجد: ٣/١٠، كلام: ١٧٥، ر ١٧٢

في شرح قوله عليه السلام: «قد كنت وما أهدد بالحرب...» قال المعتزلي: أي خلقت، وَوُجِدْتُ وأنا بهذه الصفة، كما تقول: خلقتني الله وأنا شجاع؛ كما في المثل: (لقد كنت وما أخشى بالذئب). (١) وبقية المثل (فاليوم قيل: الذئب الذئب). قال الميداني: المثل لقباث بن أشيم الكناني، عَمَرَ حَتَّى أَنْكَرُوا عَقْلَهُ... (٢)

ثم شرح المعتزلي حال طلحة، وقال: إنه تجرد للطلب بدم عثمان، مغالطة للناس، وإيهاماً لهم أنه بريء من دمه، فيلتبس الأمر، ويقع الشك. وقد كان طلحة أجهد نفسه في أمر عثمان، والإجلا ب عليه، والحصار له، والإعزاء به، ومثته نفسه الخلافة؛ بل تلبس بها وتسلم بيوت الأموال، وأخذ مفاتيحها، وقاتل الناس، وأحدقوا به، ولم يبق إلا أن يصفق بالخلافة على يده. (٣)

من شاء تفصيل تلبس الأمر منه على الناس، وأنه مناوئ، أو ناصر، فلي نظر الشرح.

ويمثل المثل من بعض الوجوه المثل: (جاء ثانياً من عنائه)، إذا جاء ولم يقدر على حاجته، قاله ابن رفاعه. (٤) و(جاء بإحدى بنات طبق)، بنت طبق: سلحفاة. تزعم العرب أنها تبيض تسعاً وتسعين

(١) شرح التهج: ٤/١٠.

(٢) مجمع الأمثال: ١٨٠/٢، حرف اللام.

(٣) شرح التهج: ٤/١٠ - ٩.

(٤) مجمع الأمثال: ١٦٤/١، حرف الجيم.

بيضة، كلها سلحفاة. يضرب للرجل يأتي بالأمر العظيم. (١) و (جاء
بالثَّره)، هو واحد الثُّرَّهات. وكذلك (جاء بالتهاته)، وهي جمع
التهته: وهي اللكنة. قال القطامي:

ولم يكن ما اجتدينا من مواعيدها إلا التهاته والأمنية السَّقا (٢)

و(جاء بمطفئة الرِّضف): أي جاء بأمرٍ أشدَّ ممَّا مضى، يضرب في
الأمور العظام. (٣) و (جاء بالشُّقر والبُقَر)، اسم لما لا يعرف، أي جاء
بالكذب الصريح (٤).

٣٥ - جعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه

روى أبو جحيفة، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول:
«إِنَّ أَوَّلَ مَا تَغْلِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ، الْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ، ثُمَّ
بِأَلْسِنَتِكُمْ، ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ؛ فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفًا، وَلَمْ يَنْكُرْ مَنْكَرًا،
قَلْبٌ فَجَعَلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ، وَأَسْفَلَهُ أَعْلَاهُ». (٥)

(١) مجمع الأمثال: ١/١٦٥.

(٢) مجمع الأمثال: ١/١٦٨.

(٣) مجمع الأمثال: ١/١٧٠.

(٤) مجمع الأمثال: ١/١٧٥.

(٥) النّهج: ٣١٢/١٩، الحكمة: ٣٨١، ٣٧٥.

قال المعتزلي: إنَّها قال ذلك ؛ لأنَّ الإنكار بالقلب آخر المراتب، وهو الذي لا بدَّ منه على كلِّ حال، فأما الإنكار باللسان وباليَد فقد يكون منها بدٌّ، وعنها عذرٌ، فمن ترك النهي عن المنكر بقلبه، والأمر بالمعروف بقلبه، فقد سخط الله عليه بعصيانه، فصار كالمنسوخ الذي يجعل الله تعالى أعلاه أسفله، وأسفله أعلاه تشوهاً لخلقته.

ومن يقول بالأنفس الجسمانيَّة، وأنها بعد المفارقة يصعد بعضها إلى العالم العلويّ: وهي نفوس الأبرار، وبعضها ينزل إلى المركز، وهي نفوس الأشرار؛ يتأوّل هذا الكلام على مذهبه، فيقول:

إنَّ من لا يعرف بقلبه معروفاً: أي لا يعرف من نفسه باعثاً عليه، ولا متقاضياً بفعله، ولا ينكر بقلبه منكراً: أي لا يأنف منه، ولا يستقبحه، ويمتنع من فعله، يقلب نفسه التي قد كان سبيلها أن تصعد إلى عالمها، فتجعل هاوية في حضيض الأرض، وذلك عندهم هو العذاب والعقاب. (١) نقل هذا المذهب من دون ردِّ ظاهر من الشارح يؤهم الإيمان به، ولعله اكتفى في رده بشرحه المذكور قبله.

قال الخطيب: أبو جحيفة وهب بن وهب كان من صغار الصحابة، حتّى قيل: إنّه لم يبلغ الحلم عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ولكنّه سمع منه وروى عنه. ونزل الكوفة، وشهد مع عليّ عليه السلام مشاهدته كلّها، وكان عليه السلام يحبه، ويثق به، ويسمّيه وهب الخير، وجعله على بيت مال الكوفة، وتوفي سنة ٧٢. (٢)

(١) شرح النهج: ٣١٢/١٩.

(٢) هامش مصادر النهج: ٢٧٦/٤.

قوله عليه السلام: «فجعل أعلاه أسفله، وأسفله أعلاه» يصلح
ليضرب به مثلاً لسوء العاقبة، على حدّ قوله تعالى: «جعلنا عليها سافلها
وأمطرنا عليها حجارةً من سجيلٍ منضودٍ» (١).



مرکز تحقیقات کتب و تفسیر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

٣٦ - حدو الزاجر بشولة

قال عليه السلام:

«... عباد الله! إنّ الدّهر يجري بالباقيّن كجرّيه بالماضيّن، لا يعود ما قد ولّى منه، ولا يبقى سرمداً ما فيه، آخر فعّاله كأوّله، متشابهة أموره، متظاهرة أعلامه؛ فكأنّكم بالسّاعة تحدوكم حدو الزاجر بشولة...» (١).



قال ابن الأثير في شرح الشائلة واحدة الشوائل: وهي التي شال لبنها: أي ارتفع، وتسمّى: الشول: أي ذات شول؛ لأنّه لم يبق في ضرعها إلا شول من لبن: أي بقيّة. ويكون ذلك بعد سبعة أشهر من حملها. ومنه حديث عليّ -عليه السلام-: «فكأنّكم بالسّاعة تحدوكم حدو الزاجر بشولة»: أي الذي يزجر إبله لتسير. (٢) وقال الشيخ الطريحي: والتاء

(١) التّهج: ٢٠٩/٩، ط ١٥٨، ر ١٢٧

(٢) التّهاية: في (شول).

في (شولة) تأنيث أو مصدر: أي ذات شول. والشائلة واحدة الشوائل. وشؤل كرمع جمع شائل: وهي الناقة التي تشول بذنبها للّقاح، ولا لبن لها أصلاً، وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية. وشوّلت الناقة: أي صارت شائلة.

وشؤال: أحد فصول السنة، سُمي بذلك لشولان الإبل بأذناها في ذلك الوقت، لشدة شهوة الضراب، ولذلك كرهت العرب التزويج فيه، وعن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- «سُمي شوالاً؛ لأن فيه شالت ذنوب المؤمنين»: أي ارتفعت وذهبت. (١) والحدو: سوق الإبل، والحادي: السائق لها، والحدي: التفتي لجد السير.

وإنما شبه عليه السلام اندفاع الناس بالساعة: أي القيامة، بسائق الناقة القليلة اللبن أو عديمته في سرعة سيرها؛ لحفتها ولزجرها: أي أن الساعة تقهركم على الموقف لمحاسبتكم على أعمالكم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

وكُرمه عليه السلام التعبير بالحدو، ومنه: «وإن وراءكم الساعة تحذوكم»، (٢) «وأن الساعة تحذوكم»، (٣) بل «بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر» (٤) من الزجر والقتل والأسر، وأفطع من كل فطيع، وأدهى من الدواهي كلها.

(١) مجمع البحرين: في (شول).

ثم ما ذكره الظريحي، من أن شؤال أحد فصول السنة، الظاهر (أحد شهور السنة)، هو الصواب.

(٣) التهج: ٢٨٨/٩، الخطبة: ١٦٨.

(٤) القمر: ٤٦.

(٢) التهج: ٣٠١/١، ط ٢١.

٣٧ - الحسد يأكل الإيمان، كما تأكل النار الحطب

من تمثيلات صادرة عن الإمام عليه السلام في إحدى خطبه، قال فيها:

«ولا تحاسدوا، فإن الحسد يأكل الإيمان، كما تأكل النار الحطب». (١)

من الإيمان أن يعقد المؤمن قلبه على أنه تعالى يؤتي الملك من يشاء، وينزعه ممن يشاء، ويؤتي الفضل من رزق وغيره، كما قال تعالى: «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله». (٢)

فإذا تمتنى زوال ذلك، وانضجر من وجوده، فقد عارض الله في قضائه وعطائه. وهو منافٍ للإذعان بهما، فكيف يبقى الإيمان؟! بل يفنى، كما تفنى النار الحطب.

ثم الحسد جاء الأمر بالتعوذ من شره، كما قال تعالى: «ومن شر حاسد إذا حسد». (٣) وفي نبوي: «.. وكاد الحسد أن يغلب القدر».

(١) التهج: ٣٥٤/٦، ط ٨٥، ر ٨٦

(٢) النساء: ٥٤.

(٣) الفلق: ٥.

وصادقي: «آفة الدين الحسد والعُجب والفخر». ونبوي: «قال الله عز وجل لموسى بن عمران: يا ابن عمران! لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي، ولا تمدن عينيك إلى ذلك، ولا تتبعه نفسك، فإن الحاسد ساخطٌ لنعمي، صاّد لقسمي الذي قسمت بين عبادي، ومن يك كذلك فلست منه، وليس مني». (١)

وهو من داعية الذنوب. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «... الحرص والكبر والحسد دواعٍ إلى التّقحم في الذنوب». (٢) وكما لا يسلم له إيمانٌ، لم تبقَ صحّة البدن معه؛ قال عليه السلام: «العجب لغفلة الحساد عن سلامة الأجساد». (٣) وقال عليه السلام: «صحّة الحسد من قلة الحسد». (٤) «والحسد غُلٌّ في عنق صاحبه»، وقد نفاه عليه السلام عن الملائكة عند وصفهم: «ولا تولّاهم غِلٌّ التّحاسد». (٥)

وأتي فرق بين مَنْ على عنقه غُلٌّ ظاهريّ وَمَنْ شغل قلبه، وملك عقله الحسد؛ والجامع بينهما سلب الاستطاعة والراحة. وكرّر هذا التمثيل المذكور في كلامه عليه السلام في أكل الحسد الإيمان بأكل الثّار الحطب في الأحاديث، ومنها النبوي (٦).

(٤) المصدر: ٩٧/١٩.

(١) أصول الكافي: ٣٠٧/٢.

(٥) المصدر: ٤٢٥/٦.

(٢) التّهجد: ٣٠١/١٩.

(٣) التّهجد: ٤٩/١٩.

(٦) الأمثال النبويّة: ٣٦٥/١، رقم المثل: ٢٣٣، حرف الحاء مع السين.

٣٨ - الحِكمة ضالة المؤمن

من كلمات الإمام عليه السلام مارواه السيّد الرضّيّ طاب ثراه، قال: وقد قال عليّ عليه السلام في مثل ذلك .

«الحكمة ضالة المؤمن، فخذ الحكمة، ولو من أهل التّفاق» (١).

بعد كلمة حكمة أخرى بهذا الصّدّد، وهي قوله عليه السلام: «خذ الحكمة أنّي كانت، فإنّ الحكمة تكون في صدر المنافق، فتلجج في صدره حتّى تخرج، فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن» (٢).



ونحن أثبتناها في الكتاب بلفظ: «خذ الحكمة أنّي كانت» (٣) وإن كان فيه نوع تكرير يندفع بتطور البحوث هنا وهناك ، قال الميداني: يعني: أنّ المؤمن يحرص على جمع الحكم من أين يجدها يأخذها. (٤)

ثم إنّ المَثَل على مارواه السيّد الرضّيّ: من الأمثال العلويّة. وقد جاء هذا المَثَل بعينه عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم، كتبناه في

(١) التّهج: ٢٢٩/١٨، الحكمة: ٧٧، ر ٨٠.

(٢) المصدر.

(٣) حرف الحاء مع الدّال.

(٤) مجمع الأمثال: ٢١٤/١، حرف الحاء.

(الأمثال النبوية)، (١) ولا منافاة أنهما عليهما السلام تمثلاه.

عرّفت الحكمة بتعاريف، فقليل: هي فهم المعاني، والعلم بمصالح الدارين، ومفاسدهما، وإتقان الأمور، أحكم الأمر: أتقنه وأبرمه. وطاعة الله، والنبوة، ومعرفة الإمام عليه السلام؛ وقيل: أجمع تعريف: هي المعرفة بالشرائع السماوية، والعمل بها. وغيرها من أقوال، وكل ذلك صحيح محقق لحقيقتها.

ثم الحصول على الحكمة بأمور:

منها: إخلاص العمل، وفيه جاء النقص: «من أخلص لله أربعين صباحاً، جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه». (٢).

ومنها: نوم القيلولة، وهو قبل الزوال إلى ما بعده ساعة أو أكثر، وهذا منافع لوقت صلاة الظهر، فالأولى الاختصاص إلى الزوال. ومنها: صلاة الليل، وقراءة القرآن الكريم، وقلة الأكل والكلام والنوم، ومجالسة الأتقياء، ومجانبة أهل الغفلة.

وليست الحكمة التي جاءت في القرآن الكريم والأحاديث المروية عن أهل البيت عليهم السلام الحكمة المصطلحة عند الحكماء والفلاسفة اليونانيين، بل هي أحد ماقدّمناه، أو كلّه، أو غير ذلك ممّا يناسب الكتاب والسنة المروية. فتدبر جيداً حتّى لا يختلط الوحي بغيره. ومعنى قوله عليه السلام: «الحكمة ضالة المؤمن» كما تقدّم من

(١) ٣٧٦/١، رقم المثل: ٢٣٩، حرف الحاء مع الكاف.

(٢) السفينة: ٤٠٨/١، في (خلص)، وفي ص: ٢٩١، في مادة (حكم).

الميداني: أي هي منشودته. والاختصاص بالمؤمن لإيمانه المجامع للحكمة،
بأي تفسير لها الذي يفقده المنافق.

في حديث علوي: «من زهد في الدنيا ولم يجزع من ذلّها، ولم ينافس
في عزّها، هداه الله بغير هداية من مخلوق، وعلمه بغير تعليم، و أثبت
الحكمة في صدره، وأجراها على لسانه». (١)

وهذا الحديث الشريف، يؤكد حديث: «مَنْ أخلص لله...»
الآنف الذكر، فافهم إن شاء الله تعالى.

٣٩ - الحمد لله كلما لاح نجمٌ وخَفَقَ

من خطبة له عليه السلام عندالمسير إلى الشام، أولها:
«الحمد لله كلما وقب ليل وغَسَقَ، والحمد لله كلما لاح نجمٌ
وخَفَقَ». (٢)

لم نُنهِ الخطبة؛ لأنّ الفقرتين دون غيرهما مقصودتان بالبحث، في
حديث نبوي: «الحمد رأس الشكر، ماشكر الله عبد إلاّ بحمده». (٣)
والحمد والشكر متقاربان، والحمد أعمّهما، لأنك تحمد الإنسان على

(١) البحار: ٦٣/٧٨ - ٦٤. ج ٤٨ ص ٤٨٨

(٢) التّهج: ٢٠٠/٣. وشرح التّهج: ١٦٨/٣، ووقعة صفين ١٣٤.

(٣) الفائق: ٣١٤/١، في (حمد).

صفاته الذاتية، وعلى عطائه، ولا تشكره على صفاته. وإنما كان الحمد رأس الشكر؛ لأن فيه إظهار النعمة، والإشادة بها، ولأنه أعم منه، فهو شكر وزيادة. (١) وإن شئت زيادة الإيضاح نظرت كتاب: (البسملة والحمدلة). (٢)

والحمد يدل على كرم الحامد، وأنه القائم بما عليه من إظهار ما أسدى إليه المحمود، وممن يقدره بما يوجب الزلفى لديه. ومن ثم جاء في المثل السائر من أمثال العرب قولهم: (حمداً إذا استغنيت كان أكرم)، يعني: إذا سألت إنساناً شيئاً، فبذله لك، واستغنيت، فاحمده واشكر له، فإن حمدك إياه أقرب إلى الدليل على كرمك. (٣)

والحمد تعظيم المحمود بما يليق به، قال ابن أبي الحديد: ومن مستحسن ما وقفت عليه من تعظيم الباري عز جلاله بلفظ (الحمد لله) قول بعض الفضلاء في خطبة أرجوزة علمية:

الحمد لله بقدر الله	لا قدر وسع العبد ذي التناهي
والحمد لله الذي برهانه	أن ليس شأن ليس فيه شانه
والحمد لله الذي من ينكره	فإنما ينكر من يصوره (٤).

(١) النهاية: ٤٣٧/١، في (حد).

(٢) المطبوع في بيروت - ١٤٠٢ هـ.

(٣) مجمع الأمثال: ٢٠٢/١، حرف الحاء.

(٤) شرح التهج: ٦٠/١.

لاح الشيء: إذا لَمَحَ وَلَمَعَ، والمصدر اللوح. قال الشاعر:

أراقب لوحاً من سهيل كأنه إذا ما بدا من آخر الليل يطرف (١)

وخفق من الخفق والخفقان: أي الاضطراب. يقال: خفق القلم،
وخفق النجم، وخفق القلب، يخفق خفقاناً. قال:

كأن قطعة علقت بجناحها على كبدي من شدة الخفقان (٢)

أو من خفق الليل، إذا ذهب أكثر، أو خفق النجم، إذا انحط في
المغرب، أو من خفق، إذا نعس نعسة، وعلى ذلك كله حمل حديث
الدجال: «يخرج في قلة من الناس، وخفقة من الدين». (٣)

والمراد هنا: كلما ظهر النجم، وخفي. والكلام مسوق للاستمرار، كما
أن: «الحمد لله كلما وَقَبَ ليلٌ وَغَسَقَ» كذلك. وليس المقصود انتهاء
الحمد عند انتهاء المعلق عليه، نظير آية: «إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن
يغفر الله لهم». (٤) المراد بها: الاستمرار لا التعليق.

وقد كرّر التعليق في الأدعية والزيارات وغيرها، ومنها: «السلام

(١) معجم المقاييس: ٢٢٠/٥، في (لوح). (٤) التوبة: ٨٠.

(٢) المصدر: ٢٠١/٢، في (خفق).

(٣) الفائق: ٣٨٦/١، في (خفق).

عليك يا خليل الله، مادجى الليل وغسق، وأضاء النهار وأشرق،
 السلام عليك ماصمت صامت، ونطق ناطق، وذَرَّ شارق». (١)
 ومنه ما ذكره العسكري من المَثَل السَّائر: (قولهم: ما ذَرَّ شارق).
 يقال: ما أفعل ذلك ما ذَرَّ شارق، يعنون: الشمس. والشارق: الطالع.
 أشرق إذا طلع أو أضاء وَصَفًا، أو إذا دخل في الشروق. (٢)
 وكيف كان، فهو من الأمثال السائرة على الألسن أو صالح، لأن
 يتمثل به إن لم يكن منها بالصميم، ولا يخفى على اللبيب التكتة في
 اختيار المعلق عليه حسب المقامات، علاوة على الاستمرار.

٤٠ - حَمَال خطايا غيره

من تمثيلاته عليه السلام في كلام له في صفة من يتصدى للحكم
 بين الأمة، وليس لذلك أهل:
 «إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ رَجُلَانِ: رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ
 جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بَدْعَةٍ، وَدَعَاءِ ضَلَالَةٍ، فَهُوَ فِتْنَةٌ
 لِمَنْ افْتَنَ بِهِ، ضَالٌّ عَنْ هُدًى مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، مُضِلٌّ لِمَنْ اقْتَدَى بِهِ فِي
 حَيَاتِهِ، وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، حَمَالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ...». (٣)

(١) مفاتيح الجنان: ٣٥٤، سادس زيارات الأمير عليه السلام.

(٢) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ٢٢٦/٢.

(٣) التهجد: ٢٨٣/١، كلام: ١٧/١٧.

«حَمَّالٌ خَطَايَا»، الأصل فيه قوله تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا، وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ». (١)

لفظ قرآني، كالأثقال والأوزار التي تحمل على ظهور أصحابها، كما قال تعالى: «وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ». (٢) وقال تعالى: «وَلِيَحْمِلْنَ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ». (٣) كما أن قوله عليه السلام: «رهن بخطيئته»، الأصل فيه «كل امرئ بما كسب رهين». (٤)

ثم الرجلان منطبقان على كل من توفرت فيه أوصافهما. وقد تصدينا لبيان وصف الثاني عند عدة أمثال، أحدها: «ما قلّ منه خير ممّا كثر». (٥)

أما الرجل المبحوث، فرجل وكله الله إلى نفسه. والإيكال إليها: الحرمان من رعايته جلّ جلاله، ووضع الحبل على الغارب، وهو الهلاك. ومنه دعاء أبي حمزة الثمالي عن السّجاد عليه السلام: «يا سيدي إن وكلتني إلى نفسي هلكت». (٦)

«فهو جائر عن قصد السبيل»، إذ لا ينفك عن الانحراف عن الصراط المستقيم، لأنّه خابط لا محالة.

(٤) الطّور: ٢١.
(٥) حرف الميم مع الألف.
(٦) مفاتيح الجنان: ١٩٥.

(١) العنكبوت: ١٢.
(٢) الأنعام: ٣١.
(٣) العنكبوت: ١٣.

«مشغوف بكلام بدعة»: أي خرق الحب شغاف قلبه، حتى وصل إلى فؤاده، والشغاف: الحجاب، ومنه قوله تعالى: «قد شغفها حباً». (١) والبدعة: إدخال ما ليس من الدين فيه. «ودعاء ضلالة»، بإغواء غيره. «فهو فتنة لمن افتتن به»: أي بلاء واختبار له. «ضالّ عن هدى من كان قبله»: أي هدى النبي والأئمة الظاهرين والأنبياء عليهم السلام.

«مضلّ لمن اقتدى به في حياته، وبعد وفاته»، من آثاره وكتبه المضلّة، المكتوبة عليه بـ «ونكتب ما قدموا وآثارهم». (٢) «حمال خطايا غيره» مصداق لقوله تعالى: «وليحملن أثقالهن وأثقالاً مع أثقالهن...» الآنف الذكر. «رهنٌ بخطيئته» وذلك لآية: «كلّ امرئٍ بما كسب رهينٌ». (٣) طبق الآية والرواية على نفسك قبل غيرك يا هذا!!!.

مركز تحقيق التراث
مكتبة المخطوطات

٤١ - حنّ قدح ليس منها

تمثّل عليه السلام بهذا المثل في جواب معاوية في كتاب له: «... وما للظلقاء وأبناء الظلقاء، والتمييز بين المهاجرين الأولين، وترتيب

(١) يوسف: ٣٠.

(٢) يس: ١٢.

(٣) الطور: ٢١.

درجاتهم، وتعريف طبقاتهم، هيات لقد حَنَّ قِدْحٌ ليس منها، وطفق
يحكم فيها مَنْ عليه الحكم لها...». (١)

(حَنَّ) فعل ماضٍ من الحنين: وهو نوع صوت، قال الشَّارح: و(قِدْح) أصله من القداح، من عود واحد، يجعل فيها قِدْح من غير ذلك الخشب، فيصوِّت إذا أرادها المُفِيض، فذلك الصَّوت هو حنينه. هذا مَثَل يضرب لِمَنْ يُدْخِل نفسه بين قوم، ليس له أن يدخل بينهم، (٢) أو لمن يفتخر بقوم ليس منهم، أو لمن يمتدح بما لا يوجد فيه.

قيل: المَثَل لعمر بن الخطاب، أجاب به عقبة بن أبي مُعيط حينما قال له: (أأُقتل من بين قريش؟) ولكن يظهر من الرَّمَحْشَرِيِّ أَنَّهُ ليس لعمر. قال: وقيل في بني الحنَّان، وهم بطن من بلحارث، أن جدَّهم ألقى قِدْحاً في قداح قوم يضربون بالمسير، وكان يضرب لهم رجل أعمى، فلمَّا وقع قدحه في يده قال: (حَنَّ قِدْحٌ ليس منها) فلَقَّب الحنَّان لذلك. ويؤيِّد نفيه عن عمر قول الميداني: أنَّ عمر تمثَّل به (٣)، وظاهر التَّمَثُّل أَنَّهُ لغيره.

والقِدْح: السَّهم من أقداح المسير، وعند إجالتها خالف صوت القدح الذي ليس من مادَّة بقيَّة القِداح صوتها، وبه يعرف أَنَّهُ ليس من جملتها.

(١) التَّهْج: ١٨١/١٥، كتاب ٢٨، ص ٢٨

(٢) شرح التَّهْج: ١٩١/١٥.

(٣) رسالة الإسلام: عدد: ٧-٨، ص: ١١٧-١١٨.

إن قلت: إنَّ كلام الإمام عليه السَّلام تصديق للشيخين، بأنَّهما من ذوي الرتب والدرجات، ليس لتمييزها إلَّا لمن كان في درجتهم، وهو الإمام عليه السَّلام. والجواب: أنَّ الكلام جاء كمقياسٍ كلِّي لا ينطبق إلَّا على موطنه.

٤٢- حَيْدِي حَيَادٍ

من خطبة له عليه السَّلام:

«أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُم، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُم، كَلَامُهُمْ يُؤْهِنُ الْقَصَمَ الصَّلَابَ، وَفَعْلُهُمْ يَطْمَعُ فِيكُمْ الْأَعْدَاءُ. تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ: كَيْتَ وَكَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قَلِمْتُ: حَيْدِي حَيَادٍ...» (١).

مركز بحوث ودراسات إسلامية

في الشَّرح: حَيْدِي حَيَادٍ، كلمة يقولها الهارب الفارّ، وهي نظيرة قولهم: (فيحي فيباح)، (٢): أي اتسعي، و(صَمِي صَمَام) للداهية: أي زيدي؛ وأصلها من حاد عن الشيء: أي انحرف. وحَيَادٍ، مبنية على الكسر، وكذلك ما كان من بابها، نحو قولهم: بَدَارٍ: أي ليأخذ كل واحد

(١) التَّهَجُّج: ١١١/٢، الخطبة ٢٩، ص ٢٩

(٢) في هامش المصدر: فيباح مثل قطام: اسم للغارة، وكان يقال للغارة في الجاهلية: فيحي فيباح، وذلك إذا دفعت الخيل المغيرة فاتسعت.

قِرْنَه. وقولهم: خَرَّاجٌ فِي لُعبَةٍ لِلصَّبِيَّانِ: أَيِ اخْرُجُوا. (١)

وقال غير الشَّارِحِ: وَفِي خُطْبَةٍ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قَلْتُمْ: حَيْدِي حَيَادٍ»، حَيْدِي: أَيِ مِيلِي، وَحَيَادٌ بوزن قَطَامٍ. قال الجوهري: هُوَ مِثْلُ قَوْلِهِمْ: فَيَحْيِي فَيَاج: أَيِ اتَّسَعِي. وَفَيَاحٌ اسْمٌ لِلغَارَةِ. (٢) وَنَظِيرُهَا فِي لَزُومِ الْهَيْئَةِ قَوْلُهُمْ فِي الْمَثَلِ السَّائِرِ: (حُمَادَاكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا): أَيِ غَايَتِكَ وَفَعْلِكَ الْمَحْمُودِ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِمْ: (قُصَارَاكَ)، وَ (غَنَامَاكَ). (٣)

«تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ: كَيْتٌ وَكَيْتٌ»: أَيِ سَنَفَعَلُ وَسَنَفَعَلُ.

قال الشَّارِحُ: وَكَيْتٌ وَكَيْتٌ، كُنَايَةٌ عَنِ الْحَدِيثِ، كَمَا كُنْتُ بِفُلَانٍ عَنِ الْعِلْمِ، وَلَا تَسْتَعْمَلُ إِلَّا مُكَرَّرَةً، وَهُمَا مُحَقَّقَانِ مِنْ (كَيْةٍ). فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ فَرَرْتُمْ وَقَلْتُمْ: الْفِرَارُ الْفِرَارُ. ثُمَّ أَخَذَ فِي الشَّكْوَى، فَقَالَ: مَنْ دَعَاكُمْ لَمْ تَعَزَّ دَعْوَتُهُ، وَمَنْ قَاسَاكُمْ لَمْ يَسْتَرْحِ قَلْبُهُ. دَأْبُكُمْ التَّعَلُّلُ بِالْأُمُورِ الْبَاطِلَةِ، وَالْأُمَانِي الْكَاذِبَةُ، وَسَأَلْتُمُونِي الْإِرْجَاءَ وَتَأَخَّرَ الْحَرْبَ، كَمَنْ يَمُتُّ بِدَيْنٍ لَا زِمَ لَهُ. وَالضَّمُّ لَا يَدْفَعُهُ الدَّلِيلُ، وَلَا يَدْرِكُ الْحَقَّ إِلَّا بِالْجِدَّةِ فِيهِ وَالْاجْتِهَادِ وَعَدَمِ الْإِنْكَمَاشِ. (٤)

وقال الشَّارِحُ: وَهَذِهِ الْخُطْبَةُ خُطِبَ بِهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي

(١) شرح التَّهْجِ: ١١١/٢ - ١١٢.

(٢) التَّهْيَاةُ: ٤٦٦/١، فِي (حَيْدٍ).

(٣) مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ: ٢١٥/١، حَرْفُ الْحَاءِ.

(٤) شرح التَّهْجِ: ١١٢/٢.

غارة الضحّاك بن قيس. قال: كانت غارة الضحّاك بن قيس بعد الحكمين، وقبل قتال التّهرّوان، وذلك أنّ معاوية لما بلغه أنّ عليّاً عليه السّلام بعد واقعة الحكمين تحمّل إليه مقبلاً، هاله ذلك فخرج من دمشق معسكراً، وبعث إلى كور الشّام فصاح بها، إنّ عليّاً قد سار إليكم، وكتب إليهم نسخة واحدة، فقرئت على النّاس.

ودعا معاوية الضحّاك بن قيس، وقال له:

سرّ حتّى تمرّ بناحية الكوفة، وترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب في طاعة عليّ فأغرّ عليه، وإن وجدت له مسلحة أو خيلاً فأغرّ عليها.

وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أخرى، ولا تقيمنّ لخليل بلغك أنّها قد سرّحت إليك لتلقاها فتقاتلها، فسرحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف.

فأقبل الضحّاك، فنهب الأموال، وقتل من لقي من الأعراب، حتّى مرّ بالثعلبيّة، فأغار على الحاجّ، فأخذ أمتعتهم.

ثمّ أقبل، فلقى عمرو بن عَميس بن مسعود الهذليّ، وهو أخو عبد الله ابن مسعود، فقتله في طريق الحاجّ عند القطقطانة، وقتل معه ناساً من أصحابه.

و روى محمّد بن يعقوب الكلينيّ، قال: استصرخ أمير المؤمنين عليه السّلام النّاس عقيب غارة الضحّاك بن قيس الفهرّيّ على أطراف أعماله، فتقاعدوا عنه فخطبهم، فقال: «ما عزّت دعوة من دعاكم، ولا

استراح قلب مَنْ قاساكم...» (١)

يا ساعد الله قلبك يا أمير المؤمنين! مِنْ أَنْاسٍ لَمْ يَعْرِفُوكَ ، وَلَمْ
يَقْدُرُوكَ ، وَمِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جَهَالًا ، وَمَيُوتُونَ ضَلَالًا فِي دَوْرِكَ ، وَفِي كُلِّ
الْأَدْوَارِ.



مركز تحقیقات کتب و نشر علوم اسلامی

(١) شرح التهج: ١١٣/٢ - ١١٧.



٤٣ - خبّاط جهالات

من كلامه عليه السلام، في صفة من ليس أهلاً للقضاء بين الناس:
«جاهلٌ خبّاط جهالات، عاشٍ ركّاب عشوات». (١)
وفي رواية: «خبّاط عشوات، ركّاب جهالات». (٢)

وزَعْنَا أُبْعَاضَ الْكَلَامِ عَلَى كُلِّ مَثَلٍ مَذْكُورٍ فِيهِ.
قال العسكري: (أخبط من عشواء): وهي الناقة العشواء التي
لا تبصر بالليل، فتخبط كل شيء تمرّ به. والخبط: أن تطأ برجلها
فتكسره. (أخبط من حاطب ليل)؛ لأنه يجمع ما يحتاج إليه وما لا يحتاج
إليه. (٣)

وقال الزمخشري: (أخبط من حاطب ليل)، الخبط: الإصابة مرّة
والإخطاء أخرى. و حاطب الليل كذلك لا يعرف ما يحتطبه... فهو بين
الخطأ والصواب. و(أخبط من عشواء): هي الناقة التي لا تبصر
بالليل، تخبط فتصيب هذا، وتخطئ هذا. قال زهير:

(١) التهج: ٢٨٣/١، كلام ١٧. ٩٧

(٢) غريب الحديث: ١٢٣/٢.

(٣) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ٢٩١/١.

(من الطويل)

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تُخطىء يعمر فيهم (١)

وقال الميداني بعد المثل: ويقال في مثلي آخر: (إنّ أخا الخلاط أعشى بالليل). قالوا: الخلاط: القتال، وصاحب القتال بالليل لا يدري من يضرب. (٢)

قال ابن قتيبة: (خباط عشوات): أي خباط ظلمات، وخباط العشوة نحو: واطئ العشوة، وهو الذي يمشي في الليل بلا مصباح فيتحير ويضل، وربما تردى في بئر، أو سقط على سبع. ويقال في مثل: (سقط العشاء على سرحان)، وذلك أنّ خارجاً خرج يطلب العشاء، فسقط على ذئب فأكله. وبعض أصحاب اللغة يزعم أنّ السرحان في هذا المثل الأسد... (٣)

وسواء أكان (خباط جهالات) أو (خباط عشوات) ينطبق عليه المثل السائر الذي قدّمناه؛ لأنّ ظلمة الجهل لا تقصر عن ظلمة الليل، ومن لا يبصر إذا مشى بالليل، بل الجهل أشدّ منها ظلمة، إذ القاضي إذا

(١) المستقصى: ٩٣/١ - ٩٤. ثم لا يخفى أنّ قول زهير:

* تُعْتَهُ ومن تُخطىء يعمر فيهم *

من الإمامة، فتفظن.

(٢) مجمع الأمثال: ٢٦١/١، حرف الخاء.

(٣) غريب الحديث: ١٢٣/٢.

قضى بين الناس، وهو جاهل، لا يدري أبحقّ قضى أم يبطل، هلك
وهلكت نفوس وأعراض وأموال، ولأجله قال عليه السلام: «تصرخ من
جور قضائه الدماء، وتعجّ منه المواريث» في نفس الخطبة.
فأيّهما أشدّ فظاعةً، أخابط بالليل أم خابط في القضاء الذي من
جرّاء ذلك تهراق الدماء البريئة، وتهتك التواميس والحرّمات، وتؤخذ
الأموال غصباً؟.

ومن هنا شدّد في أمر القضاء، واشترط في القاضي أن يكون تقيّاً
ورعاً عادلاً فقيهاً بأحكام الإسلام، لا جاهلاً لا يبالي بأمور الدين ودنيا
المسلمين، يقضي ما يشتهي، ويحكم ما يريد، لا كثر الله أمثاله.

٤٤- خذ الحكمة أنى كانت

من كلماته عليه السلام الحكمة المثلية قوله:
«خذ الحكمة أنى كانت، فإنّ الحكمة تكون في صدر المنافق،
فتلجّج في صدره حتّى تخرج، فتسكن إلى صواحبتها في صدر
المؤمن». (١).

بحَثْنَا حول المَثَل: «الحكمة ضالة المؤمن» عن أشياء تمسّ المَثَل
الجاري، فراجع. (٢).

(١) النهج: ٢٢٩/١٨، الحكمة: ٧٧، ٧٩ (٢) حرف الحاء مع الكاف.

وقد روى المثل المبحوث عنه جمع من الكتاب، منهم القضاعي، وقال: يقال: لَجَلَجَ اللَّقْمَةُ في فيه، إذا أدارها ولم يُسْغَهَا.

وأراد عليه السَّلام: أَنَّ الكلمة قد يعلمها المنافق، فلا تزال تتحرك في صدره ولا تسكن حتَّى يسمعها المؤمن أو العالم، فيثقفها فتسكن في صدره إلى أخواتها من كَلِمِ الحكمة. (١)

قال المعتزلي: خطب الحجاج، فقال: إِنَّ الله أمرنا بطلب الآخرة، وكفانا مؤونة الدنيا، فليتنا كفيها مؤونة الآخرة، وأمرنا بطلب الدنيا! فسمعها الحسن عليه السَّلام، فقال: «هذه ضالة المؤمن، خرجت من قلب المنافق». (٢)

وفي وصية موسى بن جعفر عليه السَّلام لهشام بن الحكم: «واعلموا أَنَّ الكلمة من الحكمة ضالة المؤمن، فعليكم بالعلم قبل أن يرفع، ورفع غيبة عالمكم بين أظهركم».

وفسرت: بأنَّ المؤمن يأخذ الحكمة من كلِّ من وجدها عنده، وإن كان كافراً أو فاسقاً، كما أنَّ صاحب الضالة يأخذها حيث وجدها.

وقيل: المراد: أنَّ من كان عنده حكمة لا يفهمها ولا يستحقها، وجب أن يطلب من يأخذها بحقها، كما يجب تعريف الضالة، وإذا وجد من يستحقها وجب أن لا يبخل في البذل كالضالة.

«يا هشام! إنَّ الزرع ينبت في السهل، ولا ينبت في الصفا. فكذلك

(١) دستور معالم الحكم: ١٢٨، وغريب الحديث: ١٤٨/٢.

(٢) شرح التهج: ٢٢٩/١٨.

الحكمة تعمر في قلب المتواضع، ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار؛ لأن الله تعالى جعل التواضع آلة العقل، وجعل التكبر من آلة الجهل. ألم تعلم أن من شمخ إلى السقف برأسه شجّه، ومن خفض رأسه استظلّ تحته وأكثه؟ فكذلك من لم يتواضع لله خفضه الله ومن تواضع لله رفعه الله». وقال لقمان في وصاياه لابنه:

«يا بني! تعلم الحكمة تشرف بها؛ فإن الحكمة تدلّ على الدين، وتشرف العبد على الحرّ، وترفع المسكين على الغنيّ، وتقدّم الصبيّ على الكبير، وتجلس المسكين مجالس الملوك، تزيد الشريف شرفاً، والسيد سؤدداً، والغنيّ مجدداً. وكيف يظنّ ابن آدم أن يتهيّأ له أمر دينه ومعيشته بغير حكمة، ولن يهتّى الله أمر الدنيا والآخرة إلا بالحكمة».

ومن حكم عيسى عليه السلام:

«بحقّ أقول لكم: لا تكونوا كالمنخل يخرج الدقيق الطيب، ويمسك التخاله، كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم، ويتبقى الغلّ في صدوركم» (١)

وقد جمعت الحكمة بأطرافها بعد القرآن وحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلمات الأئمة المعصومين عليهم السلام، ولاسيما باب مدينة علم الرسول وحكمته أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فدتها أرواح العالمين، ولن تدخل المدينة إلا من بابها؛ وإنّ حديث المدينة النبويّ قد رواه الفريقان، حتّى أنّ مؤلف كتاب (الغدير) أنهاه إلى مائة وثلاثة

(١) سفينة البحار: ٢٩١/١ - ٢٩٢، في (حكم).

وأربعين طريقاً عن الجمهور. (١)

والشيخ الطريحي نقل: أن سبب الحديث أن أعرابياً أتى النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- فقال له: طَمْشٌ طاح، فغادر شِبْلاً، لمن التشب؟ فقال -صلى الله عليه وآله وسلم-: «للسَّبَل مُمِيطاً». فدخل عليّ عليه السلام، فذكر له النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- لفظ الأعرابي، فأجاب بما أجاب به النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- فقال: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها». الحديث. (٢)

والظاهر على تقدير صحة النقل: أن سؤال الأعرابي عن إنسان هَلَكَ، وخَلَف ابناً ومالاً، لمن المال؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: للابن لا ابن الابن أو غيره مدفوعاً عن غير الابن وهو معنى الإمالة. والظَمْش: الإنسان يقال: (وَخْشٌ وَلَا ظَمْشٌ). (٣) و(طاح) من الطوح أو الطيح: السقوط والهلاك كَتَبَ عن الموت. والشَّبَل: ولد الأسد: أي ابن الميت. والتَّشَب: العلق المكْنَى به عن المال المتعلق بالإنسان. والمغادرة: الترك. وحاصل السؤال أن إنساناً أو رجلاً مسمى بـ (ظَمْش) مات وترك ابناً ومالاً، ولأجل ابتعاده عنه بالموت عبر بالمغادرة. وكان الجواب: أن المال للابن حال كونه حاجباً عن غيره، ويدفعه عن الإرث ويزيله وهو المراد بالإمالة في «مميطاً» أي مزيلاً

(١) ج: ٦١/٦ - ٧٧.

(٢) مجمع البحرين: في (بوب).

(٣) منتهى الأرب في لغة العرب: في (ط م ش).

إطلاقاً لسواه، فيعطى المال كله للشَّبل إن كان وحده كما هو مفروض
السؤال - وإنَّما ذكرنا ذلك كله لأدنى علاقة بالمثل الجاري والتفصيل في
محلّه (١).

٤٥- الخطايا خيلُ شمسٍ حُمِلَ عليها أهلها

في خطبة له عليه السلام:
«ألا وإنَّ الخطايا خيلُ شمسٍ حُمِلَ عليها أهلها، وخلعتْ لُجُمها،
فتقحمت بهم في النار». (٢)

الشمس واحدتها شمس، معرب (جموش).
قال ابن الأثير فيه: «أي في الحديث: «مالي أراكم رافعي أيديكم في
الصلاة، كأنها أذنان خيل شمس». هي جمع شمس: وهو الثَّفور من
الدَّواب: الذي لا يستقر لشغبه وحدته. (٣)

(١) الأمثال العلوية: حرف الشين مع الياء ولا يخفى أنَّ من معاني التشب: الوقوع فيما لا
يخلص منه ومنه المثل السائر: (أخوك مَنْ وإساك بالتَّشب لا مَنْ ساواك بالتَّشب)
رياض الأدب: ١٤. ولكن أظهر تفسير التشب في المثل بالمال: أي المواساة بالمال من
دلائل الأخوة. أو المراد به السهم: أي مَنْ رمى عدوك به.

(٢) التهج: ٢٧٢/١، ط ١٦.

(٣) النهاية: ٥٠١/٢، في (شمس).

تكلّمنا عند المَثَل : « كأنّها أذنان خيلٍ شُمسٌ » من الأمثال النبويّة
على الحديث النبويّ غير ما ذكره ابن الأثير، كما وأشرنا هنالك إلى المَثَل
العلويّ في المقام، وأمور ينبغي النظر إليها، فراجع. (١)
شبه عليه السلام راكب الذنوب التي تجرّ صاحبها إلى نار جهنّم بمن حمل
على خيل نفور شاغبة، تمنع ظهرها عن الركوب، وقد خلعت لُجُمها، فكما تورد
هذه راكبها الموت والهلاك، كذلك من يركب المعاصي تفضي براكبها إلى
جهنّم والهلاك الأبديّ، وتجّره إلى تكذيب آيات الله عزّ وجلّ، كما دلّ على
ذلك قوله تعالى: «ثمّ كان عقبة الذين أسسوا السوأي أن كذبوا بآيت الله
وكانوا بها يستهزءون». (٢)

إذ المذنب حين يذنب يسلب منه الإيمان، كما جاء به الحديث «لا يزني
الزاني حين يزني وهو مؤمن». (٣) ومستحقّ بالله جلّ جلاله وإن كان عن
جهل، إذ لو كان معظماً له تعالى لما تمرد عليه، ولما ركب الخطايا وإنّما
أودت به شقوته وعدم خشيته من سوء العاقبة؛ و«إنّما يخشى الله من
عباده العلّموا إنّ الله عزيز غفور». (٤)

دلّ آخر الآية على أنّ الله عزّ وجلّ غنيّ عن طاعة العلماء و
خشيتهم، وأنّهم قاصرون مقصرون مهما بلغوا من العلم والخشية، فضلاً

(١) الأمثال النبويّة: ٣٢/٢، رقم المَثَل: ٣٥٩، حرف الكاف مع الهمزة.

(٢) الرّوم: ١٠.

(٣) الوسائل: ٢٤/١، وج: ٢٣٥/١٤.

(٤) فاطر: ٢٨.

عن غيرهم، ولكنه غفور يغفر الذنب، و«ماقدروا الله حقّ قدره إنّ الله لقوّي عزيز». (١)

«وما عصيتك إذ عصيتك، وأنا بك جاهل، ولا لعقوبتك متعرّض، ولا لنظرك مستخفّ، ولكن سوّلت لي نفسي، وأعانتني شقوتي، وغرّني سترك المُرّخي عليّ». (٢)

وهل يعلم العاصي مَنْ يعصي ومَنْ يخالف؟! مَنْ لولا رحمته وفضله علينا في أقلّ من طرفة عينٍ لكنا من الهالكين المعذبين بالعذاب الأبديّ. قال تعالى: «ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفَضْتُمْ فيه عذابٌ عظيمٌ». (٣)

لأنّجاة منه إلّا بفضله ورحمته الواسعة. فيا إنسان! إياك والذنب.



مركز تفسیر و ترجمه قرآن
٤٦ - خیر دَار، و شرّ جیران

من خطبة له عليه السّلام، منها قوله:

«أطاعوا الشّيطان، فسلکوا مسالکهُ، و وردوا مناهله، بهم سارت أعلامه، وقام لواءه. في فتن داستهم بأخفافها، و وطئتهم بأظلافها، وقامت على سناجکها، فهم فيها تائهون حائرون، جاهلون مفتونون، في

(٣) التّور: ١٤.

(١) الحج: ٧٤.

(٢) مفاتيح الجنان: ٤٠٨.

خير دارٍ وشرّ جيرانٍ، نومهم سُهودٌ، وكحلهم دموعٌ، بأرضٍ عالمها مُلجَمٌ،
وجاهلها مُكْرَمٌ». (١)

نقل المعتزليّ عن الراونديّ: خير دار: الكوفة، وقيل: الشام؛ لأنّها
الأرض المقدّسة، وأهلها شرّ جيران، يعني: أصحاب معاوية. وعلى
التفسير الأوّل، يعني: أصحابه عليه السّلام - قال - ونحن نقول: إنّهُ
عليه السّلام لم يخرج من صفة أهل الجاهليّة، وقوله: «(في خير دارٍ) يعني:
مكة. و«(شرّ جيران)» يعني: قريشاً. وهذا لفظ النّبيّ صلّى الله عليه وآله
- وسلّم - حين حكى بالمدينة حالةً كانت في مبدأ البعثة، فقال: «كنت
في خيردارٍ» و«(شرّ جيران)».

ثمّ حكى عليه السّلام ماجرى له مع عقبة بن أبي مُعيط: والحديث
مشهور.

وقوله: «(نومهم سُهودٌ وكحلهم دموعٌ)» مثل أن يقول: جُودهم بُخلٌ،
وأمنهم خوف: أي لو استباحهم محمّد - صلّى الله عليه وآله وسلّم - النّوم
لجادوا عليه بالسّهود عوضاً عنه، ولو استجدّاهم الكحل لكان كحلهم
الذي يصلونه به الدّموع.

ثمّ قال: «(بأرضٍ عالمها مُلجَمٌ)»: أي من عرف صدق محمّد صلّى
الله عليه وآله - وسلّم -، وأمن به في تقيّة وخوفٍ. «(وجاهلها مُكْرَمٌ)»: أي
مَنْ جحد نبوّته وكذّبه في عزٍّ ومنعةٍ. (٢)

(٢) شرح التّهج: ١/١٣٧ - ١٣٨.

(١) التّهج: ١/١٣٦، الخطبة: ٢.

اختلف المفسرون لقوله عليه السلام: «خير دار، وشر جيران»، قيل في الأول: الكوفة، أو الشام، أو مكة، أو الدنيا؛ والثاني: أهلها على بيان، تعرض له ابن ميثم البحراني بتفصيل، فراجع (١) وكيف كان، فهو صالح للمثل به، إن لم يكن مثلاً سائراً بالصميم لكل دار تلائم ساكنها، ولم يسلم من شر جارها.

وما ذكر من مكة، أو الكوفة، أو الشام، أو غيرها؛ إنما هي مصاديق المثل، من دون قصر عليها، شأن المثل أينما حلّ ونزل. خصوصاً الدنيا، فقد عبر عنها وعن الآخرة بالدار، فيمكن وصف الأولى بالشر والخير باعتبارين: من وقوع العصيان والكفر والتمرّد على الله بالشر وكونها متجر الأولياء ومطية الأنبياء والمؤمنين بالخير. وهكذا أهلها المؤمنون خير جيران، وغيرهم بشر جيران. طبق ولا حرج مع رعاية الحق من الجانبين، ولقد كان للمثل الجاري التطبيق لدور السكنى وجيرتها مالا يخفى.

(١) شرح التهجد: ١/٢٤٣ - ٢٤٤.



٤٧ - الدّامغ صولات الأضاليل

من خطبة له عليه السّلام، علّم فيها النّاس الصّلاة على النّبي
صلّى الله عليه وآله - وسلّم -، أولها:

«اللّهم داحي المدحوات، وداعم المسموكات، وجابل القلوب على
فطراتها، شقيتها وسعيدها، اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك على
محمّد عبدك ورسولك، الخاتم لما سبق، والفتاح لما انغلق، والمُعلن الحقّ
بالحقّ، والدّافع جيشات الأباطيل، والدّامغ صولات الأضاليل، كما
حمّل، فاصطلع قائماً بأمرك». (١).

مركز تحقيقات كميته بر علوم و رسولي

قوله: «داحي المدحوات» يعني: باسط الأرضين، وكان عزّ وجلّ
خلقها ربوة، ثمّ بسطها. قال جلّ ذكره: «والأرض بعد ذلك
دحها». (٢) ويروى: (بارئ المسموكات): أي خالق السّماوات.
وداعمها: ممسكها.

قال الفرزدق:

(١) التّهج: ١٣٨/٦، الخطبة: ٧١.

(٢) التّازعات: ٣٠.

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً دَعَمَتْهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

وفي لفظ: «دامغ جيشات الأباطيل» يريد عليه السلام: المهلك لما نَجَمَ وَارْتَفَعَ من الأباطيل، وأصل الدمغ من الدماغ، كأنه الذي يضرب وسط الرأس، فیدمغ: أي يصيب الدماغ. ومنه قول الله تعالى: «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه»، (١): أي يبطله. والدماغ مَقْتَلٌ، فإذا أُصِيب هلك صاحبه. و(جيشات) مأخوذ من جاش الشيء، إذا ارتفع. وجاش الماء إذا طما، وجاشت النفس. (٢) والآية تناسب الدمغ للباطل لا لصولة الإضلال، ولذلك رواه جمع من الكتاب: أي «الدامغ جيشات الأباطيل» لا الدافع.

ثم في الخطبة استعارات وتمثيلات، منها تمثيل الأضاليل أو الأباطيل بإنسان ذي دماغ، يضربه الضارب ضرباً على الدماغ فيهلك. وكل هذه الأوصاف له صلى الله عليه وآله وسلم؛ حيث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد ختمت به نبوة الأنبياء، وفتحت به أبواب المعارف والعلوم التي كانت مغلقة لم تهتد إليها القلوب، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم أظهر الحق في كل شيء، وأوضح طرق الوصول إليه بالحق، ودفع الأباطيل عنها: أي عن الطرق؛ لأن الطريق إلى شيء إذا

(١) الأنبياء: ١٨.

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة: ص: ١٤٣ - ١٤٦.

كان باطلاً كان المقصد مثله؛ بدمغ رؤوس الصلابة، وهم كفار قريش، وغير قريش، وكل ضال من فرق الناس.

وقد حاربهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ليغرس التوحيد في القلوب، فقام بالرسالة الملقاة عليه، حتى أذاها كما هي، وبلغها إلى العالم كله بدون فتور وهوادة، فترك في الله تعالى أدانيه وأقاربه، وقرب الأفاصي والأبعاد فيه، عند قبولهم الحق والتوحيد والذين الخالص.

وهكذا أهل بيته الأئمة الظاهرين، لا سيما أمير المؤمنين عليه وعليهم السلام، وكل ذلك وظيفة كل مؤمن بالله تعالى وبشريعته الغراء إلى يوم القيامة، للأسوة الحسنة المحثوة عليها في القرآن (١).

٤٨ - دَعَّ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ

من كلام له عليه السلام في جواب لكتاب معاوية الذي يذكر فيه بعض الناس. قال عليه السلام:

«... فدع عنك من مالت به الرميّة، فإنّا صنائع ربّنا، والناس بعدُ صنائع لنا...» (٢).

(١) الأحزاب: ٢١. الممتحنة: ٤ و ٦.

ففي السورتين الحديث البالغ على التأبّي به صلى الله عليه وآله وسلم، والأنبياء عليهم السلام، والصالحين من عباد الله.

(٢) التّهج: ١٥/١٨٢، ك: ٢٨ / ٢٨

لقوله عليه السّلام: «فإنّا صنائع ربّنا» إلى آخره تفسير مرهون بوقته.
الرّميّة بمعنى: الرّمي، والباء للإلصاق: أي دع من رمته الدّنيا
بسهامها، وصار غرضاً لها؛ لإقباله عليها. ويشهد لذلك ما جاء في بعض
خطبه عليه السّلام يصف فيه الدّنيا. قال عليه السّلام: «ترميمهم
بسهامها، وتفنّيمهم بحمامها». (١)

ويصحّ ذلك أيضاً رمية بسهام التّفنن، وإبليس. إذ استعارة رمي
السّهام فيها بجامع التأثير السّريع على حدّ سواء. وقد جاء: «النّظرة سهم
مسموم من سهام الشّيطان». (٢)

وقيل: الرّميّة: الطّريدة المرميّة. يقال للصيد: يرمي هذه الرّميّة،
وهي (فعيلة) بمعنى مفعولة، والأصل في مثلها أن لا تلحقها الهاء نحو:
(كفّ خضيب، وعين كحيل) إلّا أنّهم أجروها مجرى الأسماء لا
النّعوت كالقصيد والقطيعة.

والمعنى: دع ذكر من مال إلى الدّنيا، ومالت به: أي أمالته إليها. (٣)
عن الشّيخ محمّد عبده: يضرب لمن اعوجّ غرضه، قال عن الاستقامة
لطلبه. (٤)

قليل: المراد من الموصول في المثل: هو عثمان لا الشّيخان؛ لأنّه

(١) النّهج: ٢٥٧/١١، ط ٢٢١.

(٢) الوسائل: ١٣٨/١٤ - ١٤٠.

(٣) شرح النّهج: ١٩٤/١٥.

(٤) رسالة الإسلام: عدد: ٧ - ٨، ص: ١١٨.

عليه السلام لم يذكرهما بقدرح، والمثل يضرب لذلك، فلا بد من صرفه إلى غيرهما. (١)

يجاب عنه أن الكلام مقياس كلي له اطراده في جميع الناس، إذا تحققت فيه الرمية، مهما كان نوعه. ومعاوية المخاطب به من أجل مصاديقه، ومن تدبر صدر الكلام عرف الحق.

٤٩- الدهر يخلق الأبدان ويجدد الآمال

قال عليه السلام:
«الدهر يخلق الأبدان، ويجدد الآمال، ويقرب المنيّة، ويباعد الأُمْنِيّة. مَنْ ظَفَرَهُ نَصَبٌ، وَمَنْ فَاتَهُ تَعَبٌ». (٢)

للدهر أمثال سائرة عند العرب: (الدهر أبلغ في التكير) يعني بالتكير: الإنكار والتغيير، يريد أن الدهر يغير ما يأتي عليه. (الدهر أطرقُ مستتبٌ): أي مطرق مُغضٍ منقاد. قال بشار بن بُرد:

عام لا يغرك يومٌ من غد	عام إن الدهر يغضي ويَهَب
صادِ ذا الضُّغن إلى غِرته	وإذا درت لَبونٌ فاحتلَب

(١) شرح النهج: ١٥/١٩٤.

(٢) النهج: ١٨/٢١٨، الحكمة: ٧٠/٧٢.

(الذهر أروؤ مستبْدُ): أي لئن المعاملة، غالب على أمره. وهذا كقول
ابن مُقبل:

إن ينقض الدهر مني مرةً لبلى فالدهر أروؤ بالأقوام ذوغير

(أروؤ): أي يعمل عمله في سكون لا يشعر به، ويقال: المستبْدُ:
الماضي في أمره لا يرجع عنه.

(الذهر أنكب لايلب)، ويروى: (أنكث لايلث). أنكب من
التكبة: أي كثير التكبّات. والصحيح أن يقال: أنكب من التكب،
وهو الميل، يعني: أنه عادل عن الاستقامة، لا يقيم على جهة واحدة.
وأنكث: أي كثير التكتث والتقض لما أبرم. (١)

(دواء الدهر الصبر عليه). (٢) قال بعض الحكماء: الدنيا تُسرّ لتغرّ،
وتفيد لتكيد، كم راقِدٍ في ظلّها قد أيقظته، وواثقٍ بها قد خذلته، بهذا
الخلقُ عُرفت، وعلى هذا الشرط صُحبت. قال شاعرٌ فأحسن:

كأنّك لم تسمع بأخبار مَنْ مضى ولم ترَ بالباقيين ما صنّع الدهرُ
فإن كنت لا تدري فتلك ديارهم عفاها فحال الرّيح بَعْدَكَ والقَطَرُ
وهل أبصرت عيناك حيّاً بمنزل على الدهر إلا بالعراء له قبرُ

(١) مجمع الأمثال: ٢٧٢/١، حرف الدال.

(٢) مجمع الأمثال: ٢٧٤/١، حرف الدال.

فلا تحسبنّ الوفر مالا جمّعتَه
مضى جامعوا الأموال لم يتزودوا
فحتّام لا تصحو وقد قرب المدى
بلى سوف تصحو حين ينكشف الغطا
وما بين ميلاد الفتى ووفاته
لأنّ الذي يأتيه شبه الذي مضى
فصبراً على الأيام حتّى تجوزها
ولكنّ ما قدّمت من صالح وفّر
سوى الفقريابؤسى لمن زاده الفقر
وحتّام لا ينجاب عن قلبك السكر
وتذكر قولي حين لا ينفع الذكر
إذا انتصح الأقسام أنفسهم عُمر
وما هو إلّا وقتك الضيق النزر
فعمّا قليل بعدها يحمد الصبر (١)

والمراد بالدهر هنا: ما في قوله عليه السلام: «الدهر يومان: يوم لك،
ويوم عليك»، (٢) لا ما في قوله: «لا تسبوا الدهر؛ فإنّ الدهر هو الله» (٣).



٥٠ - الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك

من كلام الإمام عليه السلام الجاري مجرى الأمثال:
«الدهر يومان: يوم لك، ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا
كان عليك فاصبر». (٤)

(١) شرح التهج: ٢١٨/١٨ - ٢١٩. (٢) التهج: ٣٦٤/١٩، الحكمة: ٤٠٦.

(٣) نهاية ابن الأثير: ١٤٤/٢، حرف الدال مع الهاء.

وانظر تفصيل ذلك إلى المثل: «الدهر يومان: يوم لك، ويوم عليك».

(٤) التهج: ٣٦٤/١٩، ح ٤٠٦، ٣٩٦.

ويشبهه المثل: (الأيتام عوج رواجع) العوج جمع أعوج، يقال: الدهر تارة يعوج عليك، وتارة يرجع إليك. أثبتته الميداني. (١)

قال الشارح: قديماً قيل هذا المعنى: الدهر يومان: يوم بلاء، ويوم رخاء. والدهر ضربان: حبرة وعبرة. والدهر وقتان: وقت سرور، ووقت ثبور. وقال أبوسفیان يوم أُحد، يومٌ بيوم بدر، والدنيا دُول.

ويحمل ذم البطر. ههنا على محملين:

أحدهما: البطر بمعنى: الأشر وشدة المرح، بطر الرجل بالكسر يبطر، وقد أبطره المال، وقالوا: بطر فلان معيشته، كما قالوا: رَشَد فلان أمره.

والثاني: البطر بمعنى: الحيرة والدهش: أي إذا كان الوقت لك فلا تقطعنَ زمانك بالحيرة والدهش عن شكر الله، ومكافأة النعمة بالطاعة والعبادة، والمحمل الأول أوضح. (٢)

الدهر هو ما سوى الله جلّ جلاله برقته، الممتد من البداية إلى النهاية، وربّما يتخيّل أنّه المنتزع من الحدين وواقع المنتزع وما تقدّم هو المجزوم، ولا امتداده ظنّ قدمه حتّى زعم الدهريّون أنّه منشأ الحياة والهلاك، كما حكى عنهم الله جلّ جلاله: (وما يهلكنا إلا الدهر). (٣)

فإن أرادوا به الله تعالى، وجهلوا أنّه هو، أو: أجرّوا عليه تعالى اسم الدهر فهذا أهون من الأول. والبحث في محله.

(١) مجمع الأمثال: ٤٢٧/٢، حرف الياء.

(٢) المصدر.

(٣) الجاثية: ٢٤.

يريد عليه السلام: أَنَّ لِلدُّنْيَا إِقْبَالَاً وَإِدْبَاراً، فَإِنَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْكَ فَلَا تَغْتَرِبْهَا فَتَنْسَى كُلَّ شَيْءٍ وَإِنْ أَدْبَرَتْ فَاصْبِرْ. وقد جاء في الحديث القدسي: «يا موسى إن أقبلت الدنيا فعقوبة عجلت، وإن أدبرت فقل: مرحباً بشعار الصالحين». (١) ثم المثل السائر بلفظ: (يوم لنا، ويوم علينا) يضرب في انقلاب الدُّول والتَّسَلِّي عنها، قاله الميداني (٢).



(١) مجموعة ورام: ٤٣/٢.

(٢) مجمع الأمثال: ٤٢٦/٢، حرف الياء. ويمثل المثل قولهم: (سهّم لك، وسهّم

عليك) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ٣٣٦/١.



٥١- رأي الشيخ أحب إليّ من جلد الغلام

قال عليه السلام:

«رأي الشيخ أحب إليّ من جلد الغلام»، ويروى: «من مشهد الغلام». (١)



قال المعتزلي:

إنما قال كذلك؛ لأنّ الشيخ كثير التجربة، فيبلغ من العدو برأيه ما لا يبلغ بشجاعة الغلام الحدث غير المحرّب؛ لأنّه قد يُغرّر بنفسه، ويُهْلِك أصحابه؛ ولا ريب أنّ الرأي مقدّم على الشجاعة، ولذلك قال أبو الطيّب:

هو أول وهي المحلّ الثاني	الرأي قبل شجاعة الشجعان
بلغت من العلّياء كلّ مكان	فإذا هما اجتمعا لنفسٍ مرّة
بالرأي قبل تطاعن الأقران	ولربّما طعنَ الفتى أقرانه

(١) التهج: ٢٣٧/١٨، الحكمة: ٨٣.

لولا العقول لكان أدنى ضيغ
ولما تفاضلت الرجال ودبرت
أدنى إلى شرف من الإنسان
أيدي الكماة عوالي المران
وقال لقيط بن يغمر...:

وقلّدوا أمركم لله دركم
لا مقرفاً إن رخاء العيش ساعده
رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
ولا إذا عض مكروه به خشعا
ما زال يحلب هذا الدهر أشطره
يكون متبعا طورا ومتبعا
حتى استمر على شزير مريته
مستحكم الرأي لا قحماً ولا ضرعاً (١)

في كتاب مصادر التهج عدة مصادر للمثل المبحوث عنه. (٢) و
جاء في كتب الأمثال منسوباً إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام،
وأغلبها برواية: «من مشهد الغلام». منها: مجمع الميداني، قال: قاله
علي رضي الله تعالى عنه - عليه السلام - في بعض حروبه. (٣)
وقال الزمخشري بعد الرواية: أي لأن عينك الشيخ برأيه وهو
غائب، خير من أن عينك الغلام بنفسه حاضراً معك. (٤) وكذا

(١) شرح التهج: ٢٣٧/١٨ - ٢٣٨، وفي هامش المصدر: ص: ٢٣٧. النفس اليمرة:
القوية الشديدة. من قوله تعالى: «ذو مرة فأستوى». التجم: ٦.
(٢) ج: ٤، ص: ٨٣.
(٣) ج: ٢٩٢/١، حرف الزاء.
(٤) المستقصى: ٩١/٢، رقم المثل: ٣٢١.

الثعالبي في التمثيل والمحاضرة. (١)
وعلى الرواية الأولى.

الجلد: هو الشدة، والضرب بالسيف. فالمراد: أن الرأي الراسخ من
المجرب خير من البسالة الفاقدة للخبرة.

والرواية الثانية: «مَشْهَدُ الْغُلَامِ»، إما من الشهود: أي الحضور،
ومنه: «فمن شهد منكم الشهر فليصمه». (٢): أي من كان حاضراً في
البلد، ويقابله الغائب. فالمراد: أن رأي الشيخ وإن كان غائباً خير من
حضور الغلام، فضلاً عن غيبته. أو من الشهادة: أي ما يشاهد الرأي من
منظر الغلام، فالمعنى: أن رأي الشيخ الطاعن في السن خير مما يجلب
النظر من جمال منظر الغلام، وطراوته، لاستبدال جمال صورة الشيخ
بجميل فكرته، على عكس الغلام الذي ليس وراء روائه تجربة كافية في
الحروب، ولا غيرها.

إما الطاعن في السن على مرور الأيام، فقد حصل على التجربة،
والعقل بقسميه: المطبوع والمسموع؛ ومن هنا جاء في المثل النبوي:
«الشباب شعبة من الجنون». (٣) وقيل: الشباب كسكر الشراب.
وعلى ذلك قول الشاعر:

(١) ص: ٢٩ - ٣٠.

(٢) البقرة: ١٨٥.

(٣) المجازات النبوية: ١٥٤، رقم الكلمة: ١٥٩. الأمثال النبوية: ١/٤٧٥، رقم
المثل ٣٠٣، حرف الشين مع الباء.

إِنَّ شَرْخَ الشَّبَابِ وَالشَّعْرَ الْأَسَدَ وَدَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جَنُونًا (١)

وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ:

(زَاجِحٌ بِعُودٍ، أَوْدَعُ)، وَالْعُودُ: الْمُسَنُّ مِنَ الْإِبِلِ وَالشَّاءُ. قَالَ
الْكَرْمَانِيُّ: أَيُّ لَا تَسْتَعْنُ إِلَّا بِأَهْلِ السَّنِّ، وَالتَّجْرِبَةُ فِي الْأُمُورِ. قَالَ
الشَّاعِرُ:

حَنِ الشَّيْبِ ظَهْرِي فَاسْتَمَرَّتْ عَزِيمَتِي وَلَوْلَا انْحِنَاءُ الْقَوْسِ لَمْ يَنْقُذِ السَّهْمُ
وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَرِ:

وَمَا يَنْتَقِصُ مِنْ شَبَابِ الرِّجَالِ يَزِدُّ فِي نَهَايَا، وَأَلْبَابِهَا. (٢)

وَهُنَا تَفْسِيرٌ ثَالِثٌ لِلْمَشْهَدِ: أَيُّ كُلِّ عَمَلٍ مَشْهُودٍ مِنْهُ يَفْقَدُ الْحَبْرَةَ
الْكَافِيَةَ بِمَا يَلْحَقُهُ مِنْ قَدَحٍ، أَوْ مَدْحٍ يَتَقَدَّمُهُ الْوَاجِدُ لَهَا، وَبِمَا أَنَّ الْغَلَامَ مِنْ
أَجْلَى مَظَاهِرِ الْفَقْدَانِ، وَالشَّيْخُ هُوَ الْوَاجِدُ لَهَا غَالِبًا، جَاءَ ذِكْرُهَا فِي
الْحَدِيثِ.

لَا يُقَالُ: إِنَّ بَعْضَ الْأَعْلَمَةِ أَعْلَى خَبْرَةٍ مِنْ بَعْضِ الشُّيُوخِ. فَإِنَّا نَقُولُ:
إِنَّ الْمَوْضُوعَ غَالِبِيَّ لَا كُلِّي مَظْرَدٍ؛ فَرَبُّ شَابٍ خَيْرٌ مِنْ شَيْخٍ. وَمِنْ ثَمَّ
يُرَادُ مِنْهَا الْجِنْسُ: أَيُّ بِطَبْعِهَا، وَإِلَّا فَلِلْمَثَلِ صُورٌ حَاصِلَةٌ بِمُقَايَسَةِ بَيْنِ
الشَّيْخِ وَالْغَلَامِ، تَشْبِيهًُ وَجْهًا إِلَى عَدَدٍ غَيْرِ مَقْصُودٍ بِهِ الْكَلَامُ؛ وَالْوَجْهُ فِيهِ مَا

(١) المجازات النبوية: ١٥٥.

(٢) بهج الصباغة: ٢٢٤/١٠ - ٢٢٨.

تقدّم من إرادة الجنس لا العدد. فتدبر.

إنّ الشيوخوخة والصّبا من الأدوار المارة على الإنسان، وقد تناول القرآن الكريم أكثرها، من كونه تراباً: وهو أولها، ثم نباتاً، ثم نطفة، ثم علقّة، ثم مضغة، ثم جنيناً، ثم رضيعاً، ثم طفلاً، فغلاماً، فراهقاً، ويافعاً، و باقلاً، وفتى، وشارخاً، وكهلاً، وشيخاً، ويَفَنّاً، وميتاً، وجنازة، وغيرها من أسماء؛ ذكر بعضها الثعالبي (١) وغيره.

ولولا ضيق المجال لجئنا عليها، وأثبتناها من الكتاب والسنة والكلمات، ولاستدعى ذلك إلى وضع كتابٍ خاصٍّ جامعٍ لجميعها بالأسر.

وقد عرفت مضرب التمثّل ممّا سلف من نقل الميداني وغيره وهل المراد به شخص معهود؟ الحق هو العموم.

مركز تحقيق الكتب النادرة

(١) فقه اللغة: ٨١ - ٨٢.

٥٢ - رَبِّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ

في كلام له عليه السلام:

«وَرَبِّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ، وَقَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ». (١) وفي

لفظ: «رَبِّ بَعِيدٍ هُوَ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ». (٢)

وهذا المثل موافق للمثل السائر: (رَبِّ بَعِيدٍ لَا يَفْقَدُ بَرَّهُ، وَقَرِيبٍ لَا يُؤْمِنُ شَرَّهُ). (٣) و (رَبِّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ)، يعني به: الصديق، فإنه رباً أرى في الشفقة على الأخ من الأب والأم. (٤) و (رَبِّ ابْنِ عَمٍّ لَيْسَ بِابْنِ عَمٍّ).

قال الميداني بعد المثل: هذا يحتمل معنيين: أحدهما: أن يكون شكاية من الأقارب: أي رب ابن عم لا ينصرك ولا ينفعك، فيكون كأنه ليس بابن عم.

والثاني: أن يريد: رب إنسان من الأجانب يهتم بشأنك، ويستحي

(١) التهج: ١١٣/١٦، الوصية: ٣١. البحار: ٢١٣/٧٧ و ٢٣٢.

(٢) البحار: ٢٨٩/٧٧. نهج السعادة: ٥٩/١.

(٣) مجمع الأمثال: ٣١٠/١، حرف الراء.

(٤) مجمع الأمثال: ٣٠٢/١.

من خذلانك، فهو ابن عمّ معنّى، وإن لم يكن ابن عمّ نسباً، ومثله في احتمال المعنيين قولهم: (ربّ أخ لك لم تلده أمّك). (١)

أقول: احتمال المعنيين آت في قوله عليه السّلام: «ربّ بعيد أقرب من قريب»، بأن يضرب مثلاً للشكاية عن الأقارب، أخ أو ابن عمّ أو غيرهما إذا لم ينفعوك، وأن يضرب مثلاً عن الأجانب المهتمّين بشأن الإنسان، فإنّهم أقرباء في المعنى، وإن لم يكونوا أقرباء نسباً. وهو معنى قوله عليه السّلام الآخر: «المودة قرابة مستفادة». (٢) و«المودة أشبك الأنساب». (٣) قال ابن أبي الحديد: وهذا معنى مطروق. قال الشاعر:

لعمرك ما يضرّك البعد يوماً إذا دنت القلوب من القلوب (٤)

جاءت الروايات والكلمات في القرب والبعد المعنويّين، والأمر بالأول، وإن لم يكن قريباً نسبياً، والتجّنب عن الثاني، وإن كان من الأقربين، وأن لا يوادّ من حادّ الله ورسوله وإن كان أباً أو أخاً، كما في آية: «لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم». (٥)

(١) مجمع الأمثال: ٣٠٦/١.

(٢) التّهج: ٣١/١٩، وحرف الميم مع الواو.

(٣) البحار: ٤٢١/٧٧.

(٤) شرح التّهج: ١١٨/١٦.

(٥) المجادلة: ٢٢.

ومن الروايات: العلوي: «والإخوان صنفان: إخوان الثقة، وإخوان
المكاشرة. فأما إخوان الثقة فهم الكف والجناح والأهل والمال». (١)
ومن الكلمات: الود أعطف من الرحم. عليك بالإخوان، فإنهم في
الرخاء زينة، وفي البلاء غدة. النفس بالصدق آنس منها بالعشيق،
وغزل المودة أرق من غزل الصباية. لقاء الإخوان مسلاة للهموم.
ومنها الإشارة إلى شروط المودة:

إن أخاك الصديق من لم يتخذك وإن رآك طالباً سعى معك
ومن إذا ريب الزمان صدك شئت فيك شمله ليجمعك (٢)

المودة التي لا أقرب منها هي المودة في الله عز وجل، وهي المعبر عنها
في الحديث بالحب في الله، (٣) وروح الله كما في قول المعصوم
عليه السلام: «إن من روح الله ثلاثة: التهجد بالليل، وإفطار
الصائم، ولقاء الإخوان» (٤).

(١) الوسائل: ٤٠٤/٨ - ٤٠٥.

(٢) التمثيل والمحاضرة: ٤٦١ - ٤٦٣.

(٣) الوسائل: ٤٣١/١١.

(٤) الوسائل: ٤٦٠/١٠.

٥٣ - رَبِّ قَوْلٍ أَنْفَذَ مِنْ صَوْلٍ

قوله عليه السلام:

«رَبِّ قَوْلٍ أَنْفَذَ مِنْ صَوْلٍ». (١)

من الكلمات القصار الحكيمية التي صارت من الأمثال السائرة بعد صدورها، وهذا المثل ذكره جمع، منهم المفصل، (٢) والميداني بعد إيراده بلفظ: (رَبِّ قَوْلٍ أَشَدَّ مِنْ صَوْلٍ)، و كذا الزمخشري (٣) قال: يضرب عند الكلام، يؤثر فيمن يواجه به.

قال أبو عبيد: وقد يضرب هذا المثل فيما يتق من العار. وقال أبو الهيثم: (أشَدَّ) في موضوع خفض؛ لأنه تابع للقول، وما جاء بعد (رَبِّ) فالتعت تابع له. (٤)

قال الشارح:

قد قيل هذا المعنى كثيراً، فنه قولهم:

(١) التهجد: ٣٥٩/١٩، ح ٤٠٢.

(٢) الفاخر: ٢٦٥.

(٣) المستقصى: ٩٨/٢.

(٤) مجمع الأمثال: ٢٩٠/١، حرف الراء.

• والقول ينفذ مالا تنفذ الإبر •

و من ذلك : القول لا تملك إذا نساء ، كالسهم لا تملكه إذا رمى

وقال الشاعر:

وقافية مثل حد السنا ن تبقى ويذهب من قالها
تخيرتها ثم أرسلتها ولم يطق الناس إرسالها
وقال محمود الوراق:

أتاني منك مالميس على مكروهه صبر
فأغضيت على عميد وكم يغضي الفتى الحر
وأدبتك بالهجر فما أدبك الهجر
ولا ردك عما كرا ن منك الصفح والبر
فلما اضطرني المكرو ه واشتد بي الأمر
تناولتك من شعري بما ليس له قدر
فحركت جناح الضر لما مستك الضر. (١)

وقد جاء في العلوي: «رب كلام كالحسام» (٢).

(١) شرح التهج: ٣٥٩/١٩.

(٢) غرر الحكم: ١٨٣، حرف الراء بلفظ (رب).

٥٤- رَبِّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ

قال الإمام أمير المؤمنين وإمام الهدى، أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.
في جواب كتاب معاوية:
«وما كنت لأعتذر من أني كنت أنقم عليه أحداثاً؛ فإن كان الذنب
إليه إرشادي وهدايي له؛ فربّ ملوم لا ذنب له،

• وقد يستفيد الظنّة المتّصح •

وما أردت إلاّ الإصلاح ما استطعت، وما توفيقى إلا بالله عليه
توكلت وإليه أنيب» (١).

هذا جزء من كلام له عليه السّلام بهذا الصّدّد، حيث اتّهم معاوية
الإمام عليه السّلام بالاشتراك في قتل عثمان، فأجاب عنه: بأنّي كنت
ناقماً عليه لأحداث ارتكبها، وليست هذه التّقمة شركة في قتل عثمان، بل
كانت هداية له وإرشاداً، فإن كنت يا معاوية تلومني على ذلك، «فربّ
ملوم لا ذنب له»،

وها أنا ذا ملوم بلا ذنب ركبتّه.

(١) التّهج: ١٥/١٨٣، ك ٢٨/٠٢٨

قال الزمخشري: (رب ملوم لا ذنب له) قال الأحنف لرجل ذمّ عنده
الكأمة مع السمن. قال:

(المقارب)

فلا تلم المرء في شأنه قرب ملوم ولم يذنب (١)

و (رب لائم مُلِيم)، (٢) وهو معاوية وأضرابه من قالة الباطل. قيل:
قال: (رب ملوم لا ذنب له)، هو أكرم بن صيفي، يقول: قد ظهر للناس
منه أمر أنكره عليه، وهم لا يعرفون حجته وعذره، فهو يلام عليه،
وذكروا: أن رجلاً في مجلس الأحنف بن قيس قال: ليس شيء أبغض
إليّ من التمر والزبد. فقال الأحنف: (رب ملوم لا ذنب له). (٣) تقدّم
انتماء المثل إلى الأحنف من صاحب المستقصى.
ثم الملامة أشد مراتب العتاب وهي تخطئ وتصيب.

(١) المستقصى: ٩٩/٢.

(٢) المستقصى: ٩٨/٢.

(٣) مجمع الأمثال: ٣٠٥/١، حرف الزاء.

وقد روى المثل العلوي الشيخ المجلسي - طاب ثراه - في البحار: ١٣/٧٨.

٥٥- رجع الحق إلى أهله

«لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم - من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً. هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة. الآن إذ رجع الحق إلى أهله، ونقل إلى منتقله». (١)



هذا فصل من فصول خطبة له عليه السلام بعد انصرافه من صفين. وفي معنى المثل المذكور ما جاء من أمثال العرب: (عاد السهم إلى التزعة): أي رجع الحق إلى أهله، والتزعة: الرماة من (نَزَعَ في قوسه): أي رمى، فإذا قالوا: (عاد الرمي على التزعة) كان المعنى: عاد عاقبة الظلم على الظالم، ويكتفى بها عن الهزيمة تقع على القوم. (٢) ومنها: (عاد الأمر إلى نصابه)، يضرب في الأمر يتولاه أربابه. (٣)

(١) التهج: ١٣١/١ - ١٣٩، ط ٢.

(٢) مجمع الأمثال: ١٨/٢، حرف العين.

(٣) المصدر: ٣٥/٢.

يريد عليه السلام بذلك: رجوع الخلافة بعد اغتصابها إليه أيام خلافته. وتأول الكلام المعتزلي بما يأباه العقل والنقل، قال: وهذا يقتضي أن يكون فيما قبل في غير أهله. ونحن نتأول ذلك على غير ما تذكره الإمامية.

ونقول: إنه عليه السلام كان أولى بالأمر وأحق، لا على وجه النص على الخلافة، بل على وجه الأفضلية... لكنه ترك حقه لما علمه من المصلحة... (١)

ليتني دريت ما حمل المعتزلي على سحق عقله، حتى يتناقض في القول! إن كان عليه السلام كما يقول: إنه أحق بالخلافة من جميع المسلمين بحكم العقل، وإنه أفضل البشر، فكيف يُهمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النص عليه حتى يختاروا من هو أدنى؟ وهل هذا إلا تغريراً منفيّاً عنه صلى الله عليه وآله وسلم؟ وهل يشك عربي في معنى «رجع الحق إلى أهله»: أن من قبله غير أهل له؟

والكلام المتقدم ينص على انحصار الوصاية والوراثة، وهي الخلافة المنصوصة.

قال المعتزلي: ولسنا نعني بالوصية: النص على الخلافة، ولكن أمور أخرى. (٢) نعم أمور أخرى حملتك على ذلك والحديث ذوشجون.

(١) شرح التهجد: ١/١٤٠.

(٢) المصدر.

٥٦- ردّوا الحجر من حيث جاء

قال عليه السّلام:

«ردّوا الحجر من حيث جاء، فإنّ الشّرّ لا يدفعه إلّا الشّرّ». (١)

قال الشّارح:

هذا مثل قولهم في المثل: (إنّ الحديد بالحديد يفلح). (٢) وقال عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلنّ أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقال الفند الزّماني:

فلما صرّح الشّرّ	فأمسى وهو عريان
ولم يبق سوى العدو	ن دناهم كما دانوا
وبعض الحلم عند	الجهل للذّلة إذعان
وفي الشّرّ نجاة حين	لا ينجيك إحسان

(١) التّهج: ٢٢١/١٩، ح ٣٢٠. ٣١٤.

(٢) مجمع الأمثال: ١١/١، حرف الهمزة.

وقال الأحنف:

وذى ضغنٍ أمت القول عنه بحلمي فاستمرّ على المقال
ومن يحلم وليس له سفيهٌ يلاق العضلات من الرجال (١)

قال الميداني: (ردّ الحجر من حيث جاءك): أي لا تقبل الضيم،
وارم من رماك. (٢)

ومن أمثال متناسبة: (الشرّ بالشرّ ملحق) (٣)، (والشرّ للشرّ خُلِق) (٤)
وقد جاء في صادقّي: «إنّ اللّغنه إذا خرجت من في صاحبها ترددت،
فإن وجدت مساعاً وإلا رجعت على صاحبها». (٥)

والغرض من ردّ الحجر منع تجاوز الظالم الغاشم، برّد ظلمه إليه؛ فإنّ
الظلم شرّ، وشرّ منه صاحبه: أي الظالم، وانظر نظير المثل. (٦) فإذا
لم يردّ على المتجاوز تجاوزه ازداد تجاوزاً، وإذا عُوْمِلَ بمثل ما صنع ارتدّع،
فصبر المظلوم زيادة في ظلم الظالم، ولا ينافيه ما جاء في الصبر، فإنّ ذلك
فيما لم يمكن ردّ الظلم. وحمل الحجر على معناه الظاهري لا يمنع من معناه
المثلي من ردّ ظلم الظالم إليه.

(١) شرح التهج: ٢٢١/١٩.

(٢) مجمع الأمثال: ٣٠٦/١، حرف الرّاء.

(٣) التهج: ٤١/١٨.

(٤) مجمع الأمثال: ٣٦٦/١، حرف الشّين.

(٥) السّفيه: ٥١٢/١، في (لعن).

(٦) وهو: «فاعل الخير خير منه...» رقم المثل: ٩٢ حرف الفاء مع الألف.

٥٧- ركب الجهل مراكبه

كلمة تمثيلية من تمثيلات الإمام عليه السلام من خطبة في الملاحم:

«... فعند ذلك أخذ الباطل مأخذه، وركب الجهل مراكبه...» (١).



مركز تحقيق التراث

بحسبنا عن عدة تمثيلات في الخطبة، منها: «صالح الدهر صيال السبع العقور»، و«ليصدق الرائد أهله»، و«خلق لكم الأمر خلق الخرزة». (٢) وغيرها المذكور منها في هذه الخطبة.

(ركب ومراكب) من الركب: الرء والكاف والباء. أصل منقاس، وهو علو شيء شيئاً. يقال: ركب ركوباً يركب، والركاب: المطي واحدتها راحلة. (ماله ركوبة ولا حمولة): أي ما يركبه، ويحمل

(١) التهج: ١٩١/٧، الخطبة: ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨.
(٢) حرف الصاد مع الألف، واللام مع الياء، والخاء مع اللام.

عليه. (١) والمراكب جمع المركب البحري والبري والجوي، يختلف المراد منه حسب المقام.

والجهل يقابله العلم تارة، والعقل أخرى. وجاء في القرآن الكريم، من الأول قوله تعالى: «قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون». (٢) ومن الثاني يشير قوله عز وجل: «وتلك الأمثل نضربها للناس وما يعقلها إلا العليمون». (٣)

أما الروايات فحدث ولا حرج: «من قال: أنا عالمٌ فهو جاهل» و«لا فقر أشد من الجهل، ولا غم أشد من عدم العقل»: (٤) ويكفيك ما جاء من حديث جنود العقل والجهل. (٥) وما سئل عليه السلام عن وصف العاقل، قال: «الذي يضع الشيء موضعه، وسئل عن الجاهل، فقال عليه السلام: أجبت». (٦) والشعر المنسوب إليه:

«والجاهلون لأهل العلم أعداء». (٧)

-
- (١) مقاييس اللغة: في (ركب). قوله: راحلة إشارة إلى ما قبل: الركاب: الإبل، واحدها راحلة، ولا واحد لها من لفظها. شرح التهج: ٤٧/٧.
- (٢) يوسف: ٨٩.
- (٣) العنكبوت: ٤٣.
- (٤) الحديث موجود في البحار: ٨٨/١.
- (٥) البحار: ١٥٨/١ - ١٥٩.
- (٦) التهج: ٦٦/١٩، الحكمة: ٢٣٢.
- (٧) الديوان: ٧.

وغير ذلك والسّرفيه أنّ الإنسان مهما بلغ من العلم ما لم يتعقله، ولم يعمل على طبقه فهو جاهل؛ لأنّ العلم سلّم العمل، فلو لم يكن عملٌ، كان السّلم عبثاً، لا يصنعه إلاّ الجاهل.

ثمّ قوله عليه السّلام: «ركب الجهل مراكبه» إشارة إلى انغمار الناس في ذلك الزّمان في الجهل، وأنّ أعمالهم وأقوالهم ومايزاولونه -مهما كان نوعها- بعيدة عن الصّواب، وفاقدة الحقيقة والحقّ المنشود، وليس فيها من نور، وكيف لا؟ والعلم مخزون عند أهله، وهم الأنبياء وأوصياؤهم عليهم السّلام، ولم يحصل إلاّ بالسّؤال عنهم والتّعلّم منهم.

قال أبو جعفر عليه السّلام لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة: «شَرِّقا وغَرِّبا، فلا تجدان علماً صحيحاً إلاّ شيئاً خرج من عندنا أهل البيت». (١)

فإذا لم يبق من القرآن إلّا رسمه، ولا من الإسلام في ذلك الزّمان إلّا اسمه، فمن أين يكون العلم؟ فلا محالة يركب الجهل مراكبه بشتّى أنواع الرّكوب، وفي كلّ مكان تجده حاضراً، إذا غار العلم وفاض الجهل إلى الله تعالى المُشْتَكى.

(١) أصول الكافي: ٣٩٩/١.

٥٨- ركبنا أعجاز الإبل

والأصل فيه قوله عليه السلام:

«لنا حق، فإن أعطيناه وإلا ركبنا أعجاز الإبل، وإن طال السُّرى».

قال الرضّي رحمه الله تعالى: وهذا القول من لطيف الكلام وفصيحه، ومعناه: أنا إن لم نُعط حقنا كنا أذلاء، وذلك أن الرديف يركب عجز البعير، كالعبد والأسير، ومن يجري مجراهما. (١)

قال بعض الشراح: له تفسيران: *في تحقيق كوكب الزهر*

أحدهما: أنَّ راكب عجز البعير يلحقه مشقةٌ وضررٌ. فأراد: أنا إذا منعنا حقنا صبرنا على المشقة والمضرة، كما يصبر راكب عجز البعير. وهذا التفسير قريب مما فسر الرضى.

والوجه الثاني: أنَّ راكب عجز البعير إنما يكون إذا كان غيره قد ركب على ظهر البعير، وراكب ظهر البعير متقدم على راكب عجز البعير. فأراد: أنا إذا منعنا حقنا تأخرنا وتقدم غيرنا علينا، فكُنَّا كالرَّاكِبِ

(١) الشَّج: ١٨/١٣٢، ح ٢٢.

رديفاً لغيره.

وأكد المعنى على كلا التفسيرين بقوله: «وإن طال السُّرى»؛ لأنه إذا طال السُّرى كانت المشقة على راكب البعير أعظم، وكان الصبر على تأخر راكب عجز البعير عن الراكب على ظهره أشد وأصعب... قاله يوم الشورى. (١)

وقال آخر: علي رضي الله تعالى عنه - عليه السلام - قال يوم الشورى: لنا حقٌّ إن نعطه نأخذه، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل وإن طال السُّرى. هذا مثلٌ لركوبه الدّل والمشقة وصبره عليه وإن تطاول ذلك، وأصله أن الراكب إذا اعرورى البعير ركب عجزه من أصل السنام، فلا يطمئن ويحتمل المشقة. وأراد بركوب أعجاز الإبل: كونه رديفاً تابعاً، وأنه يصبر على ذلك وإن تطاول به. ويجوز أن يريد: وإن نمنعه نبذل الجهد في طلبه، ففعل من يضرب في ابتغاء طلبته أكباد الإبل، ولا يبالي باحتمال طول السرى. (٢) وهكذا غيرهما من الجمهور قد خصصوا كلامه عليه السلام بيوم الشورى بعد وفاة عمر واجتماع الجماعة لاختيار واحد من الستة.

وليت شعري لِمَ خصَّصوه بذلك! وهل كان منع القوم الإمام عليه السلام من حق الخلافة من بعد عمر! وكان له ولصاحبه الحق ما ليس له عليه السلام منه نصيب! أو خصَّصها الله ورسوله به دونه! أو أنه خاص به، تقمصه القوم؟! اختر ما شئت.

(١) التهج: ١٣٢/١٨ - ١٣٣، الحكمة ٢٢. (٢) الفائق: ٣٩٧/٢ - ٣٩٨.

٥٩- رمى بأفوق ناصِل

مثل سائر ضربه عليه السّلام في خطبة له، منها:
«أَيُّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ! وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تَقَاتِلُونَ! الْمَغْرُورُ
وَاللَّهُ مِنْ غَرَرْتُمُوهُ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَاللَّهُ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ (١)، وَمَنْ
رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفُوقٍ نَاصِلٍ». (٢)

ورواه الشيخ المجلسي، (٣) وَجَمَعَ مِنْ الْجُمْهُورِ، مِنْهُمْ ابْنُ الْأَثِيرِ
قَالَ: وَمِنْهُ حَدِيثٌ عَلِيٍّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -:
«وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفُوقٍ نَاصِلٍ»: أَيُّ رَمَى بِسَهْمٍ مِنْكَسِرٍ الْفَوْقَ،
لَا نَصْلَ فِيهِ. (٤) وَالْمِيدَانِي فِي مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ بِلَفْظٍ: (رَجَعَ بِأَفُوقٍ نَاصِلٍ)،
وَقَالَ: النَّاصِلُ: السَّهْمُ سَقَطَ نَصْلُهُ، وَالْأَفُوقُ: الَّذِي انْكَسَرَ فَوْقَهُ. يَضْرِبُ
لِمَنْ رَجَعَ عَنْ مَقْصَدِهِ بِالْخِيبةِ، أَوْ بِمَالِ غَنَاءٍ عِنْدَهُ. (٥)

(١) اطلبه من حرف الفاء مع الألف.

(٢) التهذيب: ١١١/٢، الخطبة: ٢٩.

(٣) البحار: ٣٤٠/٧٧.

(٤) النهاية: ٤٨٠/٣، في (فوق).

(٥) المجمع: ٢٩٥/١، حرف الراء.

وفي هامش البحار، الأفوق من السهام: المكسور الفوق. والفوق: موضع الوتر من السهم. والتاصل: العاري عن التصل. ولا يخفى طيش السهم الذي لافوق له ولا نصل؛ فإنه لا يكاد يتجاوز عن القوس: أي مَنْ رَمَى بِهِمْ فَكَانُوا رَمَى بِهِمْ لَا يَثْبِتُ فِي الْوَتَرِ حَتَّى يَرْمِي، وَإِنْ مَنْ رَمَى بِهِ لَمْ يَصِبْ مَقْتَلًا إِذْ لَا نَصْلَ لَهُ. (١)

قوله عليه السلام: «أَيُّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ!» لَقَدْ كُتِبَتْ الدَّلَّةُ وَالْعَارُ عَلَى قَوْمٍ غَزَوْا فِي عُقْرِ دَارِهِمْ. وَكَذَلِكَ قَوْمُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ أَنَّ قِصَّةَ الضَّحَّاكِ، دَعَتْ الْإِمَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَنْ يَخْطُبَ هَذِهِ الْخُطْبَةَ الْمَلِيَّةَ بِالشَّكْوَى، وَكَانَتْ غَارَةُ الضَّحَّاكِ بَعْدَ الْحَكَمِينَ وَقَبْلَ قِتَالِ التَّهْرَوَانِ، حَيْثُ حَثَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْجَيْشَ عَلَى قِتَالِ مُعَاوِيَةَ، وَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ هَالَهُ، فَصَاحَ إِنَّ عَلِيًّا قَدْ سَارَ إِلَيْكُمْ، وَدَعَا مُعَاوِيَةَ الضَّحَّاكِ، وَقَالَ لَهُ: سِرْ حَتَّى تَمْرُبَهُ بِنَاحِيَةِ الْكُوفَةِ، فَمَنْ وَجَدْتَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ فِي طَاعَةِ عَلِيٍّ، فَأَغِرْ عَلَيْهِ، وَإِنْ وَجَدْتَهُ لَهْ مُسْلِحَةً أَوْ خَيْلاً فَأَغِرْ عَلَيْهَا، فَأَقْبَلَ الضَّحَّاكُ، فَتَهَبَ الْأَمْوَالَ، وَقَتَلَ مَنْ لَقِيَ مِنَ الْأَعْرَابِ - إِلَى آخِرِهِ..

وقال الشيخ الكليني رحمه الله: استصرخ أمير المؤمنين عليه السلام الناس عقيب غارة الضحَّاك على أطراف أعماله، فتقاعدوا عنه فخطبهم فقال: «مَا عَزَزْتُ دَعْوَةَ مَنْ دَعَاكُمْ، وَلَا اسْتَرَاخَ قَلْبَ مَنْ قَاسَاكُمْ». (٢)

(١) هامش البحار: ٣٤٠/٧٧.

(٢) شرح التهجد: ١١٣/٢ - ١١٧.

من فقرات الخطبة المذكورة فيها الكلمة التمثيلية، ومن ذلك تعرف الشكوى العلوية بادية الملامح عليها، وهي كلمة لايقولها إلا من ابتلى بقوم لا يستطيع وفاقهم ولا فراقهم، فإن وافقهم ضلّ، وإن فارقهم زلّ، ولعمر الحقّ أنّه المصيبة من مثل أمير المؤمنين الحجّة البالغة الربانيّة أن يبتلى بأصحاب لا يليقون به.

قوله عليه السلام: «ومع أيّ إمام بعدي تقاتلون!» نظير قوله تعالى: «فبأيّ حديث بعد الله وعائيّه يؤمنون». (١) يقال ذلك: لغير المؤمن بالحقّ الجاحد له قلباً.

وقوله عليه السلام: «المغرور والله من غررتموه»، القسم فيه لتهويل ما يزاولونه من التمرّد على إمامهم وعصيانهم، والكلام مسوق للشكوى، كما ذكرنا ذلك عند المثل: (٢) «فاز... بالسهم الأخيب».

من سائر خطبه الدالة على بلوغ انضجاره عليه السلام الغاية من صنع أصحابه، ومن ذلك قوله عليه السلام في ذمهم:

«لَوَدِدْتُ وَاللّٰهُ أَنَّ مَعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرَفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشْرَةً مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلًا مِنْهُمْ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ!! مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَائْتَيْنِ: صَمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ، وَبُكْمٌ ذَوُو كَلَامٍ، وَغُمٌّ ذَوُو أَبْصَارٍ لَا أَحْرَارَ صَدَقَ عِنْدَ اللَّقَاءِ، وَلَا إِخْوَانَ ثَقِيَ عِنْدَ الْبَلَاءِ». (٣)

(١) الجائية: ٦

(٣) التهج: ٧/ ٧٠-٧١ الخطبة: ٩٦.

(٢) حرف الفاء مع الألف.

يدلّ على حقيقة الأمر، علمه بالحقائق وجهلهم بها.





٦٠- زرعوا الفجور... وحصدوا الثبور

من خطبة مطوّلة له عليه السّلام، ومنها في المنافقين:
«زرعوا الفجور وسقوه الغرور، وحصدوا الثبور». (١)

قال المعتزليّ: جعل مافعلوه من القبيح بمنزلة زرع زرعه ثمّ سقوه، فالذي زرعه الفجور، ثمّ سقوه بالغرور، والاستعاره واقعة موقعها؛ لأنّ تماذيتهم وما سكنت إليه نفوسهم من الإمهال، هو الذي أوجب استمرارهم على القبائح التي واقعوها، فكان ذلك كما يسقى الزرع ويربّي بالسّماء ويستحفظ.

ثمّ قال: «وحصدوا الثبور»: أي كانت نتيجة ذلك الزرع والسقي حصاد ما هو الهلاك والعطب. وإشارته هذه ليست إلى المنافقين، كما ذكره الرضّي رحمه الله، وإنّما هي إشارة إلى من تغلب عليه، وجحد حقّه كعماوية وغيره. ولعلّ الرضّي رحمه الله تعالى عرف ذلك وكنتى عنه. (٢)

(١) التّهج: ١/١٣٨، الخطبة: ٢.

(٢) شرح التّهج: ١/١٣٩.

نعم إنها معاوية رأس المنافقين، فكلمة المنافقين شاملة له ولغيره من الرؤساء، والملوك عموم لفظ الإمام عليه السلام، المنطبق على كل من كانت صفته ذلك، ثم الكلام صالح للمثل إن لم يكن نفسه. ونظيره المثل النبوي السائر: «مَنْ يَزْرِعْ خَيْراً يَحْصِدْ رَغْبَةً، وَمَنْ يَزْرِعْ شَرّاً يَحْصِدْ نَدَامَةً». (١)

ذكرناه في كتاب (الأمثال النبوية) وقلنا: يصححه صحيح أبي بصير قال:

«دخل رجلان على أبي عبد الله عليه السلام في مداواة بينهما ومعاملة، فلما أن سمع كلامهما قال: أما أنه ما ظفر أحدٌ بخيرٍ من ظفر بظلم، أما أن المظلوم يأخذ من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من مال المظلوم. ثم قال: مَنْ يَفْعَلِ الشَّرَّ بِالنَّاسِ فَلَا يَنْكُرُ الشَّرَّ إِذَا فُعِلَ بِهِ، أما أنه إنها يحصد ابن آدم ما يزرع، وليس يحصد أحدٌ مِنَ الْمَرْحُلُوا، ولا مِنَ الْخُلُومُرَا، فاصطلح الرجلان قبل أن يقوما». (٢)

مثل الصادق عليه السلام قد حوى طرفي المثل السائر: الخير والشر. ومن أمثال العرب: (أعجز من جاني العنب من الشوك) هذا أيضاً من قول الشاعر:

إذا وترت امرأً فاحذر عداوته من يزرع الشوك لا يحصد به عنباً

(١) البحار: ٧٧/٧٨.

(٢) الأمثال النبوية: ٢/٢٩٣، الرقم: ٥٨٧، حرف الميم مع التون.

قال حمزة: وهذا الشاعر أخذ هذا المَثَل من حكيم من حكماء العرب من قوله: (مَنْ يَزْرِعْ خَيْراً يَحْصِدْ غَبْطَةً، وَمَنْ يَزْرِعْ شَرّاً يَحْصِدْ نَدَامَةً، وَلَنْ يَجْتَنِيَ مِنْ شَوْكَةِ عِنَبَةٍ). (١) المَثَل هو المَثَل النبوي، ولعلّ الحكيم يريد به النبي صلى الله وآله وسلم. وكيف كان، أنّ زارع الفجور المستقي بماء الغرور لا يحصد سوى الثبور والويل والهلاك .



(١) مجمع الأمثال: ٥٣/٢.



٦١- سروح عاهية بوادٍ وعثٍ

أحد الأمثال التي ضربها في وصيته لابنه الحسن عليها السلام، قال فيها:

«وإياك أن تغترّ بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها، وتكال بهم عليها، فقد نبأك الله عنها، ونعتت لك نفسها، وتكشفت لك عن مساوئها؛ فإنها أهلها كلاب عاوية وسباع ضارية، يهرّ بعضها على بعض، ويأكل عزيزها ذليلها، ويقهر كبيرها صغيرها. نعم معقّلة، وأخرى مهملة، قد أضلت عقولها، وركبت مجهولها. سروح عاهية بوادٍ وعثٍ، ليس لها راع يقيمها، ولا مُسيم يُسيمها...» (١).

وهي وصية مطوّلة، أخذنا منها ما يربط المثل الجاري.

قال الشارح: ثلاثة أمثال محرّكة لمن عنده استعداد. استقرّاني أبو الفرج محمد بن عباد رحمه الله - وأنا يومئذٍ حدّث - هذه الوصية، فقرأتها عليه من حفظي، فلما وصلتُ إلى هذا الموضع صاح صيحةً شديدةً وسقط، وكان جباراً قاسي القلب.

(١) التهج: ٨٩/١٦ - ٩٠، الوصية: ٣١.

٢٥

(سروح عاهية) السروح، جمع سَرَح: وهو المال السَّارح. والعاهية: الآفة. و(وَادٍ وَغَثٍ): لا يثبت الحافر والخف فيه، بل يغيب فيه ويشق على من يمشي فيه. (١) أو السروح: الأغنام. يقول عليه السلام: أهل الدنيا كلابٌ عاويةٌ، وسباعٌ جائعةٌ، يتناهشون على جيفٍ، أو أغنامٌ سائمةٌ ترعى، ومعقلةٌ متحيرةٌ في أودية لا يثبت فيها خف ولا حافر، لاراعي يرعاها، وقد اعتورتها الآفات من كل جوانبها.

برزت في كلامه عليه السلام حقائق أهل الدنيا وبواطن ما زالت الأيَّام تخفيها، وسوف يحشر الناس على ما هم فيه من صفات الحيوانات، كما جاء في تفسير «وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ». (٢) يأتون يوم القيامة على صور ما كانوا يزاولون من صفات الكلاب والسباع وغيرها.

مركز تحقيقات كميته بر علوم اسلامی

(١) شرح التهج: ٩٠/١٦ - ٩١.

(٢) التكويرة: ٥.

٦٢- السَّعِيد مَنْ وُعِظَ بغيره

من خطبة له عليه السَّلام، قال فيها:

«السَّعِيد مَنْ وُعِظَ بغيره، والشَّقِي مَنْ انخدع لهواه وغروره». (١)

قال ابن أبي الحديد: قوله: «السَّعِيد...» مَثَلٌ من الأمثال النبوية. (٢)
ونحن ذكرناه في كتابنا (الأمثال النبوية) (٣) ولكن لم يمنع كونه
مثلاً علوياً أيضاً، وفي الحكم المنسوبة إليه عليه السَّلام بلفظ: «السَّعِيد
من وُعِظَ بغيره، والشَّقِي مَنْ اتَّعَظَ به غيره». (٤) وذكره الشيخ
المحمودي في باب كتبه وخطبه. (٥) وهو من المَثَل السَّائر.
قال الميداني: «السَّعِيد مَنْ وُعِظَ بغيره»: أي ذوالجلد من اعتبر بما لحق
غيره من المكروه، فيجتنب الوقوع في مثله.

(١) التَّهَجُّج: ٣٥٣/٦، ط: ٨٥، البحار: ٢٩١/٧٧ و٢٩٣.

(٢) شرح التَّهَجُّج: ٣٥٦/٦.

(٣) ج: ٤٦٧/١، رقم المَثَل ٢٩٨، حرف السين مع العين.

(٤) التَّهَجُّج: ٢٨٩/٢٠، الرِّقْم: ٣٠٣.

(٥) نهج السَّعادة: ١، باب الكتب: ٢٥٢ و٢٧٦، وج: ١، باب الخطب: ٦٢، وج:

قيل: إنَّ أول من قال ذلك مرثد بن سعد، وقد عاد الذين بعثوا إلى مكة يستسقون لهم فلما رأى ما في السحابة التي رفعت لهم البحر من العذاب أسلم مرثد، وكنتم أصحابه إسلامه، ثم أقبل عليهم، فقال: مالكم حيارى كأنكم سكارى؟ إنَّ السعيد من وعظ بغيره، ومن لم يعتبر الذي بنفسه يلقي نكال غيره. فذهبت من قوله أمثالاً. (١)

وقال العسكري: (قولهم: السعيد من وعظ بغيره) من قول الحرث ابن كلدة:

إنَّ اختيارك لأعن خبرة سلفت	إلا الرجاء وقد ما يخطيء البصر
كالمستغيث ببطن السيل يحسبه	حرراً يبادره إذ بله المطر
فقد رأيت بعبد الله واعظة	تنهى الحليم فما أنساني الغرر
إنَّ السعيد له في غيره عظة	وفي الحوادث تحكيم ومعتبر
لا أعرفتُك إن أرسلت قافية	تلقي المعاذير إن لم تنفع العذر (٢)

لم يأت اسم السعيد والشقي في القرآن الكريم إلا في موضوع جامع، وهو قوله تعالى: «يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد». (٣) وموضع تفريق: «فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق»

(١) مجمع الأمثال: ٣٤٣/١، حرف السين.

(٢) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ٣٣٠/١.

(٣) هود: ١٠٥.

خلدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد. وأما الذين سعادوا في الجنة خلدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ». (١)

وقوع الاستثناء في الأشقياء المعلق على المشيئة المشتركة مفهوم من قوله تعالى: «فعال لما يريد»، وأما السعداء فلم يخرجهم الاستثناء؛ لقوله تعالى: «عطاء غير مجذوذ» الدال على عدم انقطاع النعيم عنهم، وإنما التعليق على المشيئة؛ لبيان القدرة فقط لا الوقوع، فافهم، والخارج من الأشقياء طائفة مذنبون من أهل التوحيد من النار بالشفاعة. (٢)

والشقي: المخالف لآل محمد عليهم السلام، والمطيع: هو السعيد؛ لأن الخلاف عليهم الخلاف على الله والرسول، وإطاعتهم إطاعتها، كما جاء ذلك في زيارة المهدي عجل الله فرجه الشريف المبدوعة بـ «سلام على آل يس»، «شقي من خالفكم، وسعيد من أطاعكم». (٣)

وفي السعادة والشقاوة أبحاث كلامية، تأتي في محلها إن شاء الله تعالى (٤) والغرض هنا الإشارة.

(١) هود: ١٠٦-١٠٨.

(٢) تفسير الميزان: ٤٠/١١.

(٣) مفاتيح الجنان: ٥٢٤.

(٤) انظر الشقي في حرف الشين، مع القاف، رقم المثل: ٧١.

٦٣- سَلُّ عَنْ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنْ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ

فِي الْوَصِيَّةِ لِابْنِهِ الْحَسَنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

«سَلُّ عَنْ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنْ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ». (١)

قال المعتزلي: وقد رُوي هذا الكلام مرفوعاً، وفي المَثَل: (جار السوء كلب هارش، وأفعى ناهش). وفي المَثَل: (الرفيق: إما رحيق أو حريق). (٢)

يريد بالرواية: التَّبَوُّي: «الجار ثم الدار، الرفيق ثم الطريق». (٣) فهو مثل سائر نبويّ وعلويّ. قال الميداني: وكلاهما يروى عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

قال أبو عبيد: كان بعض فقهاء أهل الشام يحدث بهذا الحديث، ويقول: معناه: إذا أردت شراء دارٍ فَسَلِّ عَنْ جوارها قبل شرائها. (٤)

(١) التَّهْج: ١١٣/١٦، الوصية، ٣١.

(٢) شرح التَّهْج: ١٢١/١٦.

(٣) الأمثال النبوية: ٣٣٦/١. رَقِيع المَثَل: ٢١٧، حرف الجيم مع الألف.

(٤) مجمع الأمثال: ١٧٢/١.

ويحتمل الإيحاء بالجارب أن لا يجوع وتشبع، وتشرب ويظمأ، وتكسى
 ويعرى، وكل ما أنت فيه من سرور وحبور يفقده؛ ففي نبوي: «من كان
 يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره». (١)
 وآخر: «والذي نفسي بيده لا يسلم العبد حتى يسلم قلبه ولسانه،
 ويأمن جاره بوائقه؛ قالوا: وما بوائقه؟ قال: غشمه، وظلمه». (٢) وقال
 لقمان: «يا بني! حملت الحجارة والحديد، فلم أر شيئاً أثقل من
 جار السوء». وأنشدوا:

ألا من يشتري داراً برخصي كراهة بعض جيرانها تباع (٣)

وعند المثل النبوي بعد قوله تعالى: «وبالولدين إحساناً وبذي القربى
 واليتامى والمساكين والجار ذي القربى» (٤) قسمنا الجار إلى قريب الدار أو بعيدها، وهما: إما قريب،
 أو أجنبي؛ فالجار الرحم قريباً أو بعيداً داخل في «والجار ذي
 القربى»، والأجنبي القريب والبعيد في «والجار الجنب»، «والصاحب
 بالجنب» هو الذي يصحبك في السفر جنباً إلى جنب. (٥)

(١) شرح التهج: ٨/١٧.

(٢) شرح التهج: ٨/١٧.

(٣) المصدر.

(٤) النساء: ٣٦.

(٥) الأمثال النبوية: ٣٣٧/١، رقم المثل: ٢١٧.

وفي وصيته عليه السلام لما ضربه ابن ملجم: «... والله الله في جيرانكم؛ فإنهم وصية نبيكم مازال يؤصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم». (١)

قال المعتزلي: وكان يقال: الجيران خمسة: الجار الضار السيئ الجوار، والجار الدّمس الحسن الجوار، والجار اليربوعي المنافق، والجار البراقشي المتلون في أفعاله، والجار الحسدلي الذي عينه تراك، وقلبه يرعاك. (٢)

الدّمس (بالسين): الشدة وفي بعض النسخ: (الجار الدّمث): أي لئّن الخلق، وسهله. وهو أنسب. ومن أدب الجوار الصبر على الأذى فضلاً عن الأذى؛ ليس حسن الجوار كقت الأذى، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى (٣).

مركز تحقيقات كويتية للدراسات الإسلامية

(١) التهج: ٥/١٧، الوصية: ٤٧.

(٢) شرح التهج: ١١/١٧.

ولا يخفى أنّ كلمة: (الحسدلي) نسبة إلى الحسد؛ وهو القراد، هامش شرح التهج

للمعتزلي: ١٧، ص: ١١.

(٣) شرح التهج: ٩/١٧.

٦٤ سير عَف بهم الزَّمان

من كلام له عليه السلام لما أظفره الله بأصحاب الجمل، وقد قال له بعض أصحابه: وددتُ أن أخِي فلاناً كان شاهداً ليرى ما نصرك الله به على أعدائك، فقال عليه السلام:

«أَهْوَى أَخِيكَ معنا؟ فقال: نعم، قال: فقد شَهِدْنَا، ولقد شَهِدْنَا في عسكرنا هذا قومٌ في أصْلاب الرِّجال، وأرحام النِّساء، سير عَف بهم الزَّمان، ويقوى بهم الإيمان» (١).

إن لم يكن الكلام من التَّمثُّل في شيءٍ، فإنَّه من باب التَّمثُّل بالضميم؛ لما استعرفه بعد قليل. رَعَف الرَّجُل، من بابي (قتل، ونفع): إذا خرج الدَّم من أنفه. (٢) ويدل على سبق وتقدُّم، فرس راعف: سابق متقدِّم. قال الأعشى:

به ترعُفُ الألفُ إذا أُرْسِلَتْ غداة الصُّباح إذا التَّقَع ثارا. (٣)

قال المعتزلي: يرعَف بهم الزَّمان: يوجد هم ويخرجهم، كما يرعَف

(١) التَّهْج: ٢٤٧/١، كلام ١٢ قال الميداني: (عذاب رَعَف به الدهر عليه)، يقال: رَعَف الفرس يرعُف ويرعُف: إذا تقدَّم. يضرب لمن استقبله الدهر بشراً شمر: أي شديد. مجمع الأمثال: ٣٤/٢، حرف العين.

(٢) مجمع البحرين: في (رَعَف). (٣) مقاييس اللغة: في (رَعَف).

الإنسان بالدم الذي يخرج من أنفه، قال الشاعر:

وما رعى الزمان بمثل عمرو ولا تلد النساء له ضرباً. (١)

تمثيل بما يأتي الدم من الأنف من غير انتظار وحسبان، وهو المعبر بالرعاف، وكرر في الحديث، ففي علوي: «لا يقطع الصلاة الرعاف ولا التيء ولا الأثر». (٢)

وصحيح الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «سألت عن رجل رعى، فلم يرق رعافه، حتى دخل وقت الصلاة، قال: يحشو أنفه بشيء ثم يصلي». (٣)

قال الخطيب، نقلاً عن البرقي: «لما قتل أمير المؤمنين عليه السلام الخوارج يوم النهروان، قام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين! طوبى لنا إذ شهدنا معك هذا الموقف، وقتلنا معك هؤلاء الخوارج، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد شهدنا في هذا الموقف أناس لم يخلق آبائهم ولا أجدادهم بعد، فقال الرجل: وكيف شهدنا قوم لم يخلقوا؟ قال: بلى، قوم يكونون في آخر الزمان، يشركوننا فيما نحن فيه، وهم يسلمون لنا، فأولئك شركاؤنا فيما نحن فيه حقاً حقاً». و مصدر الشريف غير هذه الرواية، وتعدد القضية ممكن، واتحادها ممكن... «فلكل أمرئ مانوى» و «الأعمال بالنيات» و «من أحب

(١) شرح التهذيب: ٢٤٧/١.

(٢) الوسائل: ١٢٤٨/٤. والأثر: الغليان والتهيج في البطن.

(٣) الوسائل: ١٨٧/١ - ١٨٨.

عمل قوم أشرك في عملهم» و«إنما يجمع الناس الرضا والسخط». (١)
 روى المحدث القمي رحمه الله عن عطية العوفي، قال: خرجت مع
 جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله زائرين قبر الحسين بن علي بن أبي
 طالب عليها السلام، فلما وردنا كربلاء، دنا جابر من شاطئ الفرات
 فاغتسل، ثم انثر بآزار، وارتدى بآخر، ثم فتح صرة فيها سغد فنثرها
 على بدنه، ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله حتى دنا من القبر، قال:
 ألمسني، فألمسته، فخر على القبر مغشياً، فرششت عليه شيئاً من الماء
 فأفاق، ثم قال: يا حسين! ثلاثاً، ثم قال: حبيب لا يحيب حبيباً، ثم
 قال: وأنى لك بالجواب، وقد شحطت أوداجك على أثابك، وفرق بين
 بدنك ورأسك... ثم قال: والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله
 -وسلم- بالحق لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

قال عطية: فقلت لجابر: وكيف؟ ولم نهبط وادياً، ولم نعل جبلاً، ولم
 نضرب بسيف، والقوم قد فرق بين رؤوسهم وأبدانهم، وأوتعت
 أولادهم، وأرملت الأزواج؛ فقال: يا عطية! سمعت حبيبي رسول الله
 صلى الله عليه وآله -وسلم- يقول: من أحب قوماً حشر معهم، ومن
 أحب عمل قوم أشرك في عملهم، والذي بعث محمداً صلى الله عليه
 وآله -وسلم- بالحق إن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين
 عليه السلام وأصحابه. (٢) ذكرناه لمناسبة البحث الجاري.

(١) مصادر التهج: ٣٤١/١ - ٣٤٢، وفي البحار: ٢١٢/٧٠ «إنما الأعمال بالنيات،
 ولكل امرئ ما نوى...».

(٢) السفينة: ٦٢٩/٢، في (نوى).



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

٦٥- شتان مايومي على كورها ويوم حيان أخي جابر

من الأبيات المعدودة من الأمثال:

• شتان مايومي على كورها • ... (١)

تمثل عليه السلام بالبيت في خطبته المعروفة بـ (الشَّقَشَقِيَّة).
قال المعتزلي: إِنَّ البيت للأعشى الكبير، أعشى قيس، وهو أبوبصير
ميمون بن قيس بن جندل. من القصيدة التي قالها في مناصرة علقمة بن
علاثة وعامر بن الطفيل. (٢) وأولها:

شأقتك من قتلة أطلاها	بالشط فالوتر إلى جاجر
فركن مهراس إلى مارد	فقاع منفوحة ذي الحائر
دارها غيير آياتها	كلّ ملت صوبه زاجر

والضمير في (كورها) في البيت المتمثل به يعود على الثقة في بيت

(١) التهج: ١٦٢/١، ط ٣.

(٢) شرح التهج: ١٦٦/١.

متقدّم عليه، وهو قوله:

وقد أسلى الهمّ حين اعتري بجسرة (١) دوسرة عاقر

وحَيّان: اسم رجل من بني حنيفة، كان سيّداً مطاعاً، وذا نعمة
وافرة، وكان الأعشى ينادمه. وجابر: أخو حَيّان، أصغرمه، وذكره
الشاعر للقافية.

ومعنى البيت: فرق كبير ما بين سفري على ناقتي وبين يوم حَيّان في
نعمته الوافرة. يُشير عليه السلام به إلى أنّ هناك فرقاً بين يومه في الخلافة
مع ما انتقض عليه من الأمر، ومع يوم عُمَر، حيث وليّها على قاعدة
ممهّدة. (٢)

(١) الجسرة: العظيمة من الإبل. والدوسرة: الناقة الضخيمة، كما في هامش شرح
التهج: ١٦٦/١.

(٢) رسالة الإسلام: عدد: ٧-٨، ص: ١٢٠-١٢١.

ولا يخفى أنّ من الأمثال السائرة قولهم: (أنعم من حَيّان أخي جابر). قال الميداني
بعد المثل: قالوا: إنّه كان رجلاً من العرب في رخاء من العيش ونعمة من البدن فقال فيه
الأعشى:

شَتّان ما نومي على كورها ونوم حَيّان أخي جابر

يقول: أنا في الشبر، والشقاء، وحَيّان في الدعة والرخاء. مجمع الأمثال: ٣٥٦/٢،
حرف التّون.

أقول: في غير المجمع: (ما يومي على كورها) حتى (فرائد اللّال) الذي هو شرحه ج:
٣١٥/٢، والمستقصى: ٣٩٣/١.

وحصيلة ذلك، أنَّ الفرق بين راكب الناقة الراقلة به، وحيّان
المتنعم بنعمة ناعمة وراحة، هو الفرق بيني في خلافتي التي انتقض عليَّ
أمرها، وبين عمر الذي مهّدت له الأمور، كما أراد وأرادها الأول،
وهذا من دلالات مظلوميته عليه السلام واغتصاب حقه الثابت،
فلو كان الأمر على ضوء وصاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم سائراً، لما
اغتنصب حق الخلافة منه، ولا حق إلى يوم القيامة.

٦٦- شحذ القين النصّل

من خطبة له عليه السلام يقول فيها:
«يا قوم! هذا إبان ورود كلّ موعود، ودنو من طلعة مالا تعرفون، ألا
وإن من أدركها متايسري بسراج منير، ويخذو فيها على مثال الصالحين،
ليحلّ فيها ربّقاً، ويغتقّ فيها رقاً، ويضدّع شعباً، ويشعب صدعاً؛ في
سترة عن الناس، لا يبصر القائف أثره؛ ثمّ ليشحذنّ فيها قوم شحذ القين
النصّل...» (١).

في الدعاء: «أعوذ بك من عدوّ شحذ لي ظبّة مُديته»: أي حدّ لي،
من قولهم: شحذت السكين، أشحذه شحذاً، من باب منع: إذا حددته. (٢)

(١) التهج: ١٢٦/٩، ط ١٥٠.

(٢) مجمع البحرين: في (شحذ).

والقَيْن: الحداد، والجمع أقيان، ويقال للعبد: القَيْن بالفتح، وجمعه القيان. والأول المراد هنا؛ إذ الإمام عليه السلام يريد بقوله: «ودنوّ من طلعة ما لا تعرفون» إلى آخره: الإخبار بمجيء الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، ونقبائه المعبر عنهم بقوله عليه السلام: «ثمّ ليشحذنّ فيها -: أي في الطلعة غير المعروفة - قوم شحذالقَيْن التّصل» تمثيل لأذهانهم المتجلية بأنوار القرآن، كأنها شحذت: أي حدّدت حتّى أصبحت تُدرك كلّ شيء.

كيف لا؟! و لأبصارهم البرق الربّانيّ، و لأسماعهم الاتّصال بالوحي يقذف فيها الحقائق قذفاً لها مباشرة، فيشربون من كؤوس الحكمة القرآنية في الصّبح والغبوق، وهذا ما أشار إليه عليه السلام بقوله: «تجلّى بالتّنزيل -: أي القرآن - أبصارهم، ويُرْمى بالتّفسير في مسامعهم، ويغبقون كأس الحكمة بعد الصّبح» (١).
كما أنّ الشّحاذ المُجلى عن السيوف الزّنجار وخبث الحديد، كذلك القرآن الكريم مُجلّ لأذهانهم كلّ كدر الطّبيعة، فتستنير بأنواره، ويُخبرون عن الحقائق، أولئك أولياء الحجّة عليه السلام، وشأن كلّ عالم ربّانيّ مهما كان، وأين ما كان يتلقون الوحي، وتلقّى في مسامعهم معانيه وأسراره.

ثمّ المثل يماثله من بعض الوجوه المثلان التّبويّان: «إنّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد» و «إنّ للقلوب صدأ كصدأ الحديد، وجلاؤها

(١) التّهج: ١٢٦/٩، وانظر حرف الباء مع الغين.

الاستغفار وتلاوة القرآن». (١)

وأما المَثَل في القَيْن وإن لم يرتبط بالمراد فهو المَثَل: (إذا سمعت
بُسْرَى القَيْن فاعلم أنه مُصْبِح). وهو سغد القَيْن، صار مَثَلًا في الكذب
والباطل. (٢)

وقال العسكري: قولهم: (إذا سَمِعْتَ بُسْرَى القَيْن فأصبح) يضرب
مثلاً للرجل يعرف بالكذب، حتى يردّ صدقه، وأصله أن القَيْن، وهو
الحِذَاد، إذا كسد عمله أشاع بارتحاله، وهو يريد الإقامة، وإِنَّمَا يذكر
الرَّحِيل ليستعمله أهل الماء، ثم إذا صدق لم يصدق؛ لأنَّ من عرف
بالصدق جاز كذبه، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه. (٣)

ثم إنَّ الإمام عليه السلام يُشير في خطبته إلى زمان ظهور الحجة
المهديّ عجل الله فرجه، ونقبائه المُشْحَذة أذهانهم بالحكمة والمعرفة.

مركز تحقيقات كميته نور علم، رفسنجان

(١) الأمثال النبوية: ٢٥٧/١، رقم المَثَل: ١٧١، حرف الهمزة مع التّون.

(٢) منتهى الأرب: ١٠٧٤/٣.

(٣) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ١٣/١، والمستقصى: ١٢٤/١.

٦٧- شُدُّوا عُقْدَ الْمَآزِرِ

مَثَلٌ مِنَ الْأَمْثَالِ الْمَذْكُورَةِ فِي كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَحْتَثُّ أَصْحَابَهُ عَلَى الْجِهَادِ، أوردناه عند التَّكَلُّمِ عَلَى الْمَثَلِ: «لَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ»، (١) وَالْمَثَلِينَ الْآخَرَيْنِ، (٢) أَوَّلُهُ: أَيُّ أَوَّلِ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَاللَّهُ مُنْتَأَدِيكُمْ شُكْرُهُ، وَمُورِثُكُمْ أَمْرُهُ، وَمُنْهَلِكُكُمْ فِي مَضْمَارٍ مَمْدُودٍ، لَتَتَنَازَعُوا سَبْقَهُ. فَشُدُّوا عُقْدَ الْمَآزِرِ، وَاطَّوُّوا فَضُولَ الْخَوَاصِرِ». (٣)

ونقلنا ما شرحه المعتزليُّ للأمثال، قال: أَيُّ شَمَرُوا عَنْ سَاقِ الْجَهَادِ. وَيُقَالُ لِمَنْ يُوصَى بِالْجِدَّةِ وَالْتِمَاسِ: (أَشْدُدْ عُقْدَ إِزَارِكَ)؛ لِأَنَّهُ إِذَا شَدَّهَا كَانَ أَبْعَدَ عَنِ الْعَثَارِ، وَأَسْرَعَ لِلْمَشْيِ. (٤) وَمِنْهُ الْمَثَلُ السَّائِرُ: (شَدَّ لِلْأَمْرِ حَزِيمَةً)، وَيُرْوَى: حَيَزُومَهُ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا، أَنَّ الْحَزِيمَ مَوْضِعَ الْحَزَامِ مِنَ الصَّدْرِ وَالظَّهْرِ، كُلُّهُ مُسْتَدِيرٌ، وَالْحَيَزُومُ مِلْتَقَى رَأْسِ الْجَوَانِحِ، وَمِنْ وَسْطِ الصَّدْرِ. قَالَ وَكَيْعُ بْنُ أَبِي سُوَيْدٍ:

(١) حَرْفُ اللَّامِ مَعَ الْأَلْفِ.

(٢) حَرْفُ الْمِيمِ مَعَ الْأَلْفِ، وَالْهَمْزَةُ مَعَ الْمِيمِ.

(٣) التَّهَجُّ: ١٤٢/١١، كَلَامٌ ٢١٥.

(٤) شَرْحُ التَّهَجُّ: ١٤٢/١١.

شيخ إذا حمل مكروهة شد الحيازيم لها والحزام

وقال علي - عليه السلام -:

أشدُّ حيازيمك للموت فإنَّ الموتَ لاقيك
ولا تجزع من الموت إذا حلَّ بواديك (١)

وقد سبق المثل: «أشدُّ حيازيمك للموت»، المروي من طريقنا ومن الجمهور، فراجع. (٢)
والمقاصد التي يشد من أجلها الحزام، إما دنيوية أودينية، ولكل أهل، والذي يحمل الإنسان على العمل وشد الحزام إنما هو الإرادة. وأما الأهداف فربما تتحقق.  
ومما يعجبني ما جاء من دعاء يوم المبعث النبوي السابع والعشرين من رجب المرجب منه: «وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَفْضَلَ زَادِ الرَّاحِلِ إِلَيْكَ عَزْمُ إِرَادَةٍ يَخْتَارُكَ بِهَا، وَقَدْ نَاجَاكَ بِعَزْمِ الْإِرَادَةِ قَلْبِي». (٣)
ولا قيمة للأمر الدنيوي إذا لم ينته إلى الدين، لا إرادة، ولا عملاً،

(١) المستقصى: ١٢٨/٢.

(٢) حرف الهمزة مع الشين في الأمثال العلوية لاهناء، فتفظن، وجمع الأمثال: حرف الشين. ٣٦٦/١.

(٣) مفاتيح الجنان: ١٥٣.

ولا شدَّ عقدة الإزار؛ لفنائه ونفاده، كما قال تعالى: «ما عندكم ينفذ وما عند الله باقٍ». (١)

وأما أمره عليه السلام بشدِّ عُقد المآزر، فناظرٌ إلى الجهاد في سبيل الله تعالى، ويحتمل النظر إلى المعنى الشامل، والله العالم.

٦٨- الشَّرُّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ

قاله عليه السلام في كتابٍ له كتبه إلى الحارث الهمداني: «...،...، وإياك ومصاحبة الفساق؛ فإنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ...». (٢)

قال الشَّارِحُ: يقول: إنَّ الطَّبَاعَ ينزع بعضها إلى بعضٍ، فلا تصحِّبَ الفساق؛ فإنَّه ينزع بك ما فيك من طبع الشَّرِّ إلى مساعدتهم على الفسوق والمعصية، وما هو إلَّا كالنَّارِ تقوى بالنَّارِ، فإذا لم تجاورها وتمازجها نارٌ كانت إلى الانطفاء والخمود أقرب.

ورُوي: (ملحق) بكسر الحاء، وقد جاء في الخبر الثبوي: «عذابك بالكفار ملحق» بالكسر. (٣)

قوله عليه السلام: «الشَّرُّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ» معدودٌ من الأمثال نظير قولهم: (الشَّرُّ لِلشَّرِّ خُلُقٌ)، و(الحديد بالحديد يفلح). (٤)

(١) التحل: ٩٦.

(٢) التَّهَجُّج: ٤١/١٨، ك ٦٩.

(٣) شرح التَّهَجُّج: ٥٠/١٨ - ٥١.

(٤) جمع الأمثال: ٣٦٦/١، حرف الشين.

والإنسان المغفل إذا صاحب الفاسق، أثر فسقه فيه، وزاد هو في فسقه؛ إن لم يكن على حذر منه لاحالة، جاء التأثير وزيادة الفسق بزيادة أفراد الفساق، وهو المصاحب، إذ المصاحبة مؤثرة، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

وجاء في حديث الإمام السّجاد عليه السّلام التّهي عن مصاحبة خمسة، ومحادثتهم ومرافقتهم في طريق، وهم: الكذاب، والفاسق، والبخيل، والأحمق، والقاطع لرحمه. (١)
ونسب إلى أمير المؤمنين عليه السّلام ما يلي:

عاشر أخائقة تحظى بصحبته
كالريح آخذة حين تمر به
فالمرء مكتسب من كل مصحوب
نن من التّن أو طيب من الطيب (٢)

ومن آثار سوء مصاحبة الفاسق أنّه مظنة سخط الله عز وجل وعذابه، إذا نزل عَمَّ مَنْ مَعَهُ، كما كان عكس ذلك مصاحبة المتقي الذي هو عرضة رحمة الله تعالى؛ فإنّها إن نزلت عَمَّت. والفسق: هو الخروج عن طاعة الله تعالى، الذي هو منشأ الشرور، إذ لا يأمن معه ركوب المعاصي كلّها، من الاجتماعيّة وغيرها التي تجلب الشرور.

(١) السفينة: ٨/٢، في (صحب).

(٢) الديوان المنسوب إليه عليه السّلام، قافية الباء.

ومن الأمثال السائرة قولهم: (إِنَّ الشَّقِيَّ يَنْتَحِي لَهُ الشَّقِيَّ): أي أحدهما يقيض لصاحبه، فيتعارفان ويأتلفان (١).

٦٩- الشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ

قال عليه السلام:

«الشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ». (٢)

قيل: الشَّفاعة: تَوْسِط مَنْ لَهُ جَاءٌ عِنْدَ الْمُشَفَّعِ فِي إِنْجَاحِ حَاجَةِ الْمَشْفُوعِ لَهُ، فَكَأَنَّ الْمَشْفُوعَ لَهُ يَطِيرُ نَحْوَهَا قَصْدَهُ بِوَسِيلَةِ الشَّفِيعِ، فَشَبَّهَهُ بِجَنَاحِ الطَّائِرِ. (٣)

إِذَا حَقَّقْنَا التَّنَظَّرَ وَجَدْنَا الشَّفَاعَةَ: هِيَ الْوَسَاطَةُ فِي حَصُولِ الشَّيْءِ، وَالْوَسِيلَةُ وَالسَّبَبُ الْمُؤَثِّرُ فِيهِ مِنْ أَيْ شَيْءٍ لَا يَشَيْءٌ عِنْدَ أَيْ شَيْءٍ مِنْ عَالَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا الْحَدِيثُ:

رَوَى الشَّيْخُ الْكَلِينِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ قَالَ: «أَبَى اللَّهُ أَنْ يُجْرِيَ الْأَشْيَاءَ إِلَّا بِالْأَسْبَابِ، فَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا،

(١) مجمع الأمثال: ٦٥/١، حرف الهمزة.

(٢) التهج: ٢٠٤/١٨، الحكمة: ٦١، والتهج: ٢٠/٣٤٠، رقم ٩٠٠ من الحكم

المنسوبة.

(٣) منهاج البراعة: ٩٩/٢١.

وجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، عرفه مَنْ عَرَفَهُ، وجهله مَنْ جهله؛ ذلك رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ونحن». (١)

فأهل البيت عليهم السلام من أشرف الأسباب، وأهم الوسائل المبتغاة المعنوية بها الآية: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ». (٢) مَنْ له جاء وكلّ حرّمات الله من رسل وكتب وغيرها. فأهل البيت عليهم السلام من أقرب ما يتوسّل به المتوسّلون إلى الله تعالى، وهم شفعاؤنا إليه جلّ جلاله، كما جاء في زيارة الجامعة الكبيرة: «اللّهُمَّ إِنِّي لَوْ وَجَدْتُ شَفْعَاءَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَخْيَارِ الْأَتْمَةِ الْأَبْرَارِ، لَجَعَلْتُهُمْ شَفْعَائِي». (٣)

وأَسباب الشّفاعَةِ كَثِيرَةٌ، منها: القرآن الكريم «إِنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ». (٤) ومنها: اعتراف المذنب بذنبه وخضوعه، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «شَفِيعُ الْمَذْنِبِ خَضُوعُهُ». (٥) ويلزم الخضوع الاعتراف لا محالة.

ثمّ الشّفاعَةُ لها شروط، أهمّها رضا الله تعالى، ومن بعد إذنه، على

(١) أصول الكافي: ١/١٨٣.

(٢) المائدة: ٣٥.

(٣) مفاتيح الجنان: ٥٥٠.

(٤) أصول الكافي: ٢/٥٩٩.

(٥) السفينة: ١/٧٠٧. البحار: ٧٨/٥٣.

ما نطق القرآن الكريم: «ولا يشفعون إلا لمن ارتضى» (١). «ما من شفيع إلا من بعد إذنيه» (٢).

وقد تناووها في ستة وعشرين موضعاً، منه مصرحاً بهذا الشرط أو ملوحاً وذلك؛ لاعتبار القابلية العقلية. ففي النبوي: «رجلان لا تنالهما شفاعتي: سلطان عسوف غشوم، وغال في الدين مارق» (٣). وممن يفقد القابلية المستخف بالصلاة؛ في الباقرتي:

«قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لا ينال شفاعتي من استخف بصلاته» (٤). وصحيح أبي بصير قال:

«دخلت على أم حميدة أعزها بأبي عبد الله عليه السلام، فبكت وبكت لبكائها، ثم قالت: يا أبا محمد! لو رأيت أبا عبد الله عند الموت لرأيت عجيباً، فتح عينيه ثم قال: اجمعوا لي كل من بيني وبينه قرابة، قالت: فما تركنا أحداً إلا جمعناه، فنظر إليهم، ثم قال: إن شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة» (٥).

وإذا تدبرت عرفت صنوفاً آخرين من الناس لا تليق بهم الشفاعة؛ لأسباب مذكورة في الكتاب والسنة وعند العقول الحصيفة.

(١) الأنبياء: ٢٨.

(٢) يونس: ٣.

(٣) السفينة: ٧٠٦/١، في (شفع).

(٤) الوسائل: ١٧/٣.

(٥) المصدر.

ثمّ كلام الإمام عليه السّلام: (الشّفيّع جناح الطالب) بيان لطبع
المطلب مع قطع النظر إلى شروط الشّفاعَة والمشفوع له والشّفيّع. بل
المراد: أنّ كلّ من يقصر عن الوصول إلى المطلوب لأجل الموانع يرفعها
الشّفيّع ويساعده، كأنّه جناحه الذي يطير به إلى مطلوبه، أو يعيره على
حدّ قول القائل:

أَسْرَبَ الْقَطَاهِلَ مِنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أُطِيرُ (١)

٧٠- شَقَشَقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ

من الكلمات المعدودة من الأمثال قوله عليه السّلام:
«شَقَشَقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ». (٢)

وهو مثل سائر تمثّل به الإمام عليه السّلام لابن عبّاس، عندما سأله
أطّرادَه في خطبته المعروفة بالشّقشقيّة، سمّيت بها لاشتغالها على كلمة
الشّقشقة، وقد ناوله رجل من أهل العراق كتاباً لينظر فيه، فقطع خطبته
لذلك، ولم يعد إليها، فتأسّف ابن عبّاس عمّا فاتَه من إكمالها عن

(١) جامع الشّواهد: ١/١١٨، باب الألف بعده السّين.

(٢) التّهج: ١/٢٠٣، ط ٣.

آخرها؛ لأنها تكشف عن مواقف الخلفاء الثلاثة، والخلال التي لا تليق بمنصب الخلافة والإمامة على الأمة المرحومة.

وقد أول الجمهور كلمات الخطبة بما لا تنطبق عليه اللغة العربية؛ ولا يشك في مراد الإمام عليه السلام منها من له أدنى إلمام بها: أي باللغة العربية من منطوق الخطبة ومفهومها؛ ومن ثم أنكرها بعضهم أن تكون من خطبه عليه السلام رأساً؛ لثلا يواجه مشكلة التأويل.

ولم يذكر الزمخشري المثل في (المستقصى في أمثال العرب)، ولا ريب في كونه منها - فراراً - من الإسناد إلى الخطبة العلوية، وإلفات النظر إليها.

وذكره التيسابوري في كتابه مجمع الأمثال مسنداً الخطبة إليه عليه السلام، مع تفسير المثل، قال: الشَّقْشَقَةُ: شيء كالرَّثَّة يخرجها البعير من فيه إذا هاج. وإذا قالوا للخطيب: (دو شقشقة) فإنما يشبهه بالفحل.

ولأمير المؤمنين علي رضي الله عنه - عليه السلام - خطبة تعرف بالشَّقْشَقِيَّة؛ لأن ابن عباس رضي الله عنها قال له حين قطع كلامه: يا أمير المؤمنين! لو اطردت مقالتك من حيث أفضيت. فقال: هيات يا ابن عباس! تلك شقشقة هدرت ثم قرئت. (١)

ولا ينقضي العجب من ابن أبي الحديد القائل بصدورها عن الإمام عليه السلام، وتأويله لكلمات الخطبة والإصرار عليه.

(١) ٣٦٩/١، حرف الشين.

قال: إن قيل: يتنوا لنا ما عندكم في هذا الكلام، أليس صريحه دالاً على تظلم القوم ونسبتهم إلى اغتصاب الأمر؟ فما قولكم في ذلك؟ إن حكمت عليهم بذلك فقد طعنتم فيهم، وإن لم تحكموا عليهم بذلك فقد طعنتم في المتظلم المتكلم عليهم!.

قيل: أما الإمامية من الشيعة، فتجري هذه الألفاظ على ظواهرها، وتذهب إلى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - نص على أمير المؤمنين عليه السلام، وأنه غصب حقه. وأما أصحابنا رحمهم الله، فلهم أن يقولوا... (١)

- أقول: وراح يلقنهم ما يلفقونه لصرف ظواهر ألفاظ الخطبة: إنه لما كان أمير المؤمنين عليه السلام هو الأفضل والأحق، وعدل عنه إلى من لا يساويه في فضل، ولا يوازيه في جهاد وعلم، ولا يماثله في سؤدد وشرف - ساغ إطلاق هذه الألفاظ، وإن كان من وُسم بالخلافة قبله عدلاً تقياً، وكانت بيعته بيعة صحيحة؛

ألا ترى أن البلد قد يكون فيه فقيهان، أحدهما أعلم من الآخر بطبقات كثيرة، فيجعل السلطان الأنقص علماً منها قاضياً، فيتوجد الأعلم ويتألم، وينفث أحياناً بالشكوى، ولا يكون ذلك طعنًا في القاضي، ولا تفسيقاً له، ولا حكماً منه بأنه غير صالح، بل للعدول عن الأحق والأولى! وهذا أمر مركوز في طباع البشر، ومحبول في أصل الغريزة والفطرة.

(١) شرح التهجد: ١٥٦/١ - ١٥٧.

١٧
فأصحابنا رحمهم الله لما أحسنوا الظن بالصحابة، حملوا ما وقع منهم
على وجه الصواب، وأنهم نظروا إلى مصلحة الإسلام، وخافوا فتنة
لا تقتصر على ذهاب الخلافة فقط، بل وتفضي إلى ذهاب النبوة والملة.
فعدلوا عن الأفضل الأشرف الأحق إلى فاضل آخر دونه، فعقدوا له
احتاجوا إلى تأويل هذه الألفاظ الصادرة عمن يعتقدونه في الجلالة
والرفعة قريباً من منزلة النبوة، فتأولوها بهذا التأويل، وحملوها على التآلم
للعُدول عن الأولى. (١)

ذكرت كلامه لتكون أنت الحكم فيه، وهل يسوغ البناء على أصل
باطل في العقول من تأخير الفاضل عن المفضول، ثم التفريع عليه؟ أو
هل للأمة الخيرة في نصب الخليفة بعد نصح النبي صلى الله عليه وآله
وسلم يوم الغدير له عليه السلام؟ أو يجوز حمل الخطبة على التآلم للعُدول
عن الأولى، وما هو بمنزلة النبوة، كما اعترف بها؟ أو من الممكن أن
نصح عمل المفضول بتأويل القول الصادر صريحاً من الفاضل في
قدحه؟!.

فاختر ما تحب. والحديث ذوشجون (٢).

(١) شرح التهج: ١٥٦/١ - ١٥٧.

(٢) مثل سائر، ذكره التيسابوري في مجمع الأمثال: ١٩٧/١، حرف الحاء.

قال: يضرب هذا المثل في الحديث، يتذكر به غيره، فراجع.

٧١- الشَّقِيّ مَنْ انْخَدَعَ لَهُوَاهُ وَغُرُورُهُ

من خطبة له عليه السّلام، قال فيها:

«السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بغيره، والشَّقِيّ مَنْ انْخَدَعَ لَهُوَاهُ وَغُرُورُهُ». (١)

تكلّمنا على الفقرة الأولى (٢) بما يغني البحث في المقام عن زيادة توضيح؛ لأنّه كما قيل تعرف الأشياء بأضدادها. (٣) فإذا عرفت السعيد عرفت ضده وهو الشَّقِيّ. وقد حان الوفاء بما وعدناه هناك مِنْ بعض أبحاث كلاميّة:

روى الشيخ الكلينيّ طاب ثراه بسنده الصحيح، عن منصور بن حازم، عن أبي عبدالله عليه السّلام، قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّعَادَةَ وَالشَّقَاوَةَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ، فَمَنْ خَلَقَهُ اللَّهُ سَعِيداً لَمْ يَبْغُضْهُ أَبَداً، وَإِنْ عَمِلَ شَرّاً أَبْغَضَ عَمَلَهُ وَلَمْ يَبْغُضْهُ، وَإِنْ كَانَ شَقِيّاً لَمْ يَحِبَّهُ أَبَداً، وَإِنْ عَمِلَ صَالِحاً أَحَبَّ عَمَلَهُ وَأَبْغُضَ لِمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ شَيْئاً

(١) التّهج: ٣٥٣/٦، ط: ٨٥.

(٢) انظر السعيد، حرف السين مع العين.

(٣) أمثال وجيكم بهد هخدا: ٥٤٨/١.

لم يبغيضه أبداً، وإذا أبغض شيئاً لم يحبّه أبداً». (١)

تناول العلماء هذا الحديث وأشباهه الدالة على أنّ السعادة والشقاوة ليس للعباد فيها صنع، وأنّهما مخلوقتان لله عز وجلّ، وهكذا الخير والشرّ، والقضاء والقدر، التي نتيجة ذلك كلّ الجبر الباطل، وظاهر طائفة من آيات القرآن الكريم ممّا فيه الإضلال والقضاء والقدر وغيرها، وأحاديث الظينة تولّد أصعب المسائل الكلاميّة، وهكذا من أحاديث القضاء والقدر التي استند القائل بالجبر بها.

وأما الجواب: فتارة يكون بالروايات المجيبة عن الإشكالات وهي كثيرة، وأخرى بكلمات العلماء، والاستدلالات العقلية المذكورة في كتب الكلام، ونذكر هنا من التوعين نبذاً إذا الإنهاء مستدع لوضع كتاب على حده.



فن الروايات التي بهذا الصدد:

١- صحيح الحلبي: عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: «وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سليمون». (٢) قال: «وهم مستطيعون، يستطيعون الأخذ بما أمروا به، والترك لما نهوا عنه، وبذلك ابتلوا». (٣)

٢- وحديثه الآخر: قال عليه السلام: «لا يكون العبد فاعلاً ولا متحرّكاً

(١) أصول الكافي: ١/١٥٢ - ١٥٣.

(٢) القلم: ٤٣.

(٣) التوحيد: ٣٤٩.

إِلَّا وَالْإِسْطَاعَةَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّمَا وَقَعَ التَّكْلِيفُ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعْدَ الْإِسْطَاعَةِ، وَلَا يَكُونُ مَكْلَفًا لِلْفِعْلِ إِلَّا مُسْتَطِيعًا». (١).

٣- وَصَحِيحُهُ الْآخَرُ: قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا أَمْرُ الْعِبَادِ إِلَّا بِدُونِ سَعَتِهِمْ، فَكُلُّ شَيْءٍ أَمْرُ النَّاسِ بِأَخْذِهِ، فَهَمُّ مَتَّسِعُونَ لَهُ، وَمَا لَا يَتَّسِعُونَ لَهُ فَهُوَ مُوَضَّوعٌ عَنْهُمْ، وَلَكِنَّ النَّاسَ لَا خَيْرَ فِيهِمْ». (٢).

٤- وَالرَّضَوِيُّ: «يَسْتَطِيعُ الْعَبْدُ بَعْدَ أَرْبَعِ خِصَالٍ: أَنْ يَكُونَ مَخْلًى السَّرْبِ، صَحِيحَ الْجِسْمِ، سَلِيمَ الْجَوَارِحِ، يَرِيدُ أَنْ يَزْنِيَ، فَلَا يَجِدُ امْرَأَةً، ثُمَّ يَجِدُهَا، فَأَمَّا أَنْ يَعْصِمَ فَيَمْتَنِعَ، كَمَا امْتَنَعَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَوْ يَخْلَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِرَادَتِهِ فَيَزْنِيَ، فَيَسْتَمِي زَانِيًا، وَلَمْ يُطْعِ اللَّهَ بِإِكْرَاهٍ، وَلَمْ يُعْصِ بَغْلَبَةً». (٣).

٥- وَالصَّادِقِيُّ: فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَسَيُحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ». (٤) قَالَ: أَكْذَبَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَوْلِهِمْ: «لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ»، وَقَدْ كَانُوا مُسْتَطِيعِينَ لِلْخُرُوجِ. (٥).

٦- وَالصَّادِقِيُّ الْآخَرُ: «لَا يَكُونُ مِنَ الْعَبْدِ قَبْضٌ وَلَا بَسْطٌ إِلَّا بِاسْتَطَاعَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ لِلْقَبْضِ وَالْبَسْطِ». (٦).

٧- وَالْمُوسَوِيُّ: قَالَ: «مَرَّامِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِجَمَاعَةٍ بِالْكُوفَةِ، وَهُمْ

(٤) التَّوْبَةُ: ٤٢.

(٥) التَّوْحِيدُ: ٣٥١.

(٦) التَّوْحِيدُ: ٣٥٢.

(١) التَّوْحِيدُ: ٣٤٥.

(٢) التَّوْحِيدُ: ٣٤٧.

(٣) التَّوْحِيدُ: ٣٤٨.

يُخْتَصِمُونَ فِي الْقَدْرِ، فَقَالَ لِمُتَكَلِّمِهِمْ: أْبَاللَّهِ تَسْتَطِيعُ، أَمْ مَعَ اللَّهِ، أَمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ فَلَمْ يَذَرِ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّكَ إِنْ زَعَمْتَ أَنَّكَ بِاللَّهِ تَسْتَطِيعُ فَلَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ. (١) وَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّكَ مَعَ اللَّهِ تَسْتَطِيعُ، فَقَدْ زَعَمْتَ أَنَّكَ شَرِيكٌ مَعَهُ فِي مُلْكِهِ، وَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَسْتَطِيعُ فَقَدْ ادَّعَيْتَ الرِّبَوِيَّةَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا بَلَّ بِاللَّهِ أَسْتَطِيعُ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَمَا إِنَّكَ لَوَقَلْتَ غَيْرَ هَذَا لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ». (٢)

٨- وَصَحِيحُ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ: قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -: «الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ». فَقَالَ: الشَّقِيُّ مَنْ عَلِمَ اللَّهُ وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَنَّهُ يَسْتَعْمَلُ أَعْمَالَ الْأَشْقِيَاءِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ عَلِمَ اللَّهُ وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَنَّهُ سَيَعْمَلُ أَعْمَالَ السَّعْدَاءِ، قُلْتُ لَهُ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -:

٩- «اعْمَلُوا فِكْلًا مَيْسَرًا لِمَا خُلِقَ لَهُ»؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ لِيَعْبُدُوهُ، وَلَمْ يَخْلُقْهُمْ لِيَعْبُوهُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ». (٣) فَيَسَّرَ كَلَامًا لِمَا خُلِقَ لَهُ، فَالْوَيْلُ لِمَنْ اسْتَحَبَّ الْعَمَى عَلَى الْهُدَى». (٤)

(١): أَيُّ مِمَّا ادَّعَيْتَ مِنْ اسْتِقْلَالِكَ فِي الْأَفَاعِيلِ وَالْحَرَكَاتِ، وَإِلَّا فَقَدْ قَرَّرَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى هَذَا الشَّقِّ فِي آخِرِهِ.

(٢) التَّوْحِيدُ: ٣٥٢-٣٥٣.

(٤) التَّوْحِيدُ: ٣٥٦.

(٣) الذَّارِيَاتُ: ٥٦.

إذا كان العبد مجبوراً في عمله، فلم يكن للسعادة والشقاوة معنى؛ لأن السعيد: الموفق للعمل الصالح باختياره. والشقي: المخدول باختياره. وهذه الروايات التسع. أثبتت الاختيار، وعليه يكون للسعادة والشقاوة معنى معقول، إلا الحديث الأول فإنه لا بد من تأويله.

فنقول: ومن الكلمات وهي النوع الثاني في مقام الجواب عما يوهم الجبر الباطل، ما قاله المحقق المازندراني: (الإنسان عبارة عن مجموع الجوهرين: النفس والبدن. ولكل واحدٍ منها طريقان: طريق الخير، وطريق الشر. فطريق الخير للأول: العقائد الصحيحة، والأخلاق المرضية، وللثاني: هي الأعمال الحسنة، وطريق الشر للأول، هي: العقائد الباطلة، والأخلاق الرذيلة، وللثاني، هي: الأعمال القبيحة.

فإن استقام هذان الجوهران في شخصٍ دائماً، كما في الأنبياء والأوصياء كان سعيداً مطلقاً محبوباً لله تعالى دائماً غير مبغوض أبداً، وإن لم يستقم شيءٌ منها أبداً كان شقياً مطلقاً مبغوضاً أبداً غير محبوب أصلاً، وإن استقام الأول دائماً دون الثاني كان هو محبوباً دائماً غير مبغوض أبداً؛ لأن الجوهر الأول أولى بالحقيقة الإنسانية، بل هو الإنسان حقيقة، وكان عمله مبغوضاً، وإن استقام الثاني دائماً دون الأول كان هو مبغوضاً وعمله محبوباً. وإن استقام كل واحدٍ منهما في وقتٍ دون آخر، يعتبر حاله في الخاتمة، فإن استقاما أو استقام الأول وحده كان هو عند الله محبوباً، وكان عمله مبغوضاً، وإن استقام الثاني، ولم يستقم شيءٌ منها كان هو عند الله مبغوضاً، وكان عمله محبوباً، وكلما كان العمل وحده مبغوضاً، أمكن أن تتداركه التوبة أو المصيبة أو البرزخية أو الشفاعة أو العفو.

ومما ذكرنا ظهر أنّ الكافر الذي يؤمن محبوباً له تعالى في علم الغيب، والمؤمن الذي يكفر مبغوضاً أبداً، لا يقال: هذان في قوله تعالى: «لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة». (١)

فإن هؤلاء كانوا محبوبين، ثم صار بعضهم مبغوضاً بالتفريق؛ لأننا نقول: الرضا متعلق بالمؤمنين، وكون هؤلاء من المؤمنين عند المبايعة ممنوع، وعلى تقدير التسليم كان الرضا مشروطاً بالوفاء وعدم النكث. (٢)

وقال السيد شبر: تطبيق هذا الحديث على قواعد العدالة وأصول الإمامية يقتضي أن يحمل الخلق في خلق السعادة والشقاوة على الخلق التقديري لا التكويني، والخلق الثاني في قوله: «قبل أن يخلق خلقه» على الخلق التكويني الموجود في الخارج، إلى آخر كلامه رحمه الله. (٣)

والتأويل للظواهر إذا لم يوافقها العقل واجب، ومنها المقام، فافهم.

(١) الفتح: ١٨.

(٢) مصابيح الأنوار: ١/١٠٩ - ١١٠، نقلاً عن المحقق المازندراني.

(٣) مصابيح الأنوار: ١/١٠٧.

٧٢- الشكرُ زينةُ الغنى

قال عليه السلام:

«العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى». (١)

تكلّمنا على الفقرة الأولى. (٢)

والشكر: صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه فيما خلق من أجله، وعرف بتعاريف، ذكرناها بالمناسبة في كتابنا (الاسم الأعظم، أو معارف البسملة والحمدلة). (٣) ويكون باللسان والأركان والجنان: أي القلب، وهو أصل الأولين.

من الحكم المنسوبة إليه عليه السلام: «ما أنعم الله على عبده نعمةً فشكرها بقلبه إلا استوجب المزيد عليها، قبل ظهورها على لسانه». (٤)
في ثلاثة وسبعين موضعاً من القرآن الكريم تناول الشكر ومشتقاته الدالة على تعظيم المنعم منها: ما اقتضى الله عز وجلّ عن قول سليمان

(١) التهج: ٢١٣/١٨، الحكمة: ٦٦، البحار: ٤٢٢/٧٧. وج: ٩١/٧٨.

(٢) حرف العين مع الفاء من هذا الكتاب.

(٣) ص: ١٩٥ - ٢٢٤.

(٤) التهج: ٢٠/٢٦١، ٥٠.

عليه السلام: «رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى
وَالِدَيَّ». (١) وقبل ارتداد الظُّرْف (٢)، عندما رأى عرش بلقيس
مستقراً لديه: «هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ». (٣) والشكر سبب
الزيادة، كما قال تعالى: «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ». (٤)

ولغيرها على ما أُشير إليه في الأمثال السائرة كما يلي:

(النَّعْمَةُ وَحَشِيَّةٌ، إِنْ شَكَرْتَ قَرَّتْ، وَإِنْ كَفَرْتَ فَتَتْ). (الشكر قيد
النَّعْمَةِ، ومفتاح الزيادة، وثمر الجنة). (مَنْ كُنْتَ طَلِيقَ بَرِّهِ، فَلتَكُنْ
أُسِيرَ شُكْرِهِ). (النَّعْمَةُ كَالرَّوْضَةِ، وَالشُّكْرُ كَالزَّهْرَةِ). (شكر المولى
هو الأولي). (الشكر صوان النعمة، ومادة الزيادة). (الشكر ترجان
النِّية، ولسان الطَّوِيَّة). (الشكر هو السَّبَب إلى الزيادة، والطريق إلى
السَّعَادَةِ). (اشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على من شكرك). (من شكر
قليلاً استحقَّ جزيلاً). (النَّعْمَةُ عَرُوسٌ مَهْرُهَا الشُّكْرُ). (إذا نزلت بك
ضيفاً فاجعل قراها الشُّكْرَ). (كُلَّ مَنْ أَوْلِيَ نِعْمَةً فَهُوَ عَبْدُهَا حَتَّى
يَعْتَقِدَ شُكْرَهَا، وَمَنْ شَكَرَهَا فَقَدْ اسْتَوْجِبَ مَزِيدَهَا). (الشكر أذكى
مقال، ولشوارد النعمة أوثق عقالي). (الشكر تميمية لتمام النعمة). (إن

(١) التمل: ١٩.

(٢) يأسكان الراء: العين، وفتحها: اللسان.

(٣) التمل: ٤٠.

(٤) إبراهيم: ٧.

قَصُرَتْ يَدُكَ عَنِ الْمَكَافَاةِ فَلْيَطْلُ لِسَانُكَ بِالشُّكْرِ. (١)

ولو عرف العبد ربه لم يطلب سواه بشكره، وقد رُوي عن أهل البيت عليهم السلام، في علوي: «إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً، فَتَلَكَ عِبَادَةُ التَّجَارِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً، فَتَلَكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ شُكْرًا، فَتَلَكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ». (٢)

ثمَّ إِنَّمَا صَارَ الشُّكْرُ زِينَةَ الْغِنَى، بِأَيِّ تَفْسِيرٍ فَتَرَ الْغِنَى؛ لِأَنَّهُ جَمَالُهُ، كَمَا أَنَّ الصَّبْرَ زِينَةُ الْعِبَادَةِ، وَالْحِفْظَ زِينَةُ الرَّوَايَةِ، وَخَفْضَ الْجَنَاحِ زِينَةُ الْعِلْمِ، وَحَسْنَ الْأَدَبِ زِينَةُ الْعَقْلِ، وَبَسْطَ الْوَجْهِ زِينَةُ الْحِلْمِ، وَالْإِيْثَارَ زِينَةُ الزَّهْدِ، وَبَذَلَ الْمَجْهُودَ زِينَةُ الْمَعْرُوفِ، وَالْخُشُوعَ زِينَةَ الصَّلَاةِ (٣).



مركز تحقيقات كچيتور علوم اسلامی

(١) التَّمْثِيلُ وَالْمَحَاضِرَةُ: ٤١٦ - ٤١٧.

(٢) الْوَسَائِلُ: ٤٦/١، مَقْدَمَةُ الْعِبَادَاتِ.

(٣) الْبَحَارُ: ٩١/٧٨.



مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

٧٣- صاحب السلطان كراكب الأسد

من تمثيلات الإمام عليه السلام:
«صاحب السلطان كراكب الأسد، يغبط بموقعه وهو أعلم
بموضعه». (١)

قال بعض الشراح: قد جاء في صحبة السلطان أمثال
حكيمية مستحسنة تناسب هذا المعنى، أو تجري مجراه، نحو قولهم:
(صاحب السلطان كراكب الأسد، يهابه الناس، وهو لمركوبه أهيب).
(إذا صحبت السلطان فلتكن مداراتك له مداراة المرأة القبيحة لبعْلِها
المبغض لها؛ فإنها لا تدع التصنع له على حال). (العاقل من طلب
السلامة من عمل السلطان)؛ لأنه إن عَقَّ جَنَى عليه العفاف عداوة
الخاصة، وإن بسط يَدَه جَنَى عليه البسط ألسنة الرعية. (٢)

(١) التهج: ١٤٩/١٩، الحكمة ٢٦٩.

(٢) شرح التهج: ١٤٩/١٩ - ١٥٠، وقد جاء مايمثل التمثيل المثل العلوي في الخنثى
المشكل لِمَنْ تزوج به: «لأنت أجراً من خاصى الأسد»، وبلغظ آخر: «لأنت أجراً من
راكب الأسد». الوسائل: ٥٧٦/١٧ - ٥٧٧، باب ٢ من أبواب ميراث الخنثى، الحديث
٣، وه. أثبتناه في (الأمثال العلوية) حرف اللام مع الهمزة، وأثبتته الشيخ التستري في
تهج الصباغة: ٢٠٠/١١، كما وجاء التمثيل المبحوث عنه فيه، ص: ١٩٥، أيضاً.

جاء التحذير البالغ في أحاديثهم عليهم السلام من الدخول إلى دواوين الظلمة والسلاطين، وإعانتهم ولو بقط القلم، في نبوي: «إذا كان يوم القيامة، نادى مناد: أين أعوان الظلمة، ومن لاق لهم دواة، أو ربط كيساً، أومد لهم مدة قلم؟ فاحشروهم معهم». (١)

إذ لا يأمن معهم من المعاصي، وقتل النفس المحترمة، واغتصاب أموال الناس، بل وترك جميع ما أوجبه الله عز وجل، وركوب ما نهاه، ولا فرق بين العامل بالظلم، والمعين، والراضي به؛ كما في الحديث. (٢) نعم إذا قصد قضاء حوائج المؤمنين، ونجاتهم من الهلكة، جاز إلا أن يغلب عليه، فلا يستطيع دفعاً عن نفسه، فضلاً عن غيره من نفوس. وعلي بن يقطين من النوع الجائر.

ثم الإمام عليه السلام أراد من التمثيل براكب الأسد: خطورة الأمر، حيث لا يأمن راكبه من الهلاك، ولعله يعم كل متسلط لم يقيدته الإيمان، ومقتدر وإن لم يكن بسلطان.

(١) الوسائل: ١٢/١٣٠.

(٢) الوسائل: ١١/٣٤٥.

٧٤- صاحبها كراكب الصعبة

فقرة تمثيلية أخرى من الخطبة الشَّقْشَقِيَّة، قال عليه السَّلام:
«فصاحبها كراكب الصعبة، إن أشق لها حَرَم، وإن أسلس
لها تَقَحَّم». (١).

قال المعتزلي: والصعبة من التوق: ما لم تتركب ولم تُرَضَّ، إن أشق لها
راكبها بالزَّمام حَرَم أنفها، وإن أسلس زمامها تَقَحَّم في المهالك، فألقته
في مهواة أوماء أونا، أو نَدَّت فلم تقف حتَّى تُردِّيه عنها فهلك. وأشق
الرجل ناقته، إذا كَفَّها بالزَّمام وهو راكبها. واللغة المشهورة (شَق) ثلاثية.
وأشَق البعير نفسه، إذا رفع رأسه.. وأصله من الشَّناق: وهو
خيَط يُشدُّ به فم القربة.

وقال الرضوي أبو الحسن رحمه الله تعالى: إنما قال عليه السَّلام:
«أشَق لها»، ولم يقل: (أشَقها)؛ لأنه جعل ذلك في مقابلة قوله:
«أسلس لها»، وهذا حسن؛ فإنَّهم إذا قصدوا الازدواج في الخطابة فعلوا
مثل هذا، قالوا: الغدايا والعشايا، والأصل الغدوات جمع غدوة.

(١) التهج: ١٦٢/١، الخطبة ٣.

و قال صلى الله عليه وآله -وسلم-: «ارجعن مأزورات غير مأجورات»، وأصله (موزورات) بالواو؛ لأنه من الوزر... وقال الرضّي رحمه الله تعالى أيضاً:

ويروى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله -وسلم- خطب الناس، وهو على ناقة قد شئت لها، وهي تقصع بجريتها... الجرة: ما يعلو من الجوف وتجّره الإبل. (١)

قد طمع في الخلافة مَنْ لا يصلح لها، وإنّما هي لأهلها، وليس إلّا أمير المؤمنين عليه السلام، وحيث عُديت عنه، أصبح موقفه منها حرجاً، فإن أخذها قسراً، قالوا: إنّ عليه السلام دنياويّ، مضافاً إلى إراقة الدماء، وإن صبرَ عنها، قالوا: إنّّه عاجزٌ، علاوة على تهمة الوفاق والرضا بمنّ عُديت إليه. فحاله كما مثل عليه السلام براكب الصعبة، إن كفّها شقّ أنفها، وإن أرخى زمامها هلكت وأهلك، وكما قال عليه السلام: «فمّني الناس لعمر الله بخبط وشماس، وتلون واعتراض، فصبرتُ على طول المدة، وشدة المحنة».

وقال قبل هذه الفقرات ما يكشف عن صعوبة الأمر، وهو عليه السلام قد اختار الصبر فيها:

«فسدلتُ دونها ثوباً، وطويتُ عنها كشحاً، وطفقتُ أرثي بين أن أصول بيدٍ جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقي ربه، فرأيتُ أنّ الصبر على

(١) شرح التهج: ١٧١/١ - ١٧٣.

هاتا أحجى، فصبرتُ وفي العين قذى، وفي الحلق شجاً، أرى تراثي
نهباً...» (١)

ولن تجد مَنْ يكشف عن حقيقة الأمر الذي كان فيه كنفه
الشريفة، فهو أدرى بحاله من غيره، فلو كان بيان أجلى للكشف، لذكره.
والله جلّ جلاله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم يعلم عظم ما هو فيه،
وهو «أول مظلوم، وأول من غُصِبَ حقُّه» (٢) على وجه الأرض.

٧٥- صال الدهر صيال السبع العقور

كلمة تمثيلية من خطبة الإمام عليه السلام في الملاحم المشتملة على
الحوادث الواقعة بعده، روي فداهني
«... فعند ذلك أخذ الباطل مأخذه، وركب الجهل مراكبه،
وعظمت الطاغية، وقلت الداعية، وصال الدهر صيال السبع العقور...
(٣)» (٣)

«ركب الجهل مراكبه» عددناه من الأمثال فراجع (٤)

(١) التهج: ١٥١/١.

(٢) مفاتيح الجنان: ٣٥٣ - الزيارة الخامسة له عليه السلام.

(٣) التهج: ١٩١/٧، الخطبة ١٠٧.

(٤) حرف الراء مع الكاف.

وصال، أصله الصّاد والواو واللام، يدلّ على قهر وعلو. يقال: صال عليه يصول صولة، إذا استطال. (١) وسطو وحمل و وثوب، ومنه: «ربّ قول أنفذ من صول». (٢) والدّعاء: «اللّهم بك أحول، وبك أصول». والضيال: المصاولة من باب المفاعلة، التّصاول التّفاعل، ومنه الحديث: «إنّ هذين الحيتين من الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تصاول الفحلين»: أي لا يفعل أحدهما معه شيئاً إلّا فعل الآخر معه شيئاً مثله. (٣)

والسّبع والسّباع: الأسد والذّئب والكلاب والتمور وغيرها، والسّبع بمعنى: العدد وغيره. والعقور جاء في الحديث: «خمس يقتلن في الحلّ والحرم، وعدّتها الكلب العقور»، وهو كلّ سبع يعقر: أي يجرّح ويقتل ويفترس، كالأسد والتمر والذّئب، سمّاها كلباً لاشتراكها في السّبعيّة. والعقور من أبنية المبالغة. (٤) ومنه قوله عليه السّلام نقلاً عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إياكم والمثلة، ولو بالكلب العقور». (٥) ثمّ الكلام متّصل بما قبله الذي لم نذكره هنا، وهو قوله عليه السّلام: «راية ضلال قد قامت على قُطبها وتفرّقت بشعبها...» إلى أن يتّصل إلى المذكور هنا، وفي ارتباطه بحث لا يليق بالمقام.

(١) مقاييس اللّغة: في (صول).

(٢) انظر الرّاء مع الباء.

(٣) التّهاية: في (صول)، وفيه الدّعاء.

(٤) التّهاية: في (عقر).

(٥) التّهج: ١٧/٦، الوصيّة. ٤٧.

والمراد من صول الدهر: أهل ذلك الزمان من السلاطين والحكام
الجائرة، بل أكثر أفراد الناس يكونون سباعاً ضاربة، يهرّ بعضها على
بعض، والمؤمن فيهم كالشاة التي احتوشتها الذئاب والسباع، فهل تسلم
منها؟

ولعلّ المثل النبوي: «مَنْ لَمْ يَكُنْ ذُئْبًا أَكَلَتْهُ الذَّئَابُ»، بعد قوله
صلى الله عليه وآله وسلم: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، يَكُونُ النَّاسُ فِيهِ
ذُئَابًا» (١) ناظر إليه.

والإمام عليه السلام علمه مستقى من عين النبوة الصافية، وكذلك
علوم أهل البيت عليهم السلام، والكلّ مجراه من علم الرحمن. قال
السيد الأمين:

هم أبحر العلم التي ماشانها كدر ومجراها من الرحمن (٢).



(١) السفينة: ٤٧٨/١، في (ذئب)، والأمثال النبوية: ٢٨٧/٢، رقم المثل: ٥٨٢،

حرف الميم مع التّون.

(٢) المجالس السّنية: ٣٦٨/٥.

٧٦- صنائع المعروف تقي مصارع الهوان

إحدى فقرات خطبة له عليه السلام، أولها:
«إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوْسَّلُ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الْإِيمَانُ بِهِ
وَبِرَسُولِهِ - إِلَى أَنْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: - وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ، فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ
الْهَوَانِ» (١).

وهذا منطبق تماماً على المَثَل المعروف: (اصطناع المعروف يقي
مصارع السوء).

قال الميداني بعد المَثَل السائر: يقال: صَنَعَ معروفًا واصطنع
كذلك في المعنى: أي فعل المعروف في أهله، بقي فاعله الوقوع في السوء.
(٢) ورواه غيره بلفظ: (صنائع المعروف تقي مصارع الخوف). (٣) والكل
متواطئ المعنى. وفسر: كأسر الروم للمسلم، أو كأخذ الظلّمة لغير
المستحقّ للأخذ. (٤)

(١) التهج: ٢٢١/٧، الخطبة: ١٠٩.

(٢) مجمع الأمثال: ٤٠٨/١، حرف الصاد، رقم المَثَل: ٢١٥٩.

(٣) التمثيل والمحاضرة: ٤٢٢.

(٤) شرح التهج: ٢٢٤/٧.

وقيل في المعروف والصنيعة: المعروف حصن النعم من صروف الزمن. المعروف رقب، والمكافأة عنه عتق. المعروف كنز لا تأكله النار. زكاة النعم اتخاذ الصنائع. الصنائع ودائع الأيادي قروض. إنما سُمي المعروف معروفًا؛ لأن الكرام عرفت فضله فأتته. في كل شيء سرف إلا في المعروف. نعم العدة عند الحاجة إسلاف الصنيعة. أهنأ المعروف أعجله. أهنأ المعروف مالا تبتذل فيه الوجوه. خير المعروف مالا يتقدمه مظل، ولم يتبعه من. للجواد الحازم كنز في الآخرة من عمله، وكنز في الدنيا من معروفه. جود المقل من القليل. الجواد من يفيض من غيظ. إن جود المقل غير قليل. لا تستحي من القليل، فإن الحرمان أقل منه. (١)

والمعروف: اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله، والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع، ونهى عنه، من المحسنات والمقبحات. وهو من الصفات الغالبة: أي أمر معروف بين الناس، إذا رأوه لا ينكرونه. والمعروف: النصفة وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم من الناس. والمنكر: ضد ذلك جميعه. ومنه الحديث: «أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة»: أي من بذل معروفه للناس في الدنيا آتاه الله جزاء معروفه في الآخرة. (٢)

وقد تناول القرآن الكريم المعروف في تسعة وثلاثين موضعاً، نادباً إليه صراحةً وفحوى. وفي زيارة الإمام المنتظر عجل الله فرجه

(١) التمثيل والمحاضرة: ٤٢٢ - ٤٢٣.

(٢) النهاية: ٢١٦/٣، في (عرف).

الشريف: «المعروف ما أمرتم به، والمنكر ما نهيتم عنه» (١): أي الأئمة عليهم السلام.

والمعروف كاسمه معروف، كما تقدم بيانه، يعرفه الكل. والصنائع واحدها الصنعة، لا ينبغي تركها لقلتها أوحياء أو غيرها، كما قال القائل:

افعل الخير ما استطعت وإن كان قليلاً فلن تحيط بكته
ومتى تفعل الكثير من الخير إذا كنت تاركاً لأقله؟

ليس جود الجواد من فضل مال إنما الجود للمقل الموسي

بث الثوال ولا تمنعك قلته فكل ما سد فقراً فهو محمود (٢)

مركز تحقيق كتب التراث

وفي نبوي: «إن للجنة باباً، يقال له: باب المعروف، لا يدخله إلا أهل المعروف». وروي: «اصطنع المعروف إلى أهله، وإلى غير أهله، فإن لم يكن من أهله فكن أنت من أهله». وروي: «لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال: تعجيله، وتصغيره، وستره؛ فإذا عجلته هنأته، وإذا صغره عظمته، وإذا سترته أتممته».

وعن الباقر عليه السلام: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وكل

(١) مفاتيح الجنان: ٥٢٤.

(٢) التمثيل والمحاضرة: ٤٢٢ - ٤٢٣.

معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة». (١) قاله عليه السلام تفسيراً لقوله تعالى: «لا خير في كثير من نجوهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس» (٢).

٧٧- الصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان

كلمة جارية على الألسن، قالها أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له، يصف طوائف منها:

«وآخر قد تسمى عالماً، ليس به، فاقتبس جهائل من جهال، وأضاليل من ضلال، ونصب للناس أشراكاً من حبائل غرور، وقول زور، وقد حمل الكتاب على آرائه، وعطف الحق على أهوائه، يؤمن الناس من العظام، ويهون كبير الجرائم، يقول: أقف عند الشبهات - وفيها وقع، ويقول: اعتزل البدع وبينها اضطجع - فالصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان...» (٣).

قال المعتزلي: وقوله: «فالشَّوْرة صورة إنسان...»، فراده بالحيوان ههنا: الحيوان الأخرس، الحمار والثور، وليس يريد العموم؛ لأنَّ الإنسان داخل في الحيوان، وهذا مثل قوله تعالى: «إنَّهم إلَّا كالأنعم

(١) السفينة: ١٧٨/٢، في (عرف) صدره مثل الميداني، وآخره كالتهاية.

(٢) النساء: ١١٤.

(٣) التهج: ٣٧٢/٦ - ٣٧٣، الخطبة: ٨٦.

بل هم أضلّ سبيلاً». (١) وقال الشاعر:

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التّكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدّم (٢)

ولعلّ قوله عزّ وجلّ: «وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ»، (٣) يشمل مجيء طائفة من الناس يوم القيامة على صورة الوحوش والسباع؛ لما كانوا يزاولون من صفاتها وغرائزها الحيوانية التي كانت في الدنيا مخفية عن الأنظار، فكشف عنها الغطاء، وأبليت سرائرهم على حدّ تعبير القرآن الكريم: «يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ». (٤)

فالسلاطين سباع في الحقيقة يوم يقوم الأشهاد، وإن كانوا اليوم بصورة الأناسي، والكفار بهائم، والفساق أحمرّة والمنافقون يرابيع، والملحدون دوابّ، والجاحدون خنازير، وأهل الدنيا كلاب، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فإنما أهلها كلاب عاوية وسباع ضارية». (٥) فكلّ من اختصل بخصلة تخصّ حيواناً، مهما كان شكله واسمه، فهو هو، وإن لم يسمّ باسمه، فالحريرص نمل، يأتي يوم الحشر الأكبر على صورته، والشّهويّ خنزير، والغضوب سبع، وهكذا من بقية الخصال غير الإنسانية.

(٤) الطارق: ٩.

(١) الفرقان: ٤٤.

(٥) التّهج: ١٦/٨٩، الوصيّة: ٣١.

(٢) شرح التّهج: ٣٧٤/٦.

(٣) التّكوير: ٥.

كما إذا انعكس انعكس، مثل من بلغ في العفة عن الشهوات الغاية من التعفف، كعاد أن يكون ملكاً كريماً. قال تعالى فيما اقتصر عن امرأة عزيز مصر: «ما هذا بشراً إن هذا إلا ملكٌ كريم». (١): أي يوسف عليه السلام بلغ من عفته مبلغ الملائكة. وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كاد العفيف أن يكون ملكاً من الملائكة». (٢) حتى أن العادة قاضية من أكثر من شيء تجسد فيه ذلك الشيء، حتى كأنه هو، والذي يعدل في كل شيء يقال له: العدل وأنه عينه.

فالخصال سواء فيها الفضائل والردائل، تجعل أصحابها إذا استحكمت فيهم، وصدرت آثارها بكثرة، كأنهم هي، توسعاً أوحقيقة، وتجري عليهم أسماؤها اليوم، وحقائقها في المحشر.

وإن من عباد الله قوماً استنارت أبصارهم وبصائرهم بأنوار الله ومعرفته، يعرفونهم بسمائهم وفي لحن القول و«إن في ذلك لآياتٍ للمتوسمين». (٣)

وتفسير المتوسم بالمعصوم عليه السلام تفسير بأجل مظاهره، وإلا فقد جاء: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله». (٤) وهم الأقلون عدداً.

(١) يوسف: ٣١.

(٢) النهج: ٢٠/٢٣٣، الحكمة: ٣٨٢.

(٣) الحجر: ٧٥.

(٤) الوسائل: ٨/٤٢٤، الأمثال التبوية: ١/٤٩ رقم المثل: ٢٥، حرف الهمزة

مع التاء.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

٧٨- ضاق المخرج، وعمي المصدر

من خطبة سبق التّكلم عليها حول المثل: «اختلف التّجر، وتشّت الأمر»، (١) أولها:

«أحمد استتماماً لنعمه، واستسلاماً لعزّته، واستعصاماً من معصيته... وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالدين المشهور... والناس في فتن، انجذم فيها حبل الدين، وتزعزعت سوارى اليقين، واختلف التّجر، وتشّت الأمر، وضاق المخرج، وعمي المصدر...» (٢)

مثل من أمثال سائرة، يضرب للشّدّة، أو هو صالح لذلك. بيان منه عليه السّلام لما عليه الناس قبل ظهور الدين، ومجيء الرّسول الأمين، والقرآن النور السّاطع، والضياء اللامع، أضاء العالم بنوره، وأزاح الفتن الدّامسة، وظلمة الجّهالة الجاهليّة، ظلّلتهم الضّلالات.

قالت فاطمة الزّهراء عليها السّلام في خطبتها:
«وكنتم على شفا حفرة من النار» (٣) مذقة الشارب، (٤) ونهزة

(١) حرف الهمزة مع الخاء.

(٢) التّهج: ١٣٢/١ - ١٣٦.

(٣) آل عمران: ١٠٣.

(٤) أي شربته.

الطامع، (١) وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام. (٢) تشربون الطرق، (٣) وتقتاتون القد، (٤) تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد - صلى الله عليه وآله وسلم - بعد اللثيا والتي، (٥) وبعد أن مُني بئهم (٦) الرجال، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب «كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله». (٧) أَوَنَجَم قرن الشيطان، (٨) أو فغرت فاعرة من المشركين، (٩) قَذَف أخاه في لهواتها. (١٠) فلا ينكفى حتى يطا جناحها بأخصه، (١١) ويخمد لهيبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله...». (١٢)

ونظير المثل المثل القرآني: «حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما



- (١) بالضم: الفرصة: أي محل نهزته.
- (٢) قبسة العجلان مثل في العجلة، والثاني مثل في المغلوبة.
- (٣) ماء تبول به الإبل.
- (٤) القد: سير يقد من جلد غير مدبوغ.
- (٥) مثل علوي، وغيره.
- (٦) بهم الرجال: شجعانهم.
- (٧) المائدة: ٦٤.
- (٨) نجم: ظهر.
- (٩) فغراه: أي فتحه. والفاعرة من المشركين: الطائفة منهم.
- (١٠) اللّهوات جمع لهات: وهي اللحمة في أقصى شفة الفم. هكذا في هامش الاحتجاج: ١٣٦/١، وجمع البحرين: في (لها). وتقتضي القاعدة أن تكون لها كحصاة.
- (١١) مالا يصيب من باطن القدم.
- (١٢) الاحتجاج: ١٣٥/١ - ١٣٦، وهامشه.

رحبت»، (١) «وضاقت عليهم أنفسهم». (٢)

قال الفيض الكاشاني عند صدر الآية: أي مع سعتها، وهو مثلٌ لحيرتهم في أمرهم، كأنهم لا يجدون في الأرض موضع قرار. وعند بعضها الآخر: أي قلوبهم من فرط الوحشة والغم. (٣)

وتخص الآية، الثلاثة الذين خلفوا في الأرض، وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية؛ تخلفوا عن غزوة تبوك عن أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، حتى هجرهم المسلمون، حتى أزواجهم، فتابوا، فتاب الله عليهم.

والحاصل أن كلام الإمام عليه السلام يتبع المثل القرآني في ضربه للشدة والحيرة.

والمراد بقوله عليه السلام: (عمي المصدر)، يتجلى بما بعده: «فالهدى خاملٌ، والعمى شاملٌ، غصي الرحمن، ونُصر الشيطان، ونُخذل الإيمان، فانهارت دعائمه، وتنكرت معالمه».

(١) التوبة: ١١٨.

(٢) التوبة: ١١٨.

(٣) تفسير الصافي: ١/٧٣٧.

٧٩- ضَحَّ رُوَيْدًا

من أمثال سائرة يستعمل للرفق، وترك العجلة، جاء في كلام له عليه السلام لابن عباس:

«... وأقسم بالله رب العالمين، ما يسرني أن ما أخذته من أموالهم حلال لي، أتركه ميراثاً لِمَنْ بعدي، فَضَحَّ رُوَيْدًا، فكأنك قد بلغت المَدَى، ودُفنت تحت الثرى، وعُرضت عليك أعمالك بالمحلّ الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة...» (١).



قال الشارح: (فضَحَّ رُوَيْدًا) كلمة تقال لِمَنْ يُؤمر بالتَّؤدة والأناة والسكون. وأصلها، الرجل يُطعم إبله ضحى، ويسيرها مُسرِعاً ليسير، فلا يشبعها، فيقال له: (ضَحَّ رُوَيْدًا). (٢)

قال الزمخشري: (ضَحَّ رُوَيْدًا): أي ترفق ولا تعجل، وأصله أن الأعراب في باديتها تسير بالظعن، فإذا عثرت على لَمْع من العشب قالت ذلك، وغرضها أن يرعى الإبل الضحى قليلاً قليلاً، وهي سائرة حتى

(١) التهج: ١٦/١٦٨، ك ٤١.

(٢) شرح التهج: ١٦/١٦٩.

إذا بلغت مقصدها شبت. فلما كان من الترفق في هذا توسعوا، فقالوا:
في كل موضع (ضح)، بمعنى: ارفق، والأصل ذاك. قال زيد الخيل:

فلو أن نصراً أصلحت ذات بينها لضحّت رويداً عن مطالبها عمرو (١)

وغرض الإمام عليه السلام من الأمر بالترفق، أن ينبّه ابن عباس
مغبة الخيانة، ولا بد من الدخول في القبر، والحشر والعرض على الله
بالأعمال، يوم ينادي الظالم بالحسرة، ويعضّ على يديه، وينادي بالويل
والثبور. والأمر أفظع من ذلك؛ «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» (٢).



مركز تحقيقات كتب التراث الإسلامي

(١) المستقصى: ١٤٥/٢ - أي يا عمرو!.

(٢) الزلزلة: ٧ - ٨.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

٨٠- الطريق الوسطى هي الجادة

أحمد
مستوفى

في خطبة خطبها أمير المؤمنين عليه السلام بالمدينة، لما بويع بالخلافة:
«اليمن والشمال مَضَلَّة، والطريق الوسطى هي الجادة». (١)

قد تكلمنا على «اليمن والشمال مَضَلَّة» (٢) المَثَل السَّائر، أوصالح
لأن يكون مثلاً سائراً،
ومنه يعلم قوله عليه السلام: «الطريق الوسطى هي الجادة» بالمقابلة
معه.

وقد كرر الترغيب على الأخذ بالوسط، ومنه الحديث النبوي: «خير
الأمور أوسطها». (٣)

الأمور جمع الأمر بمعنى: الشيء؛ وأما بمعنى الطلب فجمعه الأوامر.
وقبل كل شيء القرآن الكريم، قال تعالى: «وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً». (٤)

(١) التهج: ٢٧٣/١، ط ١٦. ٢٧٥/١.

(٢) حرف الياء مع الميم.

(٣) الأمثال النبوية: ٣٩٣/١، رقم المَثَل: ٢٤٩، حرف الخاء مع الياء.

(٤) البقرة: ١٤٣.

قيل: أي خياراً، وقيل للخيار: وسط؛ لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل، والأعوار والأوساط محمية محوطة. ومنه قول الطائي:

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى أصبحت طرفاً (١)

عن الصادق عليه السلام قال:

«ظننت أن الله - تعالى - عني بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحدين؛ أفترى أن من لا تجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر، يطلب الله شهادته يوم القيامة، ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟ كلاً لم يعن الله مثل هذا من خلقه، يعني الأمة التي وجبت لها دعوة إبراهيم عليه السلام: «كنتم خير أمة أخرجت للناس» (٢).

وهم الأمة الوسطى، وهم خير أمة أخرجت للناس (٣).

والأخبار كثيرة أنها نزلت في الأئمة عليهم السلام، والجمهور فسروها بغير ذلك. ففي الكشف:

أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء، فيطالب الله الأنبياء بالبيّنة على أنهم قد بلغوا، وهو أعلم، فيؤتى بأمة محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - فيشهدون، فتقول الأمم: من أين عرفتم؟ فيقولون: علمنا

(١) تفسير الكشف: ١/١٩٨.

(٢) آل عمران: ١١٠.

(٣) تفسير الصافي: ١/١٤٧-١٤٨. وفيه كلمة: «أئمة»، بدل «أمة».

ذلك بإخبار الله في كتابه التاطق على نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد -صلى الله عليه وآله وسلم- فيسأل عن حال أمته، فيزكهم ويشهد بعدالتهم؛ وذلك قوله تعالى: «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً». (١) (٢)

أقول: كيف يشهد صلى الله عليه وآله وسلم بعدالة أمة قتلت ابن بنته الحسين بن علي عليهم السلام مع ولده وأصحابه في أرض كربلاء، وقد صنعت ما صنعت قبل حادثة كربلاء وبعدها. وعليه فالحديث كما ترى لا يصلح لتفسير الآية به، ولا بغيره لمطلق الأمة، بل المراد بها: الأئمة المعصومون -عليهم السلام- الجائزة شهادتهم على الإطلاق، لا الأمة التي يقع منها الخطأ.

وعن الباقر عليه السلام:

«نحن الأمة الوسط، ونحن شهداء الله على خلقه، وحججه في أرضه وسمائه». (٣) مركز تحقيق تراث الإمام موسى

وعبر عنهم عليهم السلام في أحاديثهم بالثمرة الوسطى، ونمط الحجاز، فمن الحكم العلوية: «نحن الثمرة الوسطى التي يلحق بها التالي، وإليها يرجع الغالي». (٤)

وعن الباقر عليه السلام: «نحن نمط الحجاز. قيل: وما نمط الحجاز؟

(١) النساء: ٤١.

(٢) تفسير الكشاف: ١/١٩٩.

(٣) تفسير الصافي: ١/١٤٧.

(٤) التهج: ١٨/٢٧٣.

قال: أوسط الأنماط؛

إنَّ الله يقول: «وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً». (١)

قال: إلينا يرجع الغالي، وبنا يلحق المُقَصِّر». (٢)

إنَّ كلَّ فضيلة مجتحة بطرفين معدودين من الرذائل، قاله المعتزلي في كلام له:

التمرق والتمرقة بالضمّ فيهما: وسادة صغيرة ويجوز التمرقة بالكسر فيهما؛ ويقال لِلظَّنْفَسَةِ فوق الرّحل: تُمَرَقَة. والمعنى: أنَّ كلَّ فضيلة فإنّها مجتحة بطرفين معدودين من الرذائل، كما أوضحناه آنفاً.

والمراد أنَّ آل محمّد عليه وعليهم السّلام هم الأمر المتوسّط بين الطرفين المذمومين، فكلّ من جاوزهم فالواجب أن يرجع إليهم، وكلّ من قصر عنهم فالواجب أن يلحق بهم. (٣)

وللوسطى مصاديق آخر
ومنها: «حفظوا على الصلوات والصلوة الوسطى». (٤)
وهي الظهر. وقيل: غيره. (٥)

(١) البقرة: ١٤٣.

(٢) تفسير الصّافي: ١٤٧/١.

(٣) شرح التّهج: ٢٧٣/١٨. قوله: (فيهما) الأخير يعود إلى التمرقة والتمرق المحذوف ظاهراً.

(٤) البقرة: ٢٣٨.

(٥) الوسائل: ٦/٣، حديث ١، باب ٢ من أعداد الفرائض ونوافلها من كتاب الصلاة.

والوسط محبوب، وسواه ضلال، ومنه: «اليمن والشمال مضلة» (١).



(١) الياء مع الميم.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

٨١- ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه

من حكمه عليه السلام:
«ما أضمر أحدُ شيئاً إلاَّ ظهر في فلتات لسانه وصفحات
وجهه». (١).

قال الشارح المعتزلي: قال زهير بن أبي سلمى:

ومهماتكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعلم
وقال آخر:

وفي عَيْنِكَ ترجمة أراها تدلّ على الضغائن والحقود
وأخلاق عَهْدتُ اللّين فيها غَدَتْ وكأنّها زُبْرُ الحديد
وقد عاهدتني بخلاف هذا وقال الله: «أَوْفُوا بالعقود» (٢)

وكان يقال: العين والوجه واللسان أصحاب أخبار على القلب.

(١) التهج: ١٨/١٣٧، الحكمة: ٢٦.

(٢) المائدة: ١.

وقالوا: القلوب كالمرايا المتقابلة، إذا ارتسمت في إحداهن صورةٌ ظهرت في الأخرى، (١)

إشارةً إلى أول آية من سورة المائدة.

ومن المثل السائر المولد: (غشّ القلوب يظهر في فلتات الألسن وصفحات الوجوه). (٢)

إن الذين يتفَرَّسون الحقائق من صفحات الوجوه وفلتات الألسن، على قسمين:

الأول: هم المؤمنون ينظرون بنور الإيمان؛ يُشير إليه الحديث النبوي: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله». (٣) وفي مقدمتهم الأئمة المعصومون عليهم السلام.

فسرت الآية: «إن في ذلك لآية للمتوسمين» (٤) بهم كما في صحيح محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «هم الأئمة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اتقوا...». (٥) إلى آخر الحديث المتقدم.

تطبيق المؤمن عليهم عليهم السلام من باب أظهر أفراد المؤمنين، بل

(١) شرح النهج: ١٨/١٣٧.

(٢) مجمع الأمثال: ٦٧/٢، حرف الغين.

(٣) الوسائل: ٨/٤٢٤، الأمثال النبوية: ١/٩٩ رقم المثل: ٢٥، حرف الهمزة مع التاء.

(٤) الحجر: ٧٥.

(٥) الاختصاص: ٣٠٦-٣٠٧.

هم أثمتهم، وعلومهم مشتقة من علم النبي الأعظم صلى الله عليهم
وسلم، وهو من الله عز وجل، كما أنشده السيد الأمين طاب ثراه:

هم أبحر العلم التي ماشانها كدر ومجراها من الرحمن (١)

والقسم الثاني: هو فنٌ حاصلٌ عند أرباب التجارب والذكاء،
يستدلون على أمور تخفى بما في الوجوه والأعضاء. رُبَّ ظرفٍ أفصح من
لسانٍ.

إن كاتمونا القلى نمت عيونهم والعين تُظهر ما في القلب أو تصف (٢).



مركز تحقيقات كليات علوم اسلامی

(١) المجالس السنّية: ٣٦٨/٥.

(٢) الأمثال النبوية: ٥٠/١، تحت رقم المثل ٢٥.



٨٢- العالم مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ

في خطبة له عليه السلام:

«العالم من عرف قدره، وكفى بالمرء جهلاً ألا يعرف قدره...»

...» (١).

تقدم البحث المُشبع حول المَثَل: «كفى بالمرء جهلاً ألا يعرف

قدره» (٢).

قال المعتزلي في تحقيقه كقولهم: رَسُو

قوله عليه السلام: «العالم مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ»، من الأمثال المشهورة

عنه عليه السلام، وقد قال الناس بعده في ذلك، فأكثروا، ونحو قولهم: إذا

جَهِلْتَ قَدْرَ نَفْسِكَ، فَأَنْتَ لِقَدْرٍ غَيْرِكَ أَجْهَلُ. ونحو قولهم: مَنْ لَمْ يَعْرِفْ

قَدْرَ نَفْسِهِ، فَالنَّاسُ أَعْذَرُ مِنْهُ إِذَا لَمْ يَعْرِفُوهُ، ونحو قول الشاعر أبي

الطَّيِّب:

وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

(١) التهج: ١٠٧/٧، ط ١٠٢.

(٢) حرف الكاف مع الفاء.

ثم عبّر عن هذا المعنى بعبارة أخرى، فصارت مثلاً أيضاً: وهي قوله عليه السلام: «كفى بالمرء جهلاً ألا يعرف قدره». (١)

ومن الكلام المروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام مرفوعاً: «ما هلك امرؤ عَرَفَ قدره». رواه أبو العباس المبرّد في الكامل، قال: ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: «وما أخال رجلاً يرفع نفسه فوق قدرها إلا من خلل في عقله». (٢)

قد عرفت أن عامر الشعبي عدّ المثل: «ما هلك امرؤ عَرَفَ قدره». (٣) من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام التسع. قال الشارح إثر ما تقدّم: وروى صاحب الكامل أيضاً عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

«لما حضرت الوفاة عليّ بن الحسين -عليهما السلام- أبي، ضمني إلى صدره، ثم قال: يا بني! أوصيك بما أوصاني به أبي يوم قُتِلَ، وبما ذكر لي: أن أباه عليّاً عليه السلام أوصاه يا بني: عليك ببذل نفسك؛ فإنه لا يسرّ أباك بذلّ نفسه حُرّ التعم. وكان يقال: مَنْ عَرَفَ قدره استراح».

وفي الحديث المرفوع: «ما رفع امرؤ نفسه في الدنيا درجة، إلا حظه الله تعالى في الآخرة درجات». وكان يقال: مَنْ رَضِيَ عن نفسه كَثُرَ السّاخطون عليه (٤)

(١) حرف الكاف مع الفاء.

(٣) حرف الكاف مع الفاء.

(٢) شرح التهذيب: ١٠٨/٧

(٤) شرح التهذيب: ١٠٨/٧ - ١٠٩.

ونحن قلنا في تفسير معرفة قدر المرء بالقياس إلى الفراغ الموجود في وجوده الذي لا يسده شيء إلا الله عز وجل، وهذه منزلة رفيعة لا أرفع منها. (١) نعم إذا أخذنا بالاعتبار الاجتماعي جاء التفسير المنقول والأولى القول بكلا التفسيرين.

٨٣- عالمها مُلجَمٌ وجاهلها مُكْرَمٌ

قوله عليه السلام: «عالمها مُلجَمٌ وجاهلها مُكْرَمٌ» من خطبة أوّلها: «أحمد استتماماً لنعمته» مترسلة إلى قوله عليه السلام: «أطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه، ووردوا مناهله؛ بهم سادت أعلامه وقام لواؤه. في فتن داسّتهم بأخفافها، ووطئتهم بأظلافها، وقامت على سناجبها، فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون، في خير دارٍ وشرّ جيرانٍ، نومهم سُهوّدٌ وكحلهم دموعٌ، بأرضي عالمها مُلجَمٌ، وجاهلها مُكْرَمٌ». (٢)

إنّما كرّرناه هنا وقد ذكرناه مرّةً عند المثل: «خير دارٍ وشرّ جيرانٍ»، (٣) وأخرى عند أمثال مأخوذة من نفس الخطبة، فراجع. (٤) لتربط آخر قوله عليه السلام المبحوث في المقام بأوله.

(١) حرف الكاف مع الفاء، والغين مع الزاء. (٣) حرف الخاء، مع الياء.

(٢) التهج: ١٣٦/١، خ ٢. (٤) الصاد مع الألف.

اللبّام: ما يوضع في فم الفرس، يقال: ألجمت الفرس إلبجماً: أي جعلت اللّجام في فمه، قيل: هو عربي، وقيل: معرب، والجمع لُجَم. (١)
 «من سئل عما يعلمه فكتمه، ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة». والمُتمسك عن الكلام ممثّل بمن ألجم نفسه بلجام. والمراد بالعلم: ما يلزمه تعليمه، ويتعيّن عليه إظهاره، كمن يرى رجلاً حديث عهد بالإسلام، ولا يُحسن الصلاة وقد حضر وقتها، فيقول: علّموني كيف أصلي، وكمن جاء مستفتياً في حلال أو حرام؛ فإنه يلزم في هذا وأمثاله تعريف الجواب، ومنّ منعه استحقّ الوعيد. (٢)

وأما المراد من قول الإمام عليه السلام: «بأرضي عالمها مُلجَم، وجاهلها مُكْرَم»، فحالة التّقية والخوف من إظهار الحق، وهذا بخلاف الحديث المتقدّم، حيث المانع من قِبَل الكاتم مع وجود القابل لو أظهر الحق، فلَوْلَمْ يُظهره ألجم بلجام من النار. نعم إنّ المؤمن مُلجَم لا يستطيع إظهار كلّ شيء، بل الأحكام الخمسة جارية فيه من وجوب الإظهار وحرامه ومكروهه وندبه وإباحته، وهي في كلّ أمر قابلٍ للقسمّة إليها.

وأما قوله عليه السلام: «وجاهلها مُكْرَم»، فهذا إذا ضاع العالم بين الناس، وقد تغلب الجهل عليهم وساد، فلا يُقيمون للعلم وزناً؛ ومن ثمّ يموت العلم بموت حامله؛ كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: «كذلك يموت العلم بموت حامله...». (٣) وتظهر البدع؛ فوجب على

(١) مجمع البحرين، في (لجم).

(٢) النهاية: في (لجم).

(٣) التهجد: ٣٤٧/١٨.

العالم إظهار علمه على ما نصّ في النبويّ: «إذا ظهرت البدع في أمّتي، فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله». (١) إلّا أن يلجمه صاحبه، كما في فرض كلام الإمام عليه السلام. ثمّ الكلام العلويّ صالح للتمثّل به فيما يناسبه، وإن لم يكن مثلاً.

٨٤- العفاف زينة الفقر

قال عليه السلام:

«العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى». (٢)



العفاف هنا: التّعفّف عن السؤال بإظهار الغنى.

وآية: «يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفّف»، (٣) وإن نزلت في أصحاب الصّفة، وهم نحو أربعمئة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر، (٤) إلّا أنّها تعمّ غيرهم أيضاً. قال بعضهم: وقفتُ على كنيّف، وفي أسفلّه كثاف، وهوينشد:

(١) الوسائل: ٥١٠/١١.

(٢) التّهج: ٢١٣/١٨، الحكمة: ٦٦.

(٣) البقرة: ٢٧٣.

(٤) الكشاف: ٣١٨/١.

والمكرم نفسي عن أمور كثيرة
وأبخل بالفضل المبين على الألى
وما شاني كنس الكنيف وإنما
وأقبح ممابي وقوفي مؤملاً
ألا إن إكرام النفوس من العقل
رأيهم لا يكرمون ذوي الفضل
يشين الفتى أن يجتدي نائل النذل
نوال فتى مثلي وأي فتى مثلي (١)

ومن أمثالهم المشهورة: (تجوع الحرّة، ولا تأكل بشديتها): أي لا
تكون ظئراً، وإن آذاها الجوع. (٢)

عن الصادق عليه السلام قال: «شيعتنا من لا يسأل الناس،
ولومات جوعاً». وعنه عليه السلام أيضاً: «لو يعلم السائل ما عليه من
الوزر ما سأل أحداً، ولو يعلم المسؤول ما عليه إذا منع ما منع أحداً
أحداً». (٣) وحديث باقرتي: «اليأس ممّا في أيدي الناس عزّ للمؤمن
في دينه. أو ما سمعت قول حاتم:

إذا ما عزمت اليأس ألفيته الغنى إذا عرفته النفس والطمع الفقر».

وصادقي: «ثلاثة هنّ فخر المؤمن، وزينة في الدنيا والآخرة: الصلاة

(١) شرح التهذيب: ٢١٣/١٨ - ٢١٤.

(٢) مجمع الأمثال: ١٢٢/١، حرف التاء.

(٣) الوسائل: ٣٠٩/٦.

في آخر الليل، ويأسه ممّا في أيدي الناس، وولاية الإمام من آل محمّد -
صلّى الله عليه وآله وسلّم-». ونبويّ: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد
فيما أيدي الناس يحبك الناس». (١) وأنشد الأصمعيّ لبعضهم:

أقسم بالله لمصّ التوى	وشرب ماء القلب المالحه
أحسن بالإنسان من ذله	ومن سؤال الأوجه الكالحه
فاستغن بالله تكن ذا غنى	مغتبطاً بالصفقة الرابحه
طوبى لمن تصبح ميزانه	يوم يلاقي ربّه راجحه (٢)

العفاف سبب القناعة بالقليل، وتعويد النفس به، وقد قيل: أبرع
بيت قالته العرب بيت أبي ذؤيب الهذليّ:

والنفس راغبة إذا رغبتها *مررت بك فميتت* وإذا ثردت إلى قليل تقنع

وكان يقال: أنت أخوالعزّ ما التحفت القناعة، ويقال: اليأس حرّ،
والرجاء عبد. وقال بعض المفسّرين في قول الله عزّ وجل: «فلنحييته حيوةً
طيبةً». (٣) قال: بالقناعة. وقال أبو العتاهية:

(١) الوسائل: ٣١٤/٦ - ٣١٥.

(٢) شرح التهج: ٢١٣/١٨.

(٣) النحل: ٩٧.

إن كان لا يغنيك ما يكفيك فكلّ ما في الأرض لا يغنيك (١).

٨٥- على أثر الماضي ما يمضي الباقي

من خطبة له عليه السلام:

«... أولم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون، وإلى الخلف الباقيين لا يبقون! أولستم ترون أهل الدنيا يُمسون ويُصبحون على أحوالٍ شتى: فميت يُبكي، وآخر يُعزى، وصريع مُبتلى، وعائد يعود، وآخر بنفسه يجود، وطالب للدنيا والموت يطلبه، وغافلٌ وليس بمغفولٍ عنه؛ وعلى أثر الماضي ما يمضي الباقي!» (٢).



كالقطار يتبع بعضه بعضاً في السير
قيل: (ما) في (ما يمضي الباقي) زائدة: أي على أثر الماضي يمضي الباقي؛ وهو صالح للمثل، إن لم يكن مثلاً.

(١) عيون ابن قتيبة: ١٨٥/٣.

من المثل السائر: (إنه لحقيف الشفة) يريدون: قليل المسألة للناس تعقفاً. مجمع الأمثال: ٢١/١، حرف الهمزة.

(٢) التهجد: ٨١/٧، الخطبة ٩٨.

ولنعم من قال:

أمن نقضى وغد لم يجئ واليوم يمضي لحة الباصر
فذلك العمر كما ينقضي ما أشبه الماضي بالغابر

قَسَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّاسَ إِلَى سَبْعَةِ أَقْسَامٍ: مَيِّتٌ يَبْكِي عَلَيْهِ أَهْلُهُ، وَمُعْزًى يَسْلِيهِ أَصْحَابُهُ، وَمَرِيضٌ يَعَاجِلُ مَرَضُهُ، وَعَائِدٌ الْمَرَضَى، وَمُحْتَضِرٌ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، وَفِي حِينٍ مَا يَطْلُبُونَ الدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا، الْمَوْتُ فِي طَلِبِهِمْ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَرْقُبُ الْغَافِلَ وَهُوَ لَهُ بِالْمُرْصَادِ. طَبَقَ وَلَا حَرْجَ عَلَى نَفْسِكَ، إِنَّهُمْ لَا يَخْلُونَ مِنْكَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ لَا مَحَالَةَ.

وَرَبَّمَا مَاتَ مَيِّتٌ وَلَا بَالُكَ لَهُ، إِمَّا لَا نَقْرَاضَ ذَوِيهِ، أَوْ مَاتَ فِي دَارِ غُرْبَةٍ؛ إِذْ: «وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ». (١) أَوْ لَا أَحَدٌ لَهُ فَيُعْزَى بِمَوْتِهِ.

وَأَمَّا سَكْرَةُ الْمَوْتِ فَالْكُلُّ لَهَا ذَائِقُونَ، كَانَتْ أَوْ لَمْ تَكُنْ لَا يَحِيدُونَ عَنْهَا: «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ». (٢) وَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَفْرَغَ مِنَ الْمَوْتِ فَلْيَفْرَغْ: «قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا». (٣) وَاقَعَ فِي قَبْضَتِهِ كَغَيْرِهِ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ مُخَاطِبًا لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ». (٤) وَمَاضٍ عَلَى أَثَرِ الْمَاضِينَ: «سَنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا». (٥)

(١) لقمان: ٣٤.

(٢) ق: ١٩.

(٣) الأحزاب: ١٦.

(٤) الزمر: ٣٠.

(٥) الأحزاب: ٦٢.

وهنّ المنايا أيّ وادٍ سلكته عليها طريقٍ أو عليّ طريقها
فقد أدّنتني بانقطاع وفرقة وأومض لي من كلّ أفق بروقها
وترمي قساوات القلوب بأسهم وجمر فراقٍ لا يبوخ حريقها

ثمّ قال السّجاد عليه السّلام: «فانظر بعين قلبك إلى مصارع أهل
البذخ، وتأمل معاقل الملوك ومصانع الجبّارين، وكيف عرّكتهم الدّنيا
بكلّ كلّ الفناء». (١)

(النّاس نقائع الموت). التّقيّة من الإبل: ما يجزر من التّهب قبل
القسم. يعني أنّ الموت يجزر الخلق. (٢)
وفي أبيات الإمام الهادي عليه السّلام في مجلس المتوكّل العباسيّ من
العظة البالغة للمؤمنين وغيرهم، ممّن كان له قلب، أومّز رام التّجافي
عن دار الغرور.

«... كان المتوكّل جالساً في مجلس الشّرب، فدخل -الإمام
عليه السّلام- عليه، والكأس في يده، فلما رآه هابه وعظّمه،
وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكأس التي كانت في يده، فقال: والله ما
يخامر لحمي ودمي قط، فأعفني، فأعفاه، فقال: أنشدني شعراً، فقال

(١) البحار: ١٥٤/٧٨ - ١٥٥، حديث طويل. البذخ: الترفّع والتكبر.

(٢) مجمع الأمثال: ٣٤١/٢، حرف التّون، آخره: كما يجزر الجزار نقيعته.

«قد اعتبر بالباقي من اعتبر بالماضي». غرر الحكم: ٢٣٢.

عليه السلام: إني قليل الرواية للشعر، فقال: لا بد، فأنشده عليه السلام وهو جالس عنده:

غلب الرجال فلم تنفعهم القلل	باتوا على قلل الأجدال تحرسهم
وأسكنوا حفراً يا بئسما نزلوا	واستنزلوا بعد عزٍّ من معاقلهم
أئن الأساور والسيجان والحلل	ناداهم صارخ من بعد دفنهم
من دونها تضرب الأستار والكحل	أئن الوجوه التي كانت منعمه
تلك الوجوه عليها الدود تقتل	فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم
وأصبحوا اليوم بعد الأكل قداً كيلوا	قد طال ما أكلوا دهنراً وقد شربوا

...»(١).

٨٦- على ذلك نسلت القرون

كلمة مقولة لاستدامة الشيء واستمراره، وقد طبقها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على تواتر الرسل، وإنزال الكتب والشرائع السماوية لهداية الخلق، منذ البدء إلى أن اتصلت بشريعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم. حيث قال عليه السلام:

«واصطفى سبحانه من ولده أنبياء، أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم... إلى أن قال عليه السلام: - على ذلك نسلت

(١) البحار: ٢١١/٥٠ - ٢١٢. وبهج الصباغة: ٣٣٥/٨، نقلاً عن المروج.

القرون، ومضت الدهور، وسلفت الآباء، وخلفت الأبناء، إلى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - لإنجاز عده، وتمام نبوته، مأخوذاً على التبيين ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده... ..» (١).

قال ابن فارس: النسل: الولد؛ لأنه ينسل من والدته، ومنه التسلان: مشية الذئب إذا أعنق وأسرع. والماشي ينسل إذا أسرع. قال الله عزّوعلّا: «وهم من كلّ حدبٍ ينسلون» (٢). وقد أنسلت الإبل، حان لها أن تُنسلَ وبرها. ونسل الثوب عن الرجل: سقط. (٣).

أقول: من معنى الإسراع قوله تعالى: «إلى ربّهم ينسلون» (٤). قال الشيخ الطريحي: قوله عزّوجلّ: «فما بال القرون الأولى» [٥١/٢٠]: أي ما حال الأمم الماضية وشأنهم في السعادة والشقاوة؟ والقرن: أهل زمان واحد. قال شاعرهم:

إذا ذهب القرن الذي أنت فيه وخلفت في قرنٍ فأنت غريبٌ

وقيل: هو مدة أغلب أعمار الناس، وهو سبعون سنة. (٥)

(١) التهج: ١١٣/١ - ١١٦، الخطبة: ١.

(٢) الأنبياء: ٩٦.

(٣) مقاييس اللغة: ٥/٤٢٠ - ٤٢١، في (نسل). (٤) يس: ٥١.

(٥) مجمع البحرين: في (قرن).

وقال ابن الأثير: القرن: أهل كل زمان، وهو مقدار التوسط في أعمار أهل كل زمان، مأخوذ من الاقتران، وكأنه المقدار الذي يقترب فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم.

وقيل: القرن: أربعون سنة، وقيل: ثمانون، وقيل: مائة، ومنه الحديث: «أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - مسح على رأس غلام، وقال: عِشْ قرناً»، فعاش مائة سنة. (١) إن صحَّ الحديث، فالقرن مائة سنة.

وكيف كان، فراد الإمام عليه السلام من «على ذلك نسلت القرون»: أنهم توالدوا وتناسلوا على ذلك الميثاق، من مجيء كل نبي إلى أمته، إلى أن انتهى الأمر إلى عصر النبوة المحمدية البيضاء وأتمته، فأدى ما حمل صلى الله عليه وآله وسلم من تبليغ الرسالة، مبشراً ونذيراً، ولكن الأمة افترقت بعده إلى ثلاث وسبعين فرقة، واحدة منها ناجية، والبقية الباقية في النار. (٢)

وقد كثر التمثيل للدهر والزمان، ومنه قولهم: (أباد الأمم والقرون تعاقب الحركة والسكون).

الدهر لا يبقى على حالة لكنه يُقبل أو يُدبر
فإن تلقاك بمكروهه فاصبر فإن الدهر لا يصبر (٣)

(١) النهاية: في (قرن).

(٢) خصال الصدوق: ٥٨٤/٢ - ٥٨٥.

(٣) التمثيل والمحاضرة: ٢٤٦ - ٢٤٧.

٨٧ - على وَضَرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلٍ

تمثل به عليه السلام، وهو شطربيت أوله:

«لعمر أبيك الخير يا عمرو إنني *

كما في خطبة له عليه السلام، وقد تواتر عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد، وقدم عليه عاملاً على اليمَن، وهما: عُبيد الله بن عباس، وسعيد بن نمران، لما غلب عليهما بُسْر بن أرطاة، فقام على المنبر ضجراً بتناقل أصحابه عن الجهاد، ومخالفتهم له في الرأي، فقال عليه السلام:

«ما هي إلا الكوفة، أقبضها وأبسطها، إن لم يكن إلا أنت تهت أعاصيرك، فقبحك الله، وتمثل بقول الشاعر:

لعمر أبيك الخير يا عمرو إنني على وَضَرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلٍ
...» (١)

(١) التهج: ٣٣٢/١، ط ٢٥. قال الميداني: (على وضَرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ)، الوضَر: الدرن والذسم. و(على) من صلة فعل محذوف: أي، أرجى الدهر على كند يضرب لمن يتبلغ اليسر. مجمع الأمثال: ٣٤/٢، حرف العين.

والبيت من - الطويل -.

والغرض من التمثيل به يعرف من كلامه عليه السلام قبله،: أي قبل البيت: «ماهي إلا الكوفة...». إنها لديه عليه السلام كالوَضَر القليل في الإناء، وهو غسالة الشيء، وبقية الدسم: أي لم يبق من البلاد والعباد له سوى الكوفة، وهي مهددة بجيش الشام، لخذلان أصحابه بنهوضهم للجهاد مع العدو، واستيلاء ابن أرطاة من قبل معاوية على اليمن، وقتل أهلها، وهي من الحوادث الممضة. وهكذا كان. أرواحنا فداءه. أيام خلافته ممتحناً بالفتن، وخذلان صحبه، وأهل الكوفة أهل الغدر والتخذيل، وكثيراً ما كان يستنهضهم لجهاد العدو، فلم ينهضوا. بالحرّ والقرّ كانوا يقولون: حتّى تنقضي حمارة الحرّ، أو قرص البرد. وهو يخوفهم نار جهنم وغيرها من ألوان عذاب الله الأكبر، فلم يتخوفوا.

فهو عليه السلام أول مظلوم في العالم، قبل خلافته، وبعدها، وقبل وفاة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، وبعدها، وفي كلّ حالاته صلوات الله وسلامه عليه.

٨٨- عند الصّباح يحمّد القوم السّريّ

من خطبة آخرها:

«واللّٰه لقد رَقَعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ، حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلَا تَنْبِذُهَا عَنْكَ؟ فَقُلْتُ: اعْزَبْ عَنِّي؛ فَعِنْدَ الصُّبْحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى» (١).

قال المفضل: أوّل من قال ذلك خالد بن الوليد... :

لله درّ رافع أنى اهتدى
فوز من قراقر إلى سوى
عند الصّباح يحمّد القوم السّريّ
وتنجلي عنهم غيابات الكرى (٢)

قال الزّمخشريّ: أي إذا أصبح الذين قاسوا كذ السّريّ وقد خلفوا، تبجّحوا بذلك، وحمدوا ما فعلوا. يضرب في الحثّ على مزاولة الأمر بالصبر، وتوطين النفس حتّى تحمد عاقبته، قال الجليح:

إنّى إذا الجبس على الكورانثى
وقال: كم أتعبت؟ قلت: قد أرى
لوسئل الماء فداء لافتدى
عند الصّباح يحمّد القوم السّريّ

(١) التّهج: ٢٣٣/٩، ط ١٦١.

(٢) الفاخر: ١٩٣ - ١٩٤.

وتنجلي عنه عمايات الكرى (١)

يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة. (٢)

مثلاً يضرب لمحتمل المشقة العاجلة رجاء الراحة الآجلة. (٣) اختلف في قائله، قد عرفت نسبته إلى خالد، وقيل: هو للجليح، وقيل: للأغلب العجلي، أو غيرهم. وكيف كان، فقد بان معنى المثل في مورده الأول. وأما تمثيل الإمام عليه السلام به عند ترقيع مدرعته التي تعدل جيب السلاطين، وألبستهم المزيفة، بل لا قياس بينها وبين جميع ما في الدنيا والعالم، فلو هن المادّة، وصغرها في عينه، ولاقتداء الفقراء به. قيل له: لم ترقع قيصك؟ قال عليه السلام: ليخشع القلب، ويقتدي بي المؤمنون. (٤)

قيل: كان راقعها ابنه الحسن عليه السلام، أو أهله، ومن هنا قال عليه السلام: «حتى استحييت من رافعها».

لا يستطيع واصف أن يصف زهده عليه السلام، فعلى شيعته الاقتداء به، والاستضاءة بنور علمه، وتقوى الله عز وجل، كما كان هو كذلك، روعي فداه. وكيف وهو إمام المتقين.

ويضاهي المقام المثل السائر: (التمر في البئر، وعلى ظهر الجمل): أي من سقى وجَدَ عاقبة سقيه (٥).

(١) المستقصى: ١٦٨/٢. (٤) شرح التهج: ٢٣٥/٩.

(٢) مجمع الأمثال: ٣/٢، حرف العين. (٥) مجمع الأمثال: ١٣٧/١، حرف التاء.

(٣) شرح التهج: ٢٣٤/٩.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

٨٩ - غرض لنابل، وأكلة لآكل، وفريسة لصائل

من كلام له عليه السلام:

«أرضكم قريبة من الماء، بعيدة من السماء، خفت عقولكم، وسفحت حلومكم؛ فأنتم غرض لنابل، وأكلة لآكل، وفريسة لصائل». (١)

قال البحراني: قرب أرضهم -: أي أهل البصرة- إشارة إلى أنها -: أي البصرة- موضع هابط مستفل من الأرض، وقريب من البحر، فهو -: أي البحر- بصد أن يعلوها بملاقاة دجلة، وذلك مشاهد في دخول الماء حدائقهم، وسقيه بساتينهم، في كل يوم مرة أو مرتين.

أما كونها بعيدة من السماء، فبحسب استفالها عن غيرها من الأرض وقيل: إن من أبعد موضع في الأرض عن السماء الأبلّة، وأن ذلك ممّا دلّت عليه الأرصاد، وبرهن عليه أصحاب علم الهيئة. وقال بعضهم: إن كون ذلك في معرض الذم يصرفه عن مظاهره، وإنما الإشارة إلى أنهم لما كانوا بالأوصاف المذمومة التي عددها فيهم،

(١) التهج: ٢٦٧/١، كلام ١٤.

كانوا بُعداء عن نزول الرحمة عليهم من سماء الجود الإلهي، مستعدين لنزول العذاب. ويصدق في العرف أن يقال: فلان بعيد من السماء، إذا كان كما ذكرناه.

قوله: «خفت عقولكم» إشارة إلى قلة استعدادهم لدرك وجوه المصالح، وضعف عقولهم عن تدبير أحوالهم، وتسرعهم إلى ما لا ينبغي لغفلتهم عما ينبغي، وهو وصف لهم برذيلة الغباوة. قوله: «سفهت حلومكم» إشارة إلى وصفهم برذيلة السفه، والحقبة المقابلة للحلم.

قوله: «فأنتم غرض لنا بل، وأكلة لآكل، وفريسة لصائل»، هذه الأوصاف الثلاثة لازمة عن خفة عقولهم، وسفه حلومهم؛ ولذلك عَقَّبَها بها؛ لأن طمع القاصد لهم بأنواع الأذى إنما ينشأ من العلم بقلّة عقليّتهم لوجوه المصالح، وسفههم، فيقصد بهم بحسن تدبيره. والأول من هذه الأوصاف كناية عن كونهم مقصداً لمن يريد أذاهم.

والثاني كناية عن كونهم في معرض أن يطمع في أموالهم ونعمتهم، ويأكلها من يقصد أكلها. والثالث عن كونهم بصدد أن يفتربهم من يقصد قتلهم وإهلاكهم.

واستعار لفظ الغرض -: أي المرمى - والأكلة والفريسة لهم، ووجوه المشابهة فيها ظاهرة. وقد راعى في القرائن السجع، ففي الأولين السجع

المطرّف، وفي الآخرين بعدهما والثلاث السجع المتوازي. (١)
 جئنا عن آخر كلامه - رحمه الله - لكونه وافياً بالمقصود، ولكن مانقله
 عن البغض من صرّف ظاهر كلام الإمام عليه السلام إلى المراد من بُعد
 أرضهم من السماء، بُعدهم عن نزول الرحمة، وقُربهم إلى العذاب، يرده
 التعليل والترتب بين قُرب الأرض من الماء، وبُعدها عن السماء، وخفة
 عقولهم، وسفه حلومهم. فالأولى الإبقاء على ظاهر الكلام، ولا وجه
 لتأويل ما كان فيه للحقيقة سبيل.

ثم الأمثال الثلاثة لها نظائر من المثل السائر، ومنه الدعاء: «لا
 تجعلني للبلاء غرضاً». (٢) و(أكلة الشيطان). (٣)
 ولا يقال الفريسة إلا في الأسد: وهو كسر العظم للأكل، وكذا
 الصول.



مركز بحوث الدراسات الإسلامية

(١) شرح التهج: ٢٩٦/١، كلام ١٣.
 لا يخفى أن السجع في التثنية القافية في النظم، وهو ثلاثة أقسام: المتوازن: ما
 تساوت فيه الكلمات في الوزن فقط. والمتوازي: ما اتحد آخر جملتين في الوزن، والحرف،
 والروئي، وهو الحرف الآخر الأصلي من الكلمة: كقوله عليه السلام: «وأكلة لا كل،
 وفريسة لصائل».

والمطرّف: ما اتحد آخر الحرف الأصلي من آخر كلمة الجملتين فقط، المعبر عنه بـ
 (الروئي)، دون الوزن والحرف، كالماء، والسماء، وعقولكم، وحلومكم؛ في الجملتين
 الأولىين من كلام الإمام عليه السلام - فتفظن -.

(٢) مجمع البحرين: في (غرض).

(٣) مجمع الأمثال: ٤٩/١، حرف الهمزة.

٩٠- الغريب مَنْ لم يكن له حبيبٌ

في كلام له عليه السلام:
«الغريب مَنْ لم يَكُنْ له حبيبٌ». (١)

قال ابن أبي الحديد: يريد بالحبيب ههنا: المحبُّ، لا المحبوب.
قال الشاعر:

أسرة المرء والداه وفيما بين جنبيها الحياة تطيبُ
وإذا وليا عن المرء يوماً فهو في الناس أجنبيّ غريبُ (٢)

ويمثله من وجه المَثَل السَّائر: (إنَّ الدَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ عَضْدٌ). (٣)
أقول: قد يكون الحبيب بمعنى المحبوب؛ إذا كان الحبُّ حبًّا
حقيقيًّا، متبادلاً بين الجانبين. والأصل في الحبِّ حبُّ الله عزَّ وجلَّ

(١) التهج: ١١٣/١٦، الوصية: ٣١. البحار: ٧٧/٢١٣ - ٢٣٢.

(٢) شرح التهج: ١١٨/١٦.

(٣) مجمع الأمثال: ٢١/١، حرف الهمزة.

لولا له لما كان حبّ، والدليل عليه قوله تعالى:

يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ (١)

حيث قدّم حبّه تعالى على حبّهم في الذكر (٢) وفقاً لتقديم العلة على المعلول، وهو تعالى على الإطلاق محبوب محبّ. وكذا رسوله، وأهل بيته عليهم السّلام.

ومن هنا جاء في زيارة الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف المبدوعة بـ: «سلام على آل يس»، «وأنّ محمّداً عبده ورسوله، لا حبيب إلّا هو وأهله» (٣) بعد حبّ الله عزّ وجلّ.

فالمؤمن وإن كان بحسب بعض الأحاديث غريباً، ليس بغريب؛ لأنّ الله ورسوله والأئمّة الهاديين أحبّاءه، وكذا بالقياس إلى مؤمن مثله والكافر غريب، وإن كان له حبيب، أو المؤمن الكائن في دار الشّرك، أو غيره، كما يشهد لذلك ما عن الصادق عليه السّلام، قال: «يقول أحدكم: إني غريب، إنّما الغريب الذي يكون في دار الشّرك». (٤) ومنه الحديث النبويّ: «الإسلام بدأ غريباً، وسيعود كما بدأ، وطوبى للغرباء». (٥)

(١) المائدة: ٥٤.

(٢) وإن كان واو العطف لا يدلّ إلّا على الجمع فتاً، ولكن فيه إشعار عرقي بالترتيب.

(٣) مفاتيح الجنان: ٥٢٤.

(٤) الوسائل: ٧٦/١١.

(٥) الإكمال: ٦٤.

والوجه فيه أنَّ الغربة والأنس أمران إضافيان، فالغربة في شيء بالقياس إلى شخص، أنس بالقياس إلى آخر، أوحالة بالإضافة إلى حالة ثانية، وهكذا، ولا بد من لحاظ الواجد لمن يأنس به والفاقد له.

وأما كلام الإمام عليه السلام، قَرَبًا يُزَعَم أَنَّهُ يريد معنى متعارفاً هو أضييق دائرة من المعنى المتقدم الذكر، إلاَّ أَنَّهُ زعم لا دليل عليه بعد إطلاق الكلام الشامل للمعنى الأوسع، فاختر ما تحب.

حبيب الإنسان: الذي هو موضع سره الصادق في حبه، وألف خصلة أخرى تحقق أخوته وخلته؛ (إِنَّ الصَّدِيقَ مَنْ صَدَّقَكَ لَا مِنْ صَدَّقَكَ)، (أخوك من صدقك النصيحة)، يعني: النصيحة في أمر الدين والدنيا. (١) (لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته، وغيبته، ووفاته). (٢)

وصادقي: «إِنَّ الَّذِينَ تَرَاهُمْ لِكَ أَصْدِقَاءَ، إِذَا بَلَوْتَهُمْ وَجَدْتَهُمْ عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى: فَهُمْ كَالْأَسَدِ فِي عَظْمِ الْأَكْلِ، وَشِدَّةِ الْقَوْلَةِ، وَمِنْهُمْ كَالذَّنْبِ فِي الْمَضَرَّةِ، وَمِنْهُمْ كَالْكَلْبِ فِي الْبُصْبُصَةِ، وَمِنْهُمْ كَالثَّعْلَبِ فِي الرُّوْغَانِ وَالسَّرْقَةِ؛ صُورُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ، وَالْحِرْفَةُ وَاحِدَةٌ. مَا تَصْنَعُ غَدًا إِذَا تَرَكْتَ فَرْدًا وَحِيدًا لَا أَهْلَ لَكَ وَلَا وَلَدَ، إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟!». وعن الصادق عليه السلام:

(١) مجمع الأمثال: ٢٣/١، حرف الهمزة.

(٢) السفينة: ٢٥/٢، في (صدق).

أخوك الذي لوجئت بالسيف عامداً لتضربه لم يستغشك في الودّ
ولو جئته تدعوه للموت لم يكن يردك إبقاءً عليك من الرّدّ
... (١) .



(١) السفينة: ٢/٢٦، في (صدق).



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

٩١- فاز... بالسهم الأخيب

في خطبة له عليه السلام، أولها:
 «أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم- إلى فقرة:- ومن فاز
 بكم فقد فاز والله بالسهم الأخيب...» (١).

ونقلها الشيخ المجلسي مع تفاوت ألفاظ منها: «إِنَّ مَنْ فاز بكم فقد
 فاز بالخيبة» (٢). والشيخ المحمودي في باب الخطب: «مَنْ فاز بكم فاز
 بالسهم الأخيب» (٣). وهو من الأمثال السائرة، ذكره الميداني، قال: (مَنْ فاز بفلان فقد
 فاز بالسهم الأخيب). وفي كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي
 الله عنه -عليه السلام- أنه قال: «مَنْ فاز بكم فقد فاز بالسهم
 الأخيب»، يضرب في خيبة الرجل في مطلوبه. (٤)

(١) التهج: ١١١/٢، ط: ٢٩.

(٢) البحار: ٣٤٠/٧٧.

(٣) نهج السعادة: ٤٧٠/٢ و ٥٤٢ و ٥٧٠.

(٤) مجمع الأمثال: ٣٠٨/٢، حرف الميم.

والزَّخْرِيّ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي بَعْضٍ مِنْ
اسْتَبْطَاءٍ مِنْ أَصْحَابِهِ! يُضْرَبُ فِي ذِمِّ الرَّجُلِ التَّكْدُ. (١)
التَّكْدُ بِكَسْرِ التَّوْنِ: قَلِيلُ الْخَيْرِ الْقَاسِرِ، وَجَمْعُهُ أَنْكَادُ.

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: فِي حَدِيثِ عَلِيٍّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : «مَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ
فَازَ بِالْقِدْحِ الْأَخِيبِ»: أَيُّ بِالسَّهْمِ الْخَائِبِ الَّذِي لَا نَصِيبَ لَهُ مِنْ قِدَاحِ
الْمَيْسَرِ، وَهِيَ ثَلَاثَةٌ: الْمَنِيحُ، وَالسَّفِيحُ، وَالْوَعْدُ. وَالْخَيْبَةُ: الْحَرَمَانُ
وَالْخُسْرَانُ، وَقَدْ خَابَ يَخِيبُ وَيَخُوبُ. (٢)

وَقَالَ: السَّهْمُ فِي الْأَصْلِ وَاحِدُ السَّهَامِ الَّتِي يُضْرَبُ بِهَا فِي الْمَيْسَرِ،
وَهِيَ الْقِدَاحُ، ثُمَّ سُمِّيَ بِهِ مَا يَفُوزُ بِهِ الْفَالَجُ سَهْمَهُ، ثُمَّ كَثُرَتْ حَتَّى سُمِّيَ
كُلَّ نَصِيبٍ سَهْمًا. وَيَجْمَعُ السَّهْمُ عَلَى أَهْمٍ وَسَهَامٍ وَسُهْمَانٍ. (٣) وَمِنْهُ
قَوْلُهُ تَعَالَى: «فَسَاهُمْ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ». (٤)

قَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَقَدْ رَكِبَ - أَيُّ يُونُسَ - مَعَ الْقَوْمِ،
فَوَقَفَتِ السَّفِينَةُ فِي اللَّجَّةِ، وَاسْتَهَمُوا، فَوَقَعَ السَّهْمُ عَلَى يُونُسَ ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ، فَضَيَّ يُونُسَ إِلَى صَدْرِ السَّفِينَةِ، فَإِذَا الْحَوْتَ فَاتَحَ فَاهُ، فَرَمَى
بِنَفْسِهِ». (٥)

(١) الْمُسْتَقْصَى: ٣٥٨/٢.

(٢) التَّهْيَاةُ: ٩٠/٢، فِي (خَيْبِ).

(٣) التَّهْيَاةُ: ٤٢٩/٢، فِي (سَهْمِ).

(٤) الصَّاقَاتُ: ١٤١.

(٥) تَفْسِيرُ الصَّافِي: ٤٣٣/٢.

سميت القرعة بالمساهمة لكتابة الاسم على السهم. ومنه الصادقي: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَضَعَ الْإِيمَانَ عَلَى سَبْعَةِ أَسْهُمٍ: عَلَى الْبِرِّ، وَالصَّدَقِ، وَالْيَقِينِ، وَالرِّضَا، وَالْوَفَاءِ، وَالْعِلْمِ، وَالْحِلْمِ؛ ثُمَّ قَسَمَ ذَلِكَ بَيْنَ النَّاسِ. فَمَنْ جَعَلَ فِيهِ هَذِهِ السَّبْعَةَ الْأَسْهُمَ فَهُوَ كَامِلٌ مُحْتَمِلٌ؛ وَقَسَمَ لِبَعْضِ السَّهْمِ، وَلِبَعْضِ السَّهْمِينَ، وَلِبَعْضِ الثَّلَاثَةِ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى السَّبْعَةِ، ثُمَّ قَالَ: لَا تَحْمِلُوا عَلَى صَاحِبِ السَّهْمِ سَهْمِينَ، وَلَا عَلَى صَاحِبِ السَّهْمِينَ ثَلَاثَةً، فَتَهْضُوهُمْ...» (١).

وليس أمير المؤمنين عليه السلام لأوّل مرّة يشكو من أصحابه المتمردين، لقد جاء في كلماته: «إِنْ كَانَتْ الرَّعَايَا قَبْلِي لِتَشْكُو حَيْفَ رُغَايَا، فَإِنِّي الْيَوْمَ لِأَشْكُو حَيْفَ رِعْيَتِي، كَأَنِّي الْمَقُودُ وَهُمْ الْقَادَةُ، أَوْ الْمَوْزُوعُ وَهُمْ الْوَزْعَةُ» (٢).
«قَاتَلَكُمْ اللَّهُ، لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا، وَجَرَعْتُمُونِي نَغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعَصِيَانِ وَالْخِذْلَانِ» (٣).

النُّغْبُ جمع نَغْبَةٍ: وهي الجرعة. والتَّهْمَامُ بفتح التاء: الهم (٤): أي في كلِّ نَفْسٍ أَتَجَرَّعُ الهمَّ مِنْكُمْ. ساعد الله قلبك يا أمير المؤمنين!.
ومنها قوله عليه السلام: «اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَلْتَهُمْ وَمَلَوْنِي، وَسُئِمْتَهُمْ

(١) أصول الكافي: ٤٢/٢.

(٢) التهجد: ١٩/١٤٥، الحكمة: ٢٦٧.

(٣) التهجد: ٢/٧٥، الخطبة: ٢٧.

(٤) شرح التهجد: ٨٠/٢.

وسئمونني، فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني! اللهم مث
قلوبهم، كما يماث الملح في الماء، أما والله لوددت أن لي بكم ألف فارس
من بني فراس بن غنم:

هنالك لودعوت أتاك منهم فواس مثل أرمية الحميم

ثم نزل عليه السلام من المنبر». (١)

وما أقل أهل الوفاء من أصحابه، يشار بهم بالبنان، كعمار بن
ياسر، والأشتر، وذو الشهادتين؛ وأضربهم.

٩٢- فاعل الخير خير منه، وفاعل الشر شر منه

من الكلمات المعدودة من الأمثال، قوله عليه السلام:
«فاعل الخير خير منه، وفاعل الشر شر منه». (٢)

ويماثل المثل الذي ضربه عليه السلام، أو هو هو بتغيير ما، ما ذكره
الميداني: (إن خيراً من الخير فاعله، وإن شراً من الشر فاعله). وقال:
هذا المثل لأخ للنعمان بن المنذر، يقال له: علقمة، قاله لعمر بن هند في

(١) التهج: ٣٣٢/١، ط: ٢٥.

(٢) التهج: ١٤٩/١٨، ح: ٣٢.

مواعظ كثيرة، كذا ذكره أبو عبيد في كتابه. (١)
و للشارح شرح وبيان قال: قد نظمت أنا هذا اللفظ والمعنى، فقلت
في جملة أبيات لي:

خير البضائع للإنسان مكرمة تثنى وتزكو إذا بارت بضائعه
فالخير خيرٌ وخير منه فاعله والشرُّ شرٌّ وشرُّ منه صانعه

فإن قلت: كيف يكون فاعل الخير خيراً من الخير، وفاعل الشرّ شرّاً
من الشرّ، مع أنّ فاعل الخير إنّما كان ممدوحاً لأجل الخير، وفاعل الشرّ
إنّما كان مذموماً لأجل الشرّ، فإذا كان الخير والشرّ هما سببا المدح
والذّم، وهما الأصل في ذلك، فكيف يكون فاعلهما خيراً وشرّاً منهما؟
قلت: لأنّ الخير والشرّ ليسا عبارة عن ذات حيّة قادرة، وإنّما هما
فعلان، أو فعل وعدم فعل، أو عدمان، فلو قطع النظر عن الذات الحيّة
القادرة التي يصدران عنها لما انتفع أحد بهما، ولا استضرّ، فالتفع والضّر
إنّما حصلا من الحيّ الموصوف بهما لا منهما على انفرادهما، فلذلك كان
فاعل الخير خيراً من الخير، وفاعل الشرّ شرّاً من الشرّ. (٢)

ويؤيده من بعض الوجوه أنّ العلم إنّما يقوم بأهله، وكذا الجهل لا
يكون إلّا بالجاهل، فالعلم والجهل بما هما لا وجود لهما، وهكذا الصدق

(١) مجمع الأمثال: ٥٨/١، حرف الهمة.

(٢) شرح التهج: ١٨/١٤٩.

والكذب. وقد جاء: «أحسن من الصدق قائله، وخير من الخير فاعله». (١) وهل الخير قبل الشر كما في الخبر؟ (٢) وفيها بحث لا تسع المقام.

٩٣- الفضل للبادي

قال عليه السلام:

«إذا حييت بتحية فحيي بأحسن منها، وإذا أسديت إليك يد فكافئها بما يُربي عليها، والفضل مع ذلك للبادي». (٣)

دل على رد التحية بالأحسن قوله تعالى: «وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها». (٤)
ولعل السرفيه هو مكافأة البادي الذي له الفضل بابتدائه بالتحية، ومن أجله قدم الرد بالأحسن على ردّها بالمثل في الآية الكريمة؛ لأن الرد بالمثل إنما هو جزاء أصل التحية دون الفضل المسبب عن ابتدائها.
والتحية تعم التحية القولية وغيرها، ومنه إسداء اليد ومكافأتها المذكور في كلام الإمام عليه السلام في الفقرة الثانية.
وفي أحاديث أهل البيت عليهم السلام دلالة على هذا التعميم:

(١) السفينة: ٤٣٣/١، في (خير). (٣) التهجد: ٢٠١/١٨، الحكمة: ٦.

(٢) مصابيح الأنوار: ١١١/١. فيه إشارة إليه. (٤) النساء: ٨٦.

«جاءت جارية للحسن عليه السلام بطاق ربحان فقال لها: أنت حرة لوجه الله، فقيل له في ذلك ، فقال عليه السلام: أَدَبْنَا اللَّهَ تَعَالَى، فقال: «وَإِذَا حَيَّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رَدُّوْهَا»، وكان أحسن منها إعتاقها». (١)

كما وإنَّ من تمام التَّحِيَّةِ المصافحة والمعانقة، عن الصادق عليه السلام: «إِنَّ من تمام التَّحِيَّةِ للمقيم المصافحة، وتمام التَّسْلِيمِ للمسافر المعانقة». (٢)

والتَّحِيَّةُ القَوْلِيَّةُ: هي السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، على اختلاف الصَّيغ التي يقتضيها المقام.

جاء القرآن الكريم بِسَّلام من الله تعالى ورسله وملائكته: «يُنوح اهبط بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ». (٣) «فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ». (٤) «الَّذِينَ تَتَوَفَّهِ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ». (٥) «تَحِيَّاتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ». (٦) وهو تحية الإسلام، وإنَّ كان لكلِّ ملة تحية تخصُّهم هي دونها، لدلالة السَّلام على سلامة نفس المسلم مع أخيه المسلم وعدم حربه، وهو اسم من أسماء الله الحسنى: «هو الله الَّذي لا إِلَهَ إِلَّا هو الملك القدوس

(١) تفسير الميزان: ٣٥/٥، النساء: ٨٦.

(٢) تفسير الميزان: ٣٥/٥.

(٣) هود: ٤٨.

(٤) الأنعام: ٥٤.

(٥) النحل: ٣٢.

(٦) إبراهيم: ٢٣.

السَّلَامُ». (١) «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمَنْكَ السَّلَامُ، وَإِلَيْكَ يَعُودُ السَّلَامُ،
وَدَارُكَ دَارُ السَّلَامِ، حِينَ رَبَّنَا مِنْكَ بِالسَّلَامِ». (٢)

ثُمَّ الْبَادِي بِالتَّحِيَّةِ الَّذِي لَهُ الْفَضْلُ لَا يَخْصُهَا فَحَسَبَ، بَلْ لَهُ ذَلِكَ
إِطْلَاقاً فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَمِنْ هُنَا امْتَدَحَ السَّابِقُونَ إِلَى الْخَيْرَاتِ، الْمَسَارِعُونَ
إِلَى الْمَغْفِرَةِ فِي آيَةِ الْاِسْتِبَاقِ وَالْمَسَارَعَةِ، (٣) وَأَنْهَمُ الْمُقَرَّبُونَ فِي آيَةِ:
«وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ». (٤)

وَمِنْ قِيَاسِ الضَّدِّ يَعْلَمُ حَالُ الْبَادِي بِالشَّرِّ وَالظُّلْمِ، وَأَنَّ لَهُ زِيَادَةَ
الْعَذَابِ. قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لِلظَّالِمِ الْبَادِي غَدَاً بِكَفِّهِ عَضَّةً». (٥) «لَا
تَدْعُونَنِي إِلَى مَبَارَزَةٍ، وَإِنْ دَعَيْتَ إِلَيَّ فَأَجِبْ، فَإِنَّ الدَّاعِيَ بَاغٍ، وَالْبَاغِي
مَصْرُوعٌ». (٦) فَالْبَادِي بِالْحَرْبِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَجْلِ مَظَاهِرِ الشَّرِّ بَاغٍ
هَالِكٌ، جُنْنَا بِذَلِكَ لِأَدْنَى صِلَةٍ تَمَسُّ الْمَوْضُوعَ.

ثُمَّ الْمَثَلُ الْجَارِي يَمِثُّهُ مَا عَنِ الْمَوْلَدِينَ: (الْفَضْلُ لِلْمَبْتَدِي، وَإِنْ
أَحْسَنَ الْمُقْتَدِي). (٧) فَيَكُونُ مَثَلُنَا مِنَ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ بِالذَّاتِ، يَقَالُ
لِلْحَثِّ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ الْمَقْدَمِ عَلَيْهِ قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ.

(١) الحشر: ٢٣.

(٢) مفاتيح الجنان: ٣٩٠، دعاء وسط مسجد الكوفة.

(٣) البقرة: ١٤٨.

(٤) الواقعة: ١٠ - ١١.

(٥) التَّهَجُّج: ٣٦٩/١٨، الْحِكْمَةُ: ١٥٣.

(٦) التَّهَجُّج: ٦٠/١٩، الْحِكْمَةُ: ٢٣٠.

(٧) مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ: ٩١/٢، حَرْفُ الْفَاءِ.

٩٤- فَعَلَ فِعْلَ السَّادَةِ، وَفَرَّارَ الْعَبِيدِ

من كلام له عليه السلام لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية، وكان قد ابتاع سبئي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام وأعتقه، فلما طالبه بالمال خاس به، وهرب إلى الشام، فقال عليه السلام:

«قَبَّحَ اللَّهُ مصقلة، فَعَلَ فِعْلَ السَّادَةِ، وَفَرَّارَ الْعَبِيدِ فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَنَهُ، وَلَا صَدَقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَغَتَهُ، وَلَوْ أَقَامَ لِأَخْذِنَا مِيسُورَهُ، وَانْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وَفُورَهُ» (١).

مركز تحقيق التراث
مكتبة آية الله العظمى
المرجع

قال المعتزلي: خاس به يخيس ويخوس: أي غدر به، خاس فلان بالعهد: أي نكث. وقبح الله فلاناً: أي نحاه عن الخير، فهو مقبوح. والتبكيك: كالتهجير والتعنيف. والوفور مصدر وفر المال: أي تم. (٢)
مَنْ هُوَ مَصْقَلَةٌ؟ وَكَيْفَ كَانَ ابْتِيعَ سَبْيِ بَنِي نَاجِيَةٍ مِنْ عَامِلِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ وَمَنْ بَنُو نَاجِيَةٍ؟ وَنَاجِيَةٌ نَفْسُهَا؟

(١) التهجد: ١١٩/٣، كلام: ٤٤.

(٢) شرح التهجد: ١١٩/٣.

فهنا أمور أربعة:

الأول، قال السيّد الخوئي: عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب عليّ عليه السّلام. (١) ومثله الأردبيليّ. (٢)

وكلّ مَنْ ترجمه عرفه بهربه من عليّ عليه السّلام إلى معاوية (٣)، وهو عامله عليه السّلام على (أرد شير خُرة)، كورة من بلاد فارس. (٤) مكثي بأبي الفضل.

الأمر الثاني، لا بدّ أولاً من بيان جهة سني بني ناجية، ثمّ كيفيّة ابتياعهم:

لما بايع أهل البصرة عليّاً عليه السّلام بعد الهزيمة، دخلوا في الطّاعة غير بني ناجية، فإنّهم عسكروا، فبعث عليّ عليه السّلام رجلاً من أصحابه (٥) في خيل ليقاتلهم، فأتاهم، فقال: ما بالكم عسكركم، وقد دخل الناس في الطّاعة غيركم؟ فافترقوا ثلاث فرقي: فرقة قالوا: كُتّا نصاريّ، فأسلمنا، ودخلنا فيما دخل فيه الناس من الفتنة، ونحن نبايع كما بايع الناس، فأمرهم، فاعتزلوا. وفرقة قالوا: كُتّا نصاريّ، ولم نسلم، فخرجنا مع القوم الذين كانوا

(١) معجم الرجال: ١٧٥/١٨.

(٢) جامع الرواة: ٢٣٣/٢.

(٣) مجمع الرجال: ٩٤/٦.

(٤) نهج السعادة: باب الكتب: ١٨٨/٢، مصادر التّهج: ٣٤٧/٣.

(٥) يقال له: زياد بن حفصة، وأتبعه معقل بن قيس.

خرجوا، قهرونا، فأخرجونا كرهاً، فخرجنا معهم، فهزموا فنحن ندخل فيما دخل فيه الناس، ونعطيك الجزية، كما أعطيناهم. فقال لهم: اعتزلوا.

وفرقة قالوا: إنا نصارى، فأسلمنا، فلم يعجبنا الإسلام، فرجعنا. فنعطيك الجزية كالتصاري، فقال لهم: توبوا وارجعوا إلى الإسلام، فأبوا. فقاتل مقاتلتهم، وسبى ذرارهم، فقدم بهم على أمير المؤمنين عليه السلام.

وقيل: إن الأمير من قبل علي عليه السلام كان معقل بن قيس، ولما انقضى أمر الحرب لم يقتل من المرتدين من بني ناجيه إلا رجلاً واحداً، ورجع الباقيون إلى الإسلام، واسترق من التصاري منهم الذين ساعدوا في الحرب، وشهروا السيف على جيش الإمام عليه السلام.

ثم أقبل بالأسارى حتى مرّ على مصقلة بن هبيرة الشيباني، وهو عامل علي عليه السلام على أردشير خرة وهم خمسمائة إنسان، فبكت إليه النساء والصبيان، وتصايح الرجال، وسألوه أن يشتريهم ويعتقهم، فابتاعهم بخمسمائة ألف درهم، فأرسل إليه أمير المؤمنين أبا حرة الحنفي، ليأخذ منه المال، فأدى إليه مائتي ألف درهم، وعجز عن الباقي، فهرب إلى معاوية. (١)

قال السيد الأستاذ الخوئي: وروى الشيخ بإسناده عن الحسين بن

(١) الغارات: ٧٧٠/٢ - ٧٧١. لعل الصحيح: (فقاتل مقاتليهم). على ما ذكره الشيخ

الطوسي، كما في معجم رجال الحديث: ١٧٥/١٨، من ترجمة مصقلة بن هبيرة.

سعيد عن حماد وصفوان عن معاوية بن عمار عن أبيه عن أبي الطفيل :
 أن بني ناجية قوم كانوا يسكنون الأسياف، وكانوا قوماً يدعون في
 قريش نسباً، وكانوا نصارى، فأسلموا، ثم رجعوا عن الإسلام، فبعث
 أمير المؤمنين عليه السلام معقل بن قيس التميمي، فخرجنا معه (...).
 فدعاهم إلى الإسلام ثلاث مرّات، فأبوا. فوضع يده على رأسه.
 قال: فقتل مقاتليهم، وسبى ذراريهم. قال: فأتي بهم علياً عليه السلام،
 فاشتراهم مصقلة بن هبيرة بمائة ألف درهم، فأعتقهم، وحمل إلى
 أمير المؤمنين حسين ألفاً، فأبى أن يقبلها. قال: فخرج بها فدفنها في داره،
 وأجاز عتقهم. (١)

ونقلها العسكري في جهرة الأمثال تحت عنوان: (وأهل الكوفة
 يقولون: حتّى يرجع مصقلة من طبرستان). وهو نقل يخالف الرواية
 الأولى. قال: وهو مصقلة بن هبيرة، وكان سبب هربه من الكوفة أنه
 كان على أرد شير خرة من قبل عليّ عليه السلام، فجاء معقل بن قيس
 بسبي بني ناجية، وكانوا قد ارتدوا عن الإسلام، فصاحوا إلى مصقلة يا
 أبا الفضل! امن علينا، فاشتراهم بثلاثمائة ألف درهم، فأعتقهم،
 وخرج إلى عليّ عليه السلام، فدفع إليه مائة درهم، وهرب إلى معاوية.
 فقال عليّ عليه السلام: «قبح الله مصقلة، فعَلَّ فعَلَّ السيّد، وفرّ
 فرار العبد، ولو أقام ورأيناه قد عجز لم نأخذه بشيء». وأجاز عتق من
 أعتق ففتش عليّ - عليه السلام - دار مصقلة، فوجد فيها سلاحاً، فقال:

(١) معجم رجال الحديث: ١٧٥/١٨.

أرى حرباً مفرقة وسلماً وعهداً ليس بالعهد الوثيق

ثم هدمها، فقال يحيى بن منصور:

قضى وطراً منها عليّ فأصبحت إمارته فيها أحاديث كاذب

فبناها له معاوية بعد. وقال مصقلة حين لحق بمعاوية:

تركت نساء الحي بكر بن وائل وأعتقت سبياً من لؤي بن غالب
وفارقت خير الناس بعد محمدٍ لمالي قليل لامحالة ذاهب (١)

الأمر الثالث والرابع من بنوناجية، وناجية نفسها؟

قال الشارح المعتزلي: فأما القول في نسب بني ناجية، فإنهم ينسبون أنفسهم إلى سامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وقريش تدفعهم عن هذا النسب، ويسمّونهم بني ناجية - وهي أمّهم - وهي امرأة سامة بن لؤي بن غالب. ويقولون: إنّ سامة خرج إلى ناحية البحرين مغاضباً لأخيه كعب بن لؤي بن غالب في مماظة (٢) كانت بينهما، فطأطأت ناقته رأسها لتأخذ العشب، فعلق بمشفرها

(١) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ٢٤٢/١.

(٢) المماظة: المحاصمة والمنازعة.

أَفْعَى، عَطَفْتُ عَلَى قَتْبِهَا، فَحَكَّتْهُ بِهِ، فَدَبَّ الْأَفْعَى عَلَى الْقَتَبِ حَتَّى
نَهَشَ سَاقَ سَامَةَ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ أَخُوهُ كَعْبُ بْنُ لُؤَيٍّ يَرِثِيهِ:

عَيْنُ جُودِي لِسَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ عَلَقْتُ سَاقَ سَامَةَ الْعَلَاقَةَ
رَبِّ كَأْسٍ هَرَقْتُهَا ابْنُ لُؤَيٍّ حَذَرُ الْمَوْتِ لَمْ تَكُنْ مَهْرَاقَةَ
قَالُوا: وَكَانَتْ مَعَهُ امْرَأَتُهُ نَاجِيَةٌ، فَلَمَّامَاتٌ، تَزَوَّجَتْ رَجُلًا فِي
الْبَحْرَيْنِ، فَوَلَدَتْ مِنْهُ الْحَارِثَ، وَمَاتَ أَبُوهُ وَهُوَ صَغِيرٌ، فَلَمَّا تَرَعَرَ
طَمَعَتْ أُمُّهُ أَنْ تَلْحَقَهُ بِقُرَيْشٍ، فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّ ابْنَ سَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ بْنُ غَالِبٍ،
فَرَحَلَ مِنَ الْبَحْرَيْنِ إِلَى مَكَّةَ، وَمَعَهُ أُمُّهُ.

فَأَخْبَرَ كَعْبُ بْنُ لُؤَيٍّ أَنَّ ابْنَ أَخِيهِ سَامَةَ، فَعَرَفَ كَعْبُ أُمُّهُ نَاجِيَةً،
فَظَنَّ أَنَّ صَادِقٌ فِي دَعْوَاهُ، فَقَبِلَهُ، وَمَكَّثَ عِنْدَهُ مَدَّةً حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ رَكْبٌ
مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَرَأَوْا الْحَارِثَ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، وَحَادَثُوهُ، فَسَأَلَهُمْ كَعْبُ بْنُ
لُؤَيٍّ: مَنْ أَيْنَ يَعْرِفُونَهُ؟

فَقَالُوا: هَذَا ابْنُ رَجُلٍ مِنْ بَلَدِنَا، يَعْرِفُ بِفُلَانٍ، وَشَرَحُوا لَهُ خَبْرَهُ،
فَنَفَاهُ كَعْبٌ عَنْ مَكَّةَ، وَنَفَى أُمُّهُ، فَرَجَعَا إِلَى الْبَحْرَيْنِ، فَكَانَا هُنَاكَ،
وَتَزَوَّجَ الْحَارِثُ، فَأَعْقَبَ هَذَا الْعَقَبَ. (١)

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَعَلَ فِعْلَ السَّادَةِ، وَقَرَّرَ فِرَارَ الْعَبِيدِ»، يُقَالُ لِمَنْ
لَهُ حَالَةٌ حَسَنَةٌ، وَأُخْرَى سَيِّئَةٌ، فَهُوَ مَثَلٌ بِالْصِّمِيمِ، وَإِنْ لَمْ يَرْسُلْهُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ مَثَلًا، عَلَى أَنَّ (حَتَّى يَرْجِعَ مَصْقَلَةً مِنْ طَبْرِسْتَانَ) مَثَلٌ سَائِرٌ.

(١) شرح النهج: ١٢٠/٣.

٩٥- فقد الأُحبةُ غربةً

قال عليه السّلام:
«فقد الأُحبةُ غربةً». (١)

هذا من المَثَل السَّائِر ذَكَرَهُ أربابُ كُتُبِ الأمثال، منها المستقصى،
وفيه: فقد الأُحبةُ غربةً. (٢) ومجمع الأمثال بلفظ: فقد الإخوان غربةً.
(قال مؤلفه): قريب من هذا قول الشيخ أبي سليمان:

وإن كان فيها أسرتي وها أهلي	وإنني غريب بين بُست وأهلها
ولكتها واللّه في عدم الشّكل (٣)	وما غربة الإنسان في غربة النوى

وقال زيادة بن زيد:

(١) التهج: ٢١٠/١٨، الحكمة: ٦٣.

(٢) ١٨١/٢، حرف الفاء مع القاف.

(٣) ٨٣/٢، حرف الفاء.

هل الدهر والأيام إلا كما ترى رزية مالي أو فراق حبيب (١)

وقال الشارح المعتزلي: ومثله قوله عليه السلام: «الغريب مَنْ لم يكن له حبيب»

وقال الشاعر:

أسرة المرء والداه وفيما بين حضنتيها الحياة تطيب
وإذا ولّينا عن المرء يوماً فهو في الناس أجنبي غريب

وقال آخر:

إذا ما مضى القرن الذي كنت فيه وخلقت في قرن فأنت غريب (٢)

الأحبة والأحباء جمع الحبيب، مصدرها المحبة: وهي المودة. و«المودة قرابة مستفادة». (٣)

وعند فقد الأحبة يحس الإنسان بالاغتراب، حتى يرى الراحة في الموت، ويتمناه من هنا تجد الإمام عليه السلام عند فقد عمار بن ياسر حبيبه تمناه قائلاً:

ألا أيها الموت الذي ليس تاركي أرحني فقد أفنيت كل خليل

(١) التمثيل والمحاضرة: ص: ٦٦.

(٢) شرح التهج: ٢١٠/١٨، في شرح التمثيل: «الغريب مَنْ لم يكن له حبيب» بدل (حضنتيها): (جنتيها)، فراجع المصدرين تجد لفظ الحضن، في شرح التهج: ٢١٠/١٨، والجنب، في شرح التهج: ١١٨/١٦.

(٣) التهج: ٣١/١٩، الحكمة ٢٠٧، وحرف الميم مع الواو.

أراك بصيراً بالذين أحبّهم كأنك تسعى نحوهم بدليل (١)

والفرقة بين الخليلين كغيرهما بالهجران أو الموت ، لا بدّ ولا مناص عنها، حتّى الأنبياء والأئمّة الهداة عليهم السّلام الذين هم من أصدق الأحبة وأعزّهم لا بدّ من فقدهم بالموت، كما قال تعالى لأشرف خلقه محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «إنك ميت وإنهم ميتون». (٢)

والإمام عليه السّلام عند موت سيّدة نساء العالمين فاطمة عليها السّلام يتمثّل بأبيات تدلّ على فرقة الموت والغربة:

لكلّ اجتماع من خليلين فرقة وكلّ الذي دون الوفاة قليل وإن افتقادي واحداً بعد واحد دليل على أن لا يدوم خليل (٣)

وفي بعض النسخ:

« وإن افتقادي فاطماً بعد أحد »

على ما ببالي. وإنّ الإنسان كثير بحبيبه، يسكن إليه، ويرفع وحدته، لاسيّما إذا كان الحبّ في الله.

(١) البحار: ٨٨/٧٨.

(٢) الزّمر: ٣٠.

(٣) البحار: ٨٥/٧٨.

عن السَّجَّاد عليه السَّلام: «إذا جمع الله الأولين والآخرين، قام منادٌ فنادى يسمع النَّاسُ، فيقول: أين المتحابُّون في الله؟ قال: فيقوم عنقٌ من النَّاسِ، فيقال: اذهبوا إلى الجَنَّةِ بغير حساب». (١)

وباقري: «وَدَّ الْمُؤْمِنُ فِي اللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ شُعْبِ الْإِيمَانِ». (٢) ونبوي: «يا عليَّ من أوثق عرى الإيمان الحبُّ في الله، والبغضُ في الله». (٣)

وصادقي: «طوبى للمتحابِّين في الله». (٤).

٩٦- فَلَقَ لَكُمْ الْأَمْرَ فَلَقَ الْخَزْرَةَ

كلمة تمثيلية من خطبة له عليه السَّلام، منها:

«... فاستمعوا من ربَّانيكم، وأحضروهُ قلوبكم، واستيقظوا إن هتف بكم، وليصدق رائد أهله، وليجمع شمله، وليحضر ذهنه، فلقد فلق لكم الأمر فلق الخزرة، وقرَّه قرف الصمغة...». (٥)

(١) الوسائل: ٤٣٢/١١.

(٢) الوسائل: ٤٣١/١١.

(٣) الوسائل: ٤٣٣/١١.

(٤) الوسائل: ٤٣٥/١١.

(٥) التَّهَجُّج: ١٩٠/٧ - ١٩١، الخطبة: ١٠٧.

قوله عليه السّلام: «ليصدق رائد أهله» من أمثال سائرة أثبتناه. (١)
و(الفلق) بالتحريك: الصّبح وضوؤه، ومنه: «كان صلّى الله عليه
 وآله -وسلم- يرى الرّؤيا، فتأتي مثل فلّق الصّبح». وبالسّكون: الشّق
 ومنه: «يا فالق الحبّ والنوى»، وحديثه عليه السّلام: «والذي فلّق
 الحبة، وبرأ التّسمة»، وكثيراً ما كان يقسم بها. (٢)

الخرزة: أصلها الخاء والراء والزاي، يدلّ على جمع الشّيء إلى
 الشّيء وضمّه إليه، فنه خرز الخلد، ومنه الخرز، وهو معروف؛ لأنّه
 ينظم، وينضد بعضه إلى بعض، وفقار الظهر خرز لانتظامه، وخرزات
 الملك، كان الملك منهم كلّها ملكاً عاماً زیدت في تاجه خرزة؛ ليعلم
 بذلك عدد سنّي ملكه، قال:

رعى خرزات المُلِك عشرين حِجَّةً وعشرين حتّى فادّ والشّيبُ شاملُ (٣)

ولنعد إلى كلام الإمام عليه السّلام، قال شارحه: الرّبّانيّ الذي
 أمرهم الاستماع منه، إنّما يعني به نفسه عليه السّلام. ويقال: رجل
 ربّانيّ: أي متألّه عارفُ بالرّبّ سبحانه، وفي وصف الحسن
 لأُمير المؤمنين عليه السّلام: «كان والله ربّانيّ هذه الأمة، وذا فضلها،

(١) في حرف الّلام مع الباء.

(٢) التّهاية: في (فلق).

(٣) معجم مقاييس اللّغة: في (خرز).

وذا قرابتها، وذا سابقتها».

ثم قال: «وأحضروه قلوبكم»: أي اجعلوا قلوبكم حاضرة عنده: أي لا تقنعوا لأنفسكم بحضور الأجساد وغيبة القلوب؛ فإنكم لا تنتفعون بذلك.

والرائد: الذي يتقدم المنتجعين، لينظر لهم الماء والكلاء، وفي المثل «الرائد لا يكذب أهله». (١)

«وليجمع شمله»: أي وليجمع عزائمه وأفكاره لينظر. فقد فلق هذا الرباني لكم الأمر: أي شق ما كان مبهماً، وفتح ما كان مغلقاً، كما تفلق الخرزة، فيعرف باطنها، وكما تقشر الصمغة عن عود الشجرة وتقلع؛ (٢) لأن قوله عليه السلام: «قرفه قرف الصمغة» من القرف بمعنى القشر. والكلمة تصلح مثلاً لوضوح الشيء وظهوره. وكلمته هذه متجهة كبقية كلماته عليه السلام إلى كل من بلغته، سواء في ذلك من حضر عند إلقائها، أو لم يحضر، وإلى شيعته خاصة إلى يوم القيامة.

(١) هو المثل السائر في جمهرة الأمثال على هامش مجمع الأمثال: ٣٠٨/١. والأمثال النبوية: ٤٣٣/١، حرف الراء مع الألف، رقم المثل: ٢٧٦.

(٢) شرح التهج: ١٩٠/٧ - ١٩١.

٩٧ - فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها

قال عليه السلام:

«فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها». (١).

هذا من أمثال المولدين، أثبتته الميداني. (٢) وفي كتاب التمثيل والمحاضرة بلفظ: «أشد من فوت الحاجة طلبها من غير أهلها». (٣)
يقال: لا تطلبوا الخواص إلى ثلاثة: إلى عبد يقول: الأمر إلى غيري، وإلى رجل حديث الغنى، وإلى تاجر همته أن يستريح في كل عشرين ديناراً حبة واحدة، (٤)
ففي نبوي: «يا علي! لأن أدخل يدي في فم التين إلى المرفق أحب إلي من أن أسأل من لم يكن ثم كان». (٥) وباقرى: «مثل الحاجة إلى

(١) التهج: ٢١١/١٨، الحكمة: ٦٤.

(٢) مجمع الأمثال: ٩٠/٢، حرف الفاء.

(٣) ص: ٤٦٦.

(٤) شرح التهج: ٢١١/١٨.

(٥) الوسائل: ٣٠٨/٦. الأمثال النبوية: ٨٣/٢، حرف اللام مع الهمزة، رقم المثل:

من أصاب ماله حديثاً كمَثَل الدرهم في فم الأفعى، أنت إليه محوج، وأنت منها على خطر». (١) تكلمنا على الحديثين في كتابنا (الأمثال النبوية). (٢)

وعن إعلام الدين، عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال لولده الحسن عليه السلام:

« يا بني! إذا نزل بك كَلْب الزمان، وقحط الدهر، فعليك بذوي الأصول الثابتة، والفروع الثابتة، من أهل الرحمة والإيثار والشفقة؛ فإنهم أقضى للحاجات، وأمضى لدفع الملمات، وإياك وطلب الفضل، واكتساب الطسايح والقراريط من ذوي الأكف اليابسة، والوجوه العابسة؛ فإنهم إن أعطوا متوا، وإن منعوا كدوا، ثم أنشأ يقول:

وَأَسْأَلُ الْعَرَفَ إِنْ سَأَلْتَ كَرِماً لَمْ يَزَلْ يَعْرِفُ الْغَنَى وَالْيَسَارَ
فَسْؤَالُ الْكَرِيمِ يَوْرَثُ عِزًّا وَسْؤَالُ السَّكِينِ يَوْرَثُ عَاراً
وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنَ الذَّلِّ بُدًّا فَالِقَ بِالذَّلِّ إِنْ لَقِيتَ كِبَاراً
لَيْسَ إِجْلَالُكَ الْكَبِيرَ بِعَارٍ إِنَّمَا الْعَارُ أَنْ تَجَلَ الصَّغَارُ
...» (٣)

كلام أهل البيت عليهم السلام نور في درب الحياة المادية والروحية، ولربما يوجهون الخطاب إلى أنفسهم عليهم السلام، وإن لم يبتلوا به تعليماً

(١) تحف العقول: ٢٩٤.

(٢) ج: ٨٣/٢، حرف اللام مع الهمزة، كما تقدم.

(٣) السفينة: ٥٨٥/١، في (سأل).

لمن ابتلى، على حدّ قول القائل: (إِيَّاكَ أَعْنِي واسمعي يا جارة!). (١) كما جاء ذلك في كثير من خطابات القرآن الكريم، على ما نصّ به الحديث الصادقيّ:

«نزل القرآن بإيّاك أعني واسمعي يا جارة!». (٢)

ثمّ السّؤال ذلّ، لا يرضى الحرّ ذلك، خاصّة ممّن وصف بصفات دنيئة. في صادقّيّ:

«إنّما شيعتنا من لا يهرّ هريّر الكلب، ولا يطمع طمع الغراب، ولا يسأل الناس بكفّه، وإن مات جوعاً، واتخذ الله عزّ وجلّ إبراهيم خليلاً؛ لأنّه لم يرّد أحداً، ولم يسأل أحداً غير الله عزّ وجلّ». (٣)

قال عليّ عليه السّلام: «المنيّة ولا الدنيّة، والتقلّل ولا التوسّل». (٤) قال الشاعر:

أقسم بالله لمصّ الثّوى وشرب ماء القلب المالحه
أحسن بالإنسان من ذلّه ومن سؤال الأوجه الكالحه
واستغن بالله تكن ذاغنى مغتبطاً بالصّفقة الرّابحة (٥)

ومن النّاس طوائف لا يسوغ عرض الحاجة عليهم، منهم المذكور في حديثنا الجاري، ومنهم من لا يخفون على العارف الحرّ اللّيب.

(١) مجمع الأمثال: ٤٩/١، حرف الهمزة. (٤) حرف الميم مع التّون.
(٢) أصول الكافي: ٦٣١/٢. (٥) شرح التّهج: ٣٦٢/١٩.
(٣) السّفينة: ٥٨٤/١، في (سأل).



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

٩٨- قد أضاء الصُّبح لذي عينين

من كلماته عليه السَّلام الحكيمَّة قوله:
«قد أضاء الصُّبح لذي عينين». (١)

قال المعتزليّ: هذا الكلام جارٍ مجرى المَثَل، ومثله:

«والشَّمْس لا تخفُّ عن الأبصار»

ومثله:

«إن الغزاة لا تخفُّ عن البصر»

وقال ابن هانئ يمدح المعتز:

فاستيقظوا من رقدة وتنبَّهوا ما بالصُّباح عن العيون خفاء
ليست سماء الله ما ترونها لكن أرضاً تحتويه سماء (٢)

قال الميدانيّ: (قد بيَّن الصُّبح لذي عينين)، بيَّن بمعنى: تبيَّن،

(١) التهج: ٣٩٥/١٨، ح ١٧١.

(٢) شرح المصدر.

يضرب للأمر يظهر كلّ الظهور، (١) وذكره العسكري أيضاً، وقال:
يضرب مثلاً للأمر ينكشف ويظهر. (٢)

فالمثل الجاري الذي ضرب به الإمام عليه السلام متحد مع المثل
السائر مع تغيير ما في لفظه.

وهل المقصود من الانكشاف للجميع خلافة الكبري المنصوص
عليها بنصّ الغدير؟ حيث جمع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الناس
عند الوصول إلى هذا المكان، وقد نزل عليه جبرائيل عليه السلام بقوله
تعالى: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ
رِسَالَاتِهِ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ». (٣) «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم
ظُلماً وعلوّاً». (٤)

وهكذا ولّاه الأحد عشر الأوصياء المعصومون، نصّت على وصايتهم
التصوص المعتبرة، كما ذكرها علماؤنا في مجامعهم، والجمهور: «أَنَّ
الأئمة من قريش يملكها اثنا عشر منهم». (٥)

وحديث الثقلين الدالّ على أنّ من لم يتمسك بالكتاب وعترته - أهل
بيته - ضالّ، والمتمسك غير ضالّ؛ ذلك بأنّ أهل البيت عليهم السلام
معهم الشرائع من الحلال والحرام، بل وجميع أحكام الإسلام، وبعد
ذلك على الأمة الرجوع إليهم، والأخذ عنهم عليهم السلام في كل شيء.

(١) مجمع الأمثال: ٩٩/٢، حرف القاف.

(٢) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ١٢٥/٢، حرف القاف.

(٣) المائدة: ٦٧.

(٥) مسند أحمد: ٨٦/٥ - ٨٨.

(٤) التمل: ١٤.

٩٩- قَدَّمَ لِلوُثْبَةِ يَدًا، وَأَخَّرَ لِلنَّكُوصِ رِجْلًا

من كلام له عليه السّلام، كان يقوله لأصحابه في بعض أيّام صفّين: «... ..» وعليكم بهذا السّواد الأعظم، والرّواق المطنّب، فاضربوا ثَبَجَهُ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِيسِرِهِ، وَقَدْ قَدَّمَ لِلوُثْبَةِ يَدًا، وَأَخَّرَ لِلنَّكُوصِ رِجْلًا». (١)

هذا بعض خطبته عليه السّلام في يوم صفّين، يحرّض جيوشه فيها على قتال أهل الشّام، جيش معاوية عموماً، ورأس الفتنة معاوية بالخصوص.

قال المعتزلي: «الرّواق المطنّب»، يريد به: مضرب معاوية، ذا الأطناب، وكان معاوية في مضرب عليه قبة عالية، وحوله صناديد أهل الشّام. و(ثَبَجَهُ): وسطه، وثبج الإنسان: ما بين كاهله إلى ظهره. و(الكيسر): جانب الخباء.

وقوله -عليه السّلام-: «إِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِيسِرِهِ» يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يعني به الشَّيْطَانَ الحقيقيّ: وهو إبليس.

(١) التهج: ١٦٨/٥، كلام ٦٥.

والثاني: أن يعني به: معاوية.

والثاني هو الأظهر؛ للقرينة التي تؤيده وهي قوله: «قَدَّم للوثبة يداً، وأخَّر للنكوص رجلاً»: أي إن جبنتم وثب، وإن شجعتم نكص: أي تأخر.

ومَن حَمَله على الوجه الأول جعله من باب المجاز: أي أن إبليس كالإنسان الذي يعتوره دواعٍ مختلفة بحسب التجددات، فإن أنتم صدقتم عدوكم القتال فرعنكم بفرار عدوكم، وإن تخاذلتم وتواكلتم طمع فيكم بطمعه، وأقدم عليكم بإقدامه. (١)

قال ابن الأثير: وفي حديث علي عليه السلام يوم صفين: «قَدَّم للوثبة يداً، وأخَّر للنكوص رجلاً»: أي إن أصاب فرصة نهض إليها، وإلا رجع وترك. (٢)

ليس الكلام المذكور: أي «قَدَّم للوثبة يداً، وأخَّر للنكوص رجلاً»

مقصوراً على معاوية، بل هو مثَّل بالصميم، يقال على كل من شاكله في الجبن. إن جاء الجدة والإقبال على الدنيا ما وجد إليها سبيلاً، وهو من صفات الأنذال، يصفرون إذا خلا لهم الجؤ، ويفرون عند الهيجاء حرصاً على البقاء.

ومن أجله: أي الحرص على البقاء في الدنيا يشيرون الفتن،

(١) شرح التهج: ١٧٤/٥.

(٢) النهاية: في (وثب).

ويحرّضون الآخرين على القتال، حتّى يستقرّ لهم المُلْك والسلطة، ولا
يرعون جانب الحقّ.

وذلك لم يخلُ منه كلّ إنسان على وجه البسيطة من معتركه الداخلي
بين العقل والشهوة ومشتياتها، فهو دائماً بين الوثبة والتكوص، فإمّا
ينخرط في جيش علويّ، أو ملحق بمعاوية.

١٠٠- قديرى الحَوْلُ القَلْبُ وجه الحيلة ودونها مانع

من خطبة له عليه السلام:

«إِنَّ الوفا توأم الصدق، ولا أعلم جُنة أوقى منه، وما يغدر مَنْ علم
كيف المَرْجِعُ. ولقد أصبحنا في زمانٍ قد اتَّخذ أكثر أهلِه الغَدْرَ كَيْساً،
ونسبهم أهل الجَهل فيه إلى حسن الحيلة. ما لهم؟! قاتلهم الله! قديرى
الحَوْلُ القَلْبُ وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه، فیدعها رأي
العين بعد القدرة عليها، وينتہز فرصتها مَنْ لا حريجة له في الدين». (١)

علل توأمة الوفاء للصدق بأنّ الوفاء صدق في الحقيقة؛ ألا ترى أنّه قد
عاهد على أمر، وصدق فيه ولم يخلف؛ وكأنّهما أعم وأخصّ، وكلّ وفاء
صدق، وليس كلّ صدق وفاء. فإن امتنع من حيث الاصطلاح
تسمية الوفاء صدقاً، فلا أمر آخر، وهو أنّ الوفاء قد يكون بالفعل دون

(١) التهج: ٣١٢/٢، الخطبة: ٤١.

القول، ولا يكون الصدق إلا في القول؛ (١) لأنه نوع من أنواع الخبر، والخبر قول. ثم قال - عليه السلام -: «ولا أعلم جنة»: أي درعاً. «أوقى منه»: أي أشد وقايةً وحفظاً؛ لأنّ الوفيّ محفوظ من الله، مشكور بين الناس. ثم قال - عليه السلام -: «وما يغدر من علم كيف المرجع»: أي من علم الآخرة، وطوى عليها عقيدته، منعه ذلك أن يغدر؛ لأنّ الغدر يحبط الإيمان.

ثم ذكر - عليه السلام -: أنّ الناس في هذا الزمان ينسبون أصحاب الغدر إلى الكيس: وهو الفطنة والذكاء، فيقولون لمن يخدع ويغدر ولأرباب الجريرة والمكر: هؤلاء أذكاء أكياس، كما كانوا يقولون في عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، وينسبون أرباب ذلك إلى حسن الحيلة وصحة التدبير.

ثم قال - عليه السلام -: «ما لهم؟! قاتلهم الله!»، دعاء عليهم. ثم قال - عليه السلام -: «قد يرى الحول القلب وجه الحيلة»، ويمنعه عنها نهي الله تعالى عنها وتحريمه بعد أن قدر عليها وأمكنه. والحول القلب: الذي قد تحول وتقلب في الأمور وجرب، وحنكته الخطوب والحوادث.

ثم قال - عليه السلام -: «وينتهر فرصتها»: أي يبادر إلى افتراضها ويغتنمها «من لا حريجة له في الدين»: أي ليس بذئ حرج، والتحرّج: ويغتنمها.

(١) لا يختص بالقول، وكذا الكذب، والدليل عليه الزمر: ٣٣ «والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون». حيث جاء جلّ جلاله بـ «جاء بالصدق» فتدبر جيداً.

التَّائِم، والحريجة: التقوى.

وهذه كانت سجيته عليه السلام وشيمته، مَلَكَ أهل الشَّام الماء عليه والشريعة بصفين، وأرادوا قتله وقتل أهل العراق عطشاً؛ فضاربهم على الشريعة حتى ملكها عليهم، وطردهم عنها فقال له أهل العراق: اقتلهم بسيوف العطش، وامنعهم الماء، وخذهم قبضاً بالأيدي. فقال -عليه السلام-: إنَّ في حدِّ السيف لغنى عن ذلك، وإنِّي لا أستحلّ منعهم الماء. فأفرج لهم عن الماء فوردوه، ثمَّ قاسمهم الشريعة شطرين بينهم وبينه. وكان الأشتر يستأذنه أن يبيت معاوية، فيقول: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم -نهى أن يُبيت المشركون. وتوارث بنوه عليه السلام هذا الخلق الأبى. (١)

قد جاءت الكلمة العلوية التمثيلية في زيارة الغدير:

«ثُمَّ لِحَزْمِكَ المشهور، وبصيرتك في الأمور، أَمَرَكَ في المواطن، ولم يكن عليك أمير وكم من أمرٍ صدك عن إمضاء عزمك فيه التقى، واتبع غيرك في مثله الهوى، فظنَّ الجاهلون أنك عجزت عما إليه انتهى، ضلَّ واللَّهِ الظَّانُّ لذلك وما اهتدى، ولقد أوضحت ما أشكل من ذلك لمن توهم وامترى بقولك صلى الله عليك: قديرى الحَوْلُ القَلْبُ وجه الحيلة ودونها حاجزٌ من تقوى، فيدعها رأي العين، وينتهر فرصتها مَنْ لا حريجة له في الدين». (٢)

(١) شرح التهج: ٣١٢/٢ - ٣١٤.

(٢) مفاتيح الجنان: ٣٧٠.

(الحَوْل): ذو التَّصَرَّف والاحتِيال في الأمور. (١) (الْقَلْب): الذي يقلِّب الأمور، ويحتال لها (٢): أي المجرب المدرب العارف لها.

١٠١- قديرمي الرامي، وتخطئ السهام

قال عليه السلام:

«أيتها الناس! مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَسَدَادَ طَرِيقٍ، فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ، أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِيَ، وَتَخْطِئُ السَّهَامُ، وَيَحِيلُ الْكَلَامُ، وَبَاطِلُ ذَلِكَ يَبُورُ. وَاللَّهِ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ». (٣)

وللكلام باقية ذكرناها عند المثل: «لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعٍ». (٤)

يريد عليه السلام: أن ليس من الأخوة الموثوقة بها الذي عرفت الاستقامة منه، تحكيم الأقاويل فيه؛ ففي حديث علوي: «ضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ حَتَّى يَأْتِيكَ مَا يَغْلِبُكَ مِنْهُ، وَلَا تَظُنَنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ

(١) النهاية: في (حول).

(٢) معجم مقاييس اللغة: ١٨/٥، في (قلب).

أقول: ومنه آية: «وَقَلِّبُوا لَكُمْ الْأُمُورَ». التوبة: ٤٨، وفي مجمع الأمثال: ٥٧/١، حرف

المهمزة: (إِنَّهُ لِحَوْلِ قَلْبٍ) ما يربط المقام، فراجع.

(٣) التهج: ٧٢/٩، كلام: ١٤١.

(٤) حرف اللام مع الياء.

أخيك سوءاً، وأنت تجدها في الخير محملاً». (١)

قال ابن أبي الحديد: ثم ضرب عليه السلام مثلاً، فقال: قد يرمي الرّامي فلا يصيب الغرض، وكذلك قد يطعن الطّاعن فلا يكون طعنه صحيحاً، وربّما كان لغرض فاسد أو سمعه ممّن له غرض فاسد كالعدوّ والحسود. وقد يشتبه الأمر فيظنّ المعروف منكراً، فيعجل الإنسان بقول لا يتحقّقه، كمّن يرى غلام زيد يحمل في إناء مستور مغطى خلاً فيظنّه خمرأ. (٢)

قال الشيخ التّستري: ومن أمثالهم: (قرينك سهمك، يخطئ و يصيب)، ومنها أيضاً: (رماه بنبله الصّائب). قال لبيد:

فرميت القوم نبلاً صائباً
ليس بالعضل ولا بالمفتعل



والمراد: أنّ أقاويل الرّجال ليست دائماً حقّاً عن علم و عرفان، بل تصدر كثيراً عن حدس وتخمين وسماع أخبار أراجيف، والغالب فيها الخطأ والاشتباه، فلا يجوز أن يدع عرفانه لأقاويل هكذا. (٣)

(ويحيل الكلام): أي يكون باطلاً. أحال الرّجل في منطقته، إذا تكلم الذي لا حقيقة له، ومن الناس من يرويه: (ويحك الكلام)

(١) الوسائل: ٦١٤/٨.

(٢) شرح النهج: ٧٢/٩ - ٧٣.

(٣) بهج الصّباغة: ٧٧/١٢.

بالكاف، مِنْ قولك : ما حاك السيف، ويجوز أحاك : أي ما أخر. يعني :
أنّ القول يؤثر في العرض، وإن كان باطلاً. والرواية الأولى أشهر
وأظهر. (١)

وأورد عليه التستري بما رام إثبات رواية الكاف، والاستشهاد لها
بقضية يجلّ الكلام عنها فراجع. (٢)
والظاهر ما ذهب إليه المعتزلي.

ثم الكلام وإن كان في مورد سماع قول السوء في الأخ المؤمن وصرفه
إلى محمل جميل إلا أنّ المثل : «قد يرمي الرامي وتخطئ السهام» عام
يشمل أيضاً الفتيا في الأحكام الخاطئة في بعض الأحيان، والمجتهد وإن
أفرغ الوسع والجهد في إصابة الواقع إلا أنه قد يخطئ؛ لأنّ العصمة
لأهلها، ولا بأس في ذلك عليه؛ لما جاء : «للمصيب أجران وللمخطئ
أجر واحد». (٣)

ويشمل أيضاً سلوك طريق تهذيب النفس والتحلي بالأخلاق
المرضية، إذا مانوى المؤمن الحقيقة، وعمل بما وظف له في الشرع، فالخطأ
مغفور له، نعم يمكن القول بعدم الخطأ؛ للتبوي :

«اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله». (٤) إن صدق إيمانه،

(١) شرح التهج : ٧٣/٩.

(٢) بهج الصباغة : ٧٧/١٢ - ٧٨.

(٣) الجامع الصغير : ٢٥/١.

(٤) الأمثال النبوية : ٤٩/١، رقم المثل : ٢٥، حرف الهمزة مع التاء. الوسائل :

وارتضاه الله عز وجل «وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ» (١).
 فلو كان شيء لم يقصر العبد في عمله من خطأ فيه، شمله قول الإمام:
 «قد يرمي الرامي وتخطئ السهام». أو كان الأمر من غير هذه الفروض:
 أي لا من سماع الأقوال، ولا من الفتاوى، ولا من قبيل آداب السلوك،
 شمله المثل أيضاً؛ لانطلاق الأمثال عن أي قيد وتضييق.

١٠٢- قَلْبْتُ لابن عمك ظهر المِجَنِّ

من كتاب له عليه السلام إلى بعض عمّاله، والظاهر أنه ابن عباس
 الوالي من قبله على البصرة. أوله:
 «أما بعد، فإني كنتُ أشركتك في أمانتي... فلما رأيت
 الزمان على ابن عمك قد كَلِبَ، والعدو قد حَرِبَ، وأمانة الناس قد
 خزيتُ، وهذه الأمة قد فَتَكَتْ وشَغَرَتْ، قَلْبْتُ لابن عمك ظهر المِجَنِّ،
 ففارقته مع المفارقين، وخذلتته مع الخاذلين...» (٢).

(المِجَنِّ) بالكسر والتشديد: الترس، لأنَّ صاحبه يتستر به، والجمع

(١) ص: ٢٤.

(٢) التهج: ١٦٧/١٦، كتاب: ٤١. نهج السعادة: باب الكتب: ٣٢٨/٢، كتاب:

المجانّ بالفتح. (١) هذا مَثَلٌ لَمَنْ كان لصاحبه على مودةٍ أورعائيةٍ، ثمّ حال عن ذلك (٢): أي تغيّر عليه وساء رأيه فيه، قال معن بن اوس:

من (الطويل)

قلبت له ظهر المِجَنّ فلم أَدُم على ذاك إلا ريثما أتحوّل

وقال عدّي: من (الرمل)

بينما يغبطه أشياعه قلب الدهر له ظهر المِجَنّ

وقال آخر: من (الكامل)

وقلبت ظهر المِجَنّ لنا إنّ اللّيثم العاجز الخبّ

وقال روبة: من (الرجز)

أخشى عليك الوارثين بعدي إذا رأوني جَدَفاً في اللّحد
أن يعضهوك بالدواهي الرُّبد الرُّبد أو يقلب المِجَنّ مَنْ يَفْدِي. (٣)

:أي ينقلب عمّا كان مِنْ ودّه، يخلجه خالج، فيرجع إلى خلاف ما كان عليه، كما قال الشاعر:

بينما الفتى يَسْعَى وَيُسْعَى له تاح له من أمره خالج (٤)

(١) مجمع البحرين: في (جنن).

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة: ١٣٦/٢.

(٣) المستقصى: ١٩٨/٢ - ١٩٩.

قوله: جدفاً: أي قطعاً مرمياً. قوله: أن يعضهوك. العضه: الرمي بالزود.

(٤) جهرة الأمثال على هامش مجمع الأمثال: ١٢٤/٢، حرف القاف.

وممّن نقل كتاب الإمام عليه السّلام الميدانيّ في مجمع الأمثال بعد
المثّل: (قلب له ظهر المجنّ). (١)

يريد عليه السّلام: يا بن عباس! حينما رأيت إعراض الأمة عني،
ومفارقتهم إيتاي تركتني، وفارقتني، وأنت ابن عمّي وشريكي في أداء
الرسالة، وردّ الأمانة إلى أهلها، كمثّل منّ يدافع عن صاحبه في الحرب
بالتّستر بالترس. كيلا يلوحه العدو، ليصان هو وصاحبه، فيترك الدّفاع
بقلب الترس، بتحويل باطنه إلى العدو، وظهره إلى نفسه، ليتمكّن العدو
منه ومن صاحبه؛ فتصيبهما الإصابة بدون حائل يحول بينه وما يريد من
قتلٍ أو فتكٍ، فحالك حال هذا المدافع، وكذا حال كلّ منّ يخذل صاحبه
بعد الذّبّ عنه.



مركز تحقيقات كهنوت وعلوم اسلامی

(١) مجمع الأمثال: ١٠١/٢، حرف القاف.



١٠٣- كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكْبَ الْمِعْزَى

قال عليه السلام في كلام له:

«لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم- فما أرى أحداً يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شُغْثاً غُبْراً، وقد باتوا سجّداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم، وَيَقْفُونَ على مِثْلِ الْجَمْرِ من معادهم، كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكْبَ الْمِعْزَى من طول سجودهم؛ إذا ذكر الله هملت أعينهم حتّى تَبَلَ جِوَاهِرُهُمْ، ومادوا كما يُمِيدُ الشَّجَرُ يومَ الرِّيحِ العاصفِ خوفاً من العقاب، ورجاءاً للثواب» (١).

قال الشارح المعتزلي: «يصبحون شُغْثاً غُبْراً» من كشف العبادة، وقيام الليل، وصوم النهار، وهجر الملاذ. فيراوحون بين جباههم وخدودهم، تارةً يسجدون على الجباه، وتارةً يضعون خدودهم على الأرض بعد الصلاة، تذلاً وخضوعاً. والمراوحة بين العمل: أن يعمل هذا مرةً وهذا مرة. ويرواح بين رجله، إذا قام على هذه تارة، وعلى هذه أخرى. (٢).

(٢) شرح المصدر.

(١) التَّهْج: ٧٧/٧، كلام ٦٦.

(رُكْب) جمع رُكْبَة: موصل الساق من الرجل بالفخذ، وإنها خصت رُكْب المِعْزَى لیبوسها واضطرابها من كثرة الحركة (١). واخذ المعز ماعز، كصاحب وصاحب. ويقال: معزى لهذا الجنس من الغنم. المعز خلاف الضأن، وهو من ذوات الشعر، والذكر منها يسمى تيساً والأنثى غنزاً. والضأن اسم لذوات الأصواف، الذكر منها الكبش، والأنثى النعجة. وأما الغنم فاسم جنس يعم الضأن والمعز جميعاً. (٢) فاتضح تمثيل ما في جباههم بُرُكْب المِعْزَى وهي السجادة، من طول سجودهم المعنوية بقوله عز وجل: «سماهم في وجوههم من أثر السجود». (٣) والآية برمتها تصف من وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام: «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تربهم رُكْعاً سُجْداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سماهم في وجوههم من أثر السجود». (٤) رهبان بالليل، ليوث بالنتهار. وكان السجاد عليه السلام يسمى به؛ لكثرة سجوده. وذو الثفنتان، جمع ثِفْنَة، بكسر الفاء: وهي من الإنسان الركبة، ومجتمع الساق والفخذ؛ لأن طول السجود أثر في ثفناته. (٥) والكاظم عليه السلام حليف السجدة الطويلة، والدموع الغزيرة،

(١) هامش مصادر التهج: ١٩١/٢.

(٢) منتهى الأرب في لغة العرب: في - م ع ز -.

(٣) الفتح: ٢٩.

(٤) الفتح: ٢٩.

(٥) السفينة: ١١٤/٢، في (عبد).

والضراعات المتصلة، وكان له غلام أسود بيده مقصٌ يأخذ اللحم من جبينه، وعرنين أنفه من كثرة سجوده. (١)
وهذه سيرة العباد فضلاً عن أئمة العباد عليهم السلام.

١٠٤- كَانَهُ قَلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيَّةُ

من خطبة له عليه السلام يصف فيها ذنب الطائوس وجناحه:
«بجناحٍ أشرح قصبه، وذنبٍ أطال مسحبه، إذا درج إلى الأنثى نشره من ظيئه، وسما به مطلاً على رأسه، كانه قلْعُ داريٍّ عَنَجَهُ نُوتِيَّةُ». (٢)

قال ابن أبي الحديد: ثم ذكر ذنب الطائوس، وأنه طويل المسحب، وأن الطائوس إذا درج إلى الأنثى للفساد، نشر ذنبه من ظيئه، وعلا به مرتفعاً على رأسه.

والقلع: شراع السفينة، وجمعه قلاع. والداري: جالب العطر في البحر من دارين، وهي فُرْضة بالبحرين فيها سوق يحمل إليها المسك من

(١) السفينة: ٥٩٩/١، في (سجد).

تنبيه: قال البحراني: وجه المشابهة أن محال سجودهم كانت قد اسودت، وماتت جلودها وقست، كما أن ركب المغزى كذلك. شرح التهج: ٤٠٨/٢.

(٢) التهج: ٢٦٨/٩، الخطبة: ١٦٦.

الهند. وفي الحديث: «الجلس الصالح كالذاري، إن لم يخذك من عطره علقك من ريحه».

قال الشاعر:

إذا التاجر الذاري جاء بفارة من المسك راحت في مفارقهم تجري

والثوتي: الملاح، وجمعه نواتي. وعَنَجَه: عطفه، وعَنَجْتُ خطام البعير: رددته على رجله، أعَنَجُه بالضم، والاسم العَنَج بالتحريك. وفي المَثَل: (عَوْدُ يُعَلِّمُ العَنَج). يضرب مثلاً لتعليم الحاذق. (١)

قال الميداني: العنج بتسكين التون: ضرب من رياضة البعير، وهو أن يجذب الراكب خطامه، فيرده على رجله. ومعنى المَثَل: أنه جلّ عن الرياضة كما جلّ ذلك عن التلقيح، وذلك أن العنج إنما يكون للبكارة، فأما العودة (أي المستة) فلا تحتاج إليه. (٢)

قال ابن الأثير: وفيه: (مَثَلُ الجليس الصالح مَثَلُ الذاري)، الذاري بتشديد الياء: العطار، قالوا: لأنه نُسب إلى دارين، وهو موضع في البحر، يؤتى منه بالطيب. ومنه كلام علي رضي الله عنه - عليه السلام -: «كأنه قلْع داري» أي شراع منسوب إلى هذا الموضع البحري. (٣)

(١) شرح التهج: ٢٦٨/٩ - ٢٦٩.

(٢) مجمع الأمثال: ١٢/٢، في حرف العين.

(٣) النهاية: ١٤٠/٢، في (دور). الأمثال النبوية: ١٨٥/٢، رقم المَثَل: ٤٩٣،

حرف الميم مع الثاء يعطي معناه.

والمعنى: أَنَّ مَثَلَ الطَّائِيسِ إِذَا نَشَرَ جَنَاحَهُ، وَرَفَعَ ذَنْبَهُ مَثَلُ الْمَلَّاحِ الَّذِي يَرْفَعُ شَرَاةَ السَّفِينَةِ، لِإِجْرَاءِ الرِّيحِ فِي عِلْمِهِ، حَتَّى تَسْرِعَ فِي سِيرِهَا، وَتَصِلَ إِلَى الْمَقْصِدِ. وَكَذَلِكَ الطَّائِيسُ عِنْدَمَا أَرَادَ السَّفَادَ نَشَرَ الْجَنَاحَ، وَرَفَعَ الذَّنْبَ لِيَصِلَ إِلَى مَقْصُودِهِ. فَانْظُرْ كَيْفَ صَوَّرَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَالَةَ الطَّائِيسِ عِنْدَمَا أَرَادَ إِبْقَاءَ نَوْعِهِ بِمَا يُمَثِّلُ حَالَةَ الْمَلَّاحِ، لِلْوَصُولِ إِلَى الْمَقْصِدِ الْمَنْظُورِ.

قِيلَ: مِمَّا خَصَّ اللَّهُ بِهِ بِلَادَ الْهِنْدِ الطَّائِيسَ. قَالَ الْجَاهِظُ: وَالْفِيلُ وَالْبَبْرُ وَالطَّائِيسُ وَالْبَبْغَا وَالذَّجَاجُ السَّنْدِيُّ وَالكَرْكَدَنْ مِمَّا خَصَّ اللَّهُ بِهِ الْهِنْدَ. (١) وَفِي الْقَوْلِ: بَأَنَّهُ مِنْ طَيْرِ الْجَنَّةِ، قَالَ: فَمَا كَانَ كَالْخَيْلِ وَالطُّبَاءِ وَالطَّوَاوِيسِ وَالتَّدَارِجِ؛ فَإِنَّ تِلْكَ فِي الْجَنَّةِ وَيَلِدُ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَنَازِلِهَا. (٢) وَمِمَّا يُوثَّقُ بِمَنْظَرِهِ وَيَمْتَعُ الْأَبْصَارُ حَسَنَهُ كَالطَّوَاوِيسِ وَالتَّدَارِجِ. (٣) وَإِنَّمَا حَسَنُهُ فِي تَعَارِيجِ رِيْشِهِ وَجَمَالِ مَنْظَرِهِ. وَمِمَّا جَاءَ: «أَنَّهُ ذَكَرَ عِنْدَ أَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَسَنَ الطَّائِيسِ: فَقَالَ: لَا يَزِيدُكَ عَلَى حَسَنِ الذِّيكِ الْأَبْيَضُ بِشَيْءٍ».

وَعَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ «قَالَ: الطَّائِيسُ مَسْخٌ، كَانَ رَجُلًا جَمِيلًا، فَكَابِرُ امْرَأَةٍ رَجُلٍ مُؤْمِنٍ تَحَبَّهَ، فَوَقَعَ بِهَا، ثُمَّ رَاسَلَتْهُ بَعْدُ فَسَخَّهَا اللَّهُ تَعَالَى طَائِيسَيْنِ، أَنْثَى وَذَكَرًا، فَلَا تَأْكُلُ لَحْمَهُ وَلَا بَيْضَهُ». (٤) وَأَعْجَبَ الْأُمُورَ أَنَّهُ مَعَ حَسَنِهِ يَنْشَامُ.

(٣) الحيوان: ١/١٩٤.

(١) الحيوان: ٧/١٧٠.

(٤) السفينة: ٢/٩٣، في (طوس).

(٢) الحيوان: ٣/٣٦٥.

١٠٥- كادالعفيف أن يكون ملكاً من الملائكة

قال عليه السلام: «ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممن قَدَرَفَعَتْ؛ لكاد العفيف أن يكون ملكاً من الملائكة». (١)

نفي أعظميّة الأجر يلزم إما المساواة مع أجرالعفيف، أو يكون الشهيد أقلّ؛ والوجه في ذلك أن العقّة بما لهذه الكلمة من معنى هي الجهاد الأكبر، والقتل في سبيل الله الجهاد الأصغر، والأكبر أعظم أجراً من الأصغر لا محالة.

وبيانه: بأنّ مَنْ يَقْدُرُ على ارتكاب الشهوات والمحرمات، فيعق عنها ويقدم رضا الله عز وجلّ على رضا نفسه وهواها، هو بمنزلة من يقتل في كلّ يوم سبعين مرّة، والمجاهد بالسيف مرّة واحدة.

وقد روى الشيخ الصدوق بالسند الصحيح عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إنّ رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- بعث سريةً، فلمّا رجعوا، قال: مرحباً بكم فقوم قضا الجهاد الأصغر، وبقي عليهم

(١) التهذيب: ٢٠/٢٣٣. الحكمة: ٣٨٢.

الجهاد الأكبر: قيل: يا رسول الله! وما الجهاد الأكبر؟ فقال: جهاد النفس». (١) «وإنَّ أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه». (٢)

ثم العفة صنوف: عفة اليد عن جنائيات تخصها، وعفة اللسان كذلك، وعفة الفرج، وهي العظمى، وعفة البطن، وعفة سائر الأعضاء، كلٌّ بحسبه، فمثلاً عفة البصر عن النظر إلى مالا يحل، وهكذا.

وفي حديث: «مَنْ عَشِقَ فَكُتِمَ، وَعَقَّ، وَصَبَرَ، فَات؛ مات شهيداً، ودخل الجنة». (٣)

وفي حكمة سليمان: «إِنَّ الغالب لهواه أشدُّ مِنَ الَّذِي يفتح المدينة وحده». (٤)

وفي القرآن من مشتقات العفة منها، ما جاء في العفة عن السؤال كما في وصف أهل الصفة: «يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ». (٥) ومنها العفة في الأكل، وهي: «وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ، وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ»، (٦) وآيتان في العفة العظمى، هما: «وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً»، (٧) و«أَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لهنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ». (٨) فالمجموعة أربع آيات.

(٥) البقرة: ٢٧٣.

(٦) النساء: ٦.

(٧) التور: ٣٣.

(٨) التور: ٦٠.

(١) الوسائل: ١٢٤/١١.

(٢) المصدر.

(٣) شرح التهج: ٢٣٣/٢٠.

(٤) المصدر.

وفي العفة العظمى حكايات ذكرها بعض الشراح، ملخصها فيما يلي: نزل خارجي على بعض إخوانه مستتراً عن الحجاج، فشخص المنزل عليه لبعض حاجاته، وقال لزوجته: يا ظمياء! أوصيك بضيفي هذا خيراً، وكانت من أحسن الناس. فلما عاد بعد شهر، قال لها: كيف كان ضيفك؟ قالت: ما أشغله بالعمى من كل شيء، وكان الضيف أطبق جفنيته، فلم ينظر إلى المرأة، ولا إلى منزلها، إلى أن عادزوجها.

وقال الشاعر:

إن أكن طامع اللحاظ فإني والذي يملك القلوب عفيف (١)

وقال بعضهم:

وإني لعق عن فكاها جاري وإني لمشغو إلي اغتياها
إذا غاب عنها بعلها لم أكن لها صديقاً ولم تأنس إلي كلابها
ولم أك طالباً أحاديث سرها ولا عالماً من أي حوك ثيابها

وقال أبوسهل الساعدي: دخلت على جميل في مرض موته، فقال: يا أباسهل! رجل يلقي الله ولم يسفك دماً حراماً، ولم يشرب خمرًا، ولم يأت فاحشة، أترجو له الجنة؟ قلت: إي والله، فمن هو؟ قال: إني لأرجو أن أكون أنا ذلك، فذكرت له بُئينة، فقال: إني لفي آخر يوم من أيام الدنيا،

(١) شرح التهج: ٢٣٣/٢٠ - ٢٣٤.

وأول يوم من أيام الآخرة، لانالتي شفاعة محمد - صلى الله عليه وآله وسلم- إن كنت حدثت نفسي بريئة معها، أومع غيرها قط.
قال الشاعر:

ثنتان لا أصبولوصلهما عرس الصديق وجارة الجنب
أما الصديق فلست خائنه والجار أوصاني به ربّي (١)

يريد: قوله تعالى: «والجار ذى القربى والجار الجنب». (٢)
يقال: إن امرأة ذات جمال دعت عبدالله بن عبدالمطلب إلى نفسها،
لما كانت ترى على وجهه من الثور، فأبى وقال:

أما الحرام فالممات دونه والحلّ لاحتلّ فأستبينه
فكيف بالأمر الذى تبغينه يحمي الكرم عرضه ودينه

خرجت امرأة من صالحات نساء قريش إلى بابها لتغلقه، ورأسها مكشوف، فراها رجلٌ أجنبيٌّ، فرجعت وحلقت شعرها، وكانت من أحسن النساء شعراً. ف قيل لها في ذلك، قالت: ما كنت لأدع على رأسي شعراً رآه من ليس لي بمحرم.

في الحديث المرفوع: «لا تكونن حديداً تنظر إلى ما ليس لك؛ فإنه لا يزني فرجك ما حفظت عينيك، وإن استطعت ألا تنظر إلى ثوب المرأة

(٢) النساء: ٣٦.

(١) شرح التهج: ٢٣٤/٢٠ - ٢٣٥.

التي لا تحلّ لك فافعل، ولن تستطيع ذلك إلا بإذن الله». (١) قال الشاعر:

ما إن دعاني الهوى لفاحشةٍ إلا نهاني الحياء والكرم
ولا إلى محرمٍ مددت يدي ولا مَشْتُ بي لريبةٍ قدم

قال بعض الحكماء: إذا شئت أن تعرف ربك معرفة يقينية فاجعل بينك وبين المحارم حائطاً من حديد، فسوف يفتح عليك أبواب معرفته. (٢)

كان في عصر الدولة الصفوية في إصبهان رجل، قد لجأت إليه فتاة تائهة، وطلبت منه المبيت ليلتها، فقبلها، وبات تحدّثه النفس والشيطان بالتيل منها، فعمد إلى إصبع من أصابعه، فأحرقه بسراج كان هناك، فأصبح وقد أحرقها كلها، وقال: اذهبي إلى أهلك، ثم وجدوها فَحَدَّثَتْهُمُ بِالْإِحْرَاقِ، وبالنتيجة زوّجوها منه جزاء عفّته. وهي حقيقة التقوى التي تكف النفس عن ركوب المحرمات. في باقري: «ما عبادة أفضل عند الله من عفة بطن وفرج». (٣)

ونبوي: «أكثر ما تلج به أمتي النار الأجوفان: البطن، والفرج». (٤) وعلوي: «أفضل العبادة العفاف». (٥) وصادقي: «إنما شيعة جعفر من عفت بطنه وفرجه...». (٦)

(٤) الوسائل: ١١/١٩٨.

(٥) المصدر.

(٦) الوسائل: ١١/١٩٩ - ٢٠٠.

(١) شرح التهجد: ٢٠/٢٣٥ - ٢٤٢.

(٢) المصدر: ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

(٣) الوسائل: ١١/١٩٧.

١٠٦- كجؤجؤ سفينة، أونعامه جاثمة

من كلام له عليه السلام في ذم أهل البصرة.
قوله عليه السلام فيه: «كأني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة قد بعث الله عليها العذاب، من فوقها ومن تحتها، وغرق من في ضمنها».
وفي رواية: وأيم الله لتفرقن بلدتكم، حتى كأني أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة، أونعامه جاثمة.
وفي رواية: «كجؤجؤ في لجة بحر».
وفي رواية: «... كأني أنظر إلى قريبتكم هذه قد طبقتها الماء حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد كأنه جؤجؤ طير في لجة بحر». (١)

قال المعتزلي:

والجؤجؤ: عظم الصدر؛ وجؤجؤ السفينة: صدرها.
فأما إخباره عليه السلام: أن البصرة تفرق عدا المسجد الجامع بها، فقد رأيت من يذكر: أن كتب الملاحم تدل على أن البصرة تهلك بالماء الأسود، ينفجر من أرضها، فتفرق ويبقى مسجدها.

(١) التهج: ٢٥١/١، الكلام: ١٣.

والصحيح: أَنَّ المُخْبِر به قد وقع؛ فَإِنَّ البصرة غرقت مرتين، مرة في أيام القادر بالله، ومرة في أيام القائم بأمر الله، غرقت بأجمعها ولم يبق منها إلا مسجدها الجامع بارزاً بعضه كجَوْجُو الطائر حسب ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام، جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف الآن بجزيرة الفُرس، ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام، وخربت دورها، وغرق كل ما في ضمنها، وهلك كثير من أهلها. وأخبار هذين الغرقين معروفة عند أهل البصرة، يتناقلها خلفهم عن سلفهم. (١)

وقال الشيخ الطريحي في الحديث «: ينبغي لِمَنْ سَجَدَ سَجْدَةَ الشُّكْرِ أَنْ يَلْصُقَ جَوْجُوهُ بِالْأَرْضِ». الجَوْجُو بضم المعجمتين من الطائر والسفينة: صدرهما. وقيل: الجَوْجُو: عظام الصدر، ومنه حديث سفينة نوح عليه السلام: «فضربت بجَوْجُوها حول الجبل». والمراد بالجبل: ما قرب من نجف الكوفة. (٢)

وقال البحراني: وأما تشبيه ما يخرج من الماء من شرفات المسجد بصدر السفينة، وفي الرواية الأخرى بالتعامه الجاثمة، وفي الرواية الثالثة بالطائر في لجة البحر فتشبهات ظاهرة، (٣) يضرب به لقدر قليل بارز من الشيء، أولبيان كيفية القلة الباقية.

(١) شرح التهذيب: ٢٥٢/١ - ٢٥٣.

(٢) مجمع البحرين: في (جأجأ).

(٣) شرح التهذيب: ٢٩٣/١.

أما النعامة، فقال الجاحظ: والفُرسُ تسمي الأشياء بالاشتقاقات، كما تقول للنعامة: (أشتر مُرغ)، وكأنهم في التقدير قالوا هوطائر وجل، فلم نجد هذا الاسم أوجب أن تكون النعامة نتاج ما بين الإبل والظير، ولكن القوم لما شبهوها بشيئين متقاربين، سموها بذئتك الشَّيْثين. وهم يسمون الشيء المراحلو: (تُرش شرين)، وهو في التفسير حلو حامض. (١) والنعامة ذات ريش ومنقار وبيض وجناحين وليست من الظير. (٢) ومن المثل قولهم: (إنما أنت نعامة، إذا قيل لها: احلي، قالت: أنا طائر وإذا قيل لها: طيري، قالت: أنا بعير). (٣) ثم التمثيل بجثو النعامة لبروز بقيتها شيئاً قليلاً منها بعد الجثو.

١٠٧- كالجبل لا تحركه القواصف، ولا تزيله العواصف

من كلام له عليه السلام، يجري مجرى الخطبة:
فقمتم بالأمر حين فشلوا، وتطلعت حين تقبعوا، ونطقت حين
تعتعوا، ومضيت بنور الله حين وقفوا، وكنت أخفضهم صوتاً، وأعلاهم

(١) الحيوان: ١/١٤٣.

(٢) الحيوان: ١/٣٠.

(٣) الحيوان: ٤/٣٢٣.

وإذا أردت التفصيل فانظر ٧- الفهرس الأول منه ص: ٣٥٧- نعامة كما وقد ذكر ابن الأثير في النهاية، في (جؤجؤ) حديث خلق آدم عليه السلام، قال: «خلق جؤجؤ آدم من كتيب ضرية» ١/٢٣٣. ونهج السعادة: باب الخطب: ١/٤١٤. و ٢/٤٧٩.

فوتاً، فطرتُ بعنائها، واستبددتُ برهانها، كالجبل لا تُحرّكه القواصف،
ولا تُزيله العواصف...» (١).

للخطبة الشريفة تنمة مرهونة بوقتها، ومجموعها فصول يمتاز بعضها
عن بعض، ويجمعها بيان ما كان عليه السلام عليه، ومن هنا قال
المعتزلي وكلّ كلام منها ينحوبه أمير المؤمنين عليه السلام نحواً غير ما
ينحوبه بالآخر.

والرّضيّ رحمه الله تعالى التقطها من كلام لأمر المؤمنين عليه السلام
طويل منتشر، قاله بعد وقعة النهروان، ذكر فيه حاله منذ توفي رسول
الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وإلى آخر وقت، فجعل الرّضيّ رحمه الله
تعالى ما التقطه منه سرداً، وصار عند السامع كأنه يقصد به مقصداً
واحداً. (٢)

أقول: ينظر الشريف الرّضيّ عليه من الله الرضا والرضوان إلى ما
يجمع كلامه عليه السلام من بيان ما كان عليه، والامتياز وضده أمر
نسبي.

ولنعد إلى الشرح، يشير عليه السلام بـ «فقمتم بالأمر...» إلى قيامه
بالخلافة بعد قتل عثمان وفشله، وفشل من قبله؛ حيث أنهم لم يقوموا بما
عليهم من حقوق وعدل. فإنّ أول الحق تسليم الحق إلى من هو أولى

(١) التهج: ٢/٢٨٤، الخطبة: ٣٧.

(٢) شرح التهج: ٢/٢٨٤ - ٢٨٥.

منهم بالحق. وب: «وتطلعت حين تقبّعوا» إلى طلوع جمال الولاية الكبرى ومحيّاها، لولاها لساخت الأرض بأهلها، بطلوع بدره التّام بعد ما غطى الظلام الجزيرة، بل العالم بأسره، باغتصاب الخلافة الرّبّانيّة عن أهلها وهو التّقبع الحقيقي المأخوذ من (قبع القنفذ) إذا أدخل راسه في جلده، وقد تقبّع الرّجل: أي اختبأ، وضده تطلّع. (١)

وإلى نطق الحقائق والمعارف والشّرائع بقوله عليه السّلام: «ونطقت حين تعتّعوا» بعد مضيّ مدّة العمي والحصر والترّد في الأوهام والجهالة التي كانت سائدة ومحيّمة على النّاس، مأخوذ من التّعتعة.

قال الشّيخ الطّريحيّ رحمه الله في وصف عليّ عليه السّلام: «ونظّقت بالأمر حين تتعّعتوا» هو من التّعتعة في الكلام: التّرّد فيه من حصر أو عمي: أي حين عجزوا عن القيام به. وفي الحديث: «ما قدّست أمة لم تأخذ ضعيفها من قوتها بحقه غير متعّع». (٢)

وإلى خضوعه الذاتيّ أمام الله جلّ جلاله ب: «كنت أخفضهم صوتاً» وإلى علوّ نفسه الشّريفة، واستبقاها إلى العلّى من غيره ب: «و أعلاهم فوتاً». وإلى طيرانه بأعنة الحقائق، وانفراده بالخطر في ميدان السّباق ب: «فطرتُ بعنانها واستبددتُ برهانها».

وإلى يقينه بالله، وبما جاء به الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم في جميع المقامات، وبشؤون الخالق عزّ وجلّ، والخلق لا يشوبه ريبٌ، و جهاده المتواصل في حياة النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، ومماته لايزيله

(١) شرح التّهج ٢/٢٨٥، مع زيادة ما. (٢) مجمع البحرين: في (تعّع).

شيءٌ بقوله عليه السلام: «كالجبل لا تحركه القواصف، ولا تزيله العواصف».

والقواصف واحدها القاصفة: أي الكاسرة من القصف بمعنى: الكسراً والصوت الشديد، كما في آية: «قاصفاً من الريح فيغرقكم»، (١) هي التي لها قَصْفٌ: أي صوت شديد، كأنها تقصف؛ لأنها لا تمر بشيء إلا قصفته. (٢)

والعواصف جمع العاصفة، ومنها آية: «فالعَصْفُ عَصْفاً»، (٣) وهي الرياح الشداد. «ولسليمن الريح عاصفة»، (٤): أي إن أراد أن تعصف عصفت، وأن ترخي رخت. (٥)

ثم إنَّ هذا التمثيل جاء في زيارة يوم توفي فيه عليه السلام، زاره بها الخضر عليه السلام، (٦) عرّف الناس بعض ماله من خصائص خصه الله عز وجل بها، وبعد ما عرفوه، ولا درّوا ما هو؟ ومن هو؟...

إنَّ لِيْلَه في معاليك سرّاً أكثر العالمين ما عِلْمُوهُ (٧)

فسلام الله عَلَيْكَ غاديةً ورائحةً.

(١) الإسراء: ٦٩. (٧) السفينة: ٢٣١/٢، في (علا) نقلاً عن عبد الباقي الأفندي.

(٢) مجمع البحرين: في (قصف).

(٣) المرسلات: ٢.

(٤) الأنبياء: ٨١.

(٥) مجمع البحرين: في (عصف).

(٦) البحار: ٣٥٥/١٠٠.

١٠٨- كَرْبِيضَةُ الْغَنَمِ

في خطبة الإمام عليه السّلام الشّشقيّة:
«... مجتمعين حولي كَرْبِيضَةُ الْغَنَمِ، فلما نهضتُ بالأمر نكثتُ
طائفة، ومَرَقَتْ أُخْرَى، وفَسَقَ آخَرُونَ...» (١).

قال المعتزليّ:

قوله: «كَرْبِيضَةُ الْغَنَمِ»: أي كالقطعة الرّابضة من الغنم، يصف
شدة ازدحامهم حوله، وجثومهم بين يديه.
وقال القطب الرّاونديّ: يصف بلادهم ونقصان عقولهم؛ لأنّ الغنم
تُوصَفُ بقلّة الفطنة. وهذا التّفسير بعيدٌ، وغير مناسب للحال. (٢)

أقول: لو كانوا ذوي فطنة لما تمرّدوا على الإمام المعصوم عليه السّلام
من قَبْلَ انتهاء الخلافة إليه بطاعة من لا طاعة له من قَبْلِ اللَّهِ عزّ وجلّ
ولا رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولما افترقوا عليه إلى طوائفٍ ناكثيّة،
ومارقيّة وفاسقيّة؛ الذين صرح عليه السّلام بهم في هذه الخطبة، وعليه فما
قاله القطب الرّاونديّ حق ولا ينافي وصف شدة الزّحام والكثرة به.

(١) التّهج: ٢٠٠/١، ط ٣.

(٢) شرح التّهج: ٢٠١/١.

والرَبِيضَةُ، كما تقدّم: القطعة من البقر والفرس والكلب والغنم، كَبُرُوكَ الإبل وجثوم الطير. ومنه الحديث: «إِنَّهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ- بَعَثَ ضَحَاكَ بْنَ سَفْيَانَ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ: إِذَا أَتَيْتَهُمْ فَأَرْبِضْ فِي دَارِهِمْ ظُبِيًّا»: أَيِ أَقِمْ فِيهَا أَمْنًا لَا تَبْرَحَ، كَأَنَّكَ ظُبِيٌّ فِي كِنَاسَةٍ قَدْ أَمِنَ حَيْثُ لَا يَرَى إِنْسِيًّا. وَمِنْهَا الْمَثَلُ: (مِنْكَ رَبْضُكَ، وَإِنْ كَانَ سَمَارًا): أَيِ مِنْكَ أَهْلُكَ وَخِدْمَتُكَ وَإِنْ كَانُوا مَقْصُرِينَ. وَهَذَا كَقَوْلِهِمْ: (أَنْفُكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعٌ). (١)

قال الشيخ الطريحي: في الحديث: «أَقْلَ مَا يَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْقَبْلَةِ مَرْبُضُ غَنَمٍ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ مَرْبُطَ فَرَسٍ». مرابض الغنم جمع مربض بفتح الميم وكسر الباء: وهو موضع رُبِضَ الغنم، وهو كالجُلُوسِ لِلْإِنْسَانِ، وَقِيلَ: كَالَا ضُطْجَاعٍ لَهُ. وَفِي حَدِيثٍ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَالنَّاسُ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ»: أَيِ الْبَارِكِ. (٢) يريد بالحديث: الخطبة المبحوثة.

ولعلَّ الغرض من التمثيل العلوي بيانَ عَدَمِ الْمَعَارِضَةِ، وَتَسْلِيمِ الْقَوْمِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ، وَإِنْ اخْتَلَفُوا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَشْتُ طَائِفَةً...» وَيُمْكِنُ أَنْ يَرِيدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهِ الْكَثْرَةَ الْمُؤَكَّدَةَ، لِقَوْلِهِ: «مَجْتَمِعِينَ حَوْلِي». لَذِكْرِهِ الْمَثَلَ لَهُ، كَمَا يُقَالُ: (مِثْلُ رُبِيعَةٍ وَمُضٍ). تَمْثِيلًا لِلْكَثْرَةِ. أَوْ: (كَالْجُرَادِ) أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى التَّكْثِيرِ.

(١) منتهى الأرب: في (ربض). وجمع الامثال: ٢١/١، حرف الهسمزة

وج: ٤٢١/٢، حرف الياء.

(٢) مجمع البحرين: في (ربض).

ولا شك أن الطوائف الثلاث هي من المجتمعين حوله عليه السلام وهم من الكثرة الكاثرة يعني: أنهم الآن مقبلون عليّ بكثرتهم، ولكن بعد مضي فترة من الزمان، يخرجون عن طاعتي، ناكثين، مارقين، فاسقين.

فسلام الله عليك من مظلوم ما أصبرك يا أمير المؤمنين!!.

١٠٩- كُغُرف الضَّبْع

قال عليه السلام في خطبته الشَّقَشَقِيَّة:

«فما راعني إلا والناس إليّ كُغُرف الضَّبْع، ينثالون عليّ من كلِّ جانب حتّى لقد وُطئ الحُسنان، وشُقَّ عطفائي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم...» (١).

إنما لم نستوفِ الخطبة كلّها إلا ما شتمل على المَثَل للمَثَل المعروف: (لكلِّ مقام مقال). (٢).

قوله عليه السلام: «كُغُرف الضَّبْع». قال ابن فارس: العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما على تتابع الشيء متّصلاً ببعضه ببعض، والآخر على السكون والظمأنينة. فالأول: العُرف عُرِف عُرِف

(١) التهج: ١/٢٠٠، ط ٣.

(٢) الفاخر: ٣١٤.

الفرس. وسمي بذلك لتتابع الشعر عليه، ويقال: جاءت القطا عُرْفاً عُرْفاً: أي بعضها خلف بعض. والأصل الآخر: المعرفة والعرفان، تقول: عرف فلان فلاناً عرفاناً ومعرفةً. وهذا أمر معروف. وهذا يدل على ما قلناه من سكونه إليه؛ لأن من أنكر شيئاً توَحَّشَ منه، ونبا عنه. (١)

والشاهد للأول من الأصلين، قيل في: «والمُرْسَلَتِ عُرْفاً» يعني: الملائكة أرسلوا للمعروف والإحسان. والعرف ضدُّ التكر. وقيل: أراد أنها أرسلت متتابعة كعُرْفِ الفرس. (٢)

أقول: وللضبع شعرٌ متتابع يسمى عُرفه كالفرس.

قال المعتزلي: عُرف الضبع ثخين، ويضرب به المثل في الازدحام. وينثالون: يتتابعون مزدحمين. والحَسَنان: الحسن والحسين عليهما السلام. والعطفان: من المنكب إلى الورك، ويروى: (عطافي). والعطاف: الرداء وهو أشبه بالحال، إلا أن الرواية الأولى أشهر، والمعنى: خدش جانباي لشدة الاصطكاك منهم والزحام.

وقال القطب الراوندي: الحَسَنان: إيهما ما الرجل، وهذا لأعرفه. (٣) وقال السيد الخطيب: عُرف الضبع: شبه كثرتهم بكثرتة، والعُرف: الشعر الثابت على عنق الفرس فاستعار للضبع. (٤) وعليه فلا عُرف له،

(١) معجم مقاييس اللغة: ٢٨١/٤، في (عرف).

(٢) النهاية: ٢١٧/٣، في (عرف). الرسائل: ١.

(٣) شرح التهج: ٢٠٠/١.

(٤) مصادر التهج: ٣٠٦/١، الهامش.

نعم عدّ من ذوات الشعر كالماعز. (١) واسم الضَّبَع الفارسيّ:
(كفتار). (٢) ومن المثل السائر: (عزّلت السباع ووليت الضباع). (٣)
وكيف كان فالمراد كما تقدّم: زحام الناس عليه عليه السلام للبيعة
(بعد اللّثيا والتي). (٤)

ولم تفتح إمارته إلّا بالحروب الطاحنة، من حرب الجمل وصفين
والتهروان، وقد ملأوا قلبه الشريف قيحاً. كما قال عليه السلام: «لقد
ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرّعتُموني نُغَب التّهام
أنفاساً، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان...» (٥) إلّا القليل
مِمَّنْ وفّى لرعاية الحقّ، وأطاع إمامه المعصوم عليه السلام.
والنُّغَب جمع نَغْبَة وهي: الجرعة. والتّهام: الهم (٦).



مركز تحقيقات کتبی و تاریخ و علوم اسلامی

(١) حيوان الجاحظ: ٤٨٤/٥.

(٢) المصدر: ٤٥٢/٦، وفيه قصّة معاوية مع الخراسانية.

(٣) المصدر.

(٤) مجمع الأمثال: ٩٢/١، حرف الباء.

(٥) التهجد: ٧٥/٢، الخطبة: ٢٧.

(٦) شرح التهجد: ٨٠/٢.

١١٠- كفى بالمرء جهلاً ألا يعرف قدره

في خطبة له عليه السلام حاوية لعدة أمثال منها:

«وكفى بالمرء جهلاً ألا يعرف قدره». (١)

ونظيره في خطبة أخرى: «العالم من عرف قدره، وكفى بالمرء جهلاً ألا يعرف قدره، وإن من أبغض الرجال إلى الله تعالى لعبداً وكَلَهُ الله إلى نفسه...» (٢).



ذكرناه بعنوان: «العالم من عرف قدره». (٣) من الأمثال المشهورة صرح به المعتزلي. (٤) وفي معناه: «وما هلك أمرؤ عرف قدره». وفيما رواه الشيخ الصدوق طاب ثراه بسنده عن عامر الشعبي قال: تكلم أمير المؤمنين -عليه السلام- بتسع كلمات، ارتجلهن ارتجالاً، فقأن عيون البلاغة، وأيتمن جواهر الحكمة، وقطعن جميع الأنام عن اللحاق بواحدة منهن: ثلاث منها في المناجاة، وثلاث منها في الحكمة، وثلاث منها في الأدب. فأما اللاتي في المناجاة، فقال: «إلهي كفى لي

(٣) حرف المين مع الألف.

(٤) شرح التهج: ١٠٨/٧.

(١) التهج: ٢٧٣/١، ط: ١٦.

(٢) التهج: ١٠٧/٧، ط: ١٠٢.

عزّاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً أن تكون لي ربّاً، أنت كما أحبّ، فاجعني كما تحبّ». وأما اللّاتي في الحكمة، فقال: «قيمة كلّ امرئ ما يحسنه، وما هلك امرؤ عرف قدره، والمرء محبوبٌ تحت لسانه». وأما اللّاتي في الأدب، فقال: «أُمئن على مَنْ شئت تكن أميره، واحتج إلى مَنْ شئت تكن أسيره، واستغن عَمَنْ شئت تكن نظيره». (١)

يضرب في الحثّ على معرفة النَّفس. وقد ذكرنا حديث الشَّعبيّ عند التَّكلم على ما هو الصّالح للمثَل: «عَرَّكَ عِزُّكَ، فصار قصارٌ ذلك دُلك». (٢) وقلنا: إنّ كلماته عليه السّلام لا تقصر على التسع، فراجع. (٣)

ما هو قدر المرء الذي ذمّ الجهل به؟ نقول: للإنسان فراغ لا يسده إلّا الله وحده، ولا تكفيه الكوافي، مهما كان نوعها وشكلها من مناصب وملاذ وغيرها. ومن هنا قال عليه السّلام: «ما لِعَلِيٍّ وَلَتَعِيمٍ يَفْنَى، وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى، نَعُوذُ بِاللّهِ مِنْ سَبَاتِ الْعَقْلِ، وَقَبْحِ الزَّلَلِ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ». (٤) يلقي أضواءً ودروساً من المعرفة يعرفها العارف؛ تصديقاً لقوله عزّ وجلّ: «أليس الله بكافٍ عبده». (٥)

بلى والله هو الكافي لا سواه، نجد في أنفسنا طلباً لا يقف على حدٍّ إلّا

(١) الخصال: ٢/٤٢٠.

(٢) حرف الغين مع الرّاء من (الأمثال العلوية).

(٣) المصدر.

(٤) التَّهج: ١١/٢٤٦، كلام: ٢١٩.

(٥) الزّمر: ٣٦.

ونشبع منه إذا أوتيناه، ثم نطلب شيئاً بعد شيءٍ حتى نترفع عنه، وذلك لرفعة النفس عن العالم كله إلى أن تنتهي إلى الله، فتسكن وتطمئن، وهو قوله تعالى: «ألا بذكر الله تطمئن القلوب». (١) وهي التي جعلت همومها همّاً واحداً انفردت به، ألا وهو همّ الله تعالى فحسب: الله ربّ الناس فارفع همّك لا شيء غير الله أن يهّمك (٢)

١١١- كلابٌ عاويةٌ وسباعٌ ضاريةٌ

هذا أحد أمثال ضربها في وصيّة له لانه الحسن عليها السلام: «وإياك أن تغترّ بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها، وتكالهم عليها، فقد نبأك الله عنها، ونعتت لك نفسها، وتكشفت لك عن مساوئها. فإنما أهلها كلابٌ عاويةٌ، وسباعٌ ضاريةٌ، يهرّ بعضها على بعض، ويأكل عزيزها ذليلها، ويقهر كبيرها صغيرها». (٣)

تكلّمنا على بعض الأمثال المذكورة فيها بعنوان: «سروح عاهةٍ بوادٍ وعثٍ» (٤) بما يربط الموضوع فراجع.

(١) الرّعد: ٢٨.

(٢) سيرة الأمين: ٩٠، لعلّي عليه السلام، مع تغييرها.

(٣) التّهج: ٨٩/١٦، الوصيّة: ٣١.

(٤) حرف السين مع الراء.

قال الشيخ المحدث القمي طاب ثراه:

وساق عليه السلام الكلام في زهد الأنبياء عليهم السلام، وتنزههم عنها، وأنهم أنزلوا الدنيا من أنفسهم، كالميتة التي لا يحمل لأحد أن يأكل منها، إلا في حال الضرورة إليها، وأنهم أكلوا منها بقدر ما أبقى لهم النفس، وأمسك الروح، وجعلوها بمنزلة الجيفة التي اشتد نيتها، فكل من مرَّها أمسك على فيه. (١) وفي نسخة: على فيه.

قال الباقر عليه السلام: «ما الدنيا؟ وما عسى أن تكون الدنيا؟ هل هي إلا طعام أكلته، أو ثوب لبسته؟ - إلى أن قال: - فأُنزل الدنيا كمنزل نزلته، ثم ارتحلت عنه، أو كمال وجدته في منامك، واستيقظت وليس معك منه شيء، إني إنما ضربت لك هذا مثلاً؛ لأنها عند أهل اللب والعلم بالله كفي الضلال». (٢)

والنبوي: «إذا تخلَّى المؤمن من الدنيا سماً، ووجد حلاوة حب الله، وكان عند أهل الدنيا كأنه قد حولط، وإنما خالط القوم حلاوة حب الله، فلم يشتغلوا بغيره. وقال: إن القلب إذا صفا ضاقت به الأرض حتى يسمو». (٣)

وإنما أمير المؤمنين عليه السلام يكرّر في خطبه ووصاياه من ضرب الأمثال للدنيا، تحذيراً لمن يحبها ويعتنقها، فإن حبها رأس كل خطيئة،

(١) السفينة: ٤٦٦/١، في (دنا).

(٢) السفينة: ٤٦٤/١.

(٣) المصدر.

كما نصّ عليه الحديث، (١) ولعلمه عليه السّلام بحقيقتها، وما يعقب حبّها من آثار سيّئة.

فتجده عليه السّلام في هذه الوصيّة الشّريفة يمثّل لك الدّنيا بجيفة، لا يطلبها سوى الكلاب العاوية والسّباع الضّارية الهاربة بعضها على بعض مخافة الاستباق إليها، فيقلّ سهمه من الجيفة، وكذلك أهل الدّنيا يتكالبون في حطامها، فيقهر قوتهم ضعيفهم للحصول على الأكثر منها، وأمّا العارفون بحقيقة الدّنيا يتعجّبون من تكالبيهم، وعلى رأسهم الأئمة الهداة عليهم السّلام.

١١٢- كلعقة لاعق

من كتاب له عليه السّلام إلى أهل البصرة، أوّله: «وقد كان من انتشار حبلكم وشقاقكم ما لم تغبوا عنه، فعفوت عن مجرمكم... ولئن ألبأتُموني إلى المسير إليكم لأوقعن بكم وقعةً، لا يكون يوم الجمل إليها إلّا كلعقة لاعق...» (٢).

شقاق أهل البصرة مع أمير المؤمنين عليه السّلام معروف. وجاء

(١) الوسائل: ٣٠٨/١١، عن الصادق والسّجاد عليهما السّلام، رقم الحديث: ٢، ١، على التّرتيب، باب ٦١ من أبواب جهاد النفس.
(٢) التّهج: ٣/١٦، ك ٢٩.

ذمهم على لسانه عليه السلام غير مرة، وكفى شقاً يوم الجمل، والكلام
تهديد لتكرير الشقاق والخلاف منهم، وأنه عليه السلام يوقع وقعةً هي
أمرٌ وأدهى من يوم الجمل، بل لا يكون القياس إلى الوقعة المتوقعة إلا
بمثل لعقة لاعق.

قال الشارح: «كلعة لاعق»، مثلاً يضرب للشيء الحقيق التافه،
ويروى بضم اللام: وهي ما تأخذه الملعقة. (١)

قال الشيخ الطريحي: في الحديث: «الويل لمن باع معاده بلعة لم
تبق». اللعة بالفتح: المرة من لعقت الشيء بالكسر، ألعه لعقاً: أي
لحسته، ومنه لعق الأصابع.

ومن كلام له عليه السلام في أمر الخلافة وتأخيرها عنها:
«وهل هي إلا كلعة الآكل، ومذقة الشارب، وخفقة الوسنان، ثم

تلزمكم المعرات»، تحقيق كوتير، روى
ومثله قوله عليه السلام: «مصادرين أحدكم لعقة على لسانه صنيع
من قد فرغ من عمله، وأخرز رضى سيده».

ومثله قوله عليه السلام في خلافة مروان: «إن له إمرة كلعة الكلب
أنفه»، لأن خلافته كانت ستة أشهر. (٢)

من ذلك كله عُرف أن المثل المذكور يضرب للأمر التافه وللقلة.

(١) شرح التهج: ٤/١٦.

(٢) مجمع البحرين: في (لعق)، التهج: ١٤٦/٦. قوله عليه السلام: «كلعة الكلب

أنفه». مثلاً يضرب لقصر المدة.

وقد يأتي من لفظه لما لم يكن له حقيقة ثابتة، كقول الإمام الحسين عليه السلام في كلام له: «الذين لَعَقَ على ألسنتهم، يحوطونه مادرت معائشهم، فإذا مَحَصُوا بالبلاء قَلَّ الدَيَّانُونَ». (١)

١١٣- كُلُّ غُدْرَةٍ فُجْرَةٌ

من كلام له عليه السلام:

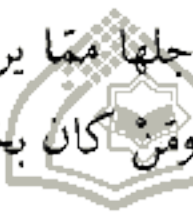
«والله ما معاوية بأدهى مني، ولكته يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كُلُّ غُدْرَةٍ فُجْرَةٌ، وكلُّ فُجْرَةٍ كُفْرَةٌ، ولكلُّ غادرٍ لواء يعرف به يوم القيامة، والله ما أَسْتَغْفِلُ بالملكيدة، ولا أَسْتَغْمِرُ بالشديدة». (٢)

قال المعتزلي: الغُدْرَةُ على (فُعْلَةٍ): الكثير الغدر، والفُجْرَةُ والكُفْرَةُ: الكثير الفجور والكفر، وكلٌّ ما كان على هذا البناء فهو للفاعل، فإن سَكَنْتِ العين فهو للمفعول، تقول: رجل ضَحَكَ: أي يَضْحَكُ، وضُحِكَ: يُضْحِكُ منه... يقول عليه السلام: كلُّ غادرٍ فاجرٌ، وكلُّ فاجرٍ كافرٌ. وقوله: «لكلِّ غادرٍ لواء يعرف به يوم القيامة»، حديث صحيح مروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - ثم أقسم عليه السلام أنه

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام: ٩٧/٣. البحار: ٣٨٣/٤٤.

(٢) التهجد: ٢١١/١٠، كلام: ١٩٣.

لا يُستغفل بالمكيدة: أي لا تجوز المكيدة عليّ، كما تجوز على ذوي الغفلة،
وأنه لا يستغمر بالشديدة: أي لا أهين ولا ألين للخطب الشديد. (١)

وقال: وأما الرأي والتدبير، فكان من أسد الناس رأياً، وأصحهم
تدبيراً، وهو الذي أشار على عثمان بأمور، كان صلاحه فيها، ولو قبلها لم
يحدث عليه ما حدث وإنما قال أعداؤه: لا رأي له؛ لأنه كان متقيداً
بالشريعة، لا يرى خلافاً، ولا يعمل بما يقتضي الدين تحريمه. وقد قال
عليه السلام: «لولا التقى لكنث أدهى العرب». وغيره من الخلفاء
كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه ويستوفقه، سواء أكان مطابقاً للشرع أم
لم يكن؛ ولا ريب أن من يعمل بما يؤدي إليه اجتهاده، ولا يقف مع
ضوابط وقيود يمتنع لأجلها مما يرى الصلاح فيه تكون أحواله الدنيوية
إلى الانتظام أقرب، ومن كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدنيوية إلى
الانتثار أقرب.  مركز تحقيق التراث

وأما السياسة، فإنه كان شديد السياسة خشناً في ذات الله، لم
يراقب ابن عمه في عمل كان ولاه إياه، ولا راقب أخاه عقيلاً في كلام
جبهه به، وأحرق قوماً بالنار، ونقض دار مصقلة بن هبيرة، ودار جرير بن
عبدالله البجلي، وقطع جماعة، وصلب آخرين؛ (٢) إجراءً لحدود الله

(١) التهج: ٢١١/١٠، كلام: ١٩٣.

(٢) شرح التهج: ٢٨/١ وفي كلام المعتزلي هذا تصريح أن غيره من الخلفاء لم
يتقيدوا بشريعة الله جلّ جلاله، بل يعملون على وفق ما يرون من المصلحة، وأما
أمير المؤمنين عليه السلام فلا يتخطى الشريعة قيد شعرة، وقد جرى الحق على لسانه، كما
قلناه في المتن لولا اعتذاره بما لا يصلح عذراً.

تعالى عليهم، غير مداهن، ولا متوان، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ولا أخوة أخ أو قرابة؛ كما يصنع غيره من الخلفاء من تعطيل حدوده عز وجل، بل تجاوزهم الموجب لها وغدرهم الذي عدوا به من دهاة الناس.

وقال أيضاً: أي المعتزلي: اعلم أن السائس لا يتمكن من السياسة البالغة إلا إذا كان يعمل برأيه، وبما يرى فيه صلاح ملكه، وتمهيد أمره، وتوطيد قاعدته، سواء وافق الشريعة أو لم يوافقها. ومتى لم يعمل في السياسة والتدبير بموجب ما قلناه، فبعيد أن ينتظم أمره، أو يستوثق حاله، وأمير المؤمنين كان مقيداً بقيود الشريعة، مدفوعاً إلى اتباعها، ورفض ما يصلح اعتماده من آراء الحرب والكيد والتدبير، إذا لم يكن للشرع موافقاً، فلم تكن قاعدته في خلافته قاعدة غيره ممن لم يلتزم بذلك.

ولسنا بهذا القول زارين على عمر بن الخطاب، ولا ناسبين إليه ما هو منزلة عنه، ولكنه كان مجتهداً، يعمل بالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة. (١) إلى آخر ما لفق له لتبرير أعماله.

ونقول له: هل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يعمل بالقياس، حتى يتبعه الخليفة؟ أم يرى ما لا يراه؟ والحديث ذوشجون. وقد جاء من روايات أهل بيت النبوة عليهم السلام ما يقرب من مائة وثلاثين حديثاً في منع القياس، منها الباقرى: «قال لأبي حنيفة: اتق الله، ولا تقس في الدين برأيك؛ فإن أول من قاس إبليس...». (٢)

(١) شرح التهج: ٢١٢/١٠.

(٢) الوسائل: ٢٩/١٨، باب ٦ عدم جواز القضاء والحكم بالرأي والاجتهاد والمقاييس... من أبواب صفات القاضي، الحديث: ٢٥.

وقد جرى الحقّ على لسان المعتزليّ، إلّا أنّه منعه من القبول ما الله يعلمه. ومنّ هوان الأمور مقارنة أمير المؤمنين عليه السّلام مع غيره في ذلك. مع أنّ الفتك والغدر لا يقدم عليه من له أدنى مرتبة من الإيمان؛ لأنّ الإيمان قيد الفتك. (١) كيف وهو أمير المؤمنين، وسيّد العارفين.

١١٤- كلّ متوقّع آتٍ، وكلّ آتٍ قريبٌ دانٍ

قال عليه السّلام:

«كلّ معدود منقضي وكلّ متوقّع آتٍ، (٢) وكلّ آتٍ قريبٌ دانٍ». (٣)

تكلّمنا على الكلمة الأولى. (٤)

قال ابن أبي الحديد: فأما قوله: «وكلّ متوقّع آتٍ» فيماثله قول العامة في أمثالها: (لو انتظرت القيامة لقامت). والقول في نفسه حقٌّ؛ لأنّ العقلاء لا ينتظرون ما يستحيل وقوعه، وإنّما ينتظرون ما يمكن وقوعه، وما لا بدّ من

(١) جامع الأصول لأحاديث الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم: ٢٠٩/١٠. مجمع الأمثال: ١٠٧/٢، حرف القاف. المستقصى: ٢٠٠/٢.

ولا يخفى أنّ المثل: «كلّ غُدرةٍ فُجرةٌ» ذكره جمع، منهم: الشّيخ المحموديّ في نهج السعادة: الخطب: ٣١٧/٢.

(٢) التّهج: ٢٢٢/١٨، الحكمة: ٧٣.

(٣) التّهج: ١٠٥/٧، الخطبة: ١٠٢.

(٤) حرف الكاف مع الّلام.

وقوعه، فقد صحَّ أن كلَّ منتظر سيأتي. (١)

ورده الشيخ التستري، بأنَّ المراد بالمتوقع: الموت، والموت حتم آتٍ، وإنَّما أتى عليه السَّلام بلفظة (كلَّ)؛ لأنَّ المتوقَّع كلَّ حتميٍّ لا يعلم ساعة وقوعه لا ما يمكن وقوعه؛ فإنَّه لا يجب وقوعه، كالمطر في الشتاء، وبالجملة، كلامه عليه السَّلام استدلال بالعلَّة والمعلول حتى يلتزم بالقبول. وهو (يعني المعتزلي) جعله ككلام عاميٍّ مردول. (٢)

أقول: يراد بالمتوقع الآتي: الأعمَّ من الموت والقيامة، وكلَّ أمرٍ واقع عقلاً أوعادةً والشَّمول أقرب إلى ظاهر الكلام أن كلَّ ما يتوقَّع لابد أن يأتي وكلَّ ماسيأتي فهو قريب وكأنَّه قد أتى.

قال الشَّارح المعتزلي: وهذا مثل قول قُتُس بن ساعدة الإيادي: (مالي أرى النَّاس يذهبون ثمَّ لا يرجعون! أرَضُوا بالمقام فأقاموا؟ أم تُركوا هناك فناموا؟ أقسم قُتُس قسماً، إنَّ في السَّماء لخبراً، وإنَّ في الأرض لعبراً، سقْفٌ مرفوعٌ، ومهاذٌ موضوعٌ، ونجومٌ تمور، وبحارٌ لا تغور. اسمعوا أيُّها النَّاس وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكلَّ ما هو آتٍ آتٍ). (٣)

أقول: مَنْ مات لم يفُت، نعم فأتت منه أمورٌ لزمته تبعثها في البرزخ والقيامة، لا ما قالته الدهريَّة، كما حكاه الله عزَّ وجلَّ عنهم: «وقالوا

(١) شرح التَّهَج: ٢٢٢/١٨.

(٢) بهج الصَّبَاغة: ١٧٠/٨.

(٣) شرح التَّهَج: ١٠٧/٧.

ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر». (١) بل بعد الموت حياة ومساءلة ونعيم ونار وعقبات لا تأتي في حسابان إنسان، ولا تخطر على قلب، إلا كما وصف في القرآن الكريم، وكتب السماء، وأخبر بها أنبياء الله تعالى «يقوم إنما هذه الحياة الدنيا متعة وإن الآخرة هي دار القرار». (٢) وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به. (٣) «فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنت نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلّم لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم إن هذا هو الحق اليقين». (٤)

«وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة».
 الغاية: مدى الشيء، والجمع غاي مثل ساعة وساع. والساعة:
 الوقت الحاضر. والجمع الساعات. قال القطامي:

وكنّا كالحرّيق لدى كفّاج فيخبو ساعة وهبّ ساعا

وفي المصباح: الساعة: الوقت من ليل أو نهار، والعرب تطلقها وتريد بها: الوقت والحين، وإن قلّ، وعليه قوله تعالى: «لا يستأخرون

(١) الجاثية: ٢٤.

(٢) غافر: ٣٩.

(٣) التهج: ١٤٥/٥، الخطبة: ٦٣.

(٤) الواقعة: ٨٨ - ٩٥.

ساعة ولا يستقدمون». (١) «وإن غائباً يحدوه الجديدان، الليل والنهار،
لحرى بسرعة الأوبة».

وكل يوم مضى أوليلة سلفت فيها النفوس إلى الآجال تزدلف (٢)

١١٥- كل معدودٍ منقضٍ

قال عليه السلام:

«كل معدودٍ منقضٍ، وكل متوقع آتٍ». (٣)

هذا تنبيه بطريق الاستدلال النظري، على أن الدنيا زائلة ومنصرفة،
وقد استدلل المتكلمون بهذا على أن حركات الفلك يستحيل ألا يكون لها
أول؛ فقالوا: لأنها داخلية تحت العدد، وكل معدود يستحيل أن يكون غير
متناه. (٤) قاله الشارح المعتزلي، وهو الحق، فلا مجال للتشكيك في
حدوث المعدود وانتهائه، كما في قول له في شرح الكلمة في موضوع آخر،
قال:

الكلمة الأولى تؤكد مذهب جمهور المتكلمين، في أن العالم كله لا بد أن

(١) التهج: ١٤٥/٥، الخطبة: ٦٣، الأعراف: ٣٤. وهج الصباغة: ١٣/٨.

(٢) التهج: ١٤٥/٥، الخطبة: ٦٣. وهج الصباغة: ١٣/٨.

(٣) التهج: ١٠٥/٧، من الخطبة ١٠٢ و ٢٢٢/١٨، الحكمة: ٧٣.

(٤) شرح التهج: ١٠٧/٧.

ينقضي ويفنى، ولكن المتكلمين الذاهبين إلى هذا القول لا يقولون: يجب أن يكون فانياً ومنقضيّاً؛ لأنّه معدود. فإنّ ذلك لا يلزم، ومن الجائز أن يكون معدوداً، ولا يجب فناؤه؛ ولهذا قال أصحابنا: إنّنا علمنا أنّ العالم يفنى عن طريق السمع، لا من طريق العقل.

فيجب أن يحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على ما يطابق ذلك، وهو أنّه ليس يعني أنّ العدد علّة في وجوب الانقضاء، كما يشعر به ظاهر لفظه، وهو الذي يسمّيه أصحاب أصول الفقه إيماءً، وإنّما مراده كلّ معدود فاعلموا أنّه فاني ومنقضيّ، فقد حكم على كلّ معدود بالانقضاء حكماً مجرداً عن العلّة. كما لوقيل: زيد قائم. ليس يعني أنّه قائم، لأنّه يسمّى زيداً. (١)

أقول: مالا آخر له لأوّل له: وكان أزليّاً، فلو فرض أنّ المعدود لا يجب فناؤه، فلا آخر له، وعليه فلا أوّل له، وقد أبطله الإمام عليه السلام في خطبة له: «... ومن حدّه فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزله...». (٢)

قال المعتزليّ في شرح (فقد عدّه): أي جعله من جملة الجثة المعدودة فيما بيننا، كسائر البشر والحيوانات. ومن قال بذلك فقد أبطل أزله؛ لأنّ كلّ ذات مماثلة لهذه الذوات المحدثّة فإنّها محدثة مثلها، والمُحدّث لا يكون أزليّاً. (٣)

(٢) التهجد: ١٤٧/٩، الخطبة: ١٥٢.

(١) شرح التهجد: ٢٢٢/١٨.

(٣) شرح التهجد: ١٥١/٩.

وفي (غررالحكم): «كلّ معدود منتقص ، كلّ سرور منقّص ، كلّ جمع إلى شتات ، كلّ متوقع آتٍ». والرواية بهذه الصورة تفيد أنّ الرضّي انتزع هذه الكلمة من جملة كلام له عليه السلام، قاله السيّد عبد الزهراء. (١)

وعلى ثبوت النسخة أنّ لازم النقص الانقضاء وهو يلزم الفناء، والفاني: ماله آخر، وماله آخر له أول. وقد أشار الإمام عليه السلام إلى هذه القاعدة: أي نفي الأزليّة والأبدية عن المعدود.

في الحديث: «أنّ أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين! أتقول أنّ الله واحد؟ قال: فحمل الناس عليه، وقالوا: يا أعرابي! أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسم القلب؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: دعوه؛ فإنّ الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم، ثمّ قال: يا أعرابي! إنّ القول في أنّ الله واحد على أربعة أقسام: فوجهان منها لا يجوزان على الله عز وجلّ، ووجهان يثبتان فيه، فأما اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل: واحد، يقصد به باب الأعداد، فهذا مالا يجوز؛ لأنّ مالا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد...». (٢) اقتصرنا عليه، وهو واضح.

وقد أجاب عن الإشكال بعض الشّراح بقوله: ما طوّله نفخ في غير ضرام، فإنّ مراده عليه السلام: أنّ سنّي عيش الإنسان وشهوره وأيامه وساعاته وآناته وأنفاسه في الدنيا معدودة، فلا بدّ أن تنقضي (٣).

(١) مصادر التّهج: ٥٨/٤ - ٥٩.

(٢) الخصال: ٢/١.

(٣) بهج الصبغة: ١٧٠/٨.

١١٦- كما تدين تُدان

من خطبة له عليه السلام، أولها:

«وهو في مهلة من الله يهوى مع الغافلين... .. وَضَعُ فَخْرَكَ،
وَأَحْطَظَّ كِبْرَكَ، واذكر قبرك؛ فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمْرَكَ، وكما تدين تُدان، وكما
تزرع تحصد... ..» (١).

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كانت امرأة على عهد داود،
يأتيها رجل يستكرهها على نفسها، فألقى الله عز وجل في قلبها، فقالت له:
إِنَّكَ لَا تَأْتِينِي مَرَّةً إِلَّا وَعِنْدَ أَهْلِكَ مِنْ يَأْتِيهِمْ. قال: فذهب إلى أهله،
فَوَجَدَ عِنْدَ أَهْلِهِ رَجُلًا، فَأَتَى بِهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ!
وَجَدْتُ هَذَا الرَّجُلَ عِنْدَ أَهْلِي، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى دَاوُدَ قُلْ لَهُ: كَمَا تَدِينُ
تُدَانَ» (٢).

وعنه عليه السلام: «أَنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَزْنُوا،
فَتُزْنِي نِسَاؤُكُمْ، وَمَنْ وَطِئَ فِرَاشَ امْرَأَةٍ وَطِئَ فِرَاشَهُ، كَمَا تَدِينُ
تُدَانَ» (٣).

(٣) الوسائل: ٢٣٦/١٤ و ٢٧١.

(١) التهج: ١٥٨/٩، ط ١٥٣.

(٢) الوسائل: ٢٦٩/١٤.

من هنا يعلم أنه مَثَلٌ سماويٌّ، أثبتناه في الأمثال التَّبَوِيَّة. (١)
وأثبتته الأدباء عن ابن دُرَيْد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة، قال: كان
مَلِكٌ من ملوك غَسَّان ينقدر النساء، لا يبلغه عن امرأة جمال إلا أخذها.
فأخذ ابنة يزيد بن الصَّعْق، وكان أبوها غائباً، فلَمَّا قدم أخبر، فوفد على
المَلِكِ، فصادفه متبدياً، وكان الملك إذا تبدى لم يحجب عنه أحد. فوقف
منذ تحيته يسمع كلامه، فقال:

يا أيها الملك المُقَيَّتُ أمارتُ ليلاً وَصُبْحاً كَيْفَ يَخْتَلِفَانِ
هل تَسْتَطِيعُ الشَّمْسُ أن تأتي بها ليلاً وهل لك بالمليك يدانِ
فاعلم وأيقنْ أن مَلِكَكَ زائلٌ واعلم بأنَّ كما تدين تُدانِ
فأجابه الملك:

إنَّ الَّتِي سلبت فؤادك خطَّةً مرفوضةً فاصبر لها ابن كلاب
فارجع بحاجتك الَّتِي طالبتها وَالْحَقُّ بقومك في هضاب إراب

ثم نادى: إنَّ هذه سنة مرفوضة. قال أبو عبيدة: ما أنشدت هذه
الآبيات ملكاً ظالماً إلا كَفَّته عن غَرَبه. ومعنى المَثَل: كما تَفْعَلُ يُفْعَلُ
بك (٢).

(١) في ج: ٥٣/٢ حرف الكاف مع الميم، رقم المَثَل: ٣٧٦.

(٢) المستقصى: ٢٣١/٢ - ٢٣٢، وهامشه.

قوله: ينقدر النساء، في هامش المصدر: لعله يقدر النساء. أقول: لعله يغدر بالنساء،

بالغين. كما في الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ١٥٤/٢ - ١٥٥.

١١٧- كما يُميد الشجر يوم الرّيح العاصف

في كلام له عليه السّلام يصف أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم: «كأنّ بين أعينهم ركب المغزى من طول سجودهم؛ إذا ذكر الله هملت أعينهم حتّى تُبلّ جُيوبُهم، ومادوا كما يُميد الشجر يوم الرّيح العاصف، خوفاً من العقاب، ورجاءً للثواب». (١)

اطلب المثل الأوّل من حروفه. (٢)

الجيوب جمع الجيب: وهو القميص، ويروى: «حتّى تُبلّ جباهُم»: أي يبلّ موضع السجود، فتبتلّ الجهة بملاقاته، (ومادوا): تحرّكوا واضطربوا، إمّا خوفاً من العقاب، كما يتحرّك الرّجل ويضطرب، أو رجاءً للثواب، كما يتحرّك النّشوان من الطّرب، وكما يتحرّك البّذل المسرور من الفرح. (٣)

العين الباكية من خشية الله عزّ وجلّ آمنةٌ قريبةٌ يوم الفزع الأكبر، وإنّها من الأعين الثلاث، كما نصّ عليها الحديث النبويّ: «كلّ عين

(١) التّهج: ٧٧/٧، كلام ٩٦.

(٢) الكاف مع الهنزة.

(٣) شرح التّهج للمعتزليّ: ٧٧/٧.

بأكية إلا ثلاثة أعين: عين بكت من خشية الله، وعين غضت من محارم الله، وعين باتت ساهرة في سبيل الله». (١)

عند الصلاة كان المعصومون عليهم السلام إذا قاموا إليها تصفّر وجوههم، وترتعد فرائصهم من خشية الله عز وجل، بل من اشتداد الخوف في جوف الليل. كان علي بن أبي طالب عليه السلام يغشى عليه حتى يصير كالخشبة اليابسة في حديقة بني التجار، وإذا قام في المحراب تملّمل تملّمل التسليم، وبكى بكاء الواله الحزين. والحسن عليه السلام يصفّر وجهه إذا أتجه القبلة وارتعد. وقد عدّ السّجاد من البكّائين الخمسة، ولكثرة العبادة لقّب بزین العابدین. ولم يوجد في خلائق الأولين والآخرين كأهل البيت عليهم السلام بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أحد يضاهيهم في العبادة والبكاء من خشية الله عز وجل، وارتعاد فرائصهم من خوفه تعالى. ثمّ الأمثل فالأمثل منهم من وصفهم عليه السلام في هذه الخطبة وفي غيرها قال: «وبقي رجال غصّ أبصارهم ذكر المرجع، وأراق دموعهم خوف المحشر». (٢)

وقوله عليه السلام: «مادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف». الميّدان: الحركة مع الاضطراب. والتمثيل باضطراب الشجر لعاصفة

(١) الوسائل: ١١٢٣/٤.

(٢) التّهجد: ١٧٥/٢، ط: ٣٢.

ولا يخفى أنّ من راجع السفينة في (خوف وعبد) عرف ما قلناه. والأمثال التّبوية: ٤٥٧/١، الزّاي مع الهاء، رقم المثل: ٢٩١، يمثل قيام فاطمة الزّهراء عليها السلام في صلاتها.

الريّح لعلّه ناظر إلى هيئة قيامهم للصلاة، وانتصابهم كانتصاب الشجر، أويراد: الارتعاد والاضطراب نفسه دون التمثيل بالهيئة، ويمكن إرادتها معاً، والشجر إذا اضطرب سمع منه تصافق الغصون بعضها ببعض من شدة الريّح العاصف؛ وكلمة: (يوم الريّح العاصف) تحكي عن هول الحال.

١١٨- كم مِنْ أَكْلَةٍ تَمْنَعُ أَكْلَاتٍ

من كلمات الإمام عليه السلام المعدودة من الأمثال قوله:
«كم مِنْ أَكْلَةٍ تَمْنَعُ أَكْلَاتٍ» (١).

قال المفضل: أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ عامر بن الظرب العدواني، وكان مِنْ حَدِيثِهِ أَنَّهُ كَانَ يَدْفَعُ النَّاسَ فِي الْحَجِّ، فَرَأَاهُ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ غَسَّانَ، فَقَالَ: لَا أَتْرُكُ هَذَا الْعِدْوَانِي حَتَّى أَذْلَهُ، فَلَمَّا رَجَعَ ذَلِكَ الْمَلِكُ إِلَى مَنْزِلِهِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ: أَحَبُّ أَنْ تَزُورَنِي، فَأُحْبِبُكَ وَأُكْرِمُكَ وَأَتَّخِذُكَ خَلِيلًا، فَأَتَاهُ قَوْمُهُ، فَقَالُوا: تَفْعُدْ وَيَفْعُدْ مَعَكَ قَوْمُكَ، فَيَصِيبُونَ فِي جَنْبِكَ، وَيَتَجَهَّوْنَ بِجَاهِكَ، فَخَرَجَ، وَأَخْرَجَ مَعَهُ نَفَرًا مِنْ قَوْمِهِ، فَلَمَّا قَدِمَ بِلَادَ الْمَلِكِ أَكْرَمَهُ، وَأَكْرَمَ قَوْمَهُ، ثُمَّ انْكَشَفَ لَهُ رَأْيُ الْمَلِكِ، فَجَمَعَ أَصْحَابَهُ، وَقَالَ: الرَّأْيُ نَائِمٌ، وَالْهُوَى يَقْظَانُ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يَغْلِبُ

(١) التهج: ٣٩٧/١٨، ح ١٧٣.

الهوى الرأى، عجلت حين عجلتم، ولن أعود بعدها، إنا قد توڑطنا بلاد
هذا المَلِك، فلا تسبقوني بريث أمرٍ أقيم عليه ولا بعجلة رأى أخفُّ
معه؛ فإن رأى لكم. فقال قومه: قد أكرمنا كما ترى، وبعد هذا ما هو
خيرٌ منه، فقال: لا تعجلوا، فإن لكل عام طعاماً ورُبَّ أكلةٍ تمنع
أكلات... (١).

نعم بين اللفظين: أي (كَمْ مِنْ أكلةٍ، وربَّ أكلةٍ) فرق غير مضر.
قال الميداني: يضرب في ذم حرص الطعام، وسرَدَ القصة.
(٢) والعسكري: يضرب مثلاً للخصلة من الخير، تُنال على غير وجه
الصواب، فتكون سبباً لمنع أمثالها، ثم أشار إلى ما تقدم من المفضل. (٣)
من العلل المانعة للأكلات عدم مضغها كما ينبغي، والمضغ ممّا
يمري الطعام الذي لا يجزّ مرضاً معه، إذا أكل الطاعم عند الجوع، ورقّع
اليَد عنه وهو يشتهي، وأجاد المَضغ لم يشتك وجعاً، ومنها كِبَرُ اللقمة.
ومنها العجلة في الأكل وسرعة الابتلاع. ومنها عدم التعهّد لما يأكل؛
(ربَّ أكلة هاضت الآكل، ومنعته ما كل).

كَمْ أكلةٍ خامرت حشاشه فَاخْرَجَتْ رُوحه من الجسد (٤).

(١) الفاخر: ١٧٤.

(٢) مجمع الأمثال: ٢٩٧/١، حرف الراء.

(٣) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ٣١٩/١.

(٤) شرح التهج: ٣٩٧/١٨.

١١٩- كناقش الشوكه بالشوكه

من كلام له عليه السلام، وقد قام إليه رجل من أصحابه فقال: نهيتنا عن الحكومة، ثم أمرتنا بها، فما ندري أي الأمرين أرشد. فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى، ثم قال:

«هذا جزاء من ترك العقدة، أما والله لو أنني حين أمرتكم بما أمرتكم، حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيراً، فإن استقمتم هديتكم، وإن اعوججتم قومتكم، وإن أبيتتم تداركتكم لكانت الوثقى، ولكن بمن؟ وإلى من؟! أريد أن أداوي بكم، وأنتم دائي، كناقش الشوكه بالشوكه، وهو يعلم أن ضلعها معها». (١)

أثبتنا صدر الكلام لربط التمثيل.

قال المعتزلي: وهذا مثل مشهور: (لا تنقش الشوكه بالشوكه؛ فإن ضلعها معها). والضلع: الميل، يقول: لا تستخرج الشوكه الناشبة في رجلك بشوكه مثلها؛ فإن إحداها في القوة والضعف كالأخرى، فكما أن الأولى انكسرت لما وطئتها، فدخلت في لحمك، فالثانية إذا حاولت

(١) التهج: ٢٩١/٧، كلام: ١٢٠.

استخراج الأولى بها تنكسر، وتلج في لحمك. (١)
قال الزمخشري بعد المثل: ويروى: فإن (إلها)، والمعنى: ميلها.
يضرب في التهي عن الاستعانة بمن هو للمطلوب منه الحاجة أنصح منه
للطالب. (٢)

أوردناه في الأمثال النبوية. (٣) والغرض من التمثيل به هنا يعرف
من قبله، حيث قال عليه السلام: «أريد أداوي بكم، وأنتم دائي». فأصحابه يزدون في علته بدل أن يرفعوها؛ لأنّ حادثة التحكيم لم تحدث
إلا من قبلهم، فكيف يعمل في رفعها بسبب هؤلاء، وهم قد أوجدوها؟
فحالهم وحال الإمام عليه السلام كمعالجة إخراج الشوكة بشوكة أخرى،
لا تزيدها إلا ولوجاً.



١٢٠- كناقل التمر إلى هجر

من الأمثال السائرة، تمثل به عليه السلام في كتاب له جواباً إلى
معاوية، وهو من محاسن الكتب، أوله:
«أما بعد، فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمداً... إلى
أن قال عليه السلام: - فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً، إذ طفقت تخبرنا

(١) شرح التهج: ٢٩٤/٧.

(٢) المستقصى: ٢٦٠/٢.

(٣) في حرف اللام مع الألف، ج: ١٠١/٢، رقم المثل: ٤١٨.

ببلاء الله عندنا، ونعمته علينا في نبينا، فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هَجَرَ، أو داعي مسدده إلى التّضال...» (١).

يعني عليه السّلام: ما قيمتك يا معاوية؟! وما أنت وتعدد نعم الله عزّ وجلّ علينا أهل البيت؟! و (أهل البيت أدرى بما في البيت). (٢)
وأنّ أهل مكّة أعرف من غيرهم بشعابها. وليس مثلك يا معاوية وتعدد نعمه تعالى علينا إلّا كمستبضع التمر إلى بلدة هَجَرَ من بلدة أخرى التي ينقل منها إلى غيرها التمر لا إليها، فحالك حاله.
وتناول ذكر المثل جمع من الكتاب:

قال ابن ميثم: وأصل هذا المثل، أنّ رجلاً قَدِمَ من هجر إلى البصرة بما لي اشترى به شيئاً للربح، فلم يجد فيها أكسد من التمر، فاشترى بماله تمرّاً، وحمله إلى هجر، وادّخره في البيوت منتظراً به السّعر، فلم يزدده إلّا رخصاً حتّى أنّه ربّما يبلغ سعر خمسين جلةً بدينار، و وزن الجلة مائة رطل، فذلك خمسة آلاف رطل. (٣)

قال النيسابوري بعد المثل: قال أبو عبيد: هذا من الأمثال المبتذلة ومن قديمها؛ وذلك أنّ هَجَرَ معدن التمر، والمستبضع إليه مخطئ. قال التّابغة الجعدي:

(١) التهج: ١٨١/١٥، كتاب: ٢٨.

(٢) أمثال وحكم دهخدا: ٣١٧/١.

(٣) شرح التهج للبحراني: ٤٣٦/٤.

وإنَّ امرأً أهدى إليك قصيدةً كمستبضع تمرأً إلى أرض خيبراً (١)

قال المعتزليّ: مَثَلٌ قديم. و(هَجَرَ): اسم مدينة لا ينصرف للتعريف والتأنيث، وقيل: هو اسم مذكر مصروف، والنسبة إليه هاجريّ على غير قياس، وهي بلدة كثيرة التخل، يحمل منها التمر إلى غيرها، قال الشاعر في هذا المعنى:

أُهدي له طُرف الكلام كما يُهدى لوالي البصرة التمر

قوله: «أوداعي مسدده إلى النضال»: أي معلّمه الرمي، وهذا إشارة إلى قول القائل الأول:

أُعَلِّمه الرماية كلّ يوم فلما استدّ ساعده رمانى (٢)

مركز تحقيق التراث
مكتبة جامعة القاهرة

قوله: (استدّ) هو من السدّد بالمهملة، وفي نسخة: (فلما اشتدّ ساعده رمانى) بالشين المعجمة. ومآل اللفظين واحد، فتدبّر. والمَثَل كما تقدّم يجري في كلّ مَنْ ينقل الشيء إلى معدنه، ومنه نقل كلام أو علم إلى معلّمه وأستاذه، وهذا شأن كلّ مَثَلٍ مطبّق على مواضعه التي بينها وبينه مناسبة وارتباط يدعو المتكلّم على التمثّل به من أجلها.

(١) مجمع الأمثال: ١٥٢/٢، حرف الكاف.

(٢) شرح التهج: ١٨١/١٥ - ١٨٩.

١٢١- كَيْتٌ وَكَيْتٌ

في خطبة له عليه السّلام: يصف فيها الناس: «أيتها الناس! المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يُوهي الصّمّ الصّلاب، وفعلكم يُطمع فيكم الأعداء؛ تقولون في المجالس: كَيْتٌ وَكَيْتٌ، فإذا جاء القتال قلتُم: حيادي حياد...» (١).

وفي لفظ: «كلامكم يُوهن الصّمّ الصّلاب، وتثاقلكم عن طاعتي يُطمع فيكم عدوكم، إذا أمرتكم، قلتُم: كَيْتٌ وَكَيْتٌ وعسا، أعاليل أباطيل...» (٢)  مركز تحقيقات فقهية إسلامية

انظر قوله عليه السّلام: «يُوهي الصّمّ الصّلاب» (٣) و«حيادي حياد» (٤). قال ابن الأثير: في الحديث: «بئس مالا حدكم أن يقول: نسيت آية كَيْتٌ وَكَيْتٌ» هي كناية عن الأمر، نحو: كذا وكذا. قال أهل العربيّة: إنّ أصلها (كَيْة) بالتّشديد، والتّاء فيها بدل من إحدى

(١) التهجد: ١١١/٢. ط: ٢٩.

(٢) نهج السّعادة: ٥٤١/٢، الخطب. - ظ: عسى، لا عسا..

(٣) حرف الياء مع الواو.

(٤) حرف الحاء مع الياء.

الياءين، والهاء التي في الأصل محذوفة، وقد تضمّ التاء وتكسر. (١)
وقال في تفسير: (كذا): «نجيء أنا وأمتي يوم القيامة على كذا وكذا». كأن الراوي شك في اللفظ، فكثى عنه بكذا وكذا وهي من ألفاظ الكنايات مثل: كَيْت وكَيْت. ومعناه: مثل ذا. ويكتى بها عن المجهول، وعمّا لا يراد التصريح به.

قال أبو موسى المحفوظ في هذا الحديث: «نجيء أنا وأمتي على كوم». أولفظ يؤدّي هذا المعنى. (٢)

وقال ابن فارس: يقولون: التكييت: تيسير الجهاز. قال:

كَيْت جهازك إِمّا كنت مرتحلاً إني أخاف على إزوادك السُّبُعا (٣)

وهو معنى ثانٍ لكَيْت لا يرتبط بما نحن فيه.
والمراد من قوله عليه السلام: «تقولون في المجالس: كَيْت وكَيْت»: ذمّ لهم؛ لأنّ قولاً لا يعقبه عمَلٌ لغوٌ ونفاقٌ، فلو صدقوا لقاموا للعمل؛ ومن ثمّ ذمّ العلم الفاقد للعمل، بل ليس العلم إلّا العمل. فانظر قوله تعالى: «أَمِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» (٤).

(١) النهاية: ٢١٦/٤، في (كيت). (٣) معجم المقاييس: في (كيت).

(٢) النهاية: ١٦٠/٤، في (كذا). (٤) الزمر: ٩.

كيف عقب جلّ جلاله العلم، وطبقه على القانت الساجد القائم
الحذر الراجي رحمته: أي الذي هذه صفته: هو من العلماء، والفاقد لها:
هو من غيرهم، ولا يتذكر المقصود منه إلا العاقل، فياها من آية لوعرفها
من تلاها حق تلاوتها؛ «وقليل ما هم» (١).

١٢٢- كيف يُراعي النبأ من أصمته الصيحة

مثّل من أمثالي جاء بها أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له:
«كيف يُراعي النبأ من أصمته الصيحة». (٢)

قال الشارح المعتزلي: هذا مثّل آخر، يقول: كيف يلاحظ ويراعي
العبر الضعيفة من لم ينتفع بالعبر الجليلة الظاهرة بل فسد عندها؟ وشبه
ذلك بمن أصمته الصيحة القوية؛ فإنه محال أن يُراعي بعد ذلك الصوت
الضعيف.

والنبأ: هي الصوت الخفي. قوله: (أصمته الصيحة)، ليس معناه: أن
الصيحة كانت علّة لصممه، بل معناه: صادفته أصم، وهذا تأول أصحابنا
قوله تعالى: «وأضلّه الله على علم». (٣) (٤)

(١) ص: ٢٤.

(٢) التهج: ٢٠٧/١، ط ٤.

(٣) الجاثية: ٢٣.

(٤) شرح التهج: ٢٠٩/١.

وهذا المثل يضاهيه على بعض التقادير. قوله عليه السلام: «هيئات إن من يعجز عن صفات ذي الهيئة والأدوات؛ فهو عن صفات خالقه أعجز». (١) ومنه قوله تعالى: «ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً». (٢) من لم يرحم نفسه كيف يرحم غيره.

والستر في عدم رعاية العظات ضعيفتها وجليلتها كدورة النفس، وعدم صفائها؛ لكثرة الذنوب، والتمرد على المولى جلّ وعلا، وقسوة القلب المتولدة عن مخالفة أوامره وارتكاب نواهيه، فلا تنجع المواعظ فيه، كما قال تعالى: «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة». (٣) و«لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغفلون» (٤).

وكيف يسمع قول أمير المؤمنين عليه السلام من ملك قلبه حب الرئاسة على الأمة مع المعرفة بخلوه عن الفضائل المؤهلة للمنصب الرباني؟ نعم الذي يؤهل غير الأهل له هم الناس، لا يردون عليه لما عرفوه من الحق. اللهم إن خوف السيف أسكتهم عن الرد، وهذه سنة جارية في كل الأعصار، إنها الشياط تقرع رؤوس الشعوب. يقول عليه السلام: «فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي مستأثراً عليّ،

(١) التهج: ٢٥٧/٩، ط: ١٦٤.

(٢) الإسراء: ٧٢.

(٣) البقرة: ٧٤.

(٤) الأعراف: ١٧٩.

مندقبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم- حتّى يوم الناس، هذا». (١) لولا مداهنة الناس لما أُضيع حقّه، فهم شركاء في إحياء الباطل وإماتة الحق، وكذا المؤمنون في الأدوار بعد عصور الأئمة الأطهار عليهم السلام، وقال القائل فيهم صلوات الله عليهم أجمعين:

مشرّدون نُفُوا عَنْ عُقْرِ دَارِهِمْ كَأَنَّهُمْ قَدْ جَنُّوا مَا لَيْسَ يُعْتَقَرُ (٢).



مركز تحقيقات كهنوت و علوم اسلامی

(١) التّهجد: ٢٢٣/١، الخطبة: ٦.

(٢) المجالس السنّية: ٦٧/١. وقبله:

لَا أَضْحَكَكَ اللَّهُ سِنَّ الدَّهْرِ إِنْ ضَعُكَتْ وَأَلْ أَحْمَدَ مَظْلُومُونَ قَدْ قَهَرُوا

١٢٣- كيلاً بغير ثمن لو كان له وعاء

في كلام له عليه السلام: في ذم أهل العراق:

«... .. ولقد بلغني أنكم تقولون: عليّ يكذب، قاتلكم الله! فعلى من أكذب؟ أعلى الله؟ فأنا أول من آمن به، أم على نبيّه؟ فأنا أول من صدّق به، كلا والله؛ لكنّها لهجة غبثتم عنها، ولم تكونوا من أهلها، ويل أمّه، كيلاً بغير ثمن لو كان له وعاء، «ولتعلمن نبأه بعد حين». (١) (٢)

مركز تحقيقات كويتية للعلوم الإسلامية

تكلّمنا حول المثل: «ويل أمّه». (٣) وذكرنا الآية المباركة في التمهيد في الآي المعدودة من الأمثال القرآنية.
قال المعتزلي يقول - عليه السلام -: أنا أكيل لكم العلم والحكمة كيلاً، ولا أطلب لذلك ثمناً، لو وجدتُ وعاءً! أي حاملاً للعلم؛ وهذا

(١) ص: ٨٨.

(٢) التهجد: ١٢٧/٦، كلام: ٧٠.

(٣) حرف الواو مع الياء.

مثل قوله عليه السلام: «ها إن بين جنبي علماً جمّاً لو أجدله حملة!». (١)

نعم الأنبياء وأوصياؤهم عليهم السلام يكيلون للناس العلوم والمعارف الربّانية للهداية، لا لأجرٍ يؤخذ منهم؛ وإنما أجرهم على الله عز وجلّ، وليس عليهم إلا المودة في القربى التي لا يصح الإيمان إلا بها، وإلا الذكري، واتخاذ سبيل الربّ من شاء منهم. نطق بذلك كلّ القرآن الكريم:

«قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله». (٢) «و ما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على ربّ العلمين». (٣)
«قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى». (٤) «قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعلمين». (٥) «قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربّه سبيلاً». (٦)
والمراد بالوعاء: القلب؛ لأنّ القلوب أوعية، كما قال عليه السلام: «يا كميل بن زياد! إن هذه القلوب أوعية، فخبرها أوعاها». (٧)

(١) شرح التهج: ١٣٤/٦.

(٢) سبأ: ٤٧.

(٣) الشعراء: ١٤٥.

(٤) الشورى: ٢٣.

(٥) الأنعام: ٩٠.

(٦) الفرقان: ٥٧.

(٧) التهج: ٣٤٦/١٨، الحكمة: ١٤٣.

وللإمام صلوات الله عليه وآله بيان لطوائف الناس في قبولهم العلم، واستعمالهم له لغايات ذكرها، قال عليه السلام:

«ها إن هاهنا لعلماء جمّاً - وأشار إلى صدره - لو أصبتُ له حملة! بلى أُصيبُ ١- لقنّا غير مأمونٍ عليه، مُستعملاً آله الدين للدنيا، ومُستظهراً بنعم الله على عباده، وبحججه على أوليائه، ٢- أو منقاداً لحملة الحق، لا بصيرة له في أحنائه؛ ينقدح الشك في قلبه لأول عارضٍ من شبهة. ألا إذا، ولا ذاك، ٣- أو منهومًا باللذة، سلس القياد للشهوة، ٤- أو مُغرماً بالجمع والادّخار، ليسا من رعاة الدين في شيء، أقرب شيءٍ شَبَّهاً بهما الأنعام السائمة؛ كذلك يموت العلم بموت حامله.

٥- اللهم بلى؛ لا تخلوا الأرض من قائمٍ لله بحجة، إماماً ظاهراً مشهوراً، وإماماً خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيّناته» (١).

قال الشارح: ثم قسّم - عليه السلام - الذي يصيبهم خمسة أقسام: الأول: أهل الرياء والسمعة، الذين يجعلون التاموس الديني شبكة لاقتناص الدنيا.

الثاني: قومٌ من أهل الخير ليسوا بذوي بصيرة في الأمور الغامضة، تنقدح في قلوبهم الشبهة بأدنى خاطر، وذلك لا يثبت تحت العلم إلا المؤيد بالتوفيق.

الثالث: صاحب لذاتٍ وطربٍ ليس من رجال الدين.

الرابع: الحريص على جمع المال لا ينفقه في الشهوة، ولا في غيرها. (٢)

(١) التهج: ٣٤٦/١٨ - ٣٤٧، الحكمة: ١٤٣. (٢) شرح التهج: ٣٥٠ - ٣٥١.

١٩
الخامس: علماء الشيعة الربانيون العاملون المخلصون لله تعالى،
وصفهم عليه السلام بما لا يسع المقام لذكره. والمعتزليّ فسّرهم بالأبدال
السّائحين في الأرض خشية التّطبيق على مذهب الإماميّة، انظر كلامه.



مرکز تحقیقات کتب و نشر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

١٢٤- لا أطور به ما سَمَرَ سَمِيرٌ، وما أم نجمٌ في السماء نجماً

من كلام له عليه السلام لما عوتب على التسوية في العطاء،
وتصويره الناس أسوةً في العطاء، من غير تفضيل أولي السابقات
والشرف:

«أتأمروني أن أطلب التصير بالجور فيمن وُلِّيت عليه؟! والله لا
أطور به ما سَمَرَ سَمِيرٌ، وما أم نجمٌ في السماء نجماً، ولو كان المال لي
لسويتُ بينهم، فكيف وإنما المال مال الله!». (١)

للكلام العلوي بقيّة مرهونة بمقام يناسبها.

قال الشارح المعتزلي: (لا أطور به): لا أقربه، (ولا تطرحولنا): أي
لا تقرب ماحولنا، وأصله من طوار الدار وهو ما كان ممتدّاً معها من
الفناء. وقوله -عليه السلام-: (ما سَمَرَ سَمِيرٌ) يعنى: الدهر: أي ما أقام
الدهر وما بقي، والأشهر في المثل: (ما سَمَرَ ابنا سَمِيرٍ)، قالوا: السَمِير:
الدهر، وابناه الليل والنهار. وقيل: ابنا سَمِيرٍ: الليل والنهار؛ لأنّه يُسَمَرُ
فيهما، ويقولون: (لا أفعله السَمَر والقَمَر): أي ما دام الناس يسَمرون في
ليلة قراء، ولا أفعله سَمِير الليالي: أي أبداً. قال الشنفرى:

(١) التهج: ١٠٩/٨، كلام: ١٢٦.

هنا لك لا أرجو حياة تسرني سَمير الليالي مُبسلًا بالجرائر

قوله - عليه السلام -: «و ما أم نجم في السماء نجماً»: أي قصّد وتقدّم؛ لأنّ النجوم يتبع بعضها بعضاً، فلا بدّ من تقدّم وتأخّر؛ فلا يزال النجم يقصد نجماً غيره، ولا يزال النجم يتقدّم نجماً غيره. (١)
وقال آخر في شرحه: (لا أفعله ما طلع النجم في الخضراء، ونجم الظلع في الغبراء). وقال زهير:

ولولا ظلمة مازلت أبكي سجيس الدهر ما طلع النجوم

والجملتان في كلامه عليه السلام: «ما سَمَرَ سَمِيرٌ، وما أم نجم نجماً»، كنايةتان عن الدوام. ونظيرهما في الكناية عنه قولهم: (سجيس عجيس)، وقولهم: (ما غبا غبيس). (٢)
أقول جاء في القرآن الكريم من السمر بمعنى التحدث بالليل قوله تعالى: «مستكبرين به سِيراً تهجرون». (٣): أي بالقرآن أو البيت العتيق. كانوا يقصّون بالليل في مجالسهم حول البيت. (٤) من المسامرة: وهي التحدث ليلاً. ولا يناسب المقام من معاني السمر إلا ما تقدّم بيانه.

(١) شرح التهج: ١١٠/٨.

(٢) بهج الصباغة: ٢٠٧/١٢ - ٢٠٨.

(٣) المؤمنون: ٦٧.

(٤) تفسير الصافي: ١٤٤/٢.

والكلام العلويّ مَسُوقٌ لإحقاق الحقوق ما بقي الدهر، لا يعدل عنه
مهما كَلَّفَ الأمر، والقيام بالعدل والقسط في الأموال، كما جاء في
حديث الصادق عليه السلام، قال: «العدل أحلى من الشَّهد، وألين من
الزَّبد، وأطيب ريحاً من المسك». (١)

وقد ذكرنا حول المَثَل المماثل للمقام: «ما سَمَرَ السَّмир، وما رأيت
في السماء نَجْماً» ممّا يرتبط به، فراجع (٢).

١٢٥- لَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ

من كلام له عليه السلام يَحْتَفِظُ فيه أصحابه على الجهاد:
«والله مُستأديكم شُكْرَهُ، وموَزِّئكم أَمْرَهُ، ومُنْهَلِكُم في مضمارٍ
ممدود، لتتنازعوا سَبَقَهُ، فَشُدُّوا عُقْدَ المَآزِرِ، وَأَطْوُوا فَضُولَ الخَوَاصِرِ،
لَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ. ما أَنْقَضَ النُّومُ، لِعِزَائِمِ اليَوْمِ! وَأَمْحَى الظُّلَمَ،
لِتَذَاكِيرِ الهِمَمِ!». (٣)

(١) الوسائل: ٢٣٣/١١.

(٢) حرف الميم مع الألف.

ولا يخفى أَنَّ المَثَل: «لا أطوره به ما سَمَرَ سَمِير» في البحار: ٩٦/٧٨ أيضاً.

كما وقد ذكره ابن الأثير في النهاية: ١٤٢/٣، في (ظور) عنه عليه السلام، ثم قال: أي
لا أقربه أبداً.

(٣) التهج: ١٤٢/١١، كلام: ٢١٥.

قال الشارح: «مُستأديكم شُكرُهُ»: أي طالبُ منكم أداء ذلك والقيام به. وقوله: «مورثكم أمرُهُ»: أي سيرجع أمر الدولة إليكم، ويزول أمر بني أمية. (١)
بقية الشرح مرهونةً بمحلها، ونشير إلى الأمثال الثلاثة التي يشرحها المعتزلي:

قال: ثم أتى عليه السلام بثلاثة أمثال مخترعة له، لم يسبق بها، وإن كان قد سبق بمعناها، وهي قوله: «لا تجتمع عزيمةٌ ووليمةٌ»، وقوله: «ما أنقض التَّوَمُّ لعزائمِ اليوم!»، وقوله: «وأَمْحَى الظُّلَمَ لتذاكيرِ الهَمِّ!» (٢)

أقول: نبحت هنا المثل الأول. أما الباقي ففي محلِّ يخصه. وإليك ما قال في الأول:

فمما جاء للمحدثين من ذلك ما كتبه بعض الكتاب إلى ولده:

خدمة السلطان والكا	سات في أيدي الملاح
ليس يلتامان فاطلب	رفعةً أو شرب راح

ومثله قول آخر لولده:

ما للمطيع هواه	من الملام مَلاذ
----------------	-----------------

(١) شرح التهج: ١٤٢/١١.

(٢) شرح التهج: ١٤٣/١١.

فاختر لنفسك هذا مجدٌ وهذا التذاذ

وقال آخر:

وليس فتى الفتیان مَنْ راح واغتدى لشرب صبوح أولشرب غبوق
ولكن فتى الفتیان مَنْ راح واغتدى لضرّ عدوّ أو لنفع صديق (١)

والغرض من الآيات عدم اجتماع الأمرين، إمّا هذا أو ذاك ؛ ومن
ثمّ عذاب المنافق أشدّ: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ». (٢)
إذ لا يجتمع الكفر والإيمان، إمّا الأول أو الثاني، وفيه قال جلّ
جلاله: «فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ». (٣)

يمثله: أي المثل المبحوث المثل السائر من وجه: (لا يجمع سيفان
في غمّدي). (٤) *مركز تحقيقات كميته بر علوم و ادب*

(جَمَعَ بَيْنَ الْأَرْوَى وَالنَّعَامِ)، يريد: أنّه جمع بين كلمتين متناقضتين؛
لأنّ الأروى تسكن شُعب الجبال، والنعام تسكن الفياض. (٥)

(١) شرح التهج: ١١/١٤٣.

(٢) النساء: ١٤٥.

(٣) الكهف: ٢٩.

(٤) مجمع الأمثال: ٢/٢٣٠، حرف اللام، وفيه:

* وهل يجمع الشفبان ويحك في غمّدي *

(٥) التّهاية: ١/٤٣، في (أرا). الحيوان: ٤/٣٥٢. المستقصى: ٢/٣٣٥.

مجمع الأمثال: ٢/٢٧١، حرف الميم.

ومن أمثال الفرس: (هم خدا را می خواهد، وهم خرما را). (١):
أي يريد الله جلّ جلاله والتمر معاً.
وأما المَثَل العلويّ، فالمراد: أنّ العزم على التّعالی لا يجتمع مع كثرة
الأكل والراحة.

١٢٦- لا تستج من إعطاء القليل؛ فإنّ الحرمان أقلّ منه

قال عليه السّلام:

«لا تستج من إعطاء القليل؛ فإنّ الحرمان أقلّ منه». (٢)

دلّ على صدرا الحديث قوله تعالى: «ولا ينفقون نفقةً صغيرةً ولا
كبيرةً ولا يقطعون وادياً إلّا كُتِبَ لهم». (٣) والتّبويّ: «كلّ معروف
صدقة إلى غنيّ أوفقر، فتصدّقوا ولو بشقّ تمرّة؛ فإنّ الله يربّيها لصاحبها،
كما يُربّي أحدكم فلوله أوفصيله، حتّى يوفيه إياه يوم القيامة، وحتّى
يكون أعظم من الجبل العظيم». (٤) والعلويّ: «مالاً يُدرك كلّهُ لا يُترك

(١) أمثال وحكم دهمخدا: ١٩٩١/٤.

(٢) التّهج: ٢١٢/١٨، الحكمة: ٦٥.

(٣) التّوبة: ١٢١.

(٤) الوسائل: ٢٦٥/٦. الأمثال التّبويّة: ٦٥/٢، رقم المَثَل: ٣٨٦، حرف الكاف

مع الميم.

كله» و: «الميسور لا يسقط بالمعسور». (١)

قال الميداني: (مَنْ حَقَّرَ حَرَمَ): أي من حقّر يسيراً ما يقدر عليه ولم يقدر على الكثير، ضاعت لديه الحقوق. (٢) يضرب في الحث على المعروف، وإن كان يسيراً، إذا رأى المرء ما عنده حقيراً استحيا من الإفضال به، فيؤدّي ذلك إلى إطراح الحقوق وحرمان الناس. (٣) في نبوي: «لا تردوا السائل، ولو بظلفٍ مُحرقٍ». (٤)

أُورِقَ بخير تُرجى للتوال فما تُرجى الشمار إذا لم يُورق العود
بُثَّ التوال ولا تمنعك قلته فكلّ ماسد فقرأ فهو محمود (٥)

وأهل البيت عليهم السلام هم القدوة في البذل والعطاء، قد قاسم الله الحسن عليه السلام ماله مرتين، وفي رواية ثلاث مرات. (٦) «وَقَدْ أَعْرَابِي الْمَدِينَةَ، فَسَأَلَ عَنْ أَكْرَمِ النَّاسِ، فُذِّلَ عَلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَوَجَدَهُ مُصَلِّياً، فَوَقَفَ بِإِزَائِهِ وَأَنْشَأَ:

(١) القواعد الفقهية: ١٢٩/٤. كفاية الأصول: ٧١/٢. عوالي اللئالي: ٥٨/٤.

(٢) مجمع الأمثال: ٣١٢/٢، حرف الميم.

(٣) المستقصى: ٣٥٥/٢.

(٤) الوسائل: ٢٩١/٦.

(٥) عيون ابن قتيبة: ١٧٨/٣.

(٦) السفينة: ٢٥٤/١.

لم يحب الآن مَنْ رجاك وَمَنْ
أنت جواد وأنت مُعْتَمِد
حَرَكَ مِنْ دون بابك الحلقة
أبوك قد كان قاتل الفسقة
كانت علينا الجحيم منطبقة

قال: فسَلَّم الحسين، وقال: يا قنبر! هل بقي من مال الحجاز شيء؟
قال: نعم، أربعة آلاف دينار، فقال: هاتها قد جاء مَنْ هو أحق بهامتنا،
ثم نَزَعَ بُرْدِيهِ، ولَقَّ الدِّنا نير فيها، وأخرج يده مِنْ شَقِّ الباب حياءً من
الأعرابي و أنشأ:

خذها فإني إليك معتذرُ
لو كان في سيرنا الغداة عصاً
واعلم بأنني عليك ذوشفقة
أُمتست سمانا عليك مندفقة
لكن رَيْبَ الزَّمان ذوغير
والكف متي قليلة النفقة

قال: فأخذها الأعرابي وبكى، فقال له: لعلك استقلت ما
أعطيناك، قال: لا ولكن كيف يأكل التراب جودك؟! (١)
والإمام الرضا عليه السلام عندما سأله السائل، دخل الحجر، ثم
خرج ورد الباب، وأخرج يده مِنْ أَعْلَى الباب، وقال: «أين

(١) البحار: ١٩٠/٤٤. والعصا كناية عن الخلافة.

وقيل: (لَنْ يحب)، وهو الصحيح؛ ووجه الصَّحة استشهاد التَّحويي به لجزم (لَنْ) لضرورة
الشَّعر لأنَّ (لم) جازم إطلاقاً. ويعلم أَنَّهُ ذهب إلى البيت وأعطاه لا في المسجد، بقرينة:
«وأخرج يده من شَقِّ الباب حياء من الأعرابي».

الخراساني؟ فقال: ها أنا ذا، فقال: خذ هذه المائتي دينار... واخرج
فلا أراك ولا تراني، فُسِّلَ، فقال: مخافة أن أرى ذلَّ السؤال في وجهه
لقضائي حاجته...» (١).

١٢٧- لاحان حينك

ومن خبر ضرار بن ضمرة الضبابي عند دخوله على معاوية، ومسأله
له عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: فأشْهَدُ لقد رأيتُه في مواقفه، وقد
أرْحَى الليلُ سُدُوله، وهو قائمٌ في محرابه، قابضٌ على لحيته، يتحمل
تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، وهو يقول:
«يادنيا، يادنيا! إليك عني، أباي تعرضت، أم إليّ تشوّقت؟ لا
حان حينك، هيهات، عُرِّي غيري، لا حاجة لي فيك، قد طَلَقْتَ ثَلاثاً
لارجعة فيها، فعَيْشِكِ قصيرٌ، وخطركِ يسيرٌ، وأمْلِكِ حقيرٌ. آه مِنْ قَلَّةِ
الزاد، وطول الطريق، وبُعد السفر، وعظيم المَورد!» (٢).

(لاحان حينك)

(١) الوسائل: ٣١٩/٦.

(٢) التهج: ٢٢٤/١٨، الحكمة: ٧٥.

ونقله المعتزلي بلفظ: «قال معاوية لضرار الضبابي: يا ضرار! صف لي علياً...»
شرح التهج: ٢٢٥/١٨ - ٢٢٦. ولم يتكرر فيه «يادنيا».

دعاء عليها: أي لا حضروقتك ، كما تقول: لا كنت، (١) وقيل: لاجاء وقت وصولك لقلبي، وتمكّن حبك منه. (٢) الحين بكسر الحاء: الوقت، وبالفتح: الهلاك . ومنه الحديث: «البغي سائق إلى الحين»: أي أن الظلم يسوق الظالم إلى الهلاك. (٣)

من الأول المثل:

• ما أحسن الموت إذا حان الأجل • (٤)

وقالت بُيُوتَةُ:

وإنّ سلّوي عن جميل لساعةٌ من الدهر ما حانت ولا حان حينها (٥)

ومن الثاني المثل: (لا يملك الحائن حينه) (٦): أي من قُدّر له الهلاك لا يملك دفعه عن نفسه. ومعنى الأول بل الثاني دعاء على الدنيا، وقد يكون على النفس، ومنه ما عن العباس بن علي عليها السلام يوم عاشوراء في حادثة كربلاء المؤلمة للقلوب:

يانفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكوني

(١) شرح التهج: ٢٢٤/١٨. (٦) مجمع الأمثال: ٢٢٧/٢، حرف اللام.

(٢) مصادر التهج: ٥٩/٤، وهامشه.

(٣) مجمع البحرين: في (حين).

(٤) مجمع الأمثال: ٣٢٩/٢، حرف الميم.

(٥) بهج الصباغة: ١٣٠/١٢.

في حديث حسيني يقول «حدّثني أمير المؤمنين عليه السلام، قال: إنني كنت بِفَدك في بعض حيطانها، وقد صارت لفاطمة (١) عليها السلام، قال: فإذا أنا بامرأة قد هجمت عليّ، وفي يدي مسحاة، وأنا أعمل بها... فشبهتها بِبُثينة بنت عامر الجُمحيّ، وكانت من أجمل نساء قريش، وقالت: يا ابن أبي طالب! إن تزوجني أغنيك عن هذه المسحاة، وأدّلك على خزائن الأرض، ويكون لك المُلْك ما بقيت. قال لها: فَمَنْ أنتِ؟ قالت: أنا الدنيا، فقال عليه السلام: ارجعي فاطمبي زوجاً غيري، فَلَسْتُ مِنْ شَأْنِي، وأقبل على مسحاته، وأنشأ يقول:

وما هي إن غرت قروناً بطائل	لقد خاب من غرته دنيا دنيّة
وزينتها في مثل تلك الشّمائل	أتّشنا على زيّ العروس بُثينة
عزوفٌ عن الدنيا ولستُ بجاهل	فقلت لها غريّ سواي فإني
رهينٌ بقفّ بين تلك الجنادل	وما أنا والدنيا؛ وإنّ محمداً
وأموالِ قارونَ، وملِكِ القبائل	وهَبْنَا أتّشنا بالكنوز ودّرّها
ويطلب من خزانها بالطوائِل؟»	أليس جميعاً للفناء مصيرنا
	الأبيات. (٢)

وكيف لا يكون كذلك؟! وقد اقتدى بأخيه وابن عمّه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في هديه وهُدهاه، ونسكه وتقواه، بل هو نفسه.

(١) المجالس السنيّة: ١/١٣٦.

(٢) البحار: ٧٧/١٩٧. وهج الصباغة: ١٢/١٣٠، مع اختلاف يسير، منه؛ وإن في المصدر الأوّل: «عزيز»، وفي الثاني: «عروس». والثاني هو الظاهر.

١٢٨ - لا رأي لِمَنْ لا يُطاع

من خطبة له عليه السّلام في الجهاد، أوها:
«أما بعد، فإنّ الجهاد بابٌ مِنْ أبواب الجنّة... لقد نهضتُ فيها
وما بلغتُ العشرين، وها أنا ذا قد دُرقتُ على السّتين، ولكن لا رأي
لِمَنْ لا يطاع». (١)

أول مَنْ قاله عتبة بن ربيعة، حين اجتمعت قريش للمسير إلى
بدر، وهو مأخوذ من قول الشاعر:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى ولا أمر للمعصيّ إلا مُضَيَّعاً (٢)

والمراد من نفي الرّأي عند عدم الطّاعة: الغرض المترتب على اتّباعه
لأنفيه رأساً، وكلمة (لا) النافية للجنس تقتضي النفي رأساً، ولكن لأجل
القرينة العقلية أو الثقليّة يصرف ظهورها عن اقتضاها في ذلك، كما

(١) التهج: ٧٥/٢، ط: ٢٧.

(٢) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ٢٧٦/٢، حرف اللام.

قال الفقهاء في «لا صلاة لمن جاره المسجد»: أن المنفي فيها الكمال لا الصلاة رأساً، حتى يحكم عليها بالبطلان إذا صلاها المصلي في غير المسجد.

فكان الذي لم يتبع رأيه ولم يطع، فاقد له رأساً، وكان عليه السلام في طوال خمس وعشرين سنة جليس بيته، لم يطع رأيه، وهو عليه السلام واجد له بالذات.

فالمثل جاء من باب المبالغة، في عدم تحقق الأهداف السامية عند تركهم طاعة الإمام عليه السلام من أمرهم بجهاد العدو الألد ك معاوية ابن أبي سفيان، ومن يخذو حذوه.

وفي جميع الأدوار والعصور، لم تحصل للأنبياء عليهم السلام من أمهم الطاعة على سبيل العموم، وهكذا، أوصياؤهم عليهم السلام، و إلا لازدهرت الأتام، ولعمت السعادة، فقد جرى في هذه الأمة ماجرى في السلف القذة بالقذة، كما جاء الحديث في تفسير قوله تعالى: «لتركبن طبقاً عن طبق» (١). (٢)

فلا جرم أن صاحب الخلافة الكبرى أمير المؤمنين عليه السلام قال هذه المقالة تحسراً عليهم من قلب ملؤه حب وحنان، وعن يقين أن في الطاعة نجاتهم، وفي الخلاف هلاكهم، ولا يقول قائل هذا الكلام إلا تحسراً على فوت الهدف الأفضل بالعصيان، وعلماً منه بالعاقبة المحمودة بالطاعة.

(٢) تفسير البرهان: ٤/ ٤٤٣.

(١) الانشقاق: ١٩.

وذكر المثل: أي «لا رأي لمن لا يطاع» الميداني، ناسباً له إلى أمير المؤمنين عليه السلام معاتباً لأصحابه (١).

١٢٩- لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

قال عليه السلام:

«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» (٢).

ورواه الشيخ الحرّ من كتاب المعبر للمحقق مضمراً، قال: قال عليه السلام: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» (٣) وقال السيّد الخطيب: جاءت هذه الحكمة في كتاب أبي الجعد أحمد بن عامر الطائي، ص: ٢٠ بهذه الصورة: «لا دين لمن دان المخلوق في معصية الخالق». وفي كتاب (عيون أخبار الرضا) ج: ٢، ص: ٤٣، وفي (صحيفة الرضا) ص: ٣٤ بسندين إلى أمير المؤمنين عليه السلام (٤). وفي الحديث: «لا طاعة في معصية الله»، قال الطريحي: يريد: أن

(١) مجمع الأمثال: ٢/٢٤١، حرف الّلام، ونظيره قولهم: (لا أمر لمعصّي).

مجمع الأمثال: ٢/٢١٥، حرف الّلام.

(٢) التهج: ٣٨٩/١٨.

(٣) الوسائل: ٨/١١١، ح: ٧.

(٤) مصادر التهج: ٤/١٤٠ - ١٤١.

الطاعة لا تسلم لصاحبها، ولا تخلص إذا كانت مشوبة بمعصية، وإنها تصح مع اجتنابها، ومثله: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» كما لو أمر بقتل وقطع ونحوه غير مشروع.

وفي الحديث: «مَنْ أطاع رجلاً في معصية فقد عبده»، قال بعض العارفين: لعلك تظن أن ما تضمنه من أن الطاعة عبادة لأهل المعاصي، على ضرب من التجاوز لا الحقيقة، وليس كذلك، بل هو حقيقة، فإن العبادة ليست إلا الخضوع والتذلل والطاعة والانقياد، ولهذا جعل سبحانه أتباع الهوى والانقياد إليه عبادة للهوى، قال: «أفرأيت مَنْ اتخذ إلهه هوى؟». (١) وجعل طاعة الشيطان عبادة له، فقال: «ألم أعهد إليكم يبنى ءآدم أن لا تعبدوا الشيطان». (٢) (٣)

قال ابن الأثير بعد قوله عليه السلام: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»: يريد: طاعة ولاية الأمر إذا أمروا بما فيه معصية، كالقتل والقطع ونحوه. (٤) وجعله أشبه من معنى ذكره الطريحي آنفاً.

ثم هذا المثل العلوي يضرب لردع المذنب عن ذنبه. وقد تمثل به الإمام السجاد عليه السلام في مجلس يزيد لعنه الله، مع تبديل في اللفظ، حيث دعا يزيد الخاطب وأمره أن يصعد المنبر، فيذم الحسين وأباه،

(١) الجاثية: ٢٣.

(٢) يس: ٦٠.

(٣) مجمع البحرين: في (طوع).

(٤) النهاية: في (طوع).

صلوات الله عليهما، والمدح لمعاوية ويزيد، فصعد وبالع، فصاح به علي بن الحسين عليه السلام: «ويلك أيها الخاطب! أشرتيت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، ففتبوا مقعدك من النار».

ولقد أحسن ابن سنان الخفاجي في وصف أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

أَعْلَى الْمَنَابِر تُغْلِيُونَ بِسَبِّهِ وَبَسِيفِهِ نُصِبَتْ لَكُمْ أَعْوَادُهَا. (١)

ولا يخفى أن قوله تعالى: «وإن جهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما». (٢) وإن كان مورد الأبوان، إلا أنه يعتبر من المثل، كما أن الإشراك به تعالى كذلك، فلا يخص المنع الوالدين، كما لا يقصر على معصية بخصوصها.



١٣٠- لا يرى الجاهل إلا مُفَرَّطاً أو مُفَرَّطاً

قال عليه السلام:

«لا يرى الجاهل إلا مُفَرَّطاً أو مُفَرَّطاً». (٣) وبلفظ: «الجاهل لا يلقى

(١) البحار: ١٣٧/٤٥، باب: ٣٩، الوقائع المتأخرة عن قتله عليه السلام.

(٢) العنكبوت: ٨.

ولا يخفى أن المثل: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» ذكره الشيخ الحرّ في الوسائل:

١٨/٩٣، ح: ١٧.

(٣) التهج: ١٨/٢١٦، الحكمة: ٦٨.

أبداً إلا مُفْرِطاً أو مُفَرِّطاً». (١)

:أي يُسيء عمدًا، ويُحسن غلطاً. (٢) وهو بالتخفيف: المُسرف في العمل، وبالتشديد: المقصر فيه. (٣)

ومن قوله تعالى: «أَنْ لَهُمُ النَّارُ وَأَنْتُمْ مُفَرِّطُونَ». (٤) و «مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ». (٥) مع قوله عز وجل: «مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ». (٦) يُعلم أَنَّ الجاهل في النار، والتفريط من صفته. كما يفهم من قوله تعالى: «وَلَا تَطْعَمَنْ أَغْضَلًا قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا». (٧) أَنَّهُ لَا يَنْفَكُ مِنَ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ الْغَافِلِ الْمُتَّبِعِ لِلْهَوَى، وَهُوَ الْجَاهِلُ الْأَحْمَقُ.

وللعرب أمثالٌ سائرةٌ في الجهل والحمق:

(الجهل موت الأحياء). (المشقة كلها في تأديب الجهال). (الجهل في القلب، كالأكلة في الجسد). (لا مصيبة أعظم من الجهل). (خرب أرضاً جاهلها). (مَنْ جهل قدر نفسه، كان بقدر غيره أجهل). (لا صاحب أخذل من الجهل). (بئس شعار المرء جهله). (نعمة الجاهل كروضة على مزبلة). (كلما حسنت نعمة الجاهل ازداد فيها قبحاً). (لسان الجاهل مفتاح حتفه). (الحمق داء لا دواء له). (النظر إلى

(١) مصادر التهج: ٥٦/٤.

(٥) يوسف: ٨٠.

(٢) المصدر.

(٦) يوسف: ٨٩.

(٣) نهاية ابن الأثير: ٤٣٥/٣، في (فرط).

(٧) الكهف: ٢٨.

(٤) التحل: ٦٢.

الأحمق سخنة عين). (أحمق الناس من أتبع هواه، و تمنى على الله الأمانى). (١)

والعلوي: «الجهل مَضَلَّة». «الجهل وبال». «الجهل داء عياء». «الجاهل من اخْتَدَعَتْهُ المطالب». «الجهل أصل كل شر». «الجاهل من انخدع لهواه». «الجاهل من استغش التّصيح». «الحمق من ثمار الجهل». «الحمق أضّر الأصحاب». (٢)

وفي أحاديث أهل البيت عليهم السلام مقابلة بين العقل وجنوده، والجهل وجنوده. والمحدثون منا ساروا على هذا الضّوء في مجامع الحديث كالشيخ الكليني والمجلسي (٣) وغيرهما.

ويدلّ على ذلك السؤال من أمير المؤمنين عليه السلام عن صفة العاقل والجاهل: «قيل له عليه السلام: صف لنا العاقل. فقال: هو الذي يضع الشيء مواضعه. فقيل: فصف لنا الجاهل. قال: قد قلت». (٤)

وعليه فمن لم يكن عاقلاً بالمعنى المذكور فهو جاهل، وإن كان من العلماء. والسّر فيه أن العلم مقدّمة للعمل والسلوك إلى الحق، وهونور في الدّرب الموصل إلى مادعا إليه العقل، وهي المعرفة المثمرة، لا الصّورة

(١) التمثيل والمحاضرة: ٤٣٨ - ٤٣٩.

(٢) غرر الحكم: ١٤ - ٣٣.

(٣) أصول الكافي: ١٠/١. البحار: ٨١/١.

(٤) التهج: ٦٦/١٩، الحكمة: ٢٣٢.

الحاصلة عن الشيء، وإن لم يكن تطبيق عملي فيه. والجهل ضلال يُفضي بصاحبه إلى الهلاك، والعقل عقال يمنع صاحبه عن أي انحراف، ويدعوه إلى الاعتدال المتوسط أبداً.

فثلاً: الشجاعة محفوفة بالتهور والجن، والذكاء بالغباوة والجربزة، والجلود بالشح والتبذير، والحلم بالجمادية والاستشاطعة. وعلى كل ضدين من الأخلاق بينها خلق متوسط، وهو المسمى بالعدالة، كما ذكره الشارح، (١) وعلماء الأخلاق في كتبهم الأخلاقية. فبقدر تخلف الإنسان عما أمر به العقل التسليم الذي يحكم به الشرع دخل في الإفراط والتفريط، وصاحبه جاهل وإن عُذ من العقلاء.

١٣١- لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد

من خطبة مطولة له عليه السلام:

«لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً...» (٢).

القياس: تمثيل شيء بشيء في قدر مشترك بينهما، وتنظيره به في

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٢١٦/١٨.

(٢) النهج: ١٣١/١، الخطبة: ٢.

في كون الكلمة مثلاً غموض إلا أن القياس هو المثل وإن لم يسم به.

ذلك، ولا بد أن يكون بينهما مساواة، وإلا لكان القياس باطلاً. وعليه فكيف يقاس بآل محمد؟ وهم: فاطمة، وأمير المؤمنين، وأولادهما الأئمة المعصومون الأحد عشر. أولهم الحسن وآخرهم الحجة بن الحسن عليهم السلام، أحد من هذه الأئمة، أو سائر الأئمة. ويؤمنهم رزق الوري، وهم ثبتت الأرض والسماء، ولا يقاس بالمنعم المنعم عليهم؛ إن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو الغاية من خلق الخلق، وجاء فيه: «لولاك لما خلقت الأفلاك» (١).

وآل محمد في العلم والطاعة كمحمد، كما جاء في دعاء فجر يوم الجمعة: «أمنت بسر آل محمد عليهم السلام وعلايتهم، وظاهرهم وباطنهم، وأشهد أنهم في علم الله وطاعته كمحمد صلى الله عليه وآله وسلم». (٢) وهم أسماء الله الحسنى والأمثال العليا؛ وآية «وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم» (٣) مفسرة بهم. ففي نبوي مخاطباً لعلّي عليه السلام: «وأنت المثل الأعلى» (٤). وفي الزيارة الجوادية: «السلام على أئمة الهدى - إلى قوله - وورثة الأنبياء والمثل الأعلى» (٥).

وقد صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «لَتَنْتَهَنَّ يا بني وليعة، أو

(١) حديث قدسي مشهور.

(٢) مفاتيح الجنان: ٣٤.

(٣) الزوم: ٢٧.

(٤) تفسير الصافي: ٢٩٩/٢.

(٥) المصدر.

لأُبْعِثَنَّ رجلاً كنفسي...» (١) و«فاطمة رُوحِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ» (٢) وقول أمير المؤمنين لابنه الحسن عليهما السلام: «يا بني! وجدُّك بعْضي، بل وجدُّك كلِّي» (٣) وعنه صَلَّى الله عليه وآله وسلم: «حسين منِّي، وأنا من حسين» (٤) والوحدة الكائنة بين أولهم وآخرهم، كما جاء: «أولنا محمد، وأوسطنا محمد، وآخرنا محمد - صَلَّى الله عليهم وسلم -» (٥).

وكما أن النَّبِيَّ يضرب به المَثَلُ في المكارم والفضائل والخصال الرَّفِيعَةِ، كذلك أهل بيته المعصومون هم المَثَلُ، وتضرب بهم الأمثال في المكارم كلها، لا يسبقهم سابق سوى الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسلم، ولا يلحق بهم لاحق، فلا يقاس بهم أحد.

لَمَّا أَتَى بِلَالٌ مِنَ الْحَيْشَةِ أَنْشَدَ النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه وآله وسلم:

أَرْبَرَهُ كَنُكْرَهُ
كَرَاكَرًا مَنُودَهُ

فقال صَلَّى الله عليه وآله وسلم لحسان: اجعل معناه عربياً، فقال:

(١) أمالي الطوسي: ١١٨/٢. الأمثال النبوية: ١٢٦/٢، رقم المَثَل: ٤٤٠، حرف اللام مع التاء.

(٢) البحار: ٥٤/٤٣.

(٣) التهذيب: ٥٧/١٦.

(٤) مصابيح الأنوار: ٣٩٩/٢.

(٥) المصدر.

إذ المكارم في آفاقنا دُكِرتْ فَإِنَّمَا بِكَ فِينَا يُضْرَبُ المَثَلُ (١)
 وهم كذلك، بلى و الله هم المحسودون، ففي نبوي: «وإذا ذكر آل
 محمد فكانوا يُفْقَأُ في وجوهكم حب الرّمان...». (٢)
 «قال جابر: قلت لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: مات قول في
 عليّ بن أبي طالب - عليه السلام -؟ فقال: ذاك نفسي، وفي الحسن و
 الحسين قال: هما روحي» الحديث (٣).

١٣٢- لا يهلك على التقوى سنخ أصل

من خطبة له عليه السلام لما بويج بالمدينة، وهي مطوّلة، موزّعة على
 عدّة أمثال، منها:

«لا يهلك على التقوى سنخ أصل، ولا يظماً عليها زرع قوم». (٤)

السنخ والأصل بمعنى، ومن قبيل إضافة سعيد كرز. قال ابن
 الأثير: وفي حديث عليّ - عليه السلام -: «ولا يظماً على التقوى سنخ

(١) السفينة: في (بلل).

(٢) أمالي الطوسي: ٣١٤/١. الأمثال النبوية: ٣١/٢، رقم المثل: ٣٥٨، حرف

الكاف مع الهمزة.

(٣) السفينة: ٣٠٦/١، في (حمد).

(٤) التهجد: ٢٧٣/١، الخطبة: ١٦.

أصل». السنخ والأصل واحد، فلما اختلف اللفظان أضاف أحدهما إلى الآخر. (١) وقد تقدّم لفظ التهج المتغاير مع قوله.
قال المعتزلي: قوله: «سنخ أصل» كقوله:
* إذا حاص عَيْنُهُ كرى النوم... * (٢)

وقال المعلق:

إذا خاط عَيْنُهُ كرى النوم لم يزل له كالى ء من قلب شَيْحَانٍ فَاتِكِ (٣)
يريد عليه السلام: مَنْ كَانَ قَدْبَنِي أَمْرَهُ عَلَى أَصْلِ التَّقْوَى لَا يَهْدُمُ
بِنَاؤُهُ، وَلَا يَهْلِكُ صَاحِبُهُ. وَيَقَابِلُهُ الَّذِي يَبْنِي أَمْرَهُ عَلَى الْفُجُورِ الْمُفْضِي بِهِ
إِلَى النَّارِ، وَإِلَيْهَا تَنْظُرُ الْآيَةُ: «أَفَمَنْ أُسِّسَ بَنِيْنُهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ
وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بَنِيْنُهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي
نَارِ جَهَنَّمَ». (٤)

ومنه يظهر معنى الفقرة الثانية: «ولا يظماً عليها زرع قوم» إذ
التَّقْوَى تمنع من ظمائه، وهو مَثَلٌ لِإِرْغَادِ الْعِيشِ مَعَ التَّقْوَى، وَالْبُورَارِ مَعَ
الْفُجُورِ، وَالتَّمَرُّدِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَشَرَائِعِهِ السَّمَاوِيَّةِ، وَأَنْبِيََائِهِ الْمُرْسَلِينَ،
وَأَوْصِيَائِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الَّذِينَ هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحَدُهُمْ.
فيقصد بكلامه هذا إرشاد أصحابه وتحذيرهم أن يجيدوا عن التَّقْوَى،
وعن طاعة سيدهم، وَيَأْلَيْتَهُمْ دَرَوْا مَنْ هُوَ؟!
وعرفوا مقامهم السامي الذي لا يرقى إليه الطير في علوّ قدره،

(٣) هامش المصدر.

(٤) التوبة: ١٠٩.

(١) النهاية: في (سنخ).

(٢) شرح التهج: ٢٧٤/١.

وينحدر عنه السَّيْلُ، وكيف وأتى لهم الوصول إلى منبع علمه الزَّخَار المنحدر كالسَّيْل. ولئن أمرهم بتقوى الله، فهو إمام المتقين، وليث الموحدين، وسيد الزاهدين.

دخل عدي بن حاتم على معاوية، فقال: يا عدي! أين الطَّرَفَات؟ يعني: بنيه طريفاً وطارفاً وطُرفَةً. قال: قُتِلُوا يوم صفين بين يدي علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: ما أنصفك ابن أبي طالب، إذ قدم بنيك وأخربني. قال: بل ما أنصفتُ أنا عليّاً، إذ قُتِلَ وبقيتُ قال صِفْ

لي عليّاً، فقال: إن رأيتُ أن تعفني، قال: لا أعفيك،

قال: كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول عدلاً، وبحكم فصلاً، تنفجر الحكمة من جوانبه، والعلم من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان والله غزير الدمعة، طويل الفكر، يحاسب نفسه إذا خلا، ويقلب كفيه على ما مضى، يعجبه من اللباس القصير، ومن المعاش الخشن، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويؤذِننا إذا أتينا، ونحن مع تقريبه لنا وقربه منا لانكلمه لهيبته، ولانرفع أعيننا إليه لعظمته، فإن تبسم فعن اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، يتحبَّب إلى المساكين. - إلى أن قال معاوية -: كيف صبرك عنه؟ قال: كَصَبْر مَنْ دُبِحَ وَلَدُهَا فِي حِجْرِهَا، فهي لا ترقى دمعها ولا تسكن عبرتها (١).

(١) السَّفينَة: ١٧٠/٢، في (عدا).

١٣٣- لَبَّثَ قَلِيلاً يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلٌ

تمثّل عليه السّلام بالرجز لكلام له في جواب معاوية من فقرة:
«وَذَكَرْتُ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلِأَصْحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ، فَلَقَدْ
أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ! مَتَى أَفَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ
نَاكِلِينَ، وَبِالسَّيْفِ مُخَوِّفِينَ؟!»

ف * لَبَّثَ قَلِيلاً يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلٌ * (١).

والرجز لحمل بن بدر القشيري صاحب الغبراء - أغير على إبله في
الجاهلية فاستنقذها، وقال:

لَبَّثَ قَلِيلاً يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلٌ لا بأس بالموت إذا الموت نزل (٢)

وفي لفظ:

* ما أحسن الموت إذا حان الأجل *

(١) التهج: ١٥/١٨٤، ك: ٢٨.

(٢) رسالة الإسلام: عدد: ٧-٨، ص: ١٢٦.

قالوا في (حَمَل): هو اسم رجل شجاع، كان يستظهر به في الحرب، ولا يبعد أن يراد به: حَمَل بن بدر، صاحب الغبراء، يضربه من ناصره ورائه. (١) وعده العسكري من المثل السائر بلفظ:

«لَبِثَ رَوِيداً يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلٌ *» (٢)

لم يرتب إثنان من البشر في شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام؛ تشهد لها حروبه ومواقفه الجبارة في حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبعد مماته، وكيف لا؟! وهو معلم الشجعان فنون الحرب.

ومعاوية يقول هذه المقالة، وهو يعلم أن لا مقاومة له، ولا لجنوده وعشيرته المقتولين بيد الإمام عليه السلام، بل ولا العرب كلها عند ضربة علي عليه السلام، وهو القائل: «والله لو نظا هرت العرب على قتالي لما وليت عنها، ولو أمكنت القرص من رقابها لسا رعت إليها...» (٣) وإنما قالها لتخدير أفكار أصحابه المغفلين. *مركز توثيق ودراسات*

بل معاوية يدري أن صاحب أمير المؤمنين عليه السلام مالك الأشر مُبيد له، وما يملك من حثالة أهل الشام، وكان الأمر كذلك لولا حادثة التحكيم من جهلة الأصحاب من زهاء عشرين ألف نهرواني. وقد شابَهَتْ محنته عليه السلام محنة هارون حيث طلب أصحاب موسى عليه السلام منه أن يجعل العجل لهم إلهاً كما لهم آلهة.

(١) المستقصى: ٢٧٨/٢.

(٢) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ١٧٧/٢. - وقال: - أي انتظر حتى يتلاحق

الشبان. والهيجا، يقصر ويمد، وحَمَل: اسم رجل. (٣) التهجد: ٢٨٩/١٦.

١٣٤- لبس الإسلام لبس الفرو مقلوباً

في خطبة له عليه السلام أوصاف أهل الأزمنة المتأخرة عنه منها:

«فعند ذلك أخذ الباطل مأخذه، وركب الجهل مراكبه، وعظمت
الظاغية، وقلت الداعية، وصال الدهر صيال السبع العقور، وهدر فنيق
الباطل بعد كُظوم، وتوالى الناس على الفجور، وتهاجروا على الدين،
وتحابوا على الكذب، وتباغضوا على الصدق، فإذا كان ذلك كان الولد
غيطاً والمطر قيظاً، وتفيض اللثام فيضاً، وتفيض الكرام غيضاً، وكان
أهل ذلك الزمان ذئاباً، وسلاطينه سباعاً، وأوساطه كالألأ، وفقراؤه
أمواتاً، وغار الصدق، وفاض الكذب، واستعملت المودة باللسان،
وتشاجر الناس بالقلوب، وصار الفسوق نسباً، والعفاف عجباً، ولبس
الإسلام لبس الفرو مقلوباً». (١)

اشتملت الخطبة المباركة على عدة تمثيلات وأمثال: «ركب الجهل

(١) النّهج: ١٩١/٧، الخطبة: ١٠٧.

مراكبه». (١) و«صال الدهر صيال السبع العقور». (٢) و«هتدرفنيق الباطل». (٣) و«أهل ذلك الزمان ذئاب». (٤) وغيرها من تمثيلات صادقة، وفيها من الأخبار الغيبية المحققة، وهي مطوّلة، أخذنا منها ما يربط المثل المبحوث المصدّره، وعلى الباحث النظر إلى البقية، حتّى يتجلّى الغرض بوضوح.

قال المعتزليّ: الطاغية: الطغيان، كقوله تعالى: «ليس لوقعها كذبة». (٥): أي تكذيب، والتواخي على الفجور، والتهاجر على الدين، معناه: صاحب الدين مهجور، وصاحب الفجور جارٍ عندهم مجرى الأخ في الحنو عليه والحبّ له. و«كان الولد غيظاً»:

أي لكثرة عقوق الأبناء للآباء. «و- صار المطريقضاً» يقال: إنّه من علامات الساعة وأشراتها. (٦)

واطلب بقية معاني الخطبة من مظانها، والعمدة بيان المثل الجاري: «لبس الإسلام لبس الفرو ومقلوباً».

قال الشارح المعتزليّ: وللعرب عادة بذلك، وهي: أن تجعل الخمل إلى الجسد وتُظهر الجلد، والمراد: معاكسة الأحكام الإسلامية في ذلك الزمان. (٧)

قال ابن الأثير في حديث عليّ - عليه السلام -: «اللهم إني قد

(٥) الواقعة: ٢.

(٦) شرح التهج: ١٩٣/٧.

(٧) المصدر.

(١) حرف الراء مع الكاف.

(٢) حرف الصاد مع الألف.

(٣) حرف الهاء مع الدال.

(٤) حرف الهمزة مع الهاء.

مللتهم وملوني، وسئمتهم وسئمونني، فسَلَط عليهم فتى ثَقِيف، الذِّيال
المَتَّان، يَلْبَس فَرَوَتَهَا، وَيَأْكُل خَضِرَتَهَا»: أَي يَتَمَتَّع بِنِعْمَتِهَا، لُبْسًا،
وَأَكْلًا.

وقال الزَّحَشَرِيُّ: معناه: يلبس الدَّفِيُّ اللَّيْن من ثيابها، ويأكل
الطَّرِيَّ النَّاعِم من طعامها، فَضْرَب الفُروَةَ والخَضِرَةَ لذلك مَثَلًا، وَالضَّمِير
لِلدُّنْيَا، وَأَرَادَ بِالْفَتَى الثَّقَفِيَّ: الْحَجَّاج بن يوسُف، قِيلَ: إِنَّهُ وُلِدَ فِي السَّنَةِ
الَّتِي دَعَا فِيهَا عَلِيٌّ - عَلَيْهِ السَّلَام - بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ (١)

والفُروُ والفُري بمعنى: القُطْع؛ قَالَ ابن فَارِس: وَأَفْرِيته، إِذَا أَنْتَ
قَطَعْتَهُ، وَمِنَ الْبَابِ الْفُروَةُ الَّتِي تُلْبَسُ، وَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّمَا سَمِيَتْ فُروَةً مِنْ
قِيَاسٍ آخَرَ، وَهُوَ التَّغْطِيَةُ؛ لِذَلِكَ سَمِيَتْ فُروَةُ الرَّأْسِ، وَهِيَ: جِلْدَتُهُ؛
وَمِنْهُ الْفُروَةُ وَهِيَ: الْغِنَى وَالثَّرْوَةُ، وَالْفُروَةُ: كُلُّ نَبَاتٍ مُجْتَمِعٍ إِذَا يَبَسَ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ الْخَضِرَ جَلَسَ عَلَى فُروَةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَاخْضَرَّتْ»؛
فَإِنْ صَحَّ هَذَا، فَالْبَابُ عَلَى قِيَاسِينَ: أَحَدُهُمَا الْقُطْعُ، وَالْآخَرُ التَّغْطِيَةُ وَ
السُّتْرَبَشِيُّ ثَخِينٌ. (٢)

إِذَا خَرَجَ الْمُهَدِّي عَجَلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرْجَهُ الشَّرِيفَ، كَمَا فِي الصَّادِقِيِّ:
«... جَاءَ بِأَمْرٍ غَيْرِ الَّذِي كَانَ...». (٣)، وَفِي الْآخِرِ: «إِذَا خَرَجَ الْقَائِمُ
- عَلَيْهِ السَّلَام - جَاءَ بِأَمْرٍ جَدِيدٍ، كَمَا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ - فِي بَدْءِ الْإِسْلَامِ إِلَى أَمْرٍ جَدِيدٍ» (٤).

(١) التَّهْيَاةُ: فِي (فُرو). (٢) مَعْجَمُ مَقَايِيسِ اللَّغَةِ: ٤٩٧/٤ - ٤٩٨، فِي (فُري).

(٣) إِبْتِاثُ الْهَدَاةِ: ٤٤٨/٣.

(٤) إِبْتِاثُ الْهَدَاةِ: ٥٥٥/٣.

١٣٥ - لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت

من تمثيلات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، في كلام له يصف من ليس له أهلية القضاء بين الناس:

«فإن نزلت به إحدى المبهمات، هيأها حشواً رثاً من رأيه، ثم قَطَعَ به، فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت، لا يدري أصاب أم أخطأ، فإن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ، وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب». (١)



وزعنا كلامه عليه السلام الذي تقدم بعضه على عدة تمثيلات لفاقد أهلية القضاء، وهي:

«ارتوى من آجن». (٢) و «خباط جهالات». (٣) و «لم يعض بضرس قاطع» (٤) وغيرها.

اللبس بالفتح من باب (ضرب): الخلط، ومنه «ولا تلبسوا الحق بالبطل». (٥): أي لا تخلطوه به. واللبس بالضم من باب (تعب)،

(٤) حرف اللام مع الميم.

(٥) البقرة: ٤٢.

(١) التهج: ٢٨٣/١، كلام ١٧.

(٢) حرف الهمزة مع الراء.

(٣) حرف الخاء مع الباء.

مصدر قولك : لبست الثوب.

والشبهات جمع الشبهة. قال عليه السلام:

«وإنما سميت الشبهة شبهة؛ لأنها تشبه الحق، فأما أولياء الله
فضيأوهم فيها اليقين، و دليلهم سمت الهدى، وأما أعداء الله فدعأوهم
فيها الضلال، و دليلهم العمى». (١).

وهذا هو محض ما يقوله المتكلمون؛ ولهذا يسمون ما يحتج به أهل
الحق دليلاً، ويسمون ما يحتج به أهل الباطل شبهة. (٢).

نسج العنكبوت من باب (ضرب و نصر): حياكته المتكونة من
لعا به. ونسج العنكبوت مَثَلٌ يضرب في كلِّ واهٍ وضعيفٍ، فيقال:
(أوهى من نسج العنكبوت). (٣) و (أوهن من بيت العنكبوت): كلُّ
شيءٍ يخرقه حتَّى مُرور النفس. (٤) ومنه قوله تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ
الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ». (٥).

وكلام الإمام عليه السلام راح يجسد الأوهام الباطلة، وما هيأه فاقد
الأهلية للقضاء، منها برث رأيه، ومن حشو الزوائد والتأفهاات، بضرب
المَثَل بنسج العنكبوت في الوهي والوهن. وعدم الحقيقة و خلط الحق

(١) التهج: ٢/٢٩٨، الخطبة: ٣٨.

(٢) شرح التهج: ٢/٢٩٨.

(٣) مجمع البحرين: في (نسج).

(٤) مجمع الأمثال: ٢/٣٨٢، حرف الواو. المستقصى: ١/٤٤١.

(٥) العنكبوت: ٤١.

بالباطل، عندما يقضي لرفع الخصومات، فيحكم وهو لا يدري أبحقَّ
حَكَمَ أم بباطلٍ، بخطأ أم بصواب، وهذا النوع من القضاة في النار، على
ما في النصوص، منها الصادقي:

«القضاة أربعة، ثلاثة في النار، وواحد في الجنة: رجلٌ قضى بجورٍ،
وهو يعلم، فهو في النار. ورجلٌ قضى بجورٍ، وهو لا يعلم، فهو في النار.
ورجلٌ قضى بالحق، وهو لا يعلم، فهو في النار. ورجلٌ قضى بالحق، وهو
يعلم، فهو في الجنة». (١) فانظر من أي الرجال أنت أيها القاضي.

١٣٦ - لَتُبْلِلُنَّ بَلْبَلَةً وَلَتُغْرِبُنَّ غَرْبَةً

مَثَلٌ سائر على الألسن في خطبة الإمام عليه السلام لما بُويع
بالمدينة:

«... ألا وإنّ بليتكم قد عادتْ كهيتها يوم بعث الله نبيّه، والذي
بعثه بالحق، لَتُبْلِلُنَّ بَلْبَلَةً، وَلَتُغْرِبُنَّ غَرْبَةً...» (٢).

البليّة والبلوى والبلاء واحد والجمع البلايا. (٣) ولها معنيان:
أحدهما: إخلاق الشيء. والثاني: نوعٌ من الاختبار، ويحمل عليه

(٣) مجمع البحرين: في (بلا).

(١) وسائل الشيعة: ١١/١٨.

(٢) التّهجد: ٢٧٢/١، الخطبة: ١٦.

الإخبار أيضاً. قال الخليل: بلي يَبلي فهو بَالٍ وبَلِي مصدره، وإذا فتح فهو البلاء. وقال قوم: هولغة، وأنشد:

والمرء يُبليه بلاء السَّربال مرَّ اللَّيالي واختلاف الأحوال

والبلية: الذابة التي كانت في الجاهلية تشد عند قبر صاحبها، وتشد على رأسها ولية، فلا تعلق ولا تسقى حتى تموت. قال أبو زيد:

كالبلايا رؤوسها في الولايا ما نعات السموم حرَّ الخدود (١)

الابتلاء والاختبار والامتحان وكذلك الإبلاء يكون في الشر والخير، ومنه قوله تعالى: «ونبلوكم بالشر والخير فتنة». (٢)

البليلة: شدة الهم والحزن والوسواس، ومنه بليلة الصدر: وسوسته وكذلك البلابل: أي الهموم والأحزان. والتَّغربل من الغربال، ومنه الحديث: «لابد للناس أن يُمَحَّصوا ويُغربلوا» قيل: يجوز أن يكون ذلك من الغربال: الذي يغربل به الدقيق، ويجوز أن يكون من غربلت اللحم إذا قطعته، وكأنه يريد بذلك الامتحان والاختبار، والحديث الآخر: «كيف بكم إذا كنتم في زمانٍ يُغربل فيه الناس غربلةً؟»: أي يذهب

(١) معجم مقاييس اللغة: في (بلوى).

(٢) الأنبياء: ٣٥.

خيارهم ويبقى أراذلهم. والمُغْرِبِل: المُنتَقَى. كأنه نُقِيَ بالغربال. (١)
يريد الإمام عليه السّلام بَعْدُ بليّة الأمة كيوم البعثة النبويّة عند
تسلّمه الخلافة: أنّ موقفهم إتياء موقف فجر الدعوة من الإيمان والكفر، إذ
هو نفس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم دون الخلفاء الثلاثة المتقدمة،
فإنّ الموقف يختلف معهم. وفي الكلام إشارة إلى أنّ دعوته كدعوة النبيّ
صلى الله عليه وآله وسلّم، أمّا دعوة غيره من الخلفاء فليست كذلك.
ويريد بالتبليل والتغريب في خلافته عليه السّلام: أنّهم كانوا تحت
ستار غير مكشوف عن المطيع والعاصي، أو المؤمن والكافر، وهو
عليه السّلام ميزان الأعمال، كما في المأثور (٢).

١٣٧ - لَتُسَاطِنُ سَوَاطِنُ الْقِدْرِ

كلمة تمثيلية في خطبة له عليه السّلام. لما بويع بالمدينة، أولها:

«ذمتي بما أقول رهينة، وأنا به زعيم، إنّ مَنْ صرّحت له العبر عمّا بين
يديه من المثلّات، حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عن تقحّم الشبهات، ألا وإنّ بليتكم
قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيّه؛ والذي بعثه بالحقّ لَتُبْلِلُنَّ بَلْبِلَةً،
وَلَتُغْرِبُلَنَّ غَرْبَلَةً، وَلَتُسَاطِنَنَّ سَوَاطِنُ الْقِدْرِ، حتّى يعود أسفلكم أعلاكم،

(١) النهاية: في (بلبل، وغربل) ومجمع البحرين: في (بلبل، وغربل).

(٢) في زيارة الحرم العلويّ الرابعة، المفاتيح: ص: ٣٥٣.

وأعلاكم أسفلكم» (١).

(السَّوْط) السَّيْن والواو والطاء فيه أصل يدلّ على مخالطة الشيء بالشيء، يقال: (سَطَّت الشيء): خلطت بعضه ببعض، سَوَّط فلان أمره تسويطاً، إذا خلطه. قال الشاعر:

فَسَطَّهَا ذَمِيمُ الرَّأْيِ غَيْرَ مُوَفَّقٍ فَلَسْتُ عَلَى تَسْوِيطِهَا بِمَعَانٍ (٢)

والسَّوْط ما يضرب به من جلدٍ مضافٍ، سَمِيَ بذلك؛ لأنه يخلط الدَّم باللحم. قال الطَّريحي: سَاطُ الْقَدْرِ بِالْمَسَوِّطِ، وَالْمَسَوِّطُ: خَشْبَةٌ يُحَرَّكُ بِهَا مَا فِيهَا لِيَخْتَلَطَ، وَمِنْهُ حَدِيثُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَتُسَاطُنَّ سَوَّطُ الْقَدْرِ». قال بعضُ شُرَاحِ الْحَدِيثِ: «لَتُسَاطُنَّ» بِالسَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ، بِمَعْنَى: غَلِيَانِ الْقَدْرِ أَظْهَرَ. (٣)

أقول: بل لعلَّ السَّيْن أَظْهَرَ، وَأَقْرَبُ إِلَى الْغَرَضِ مِنَ التَّمْثِيلِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ: السَّلْطَةُ الْأُمَوِيَّةُ وَالْجَبَابِرَةُ الَّتِي تَقْرَعُ رُؤُوسَهُمْ بِالسَّوْطِ الْخَالِطِ لِحُومِهِمْ بِدُمَائِهِمْ، لَا غَلِيَانَهُمُ الْمَعْتَبَرُ عَنْهُ بِالسَّوْطِ، وَإِنْ كَانَ صِيرُورُهُ مَا فِي الْقَدْرِ أَعْلَاهُ أَسْفَلُهُ، وَأَسْفَلُهُ أَعْلَاهُ، تَارَةً بِالْغَلِيَانِ الْحَاصِلِ مِنْ اشْتِدَادِ

(١) التهج: ٢٧٢/١، الخطبة: ١٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة: في (سوط).

(٣) مجمع البحرين: في (سوط).

حرارة النار وأُخرى بِمِسْوَطٍ يسوطه، فيصير كذلك. على أَنَّ السَّينَ رواه الكثير من الشيعة والسَّنة.

قال ابن الأثير في (سوط): ومنه حديث عليّ رضي الله عنه -عليه السلام- «لَتُسَاطَنَ سَوطُ الْقِدْرِ»، وحديثه مع فاطمة -عليها السلام-.

• مسوط لحمها بدمي ولحمي •

: أي مَمْزُوج وَمَمْخُلُوط، ومنه قصيد (١) كعب بن زهير:

لَكُنْهَا خَلَّةٌ قَدْ سَيْطَ مِنْ دَمِهَا فَجَجْعٌ وَوَلَعٌ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلٌ

: أي كأن هذه الأخلاق قد خلطت بدمها. (٢) ثم صيرورة أعلا الشيء أسفله، وأسفله أعلاه أعم من ذلك، ومن الانهدام، كما في قصة قوم لوط، قال تعالى: «فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا». (٣)

يريد أمير المؤمنين عليه السلام: الإخبار بما يلحق القوم جرّاء عصيانهم الله عزّ وجلّ، وتمرّدهم على إمامهم المفترض الطاعة من

(١) القصيد من الشعر: ما تمّ شطر أبياته، وليس إلا ثلاثة أبيات فصاعداً، أو ستة عشر فصاعداً، والقصيدة من الشعر: ما جاوز سبعة أبيات، وقيل عشرة. أقرب الموارد: في (قصد).

(٢) النهاية: في (سوط).

(٣) الجِجْر: ٧٤.

العذاب بأيدي الجبارين، والدُّول الظَّالمة الأموية والعباسية وغيرها،
كما عَذَّب الله الأمم السَّالفة العصاة بتسلُّط الجبابرة عليهم، أو بنزول
عذاب سَماوِيٍّ، كما في قوم لوط بقلب المؤتفكات الخائطة، فأتوا
بأجمعهم، أو بريج صرصرٍ عاتيةٍ، أبادت قوم عاد وثمود؛

ويشهد لهذا التفسير قوله عليه السلام: «إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبَرُ عَمَّا
بَيْن يَدَيْهِ مِنَ الْمَثَلَاتِ حُجَزَتْهُ التَّقْوَى...» وهي العقوبات التي حَلَّتْ
بِالْأُمَمِ السَّابِقِينَ لِمُتَرَدِّهِمْ عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ الْمُبْعُوثِينَ إِلَيْهِمْ، وَهِيَ مِنْ أَصْرَحِ
الْعِبَرِ وَأَنْجَعِ الْمَوَاعِظِ لِمَنْ يَعْتَبِرُ، وَلَكِنْ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا أَكْثَرَ
الْعِبَرَ وَأَقَلَّ الِاعْتِبَارَ» (١).



١٣٨ - لَجَمَلُ أَهْلِكَ، وَشِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ

تمثل الإمام عليه السلام بهذا المثل في كتاب له إلى المُنذرين
الجارود العبدِيّ، وقد كان استعمله على بعض التواحي، فخان الأمانة
في بعض ما ولّاه من أعماله:

«... وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقًّا، لَجَمَلُ أَهْلِكَ، وَشِسْعُ نَعْلِكَ

(١) التهج: ٢٠٣/١٩، الحكمة: ٣٠٣.

قال الشارح المعتزلي: (ما أوجز هذه الكلمة، وما أعظم فائدتها...) شرح التهج:

٢٠٣/١٩.

خيرٌ منك...» (١).

قال الشريف الرضي طاب ثراه: المُنذر بن الجارود هذا هو الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّهُ لِنَظَارٍ فِي عَطْفَيْهِ. مَخْتَالٌ فِي بُرْدَيْهِ، تَقَالُ فِي شِرَاكِهِ» (٢).

وقد ترجمه جمع، وهم بين قادحٍ له، وبين مَدَحٍ، وكفى في قدحه كلام الإمام عليه السلام، وكلٌّ مَنْ شَاكَلَهُ شَمَلُهُ الْقَدَحِ الْمَذْكُورِ. ونظير المَثَلِ الجاري المَثَلِ النبوي: «رُبَّ مَرْكُوبٍ خَيْرٌ مِنْ رَاكِبِهِ» رواه السيّد الرضي (٣).

ولأريب أنّ الخائن لَشِيعِ نَعْلِهِ وَجَمَلِ أَهْلِهِ الَّذِي يَرْكَبُهُ خَيْرٌ مِنْهُ، لأنّه لم يخن ما خان. قال الشّارح المعتزلي: العرب تضربُ بالجمع المثل في الهوان، قال:

لَقَدْ عَظُمَ الْبَعِيرُ بِغَيْرِ لَبٍّ	وَلَمْ يَسْتَغْنِ بِالْعُظْمِ الْبَعِيرُ
يَصْرِفُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ وَجْهِ	وَيَحْبِسُهُ عَلَى الْخُسْفِ الْجَرِيرُ
وَتَضْرِبُهُ الْوَلِيدَةُ بِالْهَرَاوِي	فَلَا غَيْرَ لَدَيْهِ وَلَا نَكِيرُ

فأما شِيعِ النَّعْلِ فَضَرْبُ الْمَثَلِ بِهَا فِي الْإِسْتِهَانَةِ مَشْهُورٌ؛ لَا يَتَذَاهَا وَ

(١) التهج: ٥٤/١٨، كتاب: ٧١.

(٢) المجازات النبوية: ٣١٥، رقم: ٣٥٥.

(٣) الأمثال النبوية: ٤٣٨/١، رقم المَثَل: ٢٨٠، حرف الزاء مع الباء.

وطئها الأقدام في التراب. (١)

ثم حرمة الخيانة ووجوب ردّ الأمانة مدلولة الأدلة الأربعة: الكتاب والسنة والعقل وإجماع الأمة. ولا فرق في ذلك بين القلة والكثرة، ولو كمثّل رأس إبرقة، أو أقلّ منه، فالخائن مهما كان نوعه معاقب، كما عاقب ابن العباس لما بلغه منه، فقال عليه السلام: «ووالله لو أنّ الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت، ما كانت لهما عندي هودة، ولا ظفرا منّي بإرادة حتّى آخذ الحقّ منهما» (٢).

١٣٩ - اللسان سبع عقور إن خُلّي عنه عقر



قال عليه السلام:

«اللسان سبع عقور إن خُلّي عنه عقر» (٣).

قال السيّد الخطيب: هذه الكلمة من وصيّته عليه السلام لولده محمّد ابن الحنفية، رواها قبل الشريف الشيخ الصدوق في نوادر (الفقيه)، وفيها: «واعلم أنّ الكلام في وثاقك مالم تتكلّم به، فإن تكلمت به

(١) شرح التّهج: ٥٨/١٨. الهراوى، والهري وهري جمع الهراوة: العصا

الضخمة. كهراوة الفأس والمعول.

(٢) التّهج: ١٦٧/١٦ - ١٦٨.

(٣) التّهج: ١٩٦/١٨، الحكمة: ٥٨.

صِرْتُ فِي وَثَاقِهِ، فَاخْزَنْ لِسَانَكَ، كَمَا تَخْزَنْ ذَهَبَكَ وَوَرَقَكَ، فَإِنَّ اللِّسَانَ كَلْبٌ عَقُورٌ، فَإِنْ أَنْتَ خَلَيْتَهُ عَقَرَ...». ورواها أيضاً الشيخ المفيد في (الاختصاص) ص: ٢٢٩... وقد أخذ معنى هذه الكلمة قيس بن السكّن، وكان كثير الضمّت، فقليل له: ألا تتكلّم؟ فقال: لِسَانِي سَبْعٌ مِنَ السَّبَاعِ، أَخَافُ أَنْ أَدْعَهُ فَيَعْقِرَنِي. (١)

وفي حديث نبويّ: «إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ شَوْمٌ، فِيهِ اللِّسَانُ». (٢)

احفظ لسانك أيّها الإنسان لا يلسعك إنّه ثعبان (٣)

ونبويّ آخر: «احفظ لسانك، ويحك وهل يكتب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم». (٤)
وقد تكلّمنا على المثل: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَقُّ بِطُولِ السَّجْنِ مِنَ اللِّسَانِ». (٥)

هنا سؤال: هل الكلام أفضل أم السكوت؟ عن عليّ بن الحسين عليهما السلام، أنّه سئل عن الكلام والسكوت، أيهما أفضل؟ فقال عليه السلام:

(١) مصادر التهج: ٥١/٤ - ٥٢. الوسائل: ٥٣٥/٨.

(٢) الوسائل: ٥٣٤/٨.

(٣) لا أدري قائله.

(٤) الوسائل: ٥٣٤/٨.

(٥) الوسائل: ٥٣٥/٨، حرف الميم مع الألف من الأمثال العلوية.

«لكل واحدٍ منها آفات، فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت، وقيل: وكيف ذاك يا ابن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -؟ فقال: لأن الله عز وجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، إنما بعثهم بالكلام، ولا استحققت الجنة بالسكوت، ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت، ولا وُقيت النار بالسكوت، ولا تجنب سخط الله بالسكوت، إنما ذلك كله بالكلام، ما كنت لأعدل القمر بالشمس، إنك لتصف فضل السكوت بالكلام، ولست تصف فضل الكلام بالسكوت». (١).

قال ابن أبي الحديد: وكان يقال: إن كان في الكلام ذرٌّ ففي الصمت عافية. وقالت الحكماء: النطق أشرف ما خص به الإنسان؛ لأنه صورته المعقولة التي بآئنها سائر الحيوانات، ولذلك قال سبحانه: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» (٢). ولم يقل: (وعلمه) بالواو؛ لأنه سبحانه جعل قوله: «علمه البيان» تفسيراً لقوله: «خلق الإنسان» لا عطفاً عليه، تنبيهاً على أن خلقه له وتخصيصه بالبيان الذي لو توهم مرتفعاً لارتفعت إنسانيته، ولذلك قيل: ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مهيمة، أو صورة ممثلة، وقال الشاعر:

لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وقالوا: والصمت من حيث هو صمت مذموم، وهو من صفات

(٢) الرحمن: ٣ - ٤.

(١) الوسائل: ٨/٥٣٢.

الجمادات، فضلاً عن الحيوانات. وكلام أمير المؤمنين عليه السلام وغيره في مدح الصّمت محمولٌ على مَنْ يسيء الكلام، فيقع منه جنایات عظيمة في أمور الدين والدنيا. (١)

في حديث سجّادي: «إِنَّ لسان ابن آدم يُشرف على جميع جوارحه كلّ صباح، فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير إن تركتنا، ويقولون: الله الله فينا، ويناشدون، ويقولون: إنما نثاب ونعاقب بك». (٢) فلا بدّ من كلّ متكلم أن يفكر في كلامه، ويراقب الله تعالى.

١٤٠ - لقلّما أدبر شيءٌ فأقبل



من بعض خطبة له عليه السلام: «حقٌّ وباطلٌ، ولكلُّ أهلٍ، فلئن أَمَرَ الباطلُ لَقَدِيمًا فَعَلَّ، ولئن قَلَّ الحقُّ لَرَبَّما وَلَعَلَّ؛ ولقلّما أدبر شيءٌ فأقبل». (٣)

قال البحراني: «حقٌّ وباطلٌ» فكأنه قال: هما: حقٌّ وهو التّقوى،

(١) شرح التهج: ١٨/١٩٦-١٩٧.

(٢) الوسائل: ٥٣٢/٨. أصول الكافي: ١١٥/٢. «اللسان كَلَبٌ عَقُورٌ»، ذكر أيضاً في نهج السعادة: باب الوصايا: ٣١٥/١. وبلفظ: «اللسان سَبَّعٌ إِنْ خُلِيَ عَقَرٌ» كما في البحار: ٩٠/٧٨.

(٣) التهج: ٢٧٢/١، ط: ١٦.

وباطل وهو الخطايا - لسبق ذكرهما - ثم قال: «ولكلّ أهل»: أي ولكل من طريق الحق والباطل قوم، أعدّهم القدر لسلوكها بحسب ما جرى في اللوح المحفوظ بقلم القضاء الإلهي، كما قال الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم -: «كلّ ميسرّ ليا خلق له».

قوله: «فلئن أمّر الباطل لقديماً فعل...» أردف لذلك بما يشبه الاعتذار لنفسه ولأهل الحق في قلته، وذمّ وتوبيخ لأهل الباطل على كثرة الباطل، وقلة الحق في ذلك الوقت ليس بديعاً حتى أجهد نفسي في الإنكار على أهله، ثم لا يسمعون ولا ينتهون.

وفي قوله: «لربّما ولعلّ» تنبيه على أن الحق وإن قلّ فربّما يعود يسيراً ثم أردف حرف التقليل، وهو ربّما بحرف التمني -: أي لعلّ - وكان في هذه الأحرف الوجيزة إخبار بقلة الحق، ووعد بقوّته، مع نوع تشكيك في ذلك، وتمنّ لكثرة.

قوله: «ولقلّما أدبر شيء فأقبل» استبعاد لرجوع الحق إلى الكثرة والقوّة بعد قلته وضعفه على وجه كليّ، فإنّ زوال الاستعداد للأمر مستلزم لزوال صورته وصورة الحق، إنّما أفيضت على قلوب صفّت واستعدّت لقبوله، فإذا أخذ ذلك الاستعداد في النقصان بموت أهله أو بموت قلوبهم، وتسوّد ألواح نفوسهم بشبه الباطل، فلا بدّ أن ينقص نور الحق وتكثر ظلمة الباطل، بسبب قوّة الاستعداد لها؛ وظاهر أنّ عود الحق وإضاءة نوره بعد إدباره، وإقبال ظلمة الباطل أمرٌ بعيدٌ وقلّ ما يعود مثّل ذلك الاستعداد لقبول مثّل تلك الصّورة للحقّ، ولعلّه يعود بقوّة، فتصبح ألواح النفوس وأرضها مُشرقة بأنوار الحقّ، ويكرّر على

الباطل فيدمغه، فإذا هو زاهق، وما ذلك على الله بعزيز، وفي ذلك تنبيه لهم على لزوم الحق، وبعث على القيام به، كي لا يضمحل بتخاذلهم عنه، فلا يمكنهم تداركه. (١)
أقول:

نعم الشرح شرحه لكلام الإمام عليه السلام، إن القرآن الكريم قد تناول الحق بلفظه في ٢٨٣ موضعاً، وأما بغيره فكل القرآن، وفي كلمات أهل البيت عليهم السلام ما لا يحصى، ونحن جئنا بنبرة منها في المناسبات، كما ذكرنا من أمثال سائرة بهذا الصدد عند التكلّم على المثل: «أخرج الحق من خاصرته». (٢) والمثل: «ليس بين الحق والباطل إلا أربع أصابع». (٣) ومن الأمثال: «للحق دولة، وللباطل جولة». (٤) (الحق ظلّ ظليل). (٥) والمقام صالح للمثل.

مركز تحقيق التراث
مكتبة آية الله العظمى
المرجع

(١) شرح التهجد: ٣٠١/١ - ٣٠٢.

قوله: (لسلوكتها) الصحيح: لسلوكتها.

(٢) حرف الهمزة مع الخاء.

(٣) حرف اللام مع الياء.

(٤) أصول الكافي: ٤٤٧/٢.

(٥) التمثيل والمحاضرة: ٣٢٧.

ولا يخفى أنّ كلام الإمام المبحوث عنه نقله الشيخ المحمودي مع إضافة في نهج السعادة:

باب الخطب: ١٧٥/١ - ١٧٧ و ١٨٢ و ١٩٢. والمجلسي في البحار: ٣/٧٨.

١٤١ - لم يعض على العلم بضرسٍ قاطعٍ

قال عليه السلام في صفة مَنْ لا أهلية له للقضاء بين الناس في كلام له:

«لم يعض على العلم بضرسٍ قاطعٍ، يُذري الروايات إذراء الرِّيح الهشيم». (١)

انظر تفسير الجملة الثانية إلى المثل: «يُذري... إذراء الرِّيح الهشيم». (٢)

قوله عليه السلام: «لم يعض» يريد: أنه لم يُثَقِّنْ ولم يُحْكَمْ الأمور، فيكون بمنزلة مَنْ يعض بالناجذ، وهو آخر الأضراس. وإنما يطلع إذا استحكمت شبيبة الإنسان، واشتدت مرته؛ ولذلك يدعو العوام ضرس الجلم. (٣) كأنَّ الجلم يأتي مع طلوعه ويذهب نَزَق الصبا. ويقولون: رجلٌ منجَّدٌ، أي مجربٌ مُحْكَمٌ، كأنَّه قد عض على ناجذه، وكَمَل عقله. (٤)

(٣) بكسر الحاء: الاناة والعقل.

(١) التهج: ٢٨٣/١، كلام ١٧.

(٤) شرح التهج: ٢٨٤/١ - ٢٨٥.

(٢) حرف الياء مع الذال.

وهو كناية عن عدم نفوذ بصيرته في العلوم وعدم إتقانه للقوانين الشرعية، لينتفع بها انتفاعاً تاماً. يقال: (فلان لم يعض على العلم بضرسي قاطع) إذا لم يحكمه ولم يتقنه، وأصله أن الإنسان يعض الطعام الذي هو غذاؤه، ثم لا يجيد مضغه لينتفع به البدن انتفاعاً تاماً. فمثل به من لم يحكم ولم يتقن ما يدخل فيه من المعقولات التي هي غذاء الروح لينتفع به انتفاعاً كاملاً. (١)

قال ابن الأثير: ومنه الحديث في صفة علي عليه السلام: «إذا فُزِعَ فُزِعَ إلى ضرسي حديد»: أي صعب العريكة قوي. ومن رواه بكسر الضاد وسكون الراء فهو أحد الضروس، وهي الآكام الخشنة: أي إلى جبل من حديد.

ومعنى قوله: «إذا فُزِعَ»: أي فُزِعَ إليه والتجى، فحذف الجار واستتر الضمير. ومنه الحديث الآخر: «كان مانشاً من ضرسي قاطع»: أي ماضي في الأمور، نافذ العزيمة، يقال: (فلان ضرس من الأضراس): أي داهية. وهو في الأصل أحد الأسنان، فاستعار لذلك. ومنه حديثه الآخر: «لا يعض في العلم بضرسي قاطع»: أي لم يتقنه ولم يحكم الأمور. (٢)

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢٥٨/٣.

(٢) النهاية: في (ضرسي).

وقد ذكر حديث صفة علي عليه السلام الزنجشري في (لعب) من (الفائق)، تعرضنا له عند المثل: «أكبر مكيدته أن يمنح القرم سبته» في حرف الهمزة مع الكاف، والتقاش فيه فراجع.

يريد من الحديث الأخير: حديثنا الجاري مع تغيير ما في لفظه وحصيلة كل ما ذكر في معناه: هو أنّ هذا الرجل الجاعل نفسه قاضياً شاكّ فيما يقضي، ومتحير في الحكم، والواجب على القاضي أن يكون قاطعاً غير شاكّ في الواقعة التي يقضي فيها، وعاضاً عليها بضرر قاطع، لا يبقى للترديد فيها مساع، ومنه يعلم اشتراط القطع واليقين عندما يقضي وإلا فليخلع نفسه عن هذا المنصب، وليذهب إلى غيره من المذاهب فلا يُدخل الناس فيما دخل.

وقال الزمخشري الضرس واحد الأضراس: وهي عشرون ضرساً تلي الأنياب من كل جانب من الفم، خمسة من أسفل، وخمسة من فوق، وهو مذكر، وربما أنث، وهذا مثّل لعدم إتقانه (١).

١٤٢ - لو كان يُطاع لقصير أمرٌ

من خطبة له عليه السلام أولها:

«الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح - إلى قوله عليه السلام: - وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونخلت لكم مخزون رأبي، لو كان يُطاع لقصير أمرٌ...» (٢).

والمثل من أمثال سائرة ضربت في قصّة مشهورة ذكرها الأدباء

(١) الفائق: ١٧/٢، في (ذمم).

(٢) التهج: ٢٠٤/٢، ط: ٣٥.

بتفصيل، منهم صاحب رسالة الإسلام، قال: قاله قصير بن سعد اللّخميّ لجذيمة الأبرش، عندما أشار عليه ألاّ يستجيب إلى الزّباء ملكة الجزيرة، حينما كتبت إليه في أن يُقبل إليها، لتضمّ ملكها إلى ملكه، وكانت تنوي من وراء ذلك الغدر به؛ لأنّه كان قد وتّرها بقتله أباه، فلم يقبل جذيمة مشورة قصير، وذهب إليها، فقال قصير: (لا يطاع لقصير أمر). وكانت نهاية الأمر أن قتلت الزّباء جذيمة وأدركت ثأرها. (١) والقصة هذه من أحفل القصص في الأمثال التي قيلت خلال حوادثها، فقد بلغت واحداً وعشرين مثلاً:

رأي فاطر وغدر حاضر. رأيك في الكنّ لا في الضّح. لا يطاع لقصير أمر. ببقّة حلفت الرّأي. القول رادف. خطب يسير. لا يشقّ غباره. ويل أمه. خير ما جاءت به العصا... .. واستشهد الإمام عليه السّلام بالمثل المذكور حيث نصّح جماعته بعدم قبول التّحكيم في وقعة صفين، وأبوا عليه ذلك. (٢) أثبت المثل المحدث القميّ رحمه الله، وما جاء في قصته من نصّح قصير مولى جذيمة وبعثه الزّباء ملكة الجزيرة إليه، ليتزوج بها فخرج

(١) مجمع الأمثال: ٢٣٣/١، حرف الحاء.

(٢) العدد: السابع والثامن، ص: ١١٤ - ١١٥.

ولا يخفى أنّ فرقاً بين المثل العلويّ وبين المثل السائر بحرف (لو) في الأول، و(لا) في الثاني كما في الرسالة. ومجمع الأمثال: ٢٣٨/٢، حرف (لا)، رقم المثل: ٣٦٤٦. وقد جاء ذكر القصة بتفصيل في ج: ٢٣٣/١، حرف الحاء منه.

جَذِيعة في ألف فارس، وخلف باقي جنوده مع ابن أخيه... (١)

هذا مَثَلٌ يضرب لِمَنْ خَالَفَ نُصْحَ النَّاصِحِ، ولقد شوهد حلول الويل على مَنْ خَالَفَ النَّصْحَ من ذوي الإشفاق، وهل أحدٌ أشفق من أمير المؤمنين عليه السلام على الرعية، وأسد رأياً منه؟! وإنَّ حادثة التحكيم المفروض على الإمام عليه السلام لِمَنْ أَمَضَ الحوادث وأشدّها على الإسلام والمسلمين، من جرّاء المعصية والتمرد عليه عليه السلام.

١٤٣ - ليس بين الحقّ والباطل إلا أربع أصابع

من كلام له عليه السلام: «أيتها الناس! مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَسَدَادَ طَرِيقٍ، فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ. أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي، وَتَخْطِئُ السَّهَامُ، وَيَحِلُّ الْكَلَامُ، وَبَاطِلٌ ذَلِكَ يَبُورُ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ. أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعٍ. فَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ هَذَا. فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ، وَوَضَعَهَا بَيْنَ أُذُنِهِ وَعَيْنِهِ، ثُمَّ قَالَ: الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ: سَمِعْتُ، وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ: رَأَيْتُ». (٢)

و يفسره مارواه الشيخ الصدوق رحمه الله تعالى بسنده إلى الباقر عليه السلام «يقول: سُئِلَ أمير المؤمنين عليه السلام: كم بين الحقّ

(٢) التهجد: ٧٢/٩، كلام: ١٤١.

(١) السفينة: ٤٣١/٢.

والباطل؟ فقال: أربع أصابع، وَوَضَعَ أمير المؤمنين عليه السلام يده على أذنه وعينه، فقال: مارأته عيناك فهو الحق، وما سمعته أذنك فأكثره باطل». (١).

و روى الأول الشيخ الحرّ رحمه الله، (٢) وغيره، وفي ظني أنني رأيت حديثاً عنهم عليهم السلام، فيه: «وما سمعته أذنك ففيه باطل».

قال ابن أبي الحديد: هذا الكلام هو نهْي عن التّسرّع إلى التّصديق بما يقال من العيب والقدح في حقّ الإنسان المستور الظاهر المشتهر بالصّلاح والخير، وهو خلاصة قوله سبحانه: «إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصيبوا على ما فعلتم ندمين». (٣)

والأصبع مؤنثة، ولذلك قال: أربع أصابع، فحذف الهاء. (٤) ويقرأ بفتح الهمزة، ومنه الحديث: «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الله، يقلّبه كيف يشاء». قال ابن الأثير بعد الحديث: الأصابع جمع أصبع: وهي الجارحة، وذلك من صفات الأجسام، تعالى الله عز وجلّ عن ذلك وتقدّس، وإطلاقها عليه مجاز، كإطلاق اليد واليمين والعين والسمع، وهو جار مجرى التّمثيل، والكناية عن سرعة تقلّب القلوب، وأنّ ذلك أمرٌ معقود بمشيئة الله تعالى. (٥) ولفظ الفائت: بكسر «إصبعين من أصابع الرّحمن». (٦)

(٤) شرح التهج: ٧٣/٩.

(٥) التّهاية: في (صبع).

(٦) ج: ٢٨٢/٢، في (صبع).

(١) الخصال: ٢٣٦/١، باب الأربعة.

(٢) الوسائل: ٥٩٣/١١، مع تغيير.

(٣) الحجرات: ٦.

وقال الشيخ الطريحي بعد قوله تعالى: «جعلوا أصابعهم في آذانهم». [٧/٧١]: والأصابع جمع إصبع، يؤنث ويذكر، وبعضهم يقتصر على التأنيث، وكذلك سائر أسمائها كالخنصر والبنصر. وفي الإصبع كما قيل: عشر لغات، والمشهور كسر الهمزة وفتح الباء، وهي التي ارتضاها الفصحاء، وهي تثليث الهمزة مع تثليث الباء والعاشره أصبوع كعصفور. (١)

وإنما اعتبرت في الحق الرؤية لقلة الخطأ فيها دون السماع؛ فإنه يكثر فيه، ومن ثم شبه الحق بالصبح، ومنه: (الحق أبلج، والباطل لجلج) يعني: أن الحق واضح. يقال: صبح أبلج: أي مُشرق، ومنه قوله: «حتى بدت أعناق صُبح أبلجا»

وقوله: (الجلج): أي مُلتبس يتردد فيه صاحبه، ولا يصيب منه مخرجاً. (٢)

فإن قيل: أكثر العلوم من طريق السماع، كالعلم بمعجزات النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وغيرها، فالجواب: الكلام في غير المتواتر، والمعلوم تفصيلاً؛ لأن كلام الإمام عليه السلام في الأقوال الشاذة الواردة من طريق الآحاد التي تتضمن القُدْح فيمن قد غلبت نزاهته، فلا يجوز العدول عن المعلوم بالمشكوك. (٣)

وفي الشهادة رؤية الحسّ معتبرة شرعاً، كما فيما رواه المحقق رحمه الله

(١) مجمع البحرين: في (صبح).

(٣) شرح التهجد: ٧٣/٩، محضه.

(٢) مجمع الأمثال: ٢٠٧/١، حرف الحاء.

عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ سُئِلَ عَنِ الشَّهَادَةِ، قَالَ: «هَلْ تَرَى الشَّمْسَ؟ عَلَى مِثْلِهَا فَاشْهَدْ أَوْذَغُ» (١).

١٤٤ - لِيَصْدُقَ رَائِدُ أَهْلِهِ

من أمثال سائرة تمثل به الإمام عليه السلام في خطبة له: «... فاستمعوا من ربّانيّكم، وأحضروه قلوبكم، واستيقظوا إنّ هتف بكم وليصدق رائدُ أهله، وليجمع شمله، وليحضر ذهنه». (٢)

الْمَثَلُ السَّائِرُ قَوْلُهُمْ: (الرَّائِدُ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ). وَالرَّائِدُ: الَّذِي يَتَقَدَّمُ الْقَوْمَ لَطَلَبِ الْمَاءِ وَالْكَلَاءِ لَهُمْ، فَإِنْ كَذَبَهُمْ أَفْسَدَ أَمْرَهُمْ وَأَمْرَ نَفْسِهِ مَعَهُمْ؛ لِأَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ. يَضْرِبُ مَثَلًا لِلنَّصِيحِ غَيْرِ الْمَتَّهِمِ عَلَى مَنْ يَنْصَحُ لَهُ وَأَصْلُهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ: رَادٌ، يَرُودُ: إِذَا جَاءَ وَذَهَبَ، وَضَرَبَ يَمِينًا وَشِمَالًا. وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ: (ارْتَادَ الشَّيْءُ) إِذَا طَلَبَهُ؛ لِأَنَّ الطَّالِبَ يَتَرَدَّدُ فِي حَاجَتِهِ حَتَّى يَنَالَهَا. (٣)

الغِيثُ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «إِنَّ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ». يَرِيدُ: أَنَّهُمْ يَنْتَقِلُونَ

(١) الوسائل: ٢٥٠/١٨ - ٢٥١. الأمثال النبوية: ٣٤٣/٢، رقم المثل ٦٣١، حرف

الهاء مع اللام.

(٢) التهجد: ١٩٠/٧، الخطبة: ١٠٦، البحار: ٢٠٩/١.

(٣) جمهرة الأمثال على هامش مجمع الأمثال: ٣٠٨/١.

عن مواضعهم بخبره فهو لا يكذبهم. وبلغني أنهم كانوا يشمون البرق، فإذا لمعت سبعون برقة لم يرسلوا رائداً وانتقلوا؛ كأنهم يثقون بالغيث. (١) وقد جاء عنه عليه السلام مثله. (٢) ويريد ابن قتيبة من الحديث: الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم المذكور في كتابنا: (الأمثال النبوية). (٣)

هنا سؤال: وهو أن قول الإمام عليه السلام: «ليصدق رائد أهله» تختلف صورته مع المثل السائر: أي (الرائد لا يكذب أهله). يجاب عنه: هو كذلك، إلا أن المعنى واحد، ولا فرق بينها سوى تبديل (لا يكذب) بـ (ليصدق). وهو خبر أريد به التهي: أي لا بد أن لا يكذب، أو الأمر، ومعناه: (ليصدق) فصرح المعنى بهذا اللفظ، فهما شيء واحد، وإن أثبت فهو كالمثل السائر لأنفسه.

ثم المراد بالرائد: نفسه الشريفة، وعليه فلا بد من عود الضمير في (وليجمع شمله، وليحضر ذهنه) إليها، فهو بيان وظيفة الوالي على الرعية، وقد فعل وقام بهذه الوظيفة، وبقي على الرعية إحضار قلوبهم له والتلبية إن هتف بهم.

ومن الشراح من يرجع الضمير إلى الرائد، ويقصد به الرعية؛ لأن الأمر بجمع الشمل وإحضار الذهن لا يناسب الإمام عليه السلام، ولا معنى لأمر الإنسان نفسه، بل لا بد أن يكون المخاطب بذلك غير الأمر، وهوهنا الأمة. والشارحون كل منهم ذهب إلى مذهب، فاختر لنفسك.

(١) غريب الحديث: ٣٤٩/١. (٢) التهج: ١٦٥/٩، الخطبة: ١٥٤.

(٣) ج: ٤٣٣/١، حرف الراء مع الألف، رقم المثل: ٢٧٢.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

١٤٥ - ما أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعِزَائِمِ الْيَوْمِ

في كلام له عليه السلام يحث فيه أصحابه على الجهاد:
«وَاللَّهِ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرُهُ، وَمُورِثُكُمْ أَمْرُهُ، وَمُمْهِلُكُمْ فِي مَضْمَارِ
مَمْدُودٍ، لَتَتَنَازَعُوا سَبْقَهُ. فَشُدُّوا عُقْدَ الْمَآزِرِ، وَاطُؤُوا فَضُولَ الْخَوَاصِرِ، لَا
تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ. مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعِزَائِمِ الْيَوْمِ! وَأَعْمَى الظُّلَمَ لَتَذَاكَيرِ
الْهِمَمِ!» (١)

قوله عليه السلام: «مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعِزَائِمِ الْيَوْمِ» أَوَّلُ مَنْ قَالَه مع
أمثال الأخر في نفس الكلام وتجد شرح «وَاللَّهِ...» - إلى - أَمْرُهُ» عند
المَثَل: «لَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ». (٢) وقال لما بعد ذلك المعتزلي: ثم
شبه الآجال التي ضربت للمكلفين ليقوموا فيها بالواجبات، ويتسابقون
فيه إلى الخيرات بالمِضْمَارِ الممدود لخيَلٍ تتنازع فيه السَّبَقُ. ثم قال
- عليه السلام -: «فَشُدُّوا عُقْدَ الْمَآزِرِ»: أي شَمَّرُوا عن ساق الاجتهاد؛
ويقال لِمَنْ يوصى بالجد والتشمير: (أَشْدُدْ عُقْدَةَ إِزَارِكَ)؛ لَأَنَّهُ إِذَا

(١) التهج: ١٤٢/١١، كلام: ٢١٥.

(٢) حرف الألام مع الألف.

شَدَّهَا كَانَ أَبْعَدَ عَنِ الْعِثَارِ وَأَسْرَعَ لِلْمَشْيِ. (١) وَنَحْنُ ذَكَرْنَاهُ وَمَا بَعْدَهُ
عِنْدَ الْمَثَلِ: «شُدُّوا عُقْدَ الْمَآزِرِ». (٢) وَقَالَ الشَّارِحُ فِي: «مَا أَنْقَضَ
النَّوْمَ لِعِزَائِمِ الْيَوْمِ»: قَالَ الشَّاعِرُ:

فَتَنَى لَا يَنَامُ عَلَى عِزْمِهِ وَمَنْ صَبَّحَ الْعِزْمَ لَمْ يَرْقِدِ (٣)

مَنْ طَلَبَ الْعُلَى سَهَرَ اللَّيَالِي. (٤) مَنْ يَتَكَبَّرُ الْحَسَنَاءُ يُعْطَى مَهْرًا. (٥)
الْعَازِمُ عَلَى الْعَمَلِ مِنْ أَقْوَى التَّقْضِ لَهُ نَوْْمُهُ عَنْهُ، خَاصَّةً عَنْ مَقْدَمَاتِهِ
الْبَعِيدَةِ وَالْقَرِيبَةِ؛ حَيْثُ لَا يَسَاعِدُهُ الْمَجَالُ لِإِتْيَانِهَا إِذَا ضَاقَ، فَيَفُوتُ
الْمُعْزُومُ عَلَيْهِ لَا مُحَالَةً؛ وَمِنْ ثَمَّ جَاءَ الْأَمْرُ بِالْمَسَارَعَةِ وَالتَّعَجُّيلِ فِي الْخَيْرِ؛ وَكَلَّمَا
كَانَ ذَلِكَ أَهَمَّ فِي نَظَرِ الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ شَدَّدَ النَّهْيَ عَنِ
التَّوَاقُّضِ الَّتِي مِنْهَا النَّوْمُ، وَيَكُونُ مُحَرَّمًا إِذَا لَزِمَ مِنْهُ فُوتُ وَاجِبٍ، أَوْ رُكُوبُ
مُحَرَّمٍ، وَقَدْ جَاءَ: «عَجَّلُوا بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْفُوتِ، وَبِالتَّوْبَةِ قَبْلَ الْمَوْتِ» (٦)
وَقَيَّدَ بِذَلِكَ إِطْلَاقَ التَّبْوِيِّ: «الْأَنَاءَةُ مِنَ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ
الشَّيْطَانِ». (٧) لِأَنَّهُ مِنْ مَوَاطِنِ «خَيْرِ الْخَيْرِ مَا كَانَ عَاجِلُهُ». (٨) وَإِذَا
طَبَّقَ عَلَى شَرْعِ الْهَوَى فَلَا نَوْمَ، فَضْلًا عَنِ التَّقْضِ.

(٤) أمثال وحكم دهمخدا: ١٧٤٤/٤.

(٥) المستقصى ٣٦٤/٢.

(٦) في معناه الوسائل: ٩١/٣.

(٧) الوسائل: ١٢٤/١٨، الأمثال النبوية: ١٨٨/١، رقم المثل: ١١٩ حرف الهمزة

مع النون.

(٨) أمثال وحكم دهمخدا: ٧٦٧/٢.

عجباً للمحبّ كيف ينام كلّ نومٍ على المحبّ حرام (١)
ما قضى الحاجات إلّا شَمِلَ نومه فوق فراشٍ مِنْ نَمال (٢)

١٤٦ - مازني غيور قطّ

قال عليه السلام:

«ما زنى غيور قطّ». (٣)

قال الخطيب: ورواها في (مجمع الأمثال): ج ٢، ص: ٢٩٠ (٤)
هكذا: (ما فجر غيور قطّ)، وعلّق عليه الميداني بقوله: قاله بعض
الحكماء من العرب، ثم قال: يعني: أنّ الغيور الذي يغار على كلّ أنثى.
وعليّ عليه السلام سيّد العرب، كما جاء ذلك في الحديث الشريف، كما
في كتاب معاني الأخبار: ١٠٣. وقد رواها أيضاً الآمدي في

(١) أمثال وحكم دهخدا: ١٠٨٩/٢.

(٢) شرح التهج: ٨٩/٢٠، عند شرح الحكمة المبحوثة، رقم: ٤٥٠.

التمال: التمل يريد: عدم القرار؛ إذ المفترش على التمل لا يمتلكه النوم، والشَمِلَ:
العِذْق القليل الحمل. منتهى الأرب: في (شمل) يكتنى عن الخفيف، كما كُتِيَ عنه
بقولهم: (هَبَّةُ رِيح) وهو المثل السائر في العراق أو (هَب رِيح).

(٣) التهج: ٢١١/١٩، الحكمة: ٣١١.

(٤) الموجود عندي ج: ٢٩٢/٢، حرف الميم.

(غررالحكم) ص: ٣٠٧ وبعدها: (ما أفحش كريم قَطَّ). (١)

قال الشيخ الطريحي: قوله تعالى: «ولا تقربوا الزنى» [٣٢/١٧] هو بالقصر والمد: وطء المرأة حراماً من دون عقد، وعند فقهاءنا هو إيلاج فرج البالغ العاقل في فرج امرأة محرمة من غير عقد ولا ملك ولا شبهة قدر الحشفة عالماً مختاراً. والزاني: فاعل الزنا.

وفي الحديث: «لا يزني الزاني، حين يزني، وهو مؤمن». وفي معناه وجوه، (٢) والوجوه خمسة، فراجعها.

والغيور فعول من الغيرة بالكسر: نفرة طبيعة، تكون عن بخل مشاركة الغير في أمر محبوب له. والغيرة: الذية، وجمعها غَيْر ككسرة و كسر، وجمع الغَيْر أغيار، كضلع وأضلاع. (٣)

قال ابن أبي الحديد: قد جاء في الأثر: «مَنْ زَنَى زُنِيَ بِهِ، وَلَوْ فِي عَقْبِ عَقْبِهِ». وهذا قد جَرَّب، فوجد حقاً، وَقَلَّ مَنْ كَانَ مُقْدِماً عَلَى الزَّانَا إِلَّا وَالْقَوْلَ فِي حَرَمِهِ وَأَهْلِهِ وَذَوِي مُحَارَمَتِهِ كَثِيرٌ فَاشٍ، وَالْكَلِمَةُ الَّتِي قَالَهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ حَقٌّ؛ لِأَنَّ مَنْ اعْتَادَ الزَّانَا حَتَّى صَارَ دُرْبَتَهُ وَعَادَتَهُ، وَأَلْفَتَهُ نَفْسُهُ، لَا بَدَّ أَنْ يَهُونَ عَلَيْهِ، حَتَّى يَظُنَّهُ مُبَاحاً أَوْ كَالْمُبَاحِ؛ لِأَنَّ مَنْ تَدَرَّبَ بِشَيْءٍ وَمَرَّنَ عَلَيْهِ زَالَ قَبْحُهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَإِذَا زَالَ قَبْحُ الزَّانَا مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَعْظُمَ عَلَيْهِ مَا يُقَالُ فِي أَهْلِهِ، وَإِذَا لَمْ يَعْظُمَ عَلَيْهِ مَا يُقَالُ فِي أَهْلِهِ فَقَدْ سَقَطَتْ غَيْرَتُهُ. (٤)

(٢) مجمع البحرين: في (زنا).

(١) مصادر التهج: ٢٣٩/٤.

(٣) مجمع البحرين: في (غير). وقوله: وجمع الغير إلخ لا يخلو من شيء.

(٤) شرح التهج: ٢١١/١٩.

والغيرة من صفات الله والأنبياء والمؤمنين، يمتازون بها عَمَّنْ سواهم. ففي حديث صادقٍ: «إِنَّ اللَّهَ غَيُورٌ، يُحِبُّ كُلَّ غَيُورٍ، وَمَنْ غَيَّرَهُ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ ظَاهِرَهَا وَبَاطِنَهَا». (١) ونبوي: «كَانَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ غَيُورًا، وَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَأَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَ مَنْ لَا يَغَارُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»، ونبوي آخر: «إِنَّ الْغَيْرَةَ مِنَ الْإِيمَانِ». وبقري: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلِ الْغَيْرَةَ لِلنِّسَاءِ، وَإِنَّمَا جَعَلَ الْغَيْرَةَ لِلرِّجَالِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَحَلَّ لِلرَّجُلِ رُبْعَةَ حَرَائِرٍ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ، وَلَمْ يَجْعَلِ لِلْمَرْأَةِ إِلَّا زَوْجَهَا وَحْدَهُ، فَإِنْ بَغَتْ مَعَ زَوْجِهَا غَيْرَهُ كَانَتْ عِنْدَ اللَّهِ زَانِيَةً، وَإِنَّمَا تَغَارُ الْمُنْكَرَاتُ مِنْهُمْ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنَاتُ فَلَا». (٢)

تقدّم ما كتبنا في جعفر بن أبي طالب عليها السّلام حديث أبي جعفر عليه السّلام، قال: «أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى رَسُولِهِ: إِنِّي شَكَرْتُ لْجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَرْبَعَ مَحْصَالٍ، فَدَعَاهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ - فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ: لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخْبَرَكَ مَا أَخْبَرْتُكَ: مَا شَرِبْتُ خَمْرًا قَطُّ؛ لِأَنِّي عَلِمْتُ أَنِّي إِنْ شَرِبْتُهَا زَالَ عَقْلِي، وَمَا كَذَبْتُ قَطُّ؛ لِأَنَّ الْكَذِبَ يَنْقُصُ الْمُرُوءَةَ، وَمَا زَنَيْتُ قَطُّ؛ لِأَنِّي خِفْتُ أَنِّي إِذَا عَمَلْتُ عَمَلًا بِي، وَمَا عَبَدْتُ صَنَمًا قَطُّ؛ لِأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ قَالَ: فَضَرَبَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ - يَدَهُ عَلَى عَاتِقِهِ، وَقَالَ: حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ لَكَ جَنَاحَيْنِ تَطِيرُ بِهِمَا مَعَ الْمَلَائِكَةِ». (٣)

(٢) الوسائل: ١٠٨/١٤ - ١٠٩.

(١) الوسائل: ١٠٨/١٤.

(٣) السفينة: ٥٠١/١، في (ربع). وذكرناه تحت المثل: «الْمَوْتُ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ الشَّرْبَةِ الْبَارِدَةِ...»، حرف الميم مع الواو من الأمثال العلوية.

في صادقَيَّ: «أربع خصال لا تكون في مؤمن: لا يكون مجنوناً، ولا يسأل عن أبواب الناس، ولا يولد من الزنا، ولا ينكح في دبره». (١) ذكرناه لأدنى مناسبة البحث عن الزنا. وعلوي: «أربعة لا تدخل واحدة منهن بيتاً إلا خرب ولم يعمر: الخيانة، والسرقة، وشرب الخمر، والزنا». (٢) ونبوي: «إذا كثر الزنا من بعدي كثرت الفجأة».

عن أبي حمزة قال: «كنت عند علي بن الحسين عليها السلام، فجاءه رجل فقال: يا أبا محمد! إني مبتلى بالنساء، فأزني يوماً، وأصوم يوماً، فيكون ذاك كفارة لذا. فقال له علي بن الحسين عليها السلام: إنه ليس شيء أحب إلى الله عز وجل من أن يطاع فلا يعصى، فلا تزني ولا تصم، فاجتنبه أبوجعفر عليه السلام إليه، فأخذه بيده، فقال: يا أبازنّة. (٣) تعمل عمل أهل النار وترجو أن تدخل الجنة». (٤)

وصحيح القداح عن الصادق عليه السلام، قال: «قال يعقوب لابنه: يا بني! لا تزني فإن الطير لو زنا لتناثر ريشه».

والتبوي: «في الزنا خمس خصال: يذهب بماء الوجه، ويورث الفقر، وينقص العمر، ويسخط الرحمن، ويخلد في النار، نعوذ بالله من النار». (٥)

وأهم ما يورثه بعد سخط الله والخلود في النار خزي الدنيا من الفعل

(١) الخصال: ٢٢٩/١، باب الأربعة. (٢) الخصال: ٢٣٠/١ - ٢٣١.

(٣) أبوزنّة كنية القرد. فروع الكافي: ٢٣١/٥. (٤) الوسائل: ٢٣١/١٤.

(٥) الوسائل: ٢٣٢/١٤.

بأهله لفعله بِحَرَمِ النَّاسِ؛ روى البرقي بسنده عن الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَزْنُوا فَتُزْنِي نِسَاؤُكُمْ، وَمَنْ وَطِئَ فِرَاشَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ وَطِئَ فِرَاشَهُ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ». (١)

وصادقِي: «إِنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلْحَوَارِيِّينَ: إِنَّ مُوسَى أَمَرَكُمْ أَنْ لَا تَحْلِفُوا بِاللَّهِ كَاذِبِينَ، أَنَا أَمَرَكُمْ أَنْ لَا تَحْلِفُوا بِاللَّهِ كَاذِبِينَ وَلَا صَادِقِينَ، قَالُوا: زِدْنَا، قَالَ: إِنَّ مُوسَى أَمَرَكُمْ أَنْ لَا تَزْنُوا، وَأَنَا أَمَرَكُمْ أَنْ لَا تَحْدِثُوا أَنْفُسَكُمْ بِالزَّنا فَضْلاً عَنْ أَنْ تَزْنُوا، فَإِنَّ مَنْ حَدَّثَ نَفْسَهُ بِالزَّنا كَانَ كَمَنْ أَوْقَدَ فِي بَيْتٍ مَزْوَقٍ، فَافْسَدَ التَّرَاقِيقَ الدِّخَانَ، وَإِنْ لَمْ يَحْتَرِقِ الْبَيْتُ». (٢)

وصادقِي آخِرُ: «كَانَتْ امْرَأَةٌ عَلَى عَهْدِ دَاوُدَ، يَأْتِيهَا رَجُلٌ يَسْتَكْرِهَهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَأَلْقَى اللَّهُ عَرَّوَجَلًا فِي قَلْبِهَا، فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّكَ لَا تَأْتِينِي مَرَّةً إِلَّا وَعِنْدَ أَهْلِكَ مَنْ يَأْتِيهِمْ. قَالَ: فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ، فَوَجَدَ عِنْدَ أَهْلِهِ رَجُلًا، فَأَتَى بِهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! وَجَدْتُ هَذَا الرَّجُلَ عِنْدَ أَهْلِي، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى دَاوُدَ: قُلْ لَهُ: كَمَا تَدِينُ تُدَانُ». (٣) وعن الباقرَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ يَصِيبُ حَظًّا مِنَ الزَّنا، فَرْنَا الْعَيْنَيْنِ النَّظَرَ، وَزْنَا الْفَمَ الْقُبْلَةَ، وَزْنَا الْيَدَيْنِ اللَّمَسَ، صَدَقَ الْفَرْجُ ذَلِكَ أَمْ كَذَبَ». (٤)

وَمِنْ أَجْلَى مَظَاهِرِ الشَّهْوَةِ الْبَشَرِيَّةِ الْفَرْجُ، وَالْبَطْنُ، وَاللِّسَانُ، وَمَنْ

(٣) الوسائل: ٢٦٩/١٤.

(٤) الوسائل: ٢٤٦/١٤.

(١) الوسائل: ٢٣٦/١٤.

(٢) الوسائل: ٢٤٠/١٤.

وقاها وُقِيَ الشَّرَّ كُلَّهُ، كما جاء ذلك في أحاديث أهل البيت عليهم السلام، منها: الصادقي: «إِنَّمَا شِيعَةُ جَعْفَرٍ مَنُ عَقَبَ بَطْنُهُ، وَفَرَجُهُ، وَاشْتَدَّ جِهَادُهُ...» (١) والتَّبَوِيُّ: «مَنْ ضَمَّنَ لِي اثْنَتَيْنِ ضَمَنْتُ لَهُ عَلَى اللَّهِ الْجَنَّةَ، مَنْ ضَمَّنَ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَتَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، ضَمَنْتُ لَهُ عَلَى اللَّهِ الْجَنَّةَ، يَعْنِي: ضَمَّنَ لِي لِسَانَهُ وَفَرَجَهُ» (٢) ومنها: «مَنْ وَقَى شَرَّ لَقْلَقِهِ وَقَبَقَبِهِ وَذَبَذَبِهِ فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» (٣) اللَّقْلَقُ: اللِّسَانُ، وَالْقَبَقَبُ: الْبَطْنُ، وَالذَّبَذَبُ: الْفَرْجُ. ومنه المَثَلُ: (مَنْ وَقَى شَرَّ لَقْلَقِهِ وَقَبَقَبِهِ وَذَبَذَبِهِ فَقَدْ وَقَى) يضرب لِمَنْ يُكْثِرُ. (٤) وقد أخذ منه مَنْ قَالَ شِعْرًا:

لَقْلَقِي قَبَقَبِي ذَبَذَبِي عَنْ التَّاذِ طُرِحَتْ بِجَانِبِ (٥).



مركز تحقيقات كليات علوم إسلامي

- (١) الوسائل: ١٩٩/١١ - ٢٠٠.
 - (٢) الوسائل: ١٩٩/١١.
 - (٣) السفينة: ٢٤/١، في (أكل). الأمثال النبوية: ٢٨٩/٢، رقم المَثَل: ٥٨٤، حرف الميم مع التَّوْنِ.
 - (٤) مجمع الأمثال: ٣٠٠/٢. حرف الميم. الأمثال النبوية: ٢٢٧/١ - ٢٢٨، رقم المَثَل: ١٤٦، حرف الهَمْزَة مع التَّوْنِ. ما يَمَسُّ بِهِ الْبَحْثُ.
 - (٥) الأمثال النبوية: ٢٢٨/١، رقم المَثَل: ١٤٦، وج: ٢٨٩/٢، رقم المَثَل: ٥٨٤، حرف الميم مع التَّوْنِ.
- وَمَنْ ذَكَرَ الْمَثَلَ الْمِيدَانِيَّ وَلَكِنْ بِلَفْظٍ: «مَا فَجَّرَ غَيُورٌ قَطْ» قَالَهُ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ مِنَ الْعَرَبِ: يَعْنِي: أَنَّ الْغَيُورَ الَّذِي يَغَارُ عَلَى كُلِّ أُنْثَى. مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ: ٢٩٢/٢، حَرْفُ الْمِيمِ. لَعَلَّ يَرِيدُ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الْإِمَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا ذَكَرْنَا فِي أَوَّلِ الْبَحْثِ.

١٤٧ - مَا عَدَا مِمَّا بَدَا

جاء المَثَل في آخر كلام له عليه السَّلام، لَمَّا أَنْفَدَ عبد الله بن عباس إلى الزَّبير قبل وقوع الحرب يوم الجَمَل، ليستفيئه إلى طاعته: «لا تَلْقَيْنِ طلحة؛ فَإِنَّكَ إِن تَلَقِهِ تجده كالثَّور عاقصاً قَرْنَه، يركب الصَّعب، ويقول: هو الذَّلُول؛ وَلَكِنْ أَلْقِ الزَّبير؛ فَإِنَّه أَلِين عريكة، فقل له: يقول لك ابن خالك: عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ، وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ؛ فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا».

قال الرَضِي رَحِمَهُ اللهُ: وهو عليه السَّلام أَوَّلُ مَنْ سَمِعَتْ مِنْهُ هذه الكلمة، أَغْنَى: «فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا». (١)

كَتَبَهَا كُلٌّ مِنَ المِيدَانِي (٢) والمَفْضَل (٣) وغيرهما، ناسبين بها إلى أمير المؤمنين عليه السَّلام، وهي صالحة للمَثَل، بل هي هو. قال القطب الرَّائِدِي: قوله: «فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا» له معنيان:

(١) التَّهْج: ١٦٢/٢، كلام: ٣١.

(٢) المَجْمَع: ٢٩٦/٢، حرف الميم.

(٣) الفَاخِر: ٣٠١.

أحدهما: ما الذي مَنَعَكَ مِمَّا. كان قد بدا منك من البيعة، قبل هذه الحالة؟ الثاني: ما الذي عاقَكَ؟ ويكون المفعول الثاني لـ (عَدَا) محذوفاً، يدلّ عليه الكلام: أي ما عَدَاكَ؟! يريد: ما شَغَلَكَ، وما مَنَعَكَ مِمَّا كان بدا لك من نصرتي؟! (١)

وقيل: المعنى: ما الذي صدّكَ عن طاعتي بعد إظهارك لها؟ وحذف الضمير المفعول المنصوب كثير جداً، كقوله تعالى: «وَسُئِلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا». (٢) أي أرسلناه. (٣)

من كلمات قصارٍ صالحةٍ للمَثَل كما تقدّم. قيل: أجاب الزبير بعد إبلاغه -: أبلغه سلامي، وقُلْ له: عَهْدُ خَلِيفَةٍ، وَدَمُ خَلِيفَةٍ، وَإِجْمَاعُ ثَلَاثَةٍ، وَانْفِرَادُ وَاحِدٍ، وَأُمٌّ مَبْرُورَةٌ، وَمُشَاوَرَةُ الْعَشِيرَةِ- (٤).



١٤٨ - ما قلّ منه خيرٌ ممّا كثر

من كلام له عليه السلام في صفة مَنْ يتصدّى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهلٍ:
«وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا، مُوضِعٌ فِي جَهَالِ الْأُمَّةِ، عَادٍ فِي أَغْبَاشِ

(١) شرح التهج: ١٦٤/٢.

(٢) الزخرف: ٤٥.

(٣) شرح التهج: ١٦٤/٢.

(٤) الفاخر: ٣٠١.

الفتنة، عَمَ بما في عقد الهدنة، قد سَمَاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عالماً، وليس بِهِ.
بَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ مَنْ جَمَعَ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ». (١)

هذا بعض كلماته الحكيمية في صفة المتصدي للحكم القسم الثاني،
وَأَمَّا الْأَوَّلُ مِنْهُ فَرَا جَع: «حَمَالُ خَطَايَا غَيْرِهِ». (٢)

قوله عليه السلام: (قَمَشَ جَهْلًا) مِنَ الْقَمَشِ بِالْفَتْحِ فَالسَّكُونُ: وَهُوَ
جَمْعُ الشَّيْءِ مِنْ هُنَا وَهُنَا، وَمِثْلُهُ التَّقَمَّشُ، وَقُمَاشُ الْبَيْتِ بِالضَّمِّ:
مَتَاعُهُ. (٣) «مَوْضِعٌ فِي جَهَالِ الْأُمَّةِ» مِنْ أَوْضَعَ الْبَعِيرَ: أَسْرَعَ. وَأَوْضَعَهُ
رَاكِبَهُ: أَسْرَعَ بِهِ. (٤) وَيَحْتَمِلُ كَوْنَهُ مِنَ الْوَضْعِ بِمَعْنَى: الْجَعْلُ: أَيِ جَاعِلِ
نَفْسِهِ فِي الْجَهَالِ بِعَمَلِهِ.

«عَادَ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ»، الْأَغْبَاشُ: بَقَايَا ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَهِيَ بَعْدَ
الْفَجْرِ عَادَةً: أَيِ يُصْبِحُ مُغْبِشًا فِي الْفِتْنَةِ: أَيِ: مُجَدِّ دَائِبٍ، وَفِي لَفْظِ
(غَارَ): أَيِ يَغْرَالُ النَّاسُ بِبَقَائِهِ فِي بَقَايَا الْفِتْنَةِ، وَآخِرُ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا. (عَمَ)
مِنَ الْعَمَى: أَيِ لَا يَبْصُرُ مَصَالِحَ الْهُدْنَةِ أَوِ الْحَرْبِ، فَيَخْلُطُ أَحَدُهُمَا
بِالْآخَرِ. (أَشْبَاهُ النَّاسِ)، بِالصُّورَةِ إِنْسَانٌ، وَبِالسَّيْرِ حَيَوَانٌ، فَيَزْعُمُونَهُ
مِنَ الْعُلَمَاءِ وَلَيْسَ مِنْهُمْ.

«بَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمِيعٍ»: أَيِ يُصْبِحُ وَقَدْ هَيَأَ مِنْ مَزْعَبَاتِهِ وَ

(١) التهج: ٢٨٣/١، كلام: ١٧.

(٢) حرف الحاء مع الميم.

(٣) مجمع البحرين: في (قش).

(٤) النهاية: في (وضع).

تحتلته الباطلة ما يفرح بجمعها؛ يزعم أنها علوم ومعارف، وليست بها، بل أوهام فاسدة، قليلها خير من كثيرها، والخير لقليل ضررها، وإلا فلا خير في الأوهام الباطلة، نظير قول يوسف عليه السلام: «رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ» (١). فالسجن محبوب بالقياس إلى دعوة نساء مصر، وإلا فلا حب في السجن فضلاً عن أحببته.

والمثل: «ما قلَّ منه خيرٌ ممَّا كثر» قياس مظهر في الأخذ بأقل الشرين، وبه يمتاز العاقل عن غيره كما قال عليه السلام: «وليس العاقل من يعرف الخير من الشر ولكن العاقل من يعرف خير الشرين» (٢). ولا ريب بأن الأقل من جهالات الجاهل خير من أكثرها عند الدوران في الأخذ، هذا إذا تساوى في الكيفية.

وبين كمية الشرور وكيفية عموم وخصوص من وجه، فرب قليل منها شر من كثيرها، إذا انضمت إليه حالة أوجب ذلك، وربما انعكس الأمر: أي القليل خير من الكثير، وهو الغالب؛ فالكمية والكيفية علة الخير والشر للشيء، كما لا يخفى على المحاسب الفطن؛ وهذه قاعدة عقلية مطردة في جميع الأشياء عند المقايسة بينها، ثم الأخذ بخيرها وشرها، والمقام من موارد هذه القاعدة، فاعرفها حتى تطبقها تماماً. ولعل قوله تعالى: «يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ» (٣) من نظائر المقايسة العقلية عند الدوران.

(٢) بحار الأنوار: ٦/٧٨.

(١) يوسف: ٣٣.

(٣) الحج: ١٣.

١٤٩ - ما كلّ مفتون يعاتب

قال عليه السّلام:

«ما كلّ مفتون يعاتب» (١).

قال ابن أبي الحديد: هذه الكلمة قالها عليّ عليه السّلام لسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وعبدالله بن عمر، لما امتنعوا من الخروج معه لحرب أصحاب الجمل. ونظيرها (أي نظير الكلمة) أو قريب منها قول أبي الطيّب:

فما كلّ فعال يُجازى بفعله ولا كلّ قوالٍ لسديّ يجاب
وربّ كلامٍ مرّ فوق سامعي كما طنّ في لفح الهجير ذباب (٢)

قال عبد الزّهراء: وروى المفيد في كتاب (الجمل) عن كتاب (الجمل) لأبي مخنف المتوفى (١٧٥) قال: لما همّ عليّ عليه السّلام بالمسير إلى البصرة، بلغه عن سعد بن أبي وقاص، وابن مسلمة،

(١) التّهج: ١١٩/١٨، الحكمة: ١٦.

(٢) شرح التّهج: ١١٩/١٨.

وأُسامة بن زيد، وابن عمر ثاقلهم عنه، فَبَعَثَ إليهم، فلَمَّا حضروا، قال لهم: بلغني عنكم هُناكَ كرهُها، وأنا لا أَكرهكم على المسير معي، أَلَسْتُمْ على بيعتي؟ قالوا:

بلى، قال: فما الَّذي يقعدكم عن صحبتي؟

قال سعد: إني أَكره الخروج في هذه الحرب فأُصيب مؤمناً، فإن أعطيتني سَيْفاً يعرف المؤمن من الكافر، قاتلتُ معك. وقال له أُسامة: أَنْتَ أعزَّ الخلق عليّ، ولكنتي عاهدتُ الله أن لا أُقاتل أهل لا إله إلا الله.

وكان أُسامة قد أهوى بُرُوحه في عهد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم إلى رجل في الحرب من المُشركين، فخافه الرجل، فقال: لا إله إلا الله، فشجره بالرمح فَقَتَلَهُ، فبلغ النبي - صَلَّى الله عليه وآله وسلم - خبره، فقال: يا أُسامة! أَقَتَلْتَ رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله؟ فقال: يا رسول الله! إنما قالها تعوذاً. فقال: ألا أشفقت عن قتله؟ فزعم أُسامة أنَّ النبي - صَلَّى الله عليه وآله وسلم - أَمَرَهُ أن يقاتل بِسَيْفه لمُشركين، فإذا قُوتِل المسلمون، ضرب بسيفه الحَجَرَ فَكَسَرَهُ.

وقال عبد الله بن عمر: لستُ أَعرفُ في هذه الحرب شيئاً، أسألك أن لا تحملني على ما لا أَعرفُ.

فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: «ليس كلّ مفتونٍ يعاتب، أَلَسْتُمْ على بيعتي؟ قالوا: بلى. قال: انصرفوا، فسيغني الله عنكم».

وروى هذه الكلمة أيضاً أبو الحسن المعتزلي في (غرر الأدلة)، والقضاعي في (دستور معالم الحكم) ص ٢٠، والآمدي في (الغرر) ص:

٣٠٧ كرواية الشريف الرضي بنصها. (١)

أقول: عذر هؤلاء غير مقبول بعد إعطاء البيعة الشرعية له عليه السلام، وليس معنى قوله: «ما كل مفتون يعاتب» على فرض التطبيق عليهم: قبول عذرهم الشرعي، فإن هذه الكلمة كما يقال في عدم توجه العتاب على كل داخل في فتنة، يقال أيضاً عند اليأس من صنع الموعظة، وتأثيرها في قلب المفتون، لأنه معذور شرعاً وعقلاً، بل يأساً من التأثير، وإلا فكيف يأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام بقتال القاسطين والمارقين والتناكثين، كما ثبت من صحاحهم، (٢) ثم يأمر ابن مسلمة وغيره بالقعود عن نصرة؟!؟!؟

وهو الذي قال صلى الله عليه وآله وسلم فيه: «علي مع الحق، والحق مع علي، ولن يفترقا» حتى يردا علي الحوض يوم القيامة»؛ (٣) والمعصوم المنصوص عليه بالنصوص، ولا غرو أن يتخلف من تخلف عنه في هذه الحرب، وليس هي أول قارورة كسرت (٤) والخلافة من أهم الأمور، نُوزعت حتى قُدم من قُدم!.

(١) مصادر النهج: ١٦/٤ - ١٧.

(٢) الغدير: ١٩٢/٣ - ١٩٥.

(٣) الغدير: ١٧٧/٣.

(٤) أمثال وحكم دهنخدا: ١٣٧٥/٣.

١٥٠ - المال مادة الشهوات

قال عليه السلام:
«المال مادة الشهوات» (١).

رواه الشيخ المجلسي رحمه الله (٢) وجمع من كتاب الحديث (٣) ومن
كتاب الأدب (٤).

والمال في الأصل: ما يملك من الذهب والفضة، ثم أطلق على كل ما يقتنى، ويملك من الأعيان، وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل؛ لأنها كانت أكثر أموالهم، وقد تكرر ذكر المال على اختلاف مسمياته في الحديث، ويفرق فيها بالقرائن (٥) فكل ما يتمول مالاً ماداً للشهوات:

والمادة: الزيادة المتصلة، ومنه مادة الحمام المتصلة به (٦) ومنه

(١) التهج: ١٩٣/١٨، الحكمة: ٥٦. (٢) البحار: ١٤/٧٨.

(٣) مصادر التهج: ٥٠/٤، نقلاً عن غرر الحكم. ومطالب السؤل: ١٦٤/١.

(٤) مجمع الأمثال: ٤٥٥/٢.

(٥) النهاية: في (مول).

(٦) مجمع البحرين: في (مدد).

صحيح ابن بزيع عن الرضا عليه السلام قال: «ماء البئر واسع لا يفسده شيء، إلا أن يتغير ريحه أو طعمه، فينزع حتى يذهب الريح، ويطيب طعمه؛ لأن له مادة». (١)

والشّهوات واحدها الشهوة، مصدر (شهِيَ) بكسر الهاء (يَشْهِي): الرغبة والحب الشديد بما يلائم النفس، وتلذّبه. وقيل: هي انفعال النفس بالشّعور بالحاجة إلى ما تستلذه. (٢) ومنها قوله تعالى «زَيْن للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين...». (٣)

وَمَنْ أَحَبَّ شَيْئاً وَلَمْ يَزِنْ لَهُ يَوْشَكَ أَنْ يَرْجِعَ عَنْ حُبِّهِ يَوْمًا، وَأَمَّا مَنْ زَيْنَ لَهُ حُبَّهُ لَشَيْءٍ فَلَا يَكَادُ يَرْجِعُ عَنْهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْتَهَى الْحُبِّ، وَصَاحِبُهُ لَا يَكَادُ يَفْطِنُ لِقُبْحِهِ، وَلَا يَحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ وَإِنْ تَأَذَّى بِهِ.

قال المجنون:

وقالوا: لو تشاء سلبت عنها فقلت لهم: وإني لا أشاء (٤)

والتبوي: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الرِّيَاءَ وَالشَّهْوَةَ الْخَفِيَّةَ». قيل: هي كلّ شيء من المعاصي، يُضمّره صاحبه ويصرّ عليه وإن لم يعمل به. وقيل: هو أن يرى جارية حَسَنَاءَ فيغضّ ظرفه، ثم ينظر بقلبه كما كان ينظر بعينه. (٥)

(٤) تفسير المنار: ٢٣٨/٣.

(٥) النهاية: في (شها).

(١) الوسائل: ١٢٦/١ - ١٢٧.

(٢) تفسير المنار: ٢٣٨/٣.

(٣) آل عمران: ١٤.

والمال أيسر شيءٍ للحصول على المشتريات والملاذِّ الدنيويَّة، يمدُّ صاحبه حتَّى يظفرها، وقد تناول القرآن الكريم المال في أكثر من ثمانين موضعاً، قدحاً أو قدحاً من جهة صرفه في الخير أو الشرِّ؛ من الخير قوله عزَّ وجلَّ: «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» (١). ومن الثاني: «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبُطْلِ» (٢). وكل ما جاء من ذمٍّ أو مدحٍ في المال، في الكتاب والسنة، أوفى نظم أُنشِرَ عن الحكماء والشعراء وغيرهم إنَّما هو عن هاتين الجهتين، وإلَّا فالمال بنفسه لا قدح فيه ولا مدح، والأغلب صرفه فيما يضرُّ بدِين الإنسان من الشهوات وغيرها، إذ أكثر الناس إلَّا مَنْ وفقه الله عزَّ وجلَّ تابع للنفس، والمخالف لها قليلٌ جدًّا.

ومن هنا قال الإمام عليه السلام: «المال مادة الشهوات» وإلَّا فهو مادةٌ لغيرها من أمور الخير أيضاً، ومع ذلك جاء في مدح الفقر: (حَسْبُكَ مِنْ شَرَفِ الْفَقْرِ أَنَّكَ لَا تَرَى أَحَدًا يَعْصِي اللَّهَ لِيَفْتَقِرَ، وَالْعَاصِي لِتَحْصِيلِ الْغِنَى كَثِيرٌ). وقال محمود الوراق:

يا عائب الفقر ألا تزدر	عيب الغنى أكثر لو تعتبر
من شرف الفقر ومن فضله	على الغنى إن صَحَّ منك النظر
إنك تعصي الله تبغي الغنى	ولست تعصي الله كي تفتقر (٣).

(١) البقرة: ٢٧٤.

(٢) البقرة: ١٨٨.

(٣) التمثيل والمحاضرة: ٣٩٤.

١٥١ - المتعلق بها كالواغل المدفع والتوط المذبذب

من كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه، وقد بلغه أن معاوية كتب إليه، يريد خديعته باستخلافه:

«...وقد كان من أبي سفيان في زمن عمر بن الخطاب قلته من حديث النفس، ونزعة من نزعات الشيطان، لا يثبت بها نسب، ولا يستحق بها إرث، والمتعلق بها كالواغل المدفع، والتوط المذبذب». (١)



مرکز تحقیقات فقهی و حقوقی اسلامی

قال الرضي رحمه الله: قوله عليه السلام: (الواغل): هو الذي يهجم على الشرب ليشرب معهم، وليس منهم، فلا يزال مدفعاً محاجزاً. (والتوط المذبذب): هو ما يناط برجل الراكب من قعب أو قدح أو ما أشبه ذلك، فهو أبداً يتقلقل إذا حث ظهره، واستعجل سيره. وقيل: (الواغل): غير المدعو إلى وليمة، المعبر عنه بالطفيل، لا يزال يدفع بإخراجه عن ذلك. (٢)

(١) التهج: ١٧٧/١٦، ك ٤٤.

(٢) هامش بعض نسخ التهج.

قوله عليه السلام: (فلتة)، الفلته: وقوع الأمر من غير تدبرٍ ولا رويةٍ، وكل شيء يفعلُه الإنسان فجأةً من غير تدبرٍ ولا رويةٍ، ومنه قول عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة، وفي الله شرّها. (١)

ومراده عليه السلام من فلتة أبي سفيان: قَوْلُهُ في تبني زياد وأنه ولده، لا يثبت بهذا القول بنوةٌ في ظاهر الشرع يتوارث عليها، فشبهه عليه السلام المتعلق بها بمن يهجم على ورد ماء ليس من أصحابه، فيدفع عنه، ويمنع عن ورود الورد أشد المنع، أو بمن علق على دابته قعباً أو قدحاً متقلقلاً أبداً. وكلا التمثيلين لمُدعي بنوة من لا يكون له.

١٥٢ - مَثَلُ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَثَلِ نَجْمِ السَّمَاءِ

مركز تحقيق التراث

في آخر خطبة له عليه السلام:
«... ألا إنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَثَلِ نَجْمِ السَّمَاءِ، إذا خَوَى نَجْمٌ طلعَ نَجْمٌ». (٢)

تمثيلهم عليهم السلام بالنجوم متكرّر في أحاديثهم، كما جاء عن النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلّم ما يطابق ذلك. روى الشيخ الصدوق

(١) مجمع البحرين: في (فلت).

(٢) التهجد: ٨٤/٧، ط ٩٩.

بسنده إلى ابن عباس في حديث، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: «... ومثلكم مثل النجوم، كلما غاب نجم طلع نجم إلى يوم القيامة». (١)

إذا جهل السالكون الطريق في الليل المظلم اهتدوا بنجوم السماء، كما قال تعالى: «وبالنجم هم يهتدون». (٢) بإضاءتها وانتظام الساكنة والسائرة منها، حيث يستدل بوضعها على قطاع الأرض المتقسمة إلى أقاليمها السبعة، وعلى أبعاد الليل وساعاته.

والناس إذا جهلوا - والجهل أصلهم، حيث أخرجوا من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً، كما في الآية: «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً». (٣) - افتقروا إلى الإضاءة في السلوك إلى الله تعالى إلى هداية يهدونهم سبل السلام؛ من هنا جاء تمثيلهم عليهم السلام بالنجوم، ووقع في محله!

والمشابهة بين أهل البيت عليهم السلام والنجوم من وجوه هي: الإضاءة، وامتدادها، بقيام إمام عند موت إمام، كطلوع نجم إذا خوى نجم، والرفعة المختصة بهم عليهم السلام التي اختارها الله تعالى لهم، لا يشاركهم غيرهم فيها، وسرور الناظر إلى نجوم الولاية كما يسره إذا نظر

(١) الأُمالي: ٢٣٨. الأمثال النبوية: ٢/٢٠٤، رقم المثل: ٥٠٩، حرف الميم مع الشاء.

(٢) التحل: ١٦.

(٣) التحل: ٧٨.

إلى نجوم السماء. وغيرها من وجوه لا تحصل بتمثيل الشمس والقمر، وإن جاء في دعاء التدبئة: «أين الشَّموس الطالعة، والأقار المُنيرة». (١) وغير الدعاء لاختلاف وجهة الأهداف من التمثيل. وإن شئت الوصول إلى واقع التمثيل فابحث عن لزوم الحجّة في الأرض واستحالة خلّوها عند العقول والفطرة السليمة التي تؤيّدُها صحاح الأخبار، أنّه لوخلت عن الحجّة لساخت بأهلها (٢).

١٥٣ - مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ

قال عليه السّلام:

«مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ، لَيْتَ مَسَّهَا، وَالسُّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا، يَهْوِي إِلَيْهَا الْغَيْرُ الْجَاهِلُ، وَيَحْذَرُهَا ذُو اللَّبِّ الْعَاقِلُ». (٣)

يشابه المَثَلُ المَثَلُ الآخر منه عليه السّلام، في كتاب له كتبه إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته:

«أما بعد، فإنّما مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ، لَيْتَ مَسَّهَا، قَاتِلَ سَمَّهَا، فَأَعْرِضْ عَمَّا يَعْجِبُكَ فِيهَا، لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا...» (٤).

(٣) التّهج: ٢٨٤/١٨، ح ١١٥.

(٤) التّهج: ٣٤/١٨، كتاب ٦٨.

(١) المفاتيح: ٥٣٥.

(٢) أصول الكافي: ١/١٧٨.

لا يفتقر المثلان إلى توضيح بعد القدر المشترك بين الحية والدنيا في إهلاك مزاويلهما، وأنها عدو الإنسان، والعاقلة يكون على حذر دائماً منها.

يقول أبو العتاهية:

إنما الدهر أرقم لسن المدسّ وفي نابه السقام العقام (١)

وتجد الإمام عليه السلام يمثل الدنيا بما يحذر الناس من اعتناقها، إلا بقدر الحاجة، والقرآن الكريم والسنة النبوية وتمام روايات أهل البيت عليهم السلام تحذّرهم عنها غاية التحذير، وقد جاء في الحديث: «حبّ الدنيا رأس كل خطيئة» (٢).

وجاءت تمثيلات للدنيا ببيت العنكبوت، والعجوز، والبحر العميق، وفصول السنة، والماء النازل من السماء، والخضرة؛ في الكتاب والسنة، وكل ذلك يشهد له الواقع، ولولا الإطالة لأنجزنا الحوالة.

وكان عمل الإمام عليه السلام وزهده في الدنيا، بل وعمل أهل البيت عليهم السلام وزهدهم فيها، يجسد التحذير عنها أكثر منه من القول؛ لأنّ العمل يترك في النفوس من الأثر غير الموصوف.

(١) شرح التهج: ٢٨٤/١٨.

(٢) الوسائل: ٣٠٨/١١.

١٥٤ - مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفَرٍ سَلَكَوا سَبِيلًا

من خطبة له عليه السّلام:

«نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ، وَنَسْأَلُهُ الْمَعَافَاةَ فِي الْأَدْيَانِ، كَمَا نَسْأَلُهُ الْمَعَافَاةَ فِي الْأَبْدَانِ. أَوْصِيَكُمْ بِالرَّفْضِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ، وَإِنْ لَمْ تَحِبَّوا تَرْكَهَا، وَالْمُبْلِيَةَ لِأَجْسَامِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تَحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا؛ فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفَرٍ سَلَكَوا سَبِيلًا، فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ، وَأَقْمُوا عَمَلًا، فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ، وَكَمْ عَسَى الْمُجْرِي إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَهَا! وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعْدُوهُ. وَطَالِبٌ حَتَّى يَخْلُصَ مِنَ الْمَوْتِ يَحْدُوهُ، وَمَزْعَجٌ فِي الدُّنْيَا عَنِ الدُّنْيَا حَتَّى يَفَارِقَهَا رَغْمًا». (١)

وهي مطوّلة، جئنا بقسم منها اشتمل على التمثيل، وما يمت به من صلة.

قال الشّارح: لقد ظرف وأبدع عليه السّلام في قوله: «ونسأله المعافاة في الأدیان، كما نسأله المعافاة في الأبدان»؛ وذلك أنّ للأديان سقماً وطباً وشفاءً، كما أنّ للأبدان سقماً وطباً وشفاءً. قال محمود الوراق:

(١) التّهج: ٨٠/٧، ط ٩٨.

وإذا قرضت من الذنوب فداوها بالذكر إن الذكر خير دواء
والسقم في الأبدان ليس بضائر والسقم في الأديان شرّ بلاء (١)

تكلّمنا عليه على حدة، فراجع. (٢)

قومٌ سَفَرٌ: أي مسافرون. وأمّوا: قصدوا. والعَلَمُ: الجبل أو المنار في الطريق يهتدى به. وكأنّ في هذه المواضع كهي في قوله - عليه السّلام -: «كأنّك بالدنيا لم تكن، وكأنّك بالآخرة لم تزل، ما أقرب ذلك وأسرعه!». (٣)

أقول: يشرح ذلك ما بعده: «وكم عسى المُجري إلى الغاية» إلى آخره. والأمر أوضح من ذلك كلّ، وكلامه عليه السّلام هو غاية الإيضاح، خاصّة المثل الذي ضربه لبيان انقضاء مدّة السّفر للمسافر إلى الآخرة بالموت، بمن سلك السّبيل إلى ما يقصده، هي بداية السّلو كما أنّه واصل قد قطع المسافة، لأنّ كلّ ما هو آتٍ كأنّه آتٍ، كما أنّ كلّ ما مضى كأنّه لم يكن، «هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً». (٤) على بعض التّفسير: بيان لجيئه ومضيّه، كأنّه لم يجيء ولم يمض. الماضي ميّت والغد لم يولد والآن محتضر.

ما فات مضى وما سيأتيك فأئن قم فاغنم الفرصة بين العدمين (٥)

(٥) أمثال وحكم دهمخدا: ١٣٨٩/٣.

(١) شرح التّهج: ٨١/٧.

(٢) حرف التّون مع السين.

(٣) شرح التّهج: ٨٢/٧.

(٤) الإنسان: ١.

١٥٥ - مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفَرُوا

فِي وَصِيَّتِهِ لِابْنِهِ الْحَسَنِ عَلَيْهَا السَّلَامُ مَثَلَانِ ضَرْبُهُمَا لِمَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا، وَلِمَنْ اغْتَرَبَهَا. قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفَرُوا، نَبَأَ بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيدٌ، فَأَقَامُوا مَنْزِلًا خَصِيبًا، وَجَنَابًا مَرِيعًا، فَاحْتَمَلُوا وَغَنَاءَ الطَّرِيقِ، وَفَرَّاقَ الصَّدِيقِ، وَخَشَوْنَ السَّفَرَ، وَجَشَوْنَ الْمَطْعَمَ؛ لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لشيءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلْمًا، وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ مَغْرَمًا، وَلَا شيءَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَدْنَاهُمْ إِلَى مَحَلَّتِهِمْ. وَمَثَلُ مَنْ اغْتَرَبَهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبَأَ بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيدٍ، فَلَيْسَ شيءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ، وَلَا أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ، مِنْ مَفَارِقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ، وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ». (١)

لِلْمَثَلَيْنِ شَرْحٌ كَافٍ. وَقَدْ كَثُرَ ضَرْبُ الْأَمْثَالِ لِلدُّنْيَا وَأَهْلِهَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، تَحْذِيرًا عَنِ سُوءِ الْمَغْبَةِ، وَتَرْغِيبًا إِلَى رَفْضِهَا، وَالْإِقْبَالِ

(١) التَّهْجُ: ٨٢/١٦، الْوَصِيَّةُ: ٣١.

على الله عز وجل. وفي ضرب المثل في التحذير، أو الترغيب بما يجسد
المحذر منه، أو المرغب فيه، ما لا يحصل بغيره، وهكذا سائر الدواعي
والأغراض.

قوله عليه السلام: (نَبَاً)، يقال: نَبَا عنه بصره ينبو: أي تجافى، ولم
ينظر إليه. وَنَبَا به منزله، إذا لم يوافق. (١)

يقول: مَثَل مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا، وَعَمِلَ فِيهَا لِلْآخِرَةِ، كَمَنْ سَافَرَ مِنْ
مَنْزِلٍ جَدِيٍّ إِلَى مَنْزِلٍ خَصِيْبٍ، فَلَقِيَ فِي طَرِيقِهِ مَشَقَّةً؛ فَإِنَّهُ لَا يَكْتَرِثُ
بِذَلِكَ فِي جَنْبِ مَا يَطْلُبُ. وبالعكس مَنْ عَمِلَ لِلدُّنْيَا، وَأَهْمَلَ أَمْرَ
الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ كَمَنْ يَسَافِرُ إِلَى مَنْزِلٍ ضَنْكٍ، وَيَهْجُرُ مَنْزِلًا رَحِيْبًا
طَيِّبًا (٢).

١٥٦ - محلي منها محل القطب من الرّحى

مركز تحقيق التراث

من خطبة له عليه السلام، وهي المعروفة بالشَّقْشَقِيَّة، أولها:
«أما والله، لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، وإنه ليَعْلَم أن محلي منها
محل القطب من الرّحى...» (٣).

للمعتزلي كلام مرموق، يشرح به الخطبة النّاصّة على اغتصاب

(١) نهاية ابن الأثير: في (نَبَا).

(٢) شرح التهج: ٨٣/١٦.

(٣) التهج: ١٥١/١، الخطبة: ٣.

الخلافة منه عليه السلام شرحاً يخرجها عن مسيرها الواضح؛ فيشرح أولاً بعض لغاها، ويصدّر الشرح بقوله: (في هذا الفصل من باب البديع في علم البيان عشرة ألفاظ).

ثم أخذ في بيان العشرة عن آخرها. وبعد ذلك قال: فأما قوله عليه السلام: «أَنْ محلي منها محل القطب من الرّحا»؛ فليس من هذا التّمط الذي نحن فيه، ولكنّه تشبيه محض خارج من باب الاستعارة والتّوسّع.

يقول - عليه السلام -: كما أنّ الرّحا لا تدور إلّا على القطب، ودورانها يغير قطب لا ثمرة له، ولا فائدة فيه، كذلك نسبتي إلى الخلافة؛ فإنّها لا تقوم إلّا بي، ولا يدور أمرها إلّا عليّ. (١)

ثمّ يعلّق عليه بقوله:- هكذا فسروه، وعندي، أنّه أراد أمراً آخر: وهو أنّي من الخلافة في الصّميم، وفي وسطها وبحبوحتها، كما أنّ القطب وسط دائرة الرّحا، قال الرّاجز:

على قلاصٍ مثل خيطان السّلم إذا قَطَعْنَ عِلْماً بدا عِلْم

.....

• في سُرّة المجد وبحبوح الكرم •

وقال أُميّة بن أبي الصّلت لعبدالله بن جدعان:

(١) شرح التّهج: ١٥١/١ - ١٥٣.

فحللت منها بالبطا ح وحل غيرك بالظواهر(١)

وبعد ترجمة أبي بكر قال:

(إن قيل: بينوا لنا ما عندكم في هذا الكلام؛ أليس صريحه دالاً على تظلم القوم، ونسبتهم إلى اغتصاب الأمر؟! فما قولكم في ذلك؟ إن حكتم عليهم بذلك فقد طعنتم فيهم، وإن لم تحكموا عليهم بذلك فقد طعنتم في المتظلم المتكلم عليهم!

قيل: أما الإمامية من الشيعة؛ فتجري هذه الألفاظ على ظواهرها، وتذهب إلى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - نص على أمير المؤمنين عليه السلام، وأنه غُصِبَ حَقُّهُ.

وأما أصحابنا رحمهم الله؛ فلهم أن يقولوا: إنه لما كان أمير المؤمنين عليه السلام هو الأفضل والأحق، وعدل عنه إلى من لا مساوية في فضل، ولا يوازيه في جهاد وعلم، ولا يماثله في سُودٍ وشرف - ساغ إطلاق هذه الألفاظ، وإن كان من وُسم بالخلافة قبله عدلاً تقيّاً). (٢)

هنا سؤال:

هل يوسم من قبله بالعدالة والتقوى؟ مع أن الإمام عليه السلام - على اعترافك - هو الأحق بالخلافة من غيره لكونه الأفضل الأعلَم الأسبق جهاداً وسُوداً وشرفاً!

(١) شرح التهج: ١٥٣/١ - ١٥٤.

(٢) شرح التهج: ١٥٦/١ - ١٥٩.

وهل العدل إلا وضع الشيء في موضعه؟
وهل التقوى إلا الطاعة وترك المعصية؟ وأول الطاعة والعدل نفي الهوى
عن نفسه؟ وأين هذا من صرف الخلافة عن الأحق بها إلى نفسه؟!
وحاصل الجواب:

أن المصلحة في ترك الإمام عليه السلام الخلافة لأبي بكر، والعدول
عنه إليه، وتأويل ما جاء عنه عليه السلام من تظلم بأنه شيء ربما يصنعه
الخليل بالخليل.

والعجب ممن يتفوه بذلك، ويعرف بالفهم والتضلع بمعرفة أساليب
الكلام، والفرق بين مواضع الظلامة والظلم!

ونحن لانقول: ما الذي حمله على ذلك؟! ولماذا صدر خطبة الكتاب
أى (شرح نهج البلاعة)؟ بقوله: (الحمد لله الواحد العدل.. إلى أن
قال: -وقدم المفضل على الأفضل لمصلحة اقتضاها التكليف...!!!)
نعم المقدم لأبي بكر إنما هو عمر؛ وتعالى الله عن تقديم المفضل على
الفاضل، فضلاً عن الأفضل، علواً كبيراً؛ لأن ذلك ظلم قبيح لا يصدر
عنه جلّ جلاله، إلا على مذهب الجبر الباطل في العقول الذي لانقول به،
وعليه بنى المعتزلي تأويل الخطبة الصريحة في الاغتصاب. وهل يجدي
الجحود بعد نص الغدير الذي رواه الجمهور، وقد صنع العلامة الأميني
طاب ثراه كتاب (الغدير) الذي ليس فيه إلا نصوص القوم، فراجع (١)؛
إذ لا يجوز للرسول الإهمال والإرسال، فيختار كل من

(١) في أحد عشر جزءاً.

أحبّ، وينتهي الأمر إلى شورى السّنة المدبّرة لتعيين المختار لاسواه، و
الحاكم القاهر على التعيين السيّف القائم بيد طلحة الأنصاريّ الشّاهر به
على الرّؤوس!!!

يتجلّى ذلك بوضوح لِمَنْ دَرَسَ الحوادث، منذ غمض عين الرّسول
صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى السّقيفة، ومنها إلى الشّورى وإلى اليوم!
«فلله الحجة البالغة». (١) والعقل من الحجة البالغة إذا خرج عن أسر
الهوى، واستنار بنور الهدى.

١٥٧ - مَخْضَتُهُ مَخْضَ السَّقَاءِ

من خطبة له عليه السّلام يذكر فيها ابتداء خلق السّماء والأرض
وغيرهما:

«... ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء، وشقّ الأرجاء، وسكائك
السّماء، فأجرى فيها ماءً متلاطماً تياره، متراكماً زخاره، حمّله على متن
الريّح العاصفة، والزّعزع القاصفة، فأمرها برّده، وسلّطها على شدّه،
وقرّنها إلى حدّه؛ الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دفيق.

ثمّ أنشأ سبحانه ريحاً اعتقّم مهبّها، وأدام مُربّتها، وأعصف مجراها،

(١) الأنعام : ١٤٩.

وأبعد منشأها، فأمرها بتصفيق الماء الزخار، وإثارة موج البحار،
فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء، ترد أوله على
آخره، وساجيه على مائره، حتى عبَّ عبابه، ورَمَى بالزبدركامه، فرفعه في
هواء منفتق، وجو منفتح. فسوى منه سبع سموات ...». (١)

المخض: تحريك السقاء الذي فيه اللبن ليخرج زبده، ومنه الحديث:
«بارك لهم في مخضها ومخضها»: أي الخالص والممخوض. (٢)
والمخض: هذر البعير، وهو على التشبيه، كأنه يمخض في شقشقه شيئاً.
والماخض: الحامل إذا ضربها الطلق، وهذا أيضاً على معنى التشبيه، كأن
الذي في جوفها شيء مائع يتمخض. (٣) ومنه المثل: (مذقتي أحب
إلي من مخضة آخر). (٤)

مركز تحقيق التراث
مركز تحقيق التراث
مركز تحقيق التراث

(١) النهم: ٨٣/١، الخطبة: ١

(٢) النهاية: في (مخض).

ومن البيت من الشعر الذي سمعه الناس من إنسان من أهل الشام في سواد الليل عند
ما رُفعت المصاحف في حرب صفين، أوله:

رؤوس العراق أجيبوا الدعاء فقد بلغت غاية الشدة

إلى أن قال:

وحسنى متى مخض هذا السقا ولا بد أن يخرج الزئدة

وقعة صفين: ٤٨٣ - ٤٨٤، وفي ص: ٥٣٧، قول الأحنف لعلّى عليه السلام: أخرج
أبوموسى، زبدة سقائه في أول مخضه.

(٣) مقاييس اللغة: ٣٠٤/٥، في (مخض).

(٤) مجمع الأمثال: ٣١٥/٢، حرف الميم.

قال الشارح: اعلم أنّ كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الفصل يشتمل على مباحث:

منها: أنّ ظاهر لفظه أنّ الفضاء الذي هو الفراغ الذي يحصل فيه الأجسام خلقه الله تعالى، ولم يكن من قبل؛ وهذا يقتضي كون الفضاء شيئاً؛ لأنّ المخلوق لا يكون عدماً محضاً.

ومنها: أن الباري - سبحانه - خلق في الفضاء الذي أوجده ماءً جعله على متن الريح، فاستقلّ عليها وثبتت وصارت مكاناً له، ثمّ خلق فوق ذلك الماء ريحاً أخرى، سلطها عليه فوجته تموجاً شديداً حتى ارتفع، فخلق منه السماوات. وهذا أيضاً قد قاله قوم من الحكماء، ومن جعلتهم تاليس الإسكندراني، وزعم أنّ الماء أصل كلّ العناصر؛ لأنّه إذا انجمد صار أرضاً، وإذا لطف صار هواءً، والهواء يستحيل ناراً؛ لأنّ النار صفوة الهواء.

ويقال: إنّ في التّوراة في أوّل السّفر الأوّل كلاماً يناسب هذا؛ وهو أنّ الله تعالى خلق جوهرأ، فنظر إليه نظر الهيبة، فذابت أجزأؤه، فصارت ماءً، ثمّ ارتفع من ذلك الماء بخارٌ كالدخان، فخلق منه السّموات؛ وظهر على وجه ذلك الماء زبدٌ فخلق منه الأرض، ثمّ أرساها بالجبال. (١)

الأجواء جمع الجوّ: وهو الفضاء العالي بين السّماء والأرض. والأرجاء: الجوانب، واحدها رجا مثل عصا. والسكائن جمع سُكاكة:

(١) شرح التّهج: ٨٤/١ - ٨٥.

وهي أعلى الفضاء، والتَّيَّار: المَوْج. والمتراكم: الذي بعضه فوق بعض.
والزَّخار: الذي يَزْخَر: أي يمتد ويرتفع. والريح الزَّعزع: الشديدة
الهبوب، وكذلك القاصفة؛ كأنها تُهلك الناس بشدة هبوبها.
«فأمرها برده»: أي بمنعه عن الهبوب؛ لأنَّ الماء ثقيل، ومن شأن
الثقل الهوي. «وسلَّطها على شده»: أي على وثاقه؛ كأنه سبحانه لَمَّا
سلَّط الريح على منعه من الهبوط؛ فكأنه قد شده بها وأوثقه، ومنعه من
الحركة. «وقرنها إلى حده»: أي جَعَلَهَا مكاناً له: أي جعل حدَّ الماء
المذكور - وهو سطحه الأسفل - ممَّا ساطح الريح التي تحمله وتُقلِّبه.
والفتيق: المفتوق المنبسط. والدفيق: المدفوق. «واعتقم مهبتها»: أي
جعل هبوبها عقيماً، والريح العقيم: التي لا تلحق سحاباً ولا شجراً، إنما
خلقها الله سبحانه لتقويج الماء فقط. «وأدام مُربَّتها»: أي ملازمته،
أرب بالمكان: أي لازمه. والساجي: الساكن. والمائر: الذي يذهب
ويجيء. «وعبَّ عُبابه»: أي ارتفع أعلاه. ورُكَّامه: ثَبَجُهُ وَهَضْبُهُ (١).

١٥٨ - المرأة ريحانة، وليست بقهرمانة

جاء المثل في وصيته لابنه الحسن عليها السلام:
«ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها؛ فإنَّ المرأة ريحانة،

(١) شرح التهج: ٨٧/١ - ٧٨.

وليسَتْ بقهرمانه، ولا تَعُدُّ بكرامتها نفسها، ولا تطمعهَا في أن تشفع
لغيرها». (١).

ونظير المثل قول العرب المولدين: (الخِلم ربحانة، وليسَتْ
بقهرمانه)، الخِلم: الصديق والصاحب. (٢)
ثم في الوصية عدة أمور ترتبط بالمرأة:
منها: المَنع من إدخالها في الشؤون المعاشية التي يقوم بها الرجل،
تبتني على الأغلب على صعوبةٍ وخشونةٍ لا تلائم نعومة المرأة وضعفها
الذاتي؛ ولأجلها قال عليه السلام: «فإن المرأة ربحانة، وليسَتْ
بقهرمانه».

ومنها: المَنع عما يمس كرامتها من ذهابها إلى اجتماعات رجالية،
أو نسائية؛ فإن المرأة تسعى غالباً فيما فيه زينتها وتسويل نفسها.
ومنها: المَنع عن الشفاعة لغيرها؛ إذ لا تكون فكرتها ترجع إلى دين
المشفوعة.

ومنها: ترك مشاركتها في المشورة.

ومنها: التشديد في حجابها.

وإلى الأخيرين أشار عليه السلام في الوصية بقوله:

«وإياك ومشاورة النساء؛ فإن رأيهن إلى أفن، وعزمهن إلى وهن،
واكفف عليهن من أبصارهن لحجابك إياهن؛ فإن شدة الحجاب أبقى

(١) التهج: ١٢٢/١٦، الوصية: ٣١. (٢) مجمع الأمثال: ٢٦٣/١، حرف الخاء.

عليهنّ، وليس خروجهنّ بأشدّ من إدخالك مَنْ لا يوثق به عليهنّ، وإن استطعتْ ألا يعرفن غيرك فافعل». (١)

ثمّ التّمثيل بالريحانة يقصد منه: اللّذة والتمتّع، وسكون الرّجل إليها، وضمان حياته الثّانية بالولد الذي يبقى الوالد به، وإن كان ميتاً فلا مراً لهم خُلِقَتْ: مِنْ أَجْلِ تربية الأولاد، وإدارة شؤون داخليّة، وهي: وسائل الثّقة، وفراغ البال لعبادة الله تعالى الغاية من الخلق، كما قال عزّ وجلّ: «وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون». (٢) ومن هنا وجبت التفقّة على الرّجل، حتّى لا تهتمّ بشيء سوى لما تقدّم.

١٥٩ - المرأة عقرب حُلوة اللّسبة

من الكلمات الحكميّة، وتمثيلات عليه السّلام:
«المرأة عقرب حُلوة اللّسبة». (٣)

اللّسبة: اللّسعة. لَسَبَتْهُ العقرب، بالفتح: لسعته، وَلَسِبْتُ العسل: أي لعقته.

(١) التّهج: ١٢٢/١٦.

(٢) الذّاريات: ٥٦.

ولا يخفى أنّ المَثَل: «المرأة ريحانة، وليست بقهرمانة» يذكره صاحب البحار:

٢١٦/٧٧، و ٢٣٥. والوسائل: ١٢٠/١٤.

(٣) التّهج: ١٩٨/١٨، ح ٥٩.

جاءت عدّة تمثيلات في مدح المرأة وقدحها.
 مِنْ الْأَوَّلِ: «المرأة ربحانة، وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ». (١) «المرأة لُغْبَةٌ».
 (٢) «النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ». (٣)
 ومن الثاني النبوي: «أَنَّهُ مَثَلُ الْمَرْأَةِ مَثَلُ الضِّلْعِ الْمَوْجِ، إِنْ تَرَكْتَهُ
 انْتَفَعْتَ بِهِ...». (٤)

هِيَ الضِّلْعُ الْعَوْجَاءُ لَسْتُ تُقِيمُهَا أَلَا إِنْ تَقُومِ الضِّلْعُ انْكَسَارُهَا
 أُجْمَعْنَ ضَعْفًا وَاقْتِدَارًا عَلَى الْفَتَى أَلَيْسَ عَجِيبًا ضَعْفُهَا وَاقْتِدَارُهَا؟!

«المرأة شرّ كلّها، وشرّ ما فيها أنّه لا بدّ منها». (٥)

إِنَّ النِّسَاءَ كَأَشْجَارٍ تَبْشُرُ مَعًا هُنَّ الْمُرَارُ وَبَعْضُ الْمُرْمَاكُولِ
 إِنَّ النِّسَاءَ مَتَى يَنْهِنَ عَنْ خُلُقٍ فَإِنَّهُ وَاجِبٌ لَا بَدَّ مَفْعُولِ (٦)

قيل: إنّ كيد النساء أعظم من كيد الشيطان؛ لأنّ الله تعالى ذكر

(١) التهج: ١٢٢/١٦، الوصية: ٣١. وعيون ابن قتيبة: ٧٩/٤.

(٢) الوسائل: ١١٩/١٤. الأمثال النبوية: ٢٦٢/٢، رقم المثل: ٥٥٧، حرف اللام مع العين.

(٣) نهاية ابن الأثير: في (شقق).

(٤) الوسائل: ١٢٣/١٤. الأمثال النبوية: ٢٦٣/٢، رقم المثل: ٥٥٨، حرف الميم مع الراء.

(٥) التهج: ٦٩/١٩، ح ٢٣٥، و ١٩٩/١٨. (٦) شرح التهج: ٢٠٠/١٨.

الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: «إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً». (١) وَذَكَرَ النِّسَاءُ،
فَقَالَ: «إِنَّهُ مِنْ كَيْدٍ كُنَّ إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ». (٢)

وَالْجَوَابُ: أَنَّ ضَعْفَ كَيْدِ الشَّيْطَانِ إِنَّهَا هُوَ فِي جَنْبِ اللَّهِ تَعَالَى،
وَعَظَمَ كَيْدَ النِّسَاءِ بِالْقِيَاسِ إِلَى الرِّجَالِ.

وَبَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّهُ لَوْلَا النِّسَاءُ لَمَا كَانَ الرِّجَالُ، وَإِنْ افْتَرَقْنَ عَنْهُمْ
بِفُرُوقٍ. بَلْ فِي الصَّادِقِيِّ: «فَرَبَّ امْرَأَةٍ أَفْقَهُ مِنْ رَجُلٍ»، وَالْآخَرُ: «رَبَّ
امْرَأَةٍ خَيْرٌ مِنْ رَجُلٍ». (٣)

وَكُنِيَ شَرَفًا أَنَّ مِنَ النِّسَاءِ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَحَوَاءُ أُمِّ الْبَشْرِ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ
عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مِزَاحِمٍ، وَغَيْرُهُنَّ مِنَ الْفَضْلِيَّاتِ؛ وَأَفْضَلُهُنَّ أُولَاهُنَّ
فِي الذِّكْرِ. عَلَى أَنَّ الْأَتْقَى سِوَاءَ أَكُنَّ مِنَ الرِّجَالِ، أَوْ مِنَ النِّسَاءِ، هُوَ
الْأَكْرَمُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
أَتْقَاكُمْ». (٤).

(١) النِّسَاءُ: ٧٦.

(٢) يُونُسُ: ٢٨.

(٣) الْوَسَائِلُ: ٨ / باب: ٨، جَوَازُ اسْتِنَابَةٍ...، ص: ١٢٤-١٢٥، رَقْمُ الْحَدِيثِ: ٧٤ و٧٥.

(٤) الْحَجَرَاتُ: ١٣.

١٦٠ - مستقبلين رياح الصيف تضربهم

تمثل عليه السلام به في كتابه إلى معاوية جواباً عن كتابه:
«أما بعد، فإننا كنا نحن وأنتم على ما ذكرت من الألفة والجماعة،
ففرق بيننا وبينكم أمسِ أنا آمنّا وكفرتم... ..
وذكرت أنك زائري في جمع من المهاجرين والأنصار، وقد انقطعت
الهجرة يوم أسر أخوك، فإن كان فيك عجلٌ فاسترّفه، فإنّي إن أزرَكَ
فذلك جديرٌ أن يكون الله إنهما بعثني إليك للثّمة منك، وإن تزرنني فكما
قال أخو بني أسد:

مستقبلين رياح الصيف تضربهم بحاصبٍ بين أغوارٍ وجلمود» (١).

الحاصب لقوم لوط: وهي ريحٌ عاصفٌ فيها حصباء، والحصباء:
صغار الحصى. والأغوار جمع غور، والغور: ما بين ذات عرقٍ إلى البحر
غور تهامة، فتهامة أولها ذات عرقٍ من قبل نجد إلى مرحلتين من وراء
مكة، وما وراء ذلك فهو الغور. والجلمود كجعفر وعصفور:

(١) التّهج: ١٧/٢٥٠، ك: ٦٤.

الصخر، ميمه زائدة. (١) وقيل: الغور: الغبار.

وحصيلة كلام الإمام عليه السلام: تكذيب معاوية أن يكون معه مهاجر أو ناصر؛ بانقطاع الهجرة بأسر أخيه يزيد بن أبي سفيان في باب الخندمة، بل الذين معه هم أبناء الطلقاء. فإن زرتك فأنا نقمة الله عليك، وإن زرتني فأنت كأرياح الصيف، لا فائدة فيها سوى ضرب الوجوه بصغار الحصى والغبار، أوبين الصخور من أراضي تهامة: أي زيارتك شرّ كلها. والخندمة: جبل بمكة. (٢)

قال المعتزلي: (كنت أسمع قديماً أن هذا البيت من شعر بشر بن أبي حازم الأسدي، والآن قد تصفحت شعره فلم أجده، ولا وقفت على قائله). (٣)

وكيف كان فالمثل منطبق على كل من فيه من صفات معاوية، مهما كان نوعه، فزيارة المنافقين كلها شر لا خير فيها؛ إذ لم يُرد بها وجه الله عز وجل، وليست هي من روح الله كزيارة المؤمنين ولقائهم، كما في الصادقي: «إن من روح الله ثلاثة: التهجّد بالليل، وإفطار الصائم، ولقاء الإخوان» (٤).

(١) مجمع البحرين: في (حصب، وغور، وجلمد).

(٢) منتهى الأرب في لغة العرب: في (خ ن د م).

(٣) رسالة الإسلام: عدد: ٧ - ٨، ص: ١٢٧.

(٤) الوسائل: ١٠ / باب ٩٨ استحباب لقاء إخوان المؤمنين، ص: ٤٥٩ - ٤٦٠.

الحديث: ٤.

١٦١ - مصادقة الكذاب كالسرّاب

من كلام له لابنه الحسن عليها السّلام:
«إِيَّاكَ وَمَصَادِقَةَ الْكَذَّابِ؛ فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ يَقْرَبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ،
وَيَبْعَدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ» (١).

المصادقة: العشرة بين الاثنين وما فوق بصدقٍ وصفاءٍ على ما تقتضيه
لفظة (المصادقة)، المشتقة من الصدق. والكذاب: مَنْ يَكْذِبُ كثيراً.
والسرّاب: ما يُرَى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة، يسرب على
وجه الأرض كأنه ماءٌ يجري. (٢) كما في قوله تعالى: «كسراب بقيعةٍ
يَحْسِبُهُ الظَّمْآنُ ماءً». (٣) وما هو بماءٍ في الحقيقة، وإنّما هو انعكاس شعاع
الشمس على أفق الأرض، يخيّل للنّاظر إليه من البعيد أنّه ماءٌ يجري،
كذلك الكذاب بكذبه يخيّل للمصادق له أنّ ما يقوله أو يعملّه أو أيّ
شيءٍ هو فيه هو عين الحقّ واقعاً، وأنّه يراه من قريب، بينما لا حقيقة له،
وبعيد من الحقّ غايته.

والكذب يعمّ القول والعمل والقصد وكلّ حركةٍ وسكونٍ من ظاهر

(١) التّهج: ١٨/١٥٧، الحكمة: ٣٨.

(٢) تفسير الكشاف: ٣/٢٤٣.

(٣) التّور: ٣٩.

الإنسان وباطنه أمام الخالق تعالى أوالخلق، وكذلك الصدق بلا قصرٍ على هذا أوداك، فتتصف بهما الجوارح والجوانح، كما لا قصر فيها على كبيرٍ أو صغيرٍ، ولا الجدة دون الهزل. في الحديث: «كان علي بن الحسين -عليهما السلام- يقول لولده: اتقوا الكذب، الصغير منه والكبير، في جدٍّ وهزلٍ؛ فإنَّ الرجل إذا كذب في الصغير اجترى على الكبير. أما عَلِمْتُمْ أَنَّ رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: ما يزال العبد يصدق حتى يكتبه الله صديقاً. وما يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذاباً». (١) وفي الآخر قال الباقر عليه السلام: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُكَذِّبُ الْكَذَّابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ الْمَلَكُانِ اللَّذَانِ مَعَهُ، ثُمَّ هُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَاذِبٌ». (٢)

والغرض من نهي مصادقة الكذاب والتحذير عنها الابتعاد عن سراية هذه الرذيلة إلى نفس من يصادقه؛ فإنها تكتسب عن كل مصادقٍ من حيث تعلم أو لا تعلم، والخطاب عام يشمل غير الإمام الحسن عليه السلام أو على حد قول القائل: (إياك أغني واسمعي يا جارة!) (٣).

(١) أصول الكافي: ٣٣٨/٢.

(٢) المصدر: ٣٣٩/٢.

(٣) المصدر: ٦٣١/٢.

١٦٢ - معلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالإجلال

قال عليه السّلام:

«مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ، وَلِيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ، وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ، مُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ.» (١)

قال ابن أبي الحديد: الفروع تابعة للأصول، فإذا كان الأصل معوّجاً استحال أن يكون الفرع مستقيماً، كما قال صاحب المثل: (وهل يستقيم الظل والعود أعوج)، فمَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً وَلَمْ يَكُنْ قَدْ عَلَّمَ نَفْسَهُ مَا انتصب ليعلمه الناس، كان مثلاً مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ ليعلم الناس الصياغة، والتجارة، وهو لا يُحْسِنُ أَنْ يَصُوغَ خاتماً، ولا يُجَرِّ لَوْحاً، وهذا نوع من السّفه بل هو السّفه كلّهُ.

ثمّ قال عليه السّلام: وينبغي أن يكون تأديبه لهم بفعله وسيرته قبل تأديبه لهم بلسانه؛ وذلك لأنّ الفعل أدلّ على حال الإنسان من القول. ثمّ قال: «ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالإجلال من معلّم الناس

(١) التّهج: ٢٢٠/١٨، الحكمة: ٧١.

ومؤدّبهم». وهذا حق؛ لأنّ من علّم نفسه محاسن الأخلاق أعظم قدراً ممّن تعاطى تعليم الناس ذلك، وهو غير عاملٍ بشيءٍ منه، فأما من علّم نفسه وعلّم الناس فهو أفضل وأجلّ ممّن اقتصر على تعليم نفسه فقط. لاشبهة في ذلك. (١)

العالم: إمّا مؤدّب لنفسه وغيره، وإمّا لا يؤدّب بهما، وثالثة مؤدّب لنفسه دون غيره، ورابعة مؤدّب غيره دون نفسه؛ فالأقسام أربعة: والأخيران: أي المؤدّب نفسه، والمؤدّب غيره ينطبق عليهما قوله عليه السلام: «ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ» إلى آخره. والقسمان الأولان مستفادان من أول كلامه عليه السلام إلى قوله عليه السلام: «قبل تأديبه بلسانه»، من مجموع منطوقه ومفهومه، فتدبر تعرفه إن شاء الله.

وفي نبوي: «مثلُ العالم الذي ينسى نفسه كمثّل السراج يُضيء للناس ويُحرق نفسه». (٢) وقبل كلّ شيءٍ قوله تعالى: «أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتب أفلا تعقلون». (٣)

ولا تخصّ الآية اليهود أو النصارى، وإن نزلت فيهم، بل هي قياس كلّ مطبّق على كلّ مختصّل بخصالهم المصّرحة في الآية، وقد تكلمنا على التّبوي والآية في كتابنا: (الأمثال النبوية). (٤) والناسي نفسه المؤدّب غيره:

(١) شرح التّهج: ٢٢٠/١٨.

(٢) الجامع الصّغير: ١٥٤/٢.

(٣) البقرة: ٤٤.

(٤) ج: ١٩٣/٢، رقم المثل: ٤٩٩، حرف الميم مع التّاء.

• طبيبٌ يداوي الناس وهو عليلٌ • (١)

والآمر بالمعروف التارك له، والنّاهي عن المنكر العامل به، ملعون على لسان النبيّ والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين بعد الخالق عزّ وجلّ، ولا يُقدم على ذلك إلا فاقد الإيمان المنافق، وفيه قال القائل:

يقول لكم: غدوتُ بلا كساءٍ وفي لذاتها رهْنُ الكساءِ
إذا فَعَلَ الفتى ماعنه يَنْهَى فَمِنْ جَهِتَيْنِ لاجَهَةِ أَسَاءِ (٢)

وكيف يرضي ضميره مَنْ يَنْصِبُ نَفْسَهُ لتأديب غيره بما يفقده، وكفى له ردعاً قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ • كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ». (٣) وقال القائل، ونعم ما قال:

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فَعَلْتَ عَظِيمَ (٤)
إذا عِبتُ أمراً فلا تَأْتِهِ فذُو اللَّبِّ مَجْتَنِبٌ ما يَعْيبُ (٥).

(١) التمثيل والمحاضرة: ١٨٢.

(٢) سحر البلاغة: ١٩٣.

(٣) الصّفت: ٢ - ٣.

(٤) تفسير روح البيان: ٤٩٤/٩. مجمع الأمثال: ٢١٣/٢، مِنْ أَيْبَاتِ أَوْلَاهَا:

بِأَيْبِهَا الرَّجُلُ الْمَعْلَمُ غَيْرُهُ أَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
مجموعة ورام: ٢٩٣/٢.

(٥) مجمع الأمثال: ٢٣٨/٢، حرف اللام.

١٦٣ - مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ

من خطبة مطوّلة له عليه السّلام مشتملة على نبذة أمثال منها: «مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ عِنْدَ جَهْلَةِ النَّاسِ». (١).

قال المعتزليّ: مَنْ كَاشَفَ الْحَقَّ مُخَاصِماً لَهُ هَلَكَ - على روايةٍ ليست فيها فقرة «عند جهلة الناس» - وهي كلمة جارية مجرى المَثَل. ومراده على الرواية الثانية: «مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِنَصْرَةِ الْحَقِّ غَلِبَهُ أَهْلُ الْجَهْلِ» - لأنّهم العامة وفيهم الكثرة - فَهَلَكَ. (٢)

وقال السيّد الخطيب: نقلاً عن المعتزليّ على الرواية الأولى: كأنّه يقول: هَلَكَ مَنْ ادّعى الإمامة، ورُدّي مَنْ اقترحها وولجها مِنْ غير استحقاق؛ لأنّ كلامه عليه السّلام في هذه الخطبة كلّه كُنَايَاتٌ عَنِ الإمامة لا غيرها. (٣)

أقول: الرواية الثانية نقلها السيّد الخوئيّ في منهاج البراعة (٤) وغيره، فيشبه أنّها الصحيحة لا الأولى التي صحّحها المعتزليّ، وعلى أيّ تقدير، له تفسيره الآنف الذّكر، ونزيد الثانية بياناً.

(٣) مصادر التّهج: ٣٥٤/١، هامشه.

(٤) ج: ٢٣٢/١.

(١) التّهج: ٢٧٣/١، الخطبة: ١٦.

(٢) شرح التّهج: ٢٧٤/١ - ٢٧٥.

قوله عليه السلام: «هلك عند جهلة الناس» لعل المراد:

ضیاع جهاد المُبدي صفحته للحق عند الجهال؛ لأنّ الذي ينصر الدين، ويقوم في ميدان الجهاد بقدميه وقلمه وبيانه، ويبذل كلّ طاقاته في سبيل نصرته الحقّ المعبر عن ذلك كلّّه، بإبداء صفحته له، لا يقدر جهاده الجهال؛ لجهلهم بما للجهاد من مقام عند الله تعالى، وما يُمْنح المجتمع من صلاح لدينهم ودنياهم، فيكون المجاهد كالهالك.

أو تفسيره الآخر من معاداة الجهال مع مَنْ يجاهد في سبيل الحق، ومقاتلتهم إياه، فَيَهْلِكُ بِسَيْفِ بَغِيهِمْ، كما فَعَلَتْ الْأُمَمُ بِأَنْبِيَائِهَا وَأَوْصِيَائِهَا عَلَيْهِمُ السَّلَام. أليس الإمام الحسين عليه السلام خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ إِلَى الْعِرَاقِ، لِأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْتَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيُسِيرُ بِسِيرَةِ جَدِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي إِصْلَاحِ الْأُمَّةِ، فَاجْتَمَعَتْ عَصَابَةُ مِنْهُمْ حَتَّى قَتَلُوهُ، وَقَتَلُوا وَلَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَصْحَابَهُ فِي حَادِثَةِ كَرْبَلَاءِ الْعِظْمَى الَّتِي عَمَّتْ رِزْيَتُهَا الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وتجد كلّ مَنْ قام لنصرة الدين حاربوه وقاتلوه بكلّ طاقاتهم في كلّ دَوْرٍ مِنَ الْأَدْوَارِ، خَاصَّةً أَرْبَابَ الْمَنَاصِبِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالسُّلْطَةِ الْجَائِرَةِ، حَيْثُ تَخْشَى اسْتِلَابَ كِرَاسِيَّهَا وَتِيْجَانِهَا، وَتَحْسُ بِالْخَطَرِ، فَتُثَوِّرُ فِي وَجْهِهِ الثَّائِرِينَ ضَدَّهُمْ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لَجَهْلِهِمْ بِمَا يُسَعِدُهُمْ وَيُشْقِيهِمْ.

وهل دعوة الأنبياء عليهم السلام والمجاهدين في سبيل الله عز وجل إلا لسعادة الناس، لو عقلوها، بلى والله عقلوها، ولكن الدنيا حَلِيَّتْ فِي أَعْيُنِهِمْ، وَمَلَكَتْ قُلُوبَهُمْ شَهْوَاتُهَا الْفَانِيَّةُ وَلِذَلِكَ الْمَرْعُومَةُ.

١٦٤ - مَنْ استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هَلَكَ

مِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الشَّكِّ وَشُعْبَةِ الْأَرْبَعِ: التَّمَارِي،
وَالْهَوَلُ، وَالتَّرَدُّدُ، وَالِاسْتِسْلَامُ. قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
«وَمَنْ اسْتَسْلَمَ لَهْلَكَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هَلَكَ فِيهَا». (١)

الاستسلام لشيءٍ: الانقياد له، فيعقبه الجري عليه عملاً وقولاً على
الإطلاق، وهذا لم يسلم الإنسان معه من الهلاك، إذا لم تكن المقاييس
العقلية والشرعية تعدله؛ ومن هنا نهي الإلقاء بالأيدي إلى التهلكة بقوله
تعالى: «وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ». (٢) وفيه إشارات:

منها: ترتب التهلكة على منع الإنفاق المستفاد من الأمر به في دفعها،
كما أن النجاة منها مفهومة بنفس الإنفاق، ولم يكتف على مجردة، حتى
أمر عز وجل بالإحسان المسبب لحبه، ومن أحبه كان في كنفه وحصنه
الحصين عن أن تناله يد السوء.

(١) التهج: ١٨/١٤٣، الحكمة: ٣١.

(٢) البقرة: ١٩٥.

ومنها: الإشارة إلى الكفّ عمّا يُفضي إلى التهلكة، فضلاً عنها نفسها، حيث قال: «إلى التهلكة» ولم يقل عزّ وجلّ: (في التهلكة). وكلمة (إلى) تقال: فيما ربّما يتحقّق معه مدخولها خارجاً. فالأمر بالإنفاق تحذير عمّا يوجب الهلاك أحياناً. والمقصود هنا: الإشارة، لبيان جميع ما في الآية من إشارة.

وهلكة الدنيا: هي الاقتحام في الشرور والأضرار، وما به فساد البدن، أو ما يمتّ به من داخل أو خارج ممّا لا يحصى من مهلكات. وهلكة الآخرة: الكفر بأنواعه الخمسة، (١) ومعاصي الجوارح والجوانح من فساد المعتقدات وغيرها التي بيّنها الوحي وشرائع السماء المنزلة على الأنبياء عليهم السلام، لاسيّما القرآن الكريم المنزل على الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلّم، وروايات أهل البيت المعصومين عليهم السلام، ومنها حديثنا الجاري تشمل الهلكة فيه لكلّ ما ذكر، وما لم يذكر.

ثمّ الهلكة قد حكم العقل باجتناب محتملها فضلاً عن معلومها أو مظنونها، والشرع أمر بالتجنّب عن محتملها أمراً إرشادياً، كما ذهب إليه الأصوليّ، أو مولوياً، وعليه الأخباريّ بروايات الاحتياط التي تناوها الفقهاء بالبحث عنها في علم الأصول، وبالطريق الأولى في المظنون والمقطوع، ويتفرّع على ذلك فروعٌ فقهيةٌ كثيرةٌ، مذكورة في علم الفقه.

ومن جعل الإمام عليه السلام الاستسلام الموجب للهلاك من شعب الشكّ الأربع الأنفة الذكر، يتجلّى بوضوح حكم معلوم الهلاك

(١) تفسير البرهان: ٥٧/١.

ومظنونهم. إن أُريد من الشكّ متساوي الطرفين، فالقسمة ثلاثية، وإن أُريد منه ما قابل اليقين، كان الظنّ داخلاً في الشكّ، والقسمة ثنائية لاحالة.

والمقصود من الاستسلام عدم المقاومة في اتجاه المصاعب والحوادث التي يختلف حكمها حسب المقامات والظروف، وعدم الأخذ بالاحتياط فيها، بل ينقاد لأدنى شيء لا يرتضيه العقل والشرع، والإمام عليه السلام في مقام الذمّ لذلك.

وللعرب أمثالٌ سائرة، منها قولهم: (بَرْدُ غَدَاةٍ غَرَّ عَبْدًا مِنْ ظَمَاءٍ)، سافر عبد بكرةً، فلم يستصحب الماء لما رأى من البرد، فلما حميت الشمس عليه هلكَ عَطْشًا. فقليل: ذلك يضرب في الأمر بالاحتياط. (١) (مَنْ حَدَّثَ نَفْسَهُ بِطَوْلِ الْبَقَاءِ فَلْيُؤْطِنْ نَفْسَهُ عَلَى الْمَرَاذِي). (٢) والمرادي، جمع مرزية. وفي نسخة: المصائب، (٣) جمع مصيبة. والعاقل أذرى بمواضع الهلاك والتجاة.

(١) المُستقصى: ٨/٢.

(٢) المُستقصى: ٣٥٤/٢.

(٣) هامش المُستقصى: ٣٥٤/٢.

١٦٥ - مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ

من وصاياه لابنه الحسن عليها السلام:
«مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ» (١).

ورواها الشيخ المجلسي رحمه الله بلفظ: «مَنْ أَكْثَرَ هَجَرَ»،
(٢) ونسخة: (أَهْجَرَ). (٣)

وَمِنْ كُتُبِ الْأَدَبِ مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ جَاءَ فِيهِ: (مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ)
الْإِهْجَارُ: الْإِفْحَاشُ، وَهُوَ أَنْ يَأْتِيَ فِي كَلَامِهِ بِالْفُحْشِ، الْهَجْرُ: الْأَسْمُ
مِنْ الْإِهْجَارِ، كَالْفُحْشِ مِنَ الْإِفْحَاشِ، سَمِيَ هَجْرًا لِهُجْرِ الْعَقْلَاءِ إِيَّاهُ.
يَضْرِبُ لِمَنْ يَأْتِي فِي كَلَامِهِ بِمَا لَا يَعْنِيهِ. (٤) وَكِتَابُ الْمُسْتَقْصَى: (مَنْ
أَكْثَرَ أَهْجَرَ): أَيِ أَتَى بِالْهَجْرِ، وَهُوَ الْفُحْشُ؛ يَضْرِبُ فِي ذَمِّ الْمُهْذَارِ. (٥)
قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ: يُقَالُ: أَهْجَرَ الرَّجُلُ، إِذَا أَفْحَشَ فِي الْمَنْطِقِ

(١) التهج: ٩٧/١٦، الوصية: ٣١.

(٢) البحار: ٢١٨/٧٧.

(٣) البحار: ٢٢٩/٧٧.

(٤) ج: ٢٩٧/٢.

(٥) ج: ٣٥٣/٢.

السوء والحناء، قال الشَّماخ:

كما جَدَّةُ الأعراق قال ابن ضَرَّةٍ عليها كلاماً جارفيه وأهَجَرَا

وهذا مثل قولهم: (مَنْ كَثُرَ كلامه كَثُرَ سَقَطُهُ)، وقالوا أيضاً: (قلماً سلم مِكَثَّارٌ، أو أَمَنْ مِنْ عَثَارٍ). (١)

قال الزَّمَخْشَرِيُّ: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في مرضه: «اِئْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَاباً لَا تَضَلُّونَ بَعْدَهُ أَبَدًا، فَقَالُوا: مَا شَأْنُهُ، أَهَجَرَ»: أي أَهْذَى، يقال: هَجَرِيهَجِرْ هَجْرًا، إِذَا أَهْذَى، وَأَهْجَرَ: أَفْحَشَ. (٢)

وقال ابن الأثير: أي اختلف كلامه بسبب المرض على سبيل الاستفهام: أي هل تَغَيَّرَ كلامه واختلط لأجل ما به من المرض؟ وهذا أحسن ما يقال فيه، ولا يجعل إخباراً، فيكون إمّا من الفُحْشِ، أو الهذيان، والقائل كان عمره لا يظنّ به ذلك. (٣) نعم لا يظنّ به ذلك، بل يقطع، والحديث ذوشجون. (٤)

والهَجْرُ بفتح الهاء: ضِدُّ الوصل، ومنه: «واهَجَرَهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا». (٥) والحديث: «لا هَجْرَةَ فوق ثلاث» (٦)

(١) شرح التَّهْج: ٩٩/١٦.

(٢) الفائق: ٩٣/٤، في (هَجَرَ).

(٣) التَّهْيَاة: ٢٤٦/٥، في (هَجَرَ).

(٤) مجمع الأمثال: ١٩٧/١.

(٥) المَزْمَل: ١٠.

(٦) مجمع البحرين: في (هَجَرَ). أصول الكافي: ٣٤٤/٢، باب الهجرة والحديث ٢.

والإكثار سبب الإهجار، وقلّ مَنْ يسلم منه إذا كان مكثراً (المكثار كحاطب ليل). (١) «إذا تمّ العقل نقص الكلام». (٢) قيل: (ما شيء أحقّ بطول سجن من لسان). قاله ابن مسعود رضي الله عنه، جعل الفم سجناً للسان يمنع من الزلل كما يحبس أهل الدّعارة في السجون، يضرب في حفظ اللسان. (٣) أقول: هو مسروى عن أمير المؤمنين عليه السلام (٤)

للم يكتن لحفظ اللسان إلّا «والذين هم عن اللغو معرضون». (٥) ممّا وصف عزّ وجلّ به المؤمنين لكفى. واللغو من لغا يلغو، ولغي يلغى: إذا تكلم بالمطرح من القول وما لا يعنى. (٦) وكذا: «ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد». (٧) الرقيب: المحافظ، والعتيد: المعدّ المهيأ للزوم الأمر. والآية تذكر مراقبة الكتبة للإنسان فيما يتكلّم به من كلام. (٨) والإكثار داء دواؤه الصمت، من هنا جاء في حسني: «نعم العون الصمت في مواطن كثيرة، وإن كنت فصيحاً». (٩) ونبوي: «فاصمت

(٢) النهج: ٢١٧/١٨.

(١) الفاخر: ٢٦٤.

(٣) المستقصى: ٣٢٤/٢.

(٤) السفينة: ٥٠٩/٢، في (لسن)، مع تغيير يسير. وكذا الخصال: ١٥/١. والوسائل:

٥٣٥/٨.

(٥) المؤمنون: ٣.

(٦) النهاية: في (لغا).

(٧) ق: ١٨.

(٩) السفينة: ٥٠/٢، في (صمت).

(٨) تفسير الميزان: ٣٤٨/١٨.

لسانك إلا من خير». (١) وفي حديث باقرّي: «كان أبوذر يقول: يا مبتغي العلم إن هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شرّ، فاختم على لسانك، كما تختم على ذهبك وورقك». (٢) وصادقيّ قال: «قال لقمان لابنه: يا بني! إن كنت زعمت أن الكلام من فضة، فإن السكوت من ذهب». (٣) ونبويّ: «نجاهة المؤمن في حفظ لسانه» (٤).

١٦٦ - من تردّد في الرّيب وطئته سنابك الشّياطين

في كلام له عليه السلام:

«من تردّد في الرّيب وطئته سنابك الشّياطين». (٥)

مركز بحوث ودراسات إسلامية

الفرق بين الشك والريب، قال السيّد الجزائريّ: (الشك): هو تردّد الذّهن بين أمرين على حدّ سواء. وأمّا (الريب): فهو شكّ مع تهمة.

(٢) المصدر.

(١) أصول الكافي: ١١٤/٢.

(٣) المصدر.

(٤) المصدر.

ثم لا يخفى أن المعتزليّ قال عند عدّ الأمثال في أحد فصول الوصيّة: وسابعها، قوله: «من أكثر أهجر» شرح التهج: ٩٩/١٦. وهو عندنا ثامنها على خلاف بيننا في عدّها. فراجع حرف التاء مع الألف من الأمثال العلوية.

(٥) التهج: ١٤٣/١٨، الحكمة: ٣١.

ويدلّ عليه قوله تعالى : «ذلك الكتب لا ريب فيه». (١) فإنّ المشركين مع شكّهم في القرآن، كانوا يتّهمون النّبّي -صلى الله عليه وآله وسلم- بأنّه هو الذي افتراه، وأعاناه عليه قوم آخرون، ويقرب منه الجريّة، أو هو بمعناه.

وأما قوله -تعالى-: «إن كنتم في شكّ من ديني». (٢) فيمكن أن يكون الخطاب مع أهل الكتاب أو غيرهم، ممّن كان يعرف النّبّي -صلى الله عليه وآله وسلم- بالصدق والأمانة، ولا ينسبه إلى الكذب والخيانة. (٣)

والريب رابع شعب الشكّ الأربع المذكورة قبله: «والشكّ على أربع شعب: على التّماري، والهول، والترّدّد، والاستسلام». (٤) وبيان نتائجها السّيّئة يأتي مع كلّ فقرة فقرة في محلّها إن شاء الله تعالى، فإنّه عليه السّلام قال: «فمّن جعل المرء ديدناً لم يُصبح ليله، ومّن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه، ومّن تردّد في الريب وطئته سنا بك الشّياطين، ومّن استسلم لهلكة الدّنيا والآخرة هلك فيها». (٥) فاطلبها من مظانّها (٦)

(١) البقرة: ٢.

(٢) يونس: ١٠٤.

(٣) فروق اللّغات: ١١٠.

(٤) التّهج: ١٨/١٤٣.

(٥) المصدر.

(٦) حرف الميم مع التّون.

والتردد: انتقاض العزيمة وفسخها ثم عودها. (١) قال الشيخ الطريحي: الشُّبْكُ كقُنْفُذ: طرف مقدّم الحافر. وهو معرّب، والجمع سنابك، ومنه الحديث: «مَنْ امْتَرَى فِي الدِّينِ وَطِئْتُهُ سَنَابِكُ الشَّيَاطِينِ»، وهو مبنيّ على الاستعارة. (٢) لعلّه يريد بالحديث: كلام الإمام عليه السّلام على نسخة رآها كذلك.

وكيف كان، فالشك والريب يتعوذ منه، في صادقّي: «كان رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- يتعوذ في كلّ يوم من ستّ: من الشك والشرك والحمية والغضب والبغي والحسد».

قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «إِنَّ الشَّكَّ وَالْمَعْصِيَةَ فِي النَّارِ، لَيْسَا مَتَا وَلَا إِلَيْنَا، وَإِنَّ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَطْوِيَةٌ بِالْإِيمَانِ طَيًّا، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ إِنْارَةً مَا فِيهَا فَتَحَهَا بِالْوَحْيِ، فَزَرَعَ بِالْحِكْمَةِ زَارِعَهَا وَحَاصِدَهَا». (٣)

ويقابل الشك اليقين، في صادقّي: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- صَلَّى بِالنَّاسِ الصُّبْحَ، فَنَظَرَ إِلَى شَاةٍ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُوَ يَخْفِقُ وَيَهْوِي بِرَأْسِهِ، مُصْفَرًّا لَوْنَهُ، قَدْ نَحَفَ جِسْمُهُ، وَغَارَتْ عَيْنَاهُ فِي رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم-: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا فُلَانُ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مُوقِنًا، فَتَعَجَّبَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ قَوْلِهِ وَقَالَ: إِنَّ لِكُلِّ يَقِينٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ يَقِينِكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ يَقِينِي يَا رَسُولَ اللَّهِ

(١) هامش مصادر التهج: ٢٩/٤.

(٢) مجمع البحرين: في (سبك).

(٣) السفينة: ٧١١/١، في (شك).

هو الذي أْحَزَّنِي، وَأَشْهَرَ لَيْلِي، وَأَظْمَأَ هَوَاجِرِي، فَعَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَحَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي، وَقَدْ نَصَبَ لِلْحِسَابِ، وَحُشِرَ الْخَلَائِقُ لَذَلِكَ، وَأَنَا فِيهِمْ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، يَتَنَعَّمُونَ فِي الْجَنَّةِ، وَيَتَعَارَفُونَ وَعَلَى الْأَرَائِكِ مَتَكِّئُونَ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ، وَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ مُصْطَرِّخُونَ وَكَأَنِّي الْآنَ أَسْمَعُ زَفِيرَ النَّارِ، يَدُورُ فِي مَسَامِعِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- لِأَصْحَابِهِ: هَذَا عَبْدٌ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَلْزَمَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ» الْحَدِيثُ (١).

١٦٧ - مَنْ جَعَلَ الْمِرَاءَ دِيدْنًا لَمْ يُصْبِحْ لَيْلُهُ



قال عليه السلام: «الشَّكُّ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى التَّمَارِي، وَالهَوْلِ، وَالتَّرَدُّدِ، وَالْإِسْتِسْلَامِ؛ فَمَنْ جَعَلَ الْمِرَاءَ دِيدْنًا لَمْ يُصْبِحْ لَيْلُهُ...» (٢).

راجع الفقرات التالية غير المذكورة هنا. (٣)

لعلَّ المراد بقوله عليه السلام: «لَمْ يُصْبِحْ لَيْلُهُ» عدم الخروج مِنْ ظِلْمَةِ الْخُصُومَةِ النَّاجِمَةِ مِنَ الْمِرَاءِ، وَفَقْدَ نُورِ الْإِيمَانِ الْمَلْزَمِ لِلْقَلْبِ، وَالتَّفَاقُ،

(١) أصول الكافي: ٥٣/٢.

(٢) التَّهْجُ: ١٨/١٤٣، الْحِكْمَةُ: ٣١.

(٣) حرف الميم مع التَّوْنِ.

وكسب الضغائن، فكأنَّ ليله لا صُبْح له، ولسلب الرّوح والرّاحة منه ليلاً ونهاراً.

ففي نبويّ: «قال جبرئيل للنبيّ -صلى الله عليه وآله وسلم-: إِيّاك وملاحاة الرّجال». ونبويّ آخر: «ما كاد جبرئيل يأتيني إلّا قال: يا محمّد! اتّق شحناء الرّجال وعداوتهم». ونبويّ آخر: «ما أتاني جبرئيل قط إلّا وعظني، فأخّر قوله لي: إِيّاك ومشاراة الناس؛ فإنّها تكشف العورة، وتذهب بالعزّ». المشاراة: المحاصمة. ونبويّ آخر: «ما عهد إليّ جبرئيل في شيءٍ ما عهد إليّ في معاداة الرّجال». وعلويّ: «إِيّاكم والمراء والخصومة، فإنّها يمرضان القلوب على الإخوان، وينبت عليها التّفاق». ونبويّ: «ثلاث من لقي الله عزّ وجلّ بهنّ دخل الجنّة، من أيّ باب شاء: من حسن خلقه، وخشي الله في المغيّب والمحصّر، وترك المراء، وإن كان محقّاً».

وصادقيّ: «لا تمارين محليّاً ولا سفيّاً؛ فإنّ الحليم يقلّيك، والسّفيف يؤذيك». (يقلّيك): أي يغيضك أو يتركك. وصادقيّ آخر: «من زرع العداوة حصّد ما بذّر». (١) (ربّ كلمة تقول لصاحبها: دعني)، و (مقتل الرّجل بين فكيه). (٢) وبقريّ: «إِيّاك والخصومات؛ فإنّها تورث الشكّ، وتحبط العمل، وتُردي صاحبها، وعسى أن يتكلّم بالشيء فلا يغفر له؛ إنّه كان فيما مضى قوم تركوا علم ما وكلّوا به،

(١) أصول الكافي: ٣٠٠/٢ - ٣٠٢.

(٢) عيون ابن قتيبة: ٣٣٠/١ - ٣٣١. ليس حديثاً بل من الكلمات الحكيمية.

وطلبوا علم ما كُفّوه، حتى انتهى كلامهم إلى الله عز وجل فتحيروا، فإن كان الرجل ليدعى من بين يديه فيجيب من خلفه، ويدعى من خلفه فيجيب من بين يديه». (١)

وأما قوله تعالى «فلا تمار فيهم إلا مرأً ظهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً». (٢) الدال على جواز المراء الظاهر، فالمراد به: الحكاية بغير مجادلة متعمقة. قال الفيض: فلا تجادل أهل الكتاب في شأن الفتية، إلا جدلاً ظاهراً غير متعمق فيه، وهو أن تقص عليهم بما أوحى إليك، من غير تجهيل لهم والرد عليهم. (٣)

والضابط الكلّي في الاستثناء هو ما لم يسبب الشحناء والعداوة وضيق الصدر، بل كان في جوّهادىء، وتبادل بين الجانبين، حتى إذا تبين الحق لهما أو أحدهما انتهى كل شيء، وعاد كل إلى ما كان أولاً، لا ما تقول ويقول، ولا ينهى القول إلا وقد حصل العداوة أو الإعراض القلبي والنزاع. وما تقدم من الأحاديث إنما هو النهي عما يسبب ذلك، فالواجب الترك، وإن كان محققاً؛ لأن ما يحصل من المراء من الشحناء أضر من ترك الجدل، ولعلّ قوله تعالى: «وجدلهم بالتي هي أحسن». (٤) هو هذا المعنى بدليل ما تقدمه: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» ثم قال: «وجدلهم بالتي هي أحسن». وما يتوهم من جعل ذلك ديدناً ممنوعاً لا أصل المراء من نفس كلام

(٣) تفسير الصافي: ١٠/٢.

(٤) التحل: ١٢٥.

(١) التوحيد: ٤٥٦.

(٢) الكهف: ٢٢.

الإمام عليه السلام حيث قال: «مَنْ جَعَلَ المراءَ ديدناً لم يُصبح ليلُهُ»،
جوابه: أَنَّهُ مِنْ باب المفهوم غير الحجة؛ فلا ينافي التَّهْي عن حالة الشَّيْء
التَّهْي عن ذلك الشَّيْء، إِلَّا على ما تقدّم من استثناء المراء الظاهر من
الآية: «إِلَّا مراءً ظهراً» المفسّر بغير التعمّق كما عن الكاشاني (١).

١٦٨ - مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الواضِحَ وَرَدَ الماءَ

من كلام له عليه السلام يجري مجرى الأمثال:
«... يا أَيُّهَا النَّاسُ! مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الواضِحَ وَرَدَ الماءَ، وَمَنْ
خَالَفَ وَقَعَ فِي التَّيِّهِ» (٢).



والتَّيِّهِ: المفازة لا يهتدي سالِكُهَا. ونظير المَثَلِ المَثَلُ: (من سلك
الجَدَّ أَمِنَ العَثَارَ). الجَدَّ: الأرض المستوية: ويروى: (من تجتنب
الخُبَارَ...) وهي أرض رخوة تتعتع فيها الدَّوَابُّ. يضرب لطالب
العافية (٣).

إرشادٌ منه عليه السلام، يلمسه كلُّ أحد، يرشد به أصحابه،
ويحذّرهم عن سلوك ما يعطبون به، وأمره عليه السلام أوضح من كلِّ

(١) تفسير الصّافي: ١٠/٢.

(٢) التَّهْي: ٢٦١/١٠، كلام: ١٩٤.

(٣) المستقصى: ٣٥٦/٢.

واضح، إن تمسك متمسك به نجا، ومن خالفه هلك. وقد جاء الحديث النبوي: «مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي، كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ». (١)

والمراد بالتمثيل ليس هو مجرد الولاء لأهل البيت عليهم السلام فقط، بل لابتداء من العمل بما يقولون ويحبون، والاتباع المورث لحب الله تعالى، كما قال تعالى: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ». (٢) وعليه فالمثل واقع موقعه؛ إذ أن سالك الطريق الواضح يصل إلى ما يقصده من سلوكه، والمنحرف عنه يفوته، وليس له إلا التعب، وقد أتم الله الحجة على الناس، وبلغها أنبياءه، وبلغ إياها الرسول وأوصيائه المعصومون صلى الله عليهم وسلم، وبعد ذلك كله إما أن يشكروا أو يكفروا، كما قال تعالى: «وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» (٣) هما طريق الشر والخير. وقال تعالى: «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا». (٤) «قُلْ لِّلَّهِ الْحُجَّةُ الْبُلْغَةُ». (٥) الأنبياء والأوصياء والشرائع السماوية هي الحجج الظاهرة، والعقول الموهوبة للناس، وما فطروا عليه من المعرفة به تعالى ودينه الحجج الباطنة، فقد تمت رسل الله من خارج وداخل «لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل» (٦).

(١) حرف الميم مع الثاء من الأمثال النبوية: ١٧٩/٢، رقم المثل: ٤٨٨.

(٢) آل عمران: ٣١.

(٦) النساء: ١٦٥.

(٣) البلد: ١٠.

(٤) الإنسان: ٣.

(٥) الأنعام: ١٤٩.

١٦٩ - مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبَر... حِجْزَتُهُ التَّقْوَى

مثل متَّخِذ من خطبة له عليه السَّلام، صورة بعضها:
«ذَمَّتِي بِمَا أَقُول رَهِينَهُ، وَأَنَابَهُ زَعِيمٌ: إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبَرُ عَمَّا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ الْمَثَلَاتِ حِجْزَتُهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشَّهَاتِ» (١).

وقد تعرَّضنا لهذه الخطبة المباركة عند المَثَل: «لَتُبْلَبُنَّ بِلَبْلَةٍ،
وَلَتُغْرِبُنَّ غَرْبَةً» (٢). وهي موزَّعة على عدَّة أمثال أخرى: «اليَمِينِ،
وَالشَّامَالِ مَضَلَّةً» (٣) «الطَّرِيقِ الْوَسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ» (٤). لا يهلك
على التَّقْوَى سَنَخُ أَصْل» (٥).
شرح بعض مفردات المَثَل:

معنى (صَرَّحَتْ): كشفت. و(الْعِبَر) جمع عِبْرَة: وهي كُلُّ مَا اعْتَبَرَبِهِ
الْإِنْسَانُ. وَأَمَّا الْعِبْرَة بِفَتْح الْعَيْنِ: فَهِيَ الدَّمْعَةُ وَجَمْعُهَا الْعِبَرَاتُ. وَمِنْهُ مَا
فِي زِيَارَةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ الشَّهِيدِ أَرْوَاحَ مَنْ فِي الْوُجُودِ فِدَاهُ: «يَا عِبْرَة كُلِّ
مُؤْمِنٍ». و(الْمَثَلَاتِ): الْعُقُوبَاتُ، وَمِنْهَا آيَة: «وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ

(٤) حرف الطاء مع الزاء.
(٥) حرف اللام مع الألف.

(١) التَّهَجُّج: ٢٧٢/١، ط: ١٦.
(٢) حرف اللام مع التاء.
(٣) حرف الباء مع الميم.

المَثَلُت». (١) أي العقوبات التي حلت بالأمم السالفة لتمردهم على الله تعالى وأنبيائه عليهم السلام. وأما (التَّقْوَى) فأجمع تعريف لها وجدته قوله تعالى: «والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون». (٢) ما أوجزها من كلمة جامعة لها، دَلَّ سبحانه بكلمة: «جاء بالصدق» على الشمول من الصدق في القول، والعمل، والنية، وكل حركة وسكون يكون من الإنسان، وهي مرتبة لا ينافيها إلا ذو حظ عظيم.

ثم المراد من المَثَل: التحذير عما يسبب العقوبة، ويحرمه من المثوبة. ونظيره المَثَل العامي: (مَنْ لَسَعَتْهُ الْحَيَّةُ حَذَرَ الرَّسَنِ). (٣) قال الميداني: (مَنْ نَهَشَتْهُ الْحَيَّةُ حَذَرَ الرَّسَنِ الْأَبْلَقِ). قال أبو عبيد: هذا من أمثال العامة؛ قال الشاعر:

إِنَّ النَّاسَ لِحَاذِرُ مَتَوَجَّسٍ يَخْشَى وَيَرْهَبُ كُلَّ حَبْلِ أَبْلَقِ (٤)



مركز بحوث الدراسات الإسلامية

١٧٠- مَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجُورُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ

مِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا رَدَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ قِطَاعِ عِثْمَانَ: «وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءَ، وَمِثْلَكَ بِهِ الْإِمَاءَ لَرَدَدْتُه؛ فَإِنْ

(١) الرعد: ٦.

(٢) الزمر: ٣٣.

(٣) المستقصى: ٣٥٩/٢.

(٤) مجمع الأمثال: ٣١٩/٢، حرف الميم.

في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل، فاجور عليه أضيق» (١).
 إِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ أَمَرَ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: «إِنَّ
 اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ» (٢). «اعدلوها وأقربوا للتقوى» (٣). خطاب
 للعموم، وخصص النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله عز وجل حكاية
 عنه: «وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ»، (٤) تبجيلاً. والعدل محبوب في كل
 شيء؛ ومن ثم لم ينص على متعلقه في الآيتين الأوليين ولئن صرح
 بذلك في آية: «فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ» (٥) وآية: «وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا
 أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ» (٦) وغيرها فإنها هويان لموضع التطبيق من
 موارد بدون قصر.

وحقيقة العدل: وضع كل شيء موضعه بحسبه الشرعي والعقلي
 المؤزر بالشرع الأقدس المتجسد في النبي وآله الظاهرين صلى الله
 عليهم وسلم وفي صحيح صادق: «العدل أحلى من الماء يصيبه الظمان،
 ما أوسع العدل إذا عدل فيه، وإن قل» (٧).

قال المعتزلي: القطائع: ما يقطعه الإمام بعض الرعية من أرض
 بيت المال ذات الخراج، ويسقط عنه خراجه، وقد كان عثمان أقطع
 كثيراً من بني أمية وغيرهم من أوليائه وأصحابه قطائع من أرض الخراج،

(٢) التحل: ٩٠.

(٤) الشورى: ١٥.

(٦) النساء: ١٢٩.

(١) التهج: ٢٦٩/١، كلام: ١٥.

(٣) المائدة: ٨.

(٥) النساء: ٣.

(٧) أصول الكافي: ١٤٦/٢، الوسائل: ٢٣٣/١١.

وقد كان عمر أقطع قطائع...

و عن ابن عباس: أنَّ عليّاً عليه السّلام خطب في اليوم الثّاني من بيعته بالمدينة، فقال: «ألا إنَّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان، وكلّ مال أعطاه من مال الله، فهو مردودٌ في بيت المال؛ فإنَّ الحقَّ القديم لا يبطله شيءٌ، ولو وجدته قد تزوّج به النساء، وفُرّق في البلدان، لرددته إلى حاله؛ فإنَّ في العدل سعةً، ومن ضاق عنه الحقُّ، فالجور عليه أضيق».

وتفسير هذا الكلام أنَّ الوالي إذا ضاقت عليه تدبيرات أموره في العدل، فهي في الجور أضيق؛ لأنَّ الجائر في مظنة أن يمنع ويصدّ عن جوره. (١)

قال الوليد بن عقبة، وهو أخو عثمان من أمّه، يذكر قبض عليّ عليه السّلام نجائب عثمان وسيفه وسلاحه:

بني هاشم ردّوا سلاح ابن اختكم ولا تنهبوه لا تحلّ مناهبه - إلى أن قال:-

قتلتم أخي كما تكونوا مكانه كما غدرت يوماً بكسرى مرازبه - أجب بأبيات من بني عبد المطلب:-

فلا تسألونا سيفكم إنَّ سيفكم	أضيع وألقاه لدى الرّوع صاحبه
وشبهته كسرى وقد كان مثله	شبيهاً بكسرى هديته وضرائبه. (٢)

(٢) المصدر: ٢٧٠/١ - ٢٧١.

(١) شرح التهج: ٢٦٩/١ - ٢٧٠.

ثُمَّ لَا يَخْفَى أَنَّ الْمَثَلَ يَمِثِلُهُ الْمَثَلُ الْمَوْلَدُ: (مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ) (١).

١٧١ - مَنْ ضَيَّعَهُ الْأَقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ الْأَبْعَدُ

قال عليه السلام:
«مَنْ ضَيَّعَهُ الْأَقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ الْأَبْعَدُ». (٢)

قال ابن أبي الحديد: إِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَنْصُرُهُ مَنْ لَا يَرْجُو نَصْرَهُ، وَإِنْ أَهْمَلَهُ أَقْرَبُوهُ وَخَذَلُوهُ، فَقَدْ تَقُومُ بِهِ الْأَجَانِبُ مِنَ النَّاسِ، وَقَدْ وَجَدْنَا ذَلِكَ فِي حَقِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. وَضَيَّعَهُ أَهْلُهُ وَرَهْطُهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَخَذَلُوهُ وَتَمَالَّوْا عَلَيْهِ، فَقَامَ بِنَصْرِهِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، وَهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ نَسَباً مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ مِنْ عَدْنَانَ، وَهُمْ مِنْ قَحْطَانٍ، وَكُلٌّ وَاحِدٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ لَا يَحِبُّ الْآخَرَ حَتَّى تَحَبَّ الْأَرْضُ الدَّمَ. وَقَامَتْ رُبَيْعَةُ بِنَصْرِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صَفِّينَ، وَهُمْ أَعْدَاءُ مُضَرِّ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهُ وَرَهْطُهُ، وَقَامَتْ الْيَمَنُ بِنَصْرِ مَعَاوِيَةَ فِي صَفِّينَ، وَهُمْ أَعْدَاءُ مُضَرٍّ، وَقَامَتْ

(١) مجمع الأمثال: ٣٢٩/٢، حرف الميم.

(٢) التهذيب: ١١٨/١٨، الحكمة: ١٥.

الخُرَاسَانِيَّةُ وَهُمْ عَجَمٌ بِنَصْرِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَهِيَ دَوْلَةُ الْعَرَبِ. وَإِذَا تَأَمَّلْتَ السَّيْرَ وَجَدْتَ هَذَا كَثِيراً شَائِعاً. (١)

ذَكَرَهُ الْمِيدَانِيُّ نَاسِئاً إِتْيَاهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. (٢) وَالتَّوِيرِيُّ (٣) وَغَيْرُهُمَا. وَلَا يَخْفَى أَنَّ الْمِيدَانِيَّ ذَكَرَ مَا يَنْطَبِقُ عَلَى الْمَقَامِ قَالَ: (مَنْ ضَاقَ عَنْهُ الْأَقْرَبُ أَتَاهُ اللَّهُ لَهُ الْأَبْعَدُ). (٤)

(مَنْ ضَيَّعَهُ)، مِنْ ضَاعَ يَضِيعُ ضَيَاعاً بِالْفَتْحِ: ذَهَبَ وَهَلَكَ. وَأَمَّا بِكَسْرِ الضَّادِ (ضِيَاعٌ) فَهُوَ جَمْعُ ضَائِعٍ، كَجِيَاعٍ فِي جَائِعٍ، وَمِنْ الضَّيَاعِ بِالْفَتْحِ شَعْرَابِنُ الْفَارِضِ:

ذَهَبَ الْعُمُرُ ضَيَاعاً وَانْقَضَى
غَيْرُ مَا أَوْلَيْتُ مِنْ عَقْدِي وَلَا
بَاطِلاً إِذْ لَمْ أَفِرْ مِنْكُمْ بِشَيْءٍ
عَتَرَةُ الْمَبْعُوثِ حَقّاً مِنْ قِصِي (٥)

الْقُرْبُ وَالْبَعْدُ جَسْمِيٌّ وَمَعْنَوِيٌّ، وَيَدْخُلُ فِي الْأَوَّلِ الْمَكَانِيُّ وَالزَّمَانِيُّ؛ وَفِي الثَّانِي النَّسَبِيُّ وَالسَّبَبِيُّ وَالْحَسَبِيُّ، كَعَلَقَةِ الْقَرَابَةِ بِجَمِيعِ طَبَقَاتِهَا، وَالْمَصَاهِرَةِ، وَالْوَلَاءُ مِنَ الْعَتَقِ وَضَامِنُ الْجَرِيرَةِ وَالْإِمَامَةِ فِي بَابِ الْإِرْثِ، وَلَهَا الْجِهَةُ الْعُلْيَا تَفُوقُ الْوَلَاءَ عَيْنً. وَأَمَّا الْقُرْبُ الْحَسَبِيُّ أَوْ بُعْدُهُ

(١) شرح التَّهْجِ: ١١٨/١٨، قَوْلُهُ: «أَقْرَبُوهُ»: أَيِ أَقْرَبَاؤُهُ.

(٢) مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ: ٤٥٣/٢، حَرْفُ الْمِيمِ.

(٣) مَصَادِرُ التَّهْجِ: ١٥/٤.

(٤) مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ ٣١٨/٢، حَرْفُ الْمِيمِ.

(٥) الدِّيَوَانُ: ١١ - ١٢.

فهو الرفعة أو الضعة البيتية، فكلما كان المنتمى إليه أشرف كالرسول وأهل بيته الطاهرين صلى الله عليهم وسلم كان المنتمى كالسادة زادهم الله شرفاً أشرف من غيرهم، ويحبذا لو اجتمع مع التقوى، كان هو الأكرم عند الله، كما قال تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ». (١) والمراد من الأقرب والأبعد في كلامه عليه السلام: الجسمي: أي أقرباء الإنسان، كما عرفت من الشرح، ولكن الأبعد يدخل فيه الأقرب المعنوي المتاح له، والمُتيح هو الله عز وجل جبراً لما كسره أقرباؤه. وقد جاء الذم فيهم والمدح، من الأول: المثل السائر: (مَنْ ضَاقَ عَنْهُ الْأَقْرَبُ أَتَاحَ اللَّهُ لَهُ الْأَبْعَدَ). (٢) وقول الشاعر:

لخومهم لحمي وهم يأكلونه وماداهيات المرء إلا أقاربه

الأب رب، والأخ فخ، والعم غم، والخال وبال، والولد كمد، والأقارب عقارب؛ العداوة في القرابة، كالنار في الغابة. (٣)

إني بلوت الناس في حالاتهم وخبرت ما وصلوا من الأسباب
فإذا القرابة لا تقرب قاطعاً وإذا المودة أقرب الأنساب (٤)

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) مجمع الأمثال: ٣١٨/٢، حرف الميم.

(٣) التمثيل والمحاضرة: ٤٦٠.

(٤) بهج الصباغة: ١٠٢/١٠.

ومن الثاني: «وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ؛ فَإِنَّمَا يَقْبِضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةً، وَيَقْبِضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ». (١) و«وَأَكْرَمُ عَشِيرَتِكَ»؛ فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ» (٢).

١٧٢ - مَنْ لَانَ عُودُهُ كَثَفَتْ أَغْصَانُهُ

قوله صلوات الله عليه:

«مَنْ لَانَ عُودُهُ كَثَفَتْ أَغْصَانُهُ» (٣).

هو من الكلمات القصار الحكيمة المعدودة من الأمثال الجارية على الألسن؛ ذكروا: أَنَّ مَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ وَلَانَتْ كَلِمَتُهُ كَثُرَ مَحَبُّوهُ وَأَعْوَانُهُ وَأَتْبَاعُهُ، وَنَحْوَهُ: (مَنْ لَانَتْ كَلِمَتُهُ وَجَبَتْ مَحَبَّتُهُ). وقال تعالى: «وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ» (٤).

وأصل هذه الكلمة مطابق للقواعد الحكيمة، أعني: الشجرة ذات الأغصان حقيقة؛ وذلك لأنَّ الثبات كالحيوان في القوى النفسانية،

(١) التهج: ٣١٣/١، الخطبة: ٢٣.

(٢) التهج: ١٢٢/١٦، الوصية: ٣١.

(٣) التهج: ٣٥/١٩، ح ٢١٠.

(٤) آل عمران: ١٥٩.

أعني: الغذائية والمنمية، وما يخدم الغذائية من القوى الأربع وهي: الجاذبة، والماسكة، والدافعة، والهاضمة.

فإذا كان اليُبس غالباً على شجرة كانت أغصانها أخف، وكان عودها أدق، وإذا كانت الرطوبة غالبية كانت أغصانها أكثر، وعودها أغلظ؛ وذلك لاقتضاء اليُبس الذبول، واقتضاء الرطوبة الغلظ والعبالة والضخامة؛ ألا ترى أن الإنسان الذي غلب اليُبس على مزاجه لا يزال مهلوساً نحيفاً، والذي غلبت الرطوبة عليه لا يزال ضخماً عبلاً. (١)

في الصادقي: «يا شيعة آل محمد! اعلّموا أنه ليس منا من لم يملك نفسه عند غضبه، ومن لم يُحسن صحبة من صحبه، ومخالقة من خالقه، ومرافقة من رافقه، ومجاورة من جاورة، ومخالعة من مالحة. يا شيعة آل محمد! اتقوا الله ما استطعتم، ولا قوة إلا بالله». وعنه عليه السلام في قول الله عز وجل: «إنا نريك من المُحسنين». (٢) قال: «كان يوسع المجلس، ويستقرض للمحتاج، ويعين الضعيف». (٣)

والقرآن الكريم يأمر بحسن القول، ويرغب إلى فضائل ومكارم الأخلاق، قال تعالى: «وقولوا للناس حسناً»، (٤) «وإنك لعلیٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ»، (٥) «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة». (٦) وكلام الإمام عليه السلام ترغيبٌ إلى ذلك مع بيان الوجه فيه، كما تقدّم بتفصيل لسر التمثيل.

(١) شرح التهجد: ٣٥/١٩.

(٤) البقرة: ٨٣.

(٢) يوسف: ٣٦.

(٥) القلم: ٤.

(٣) أصول الكافي: ٦٣٧/٢.

(٦) الأحزاب: ٢١.

١٧٣ - مَنْ مَلَّكَ اسْتَأْثَرَ

مِنْ كَلِمَاتِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْحَكِيمَةُ قَوْلُهُ:
«مَنْ مَلَّكَ اسْتَأْثَرَ». (١)

من أمثال سائرة جاء به الإمام عليه السلام لإرشاد ذوي المناصب،
أَوْ مَنْ تَصَدَّى أَمْرًا مِنْ الْأُمُورِ الْمَحْذُورَةِ إِلَيْهِ.
قال الميداني: (مَنْ مَلَّكَ اسْتَأْثَرَ)، يضرب لمن يلي أمراً، فيفضل
على نفسه وأهله، فيعاب عليه فعله. (٢)
قال الشارح: المعنى: أَنْ الْأَغْلَبَ فِي كُلِّ مَلِكٍ يَسْتَأْثَرُ عَلَى الرَّعِيَةِ
بِالْمَالِ وَالْعِزِّ وَالْجَاهِ، وَنَحْوِ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُمْ: (مَنْ غَلَبَ سَلَبَ)، وَ(مَنْ
عَزَبَ)، (٣) وَنَحْوَهُ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ:

وَالظُّلْمُ مِنْ شِمِّ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجَدَّ ذَاعَفَةً فَلَعَلَّةٍ لَا يَظْلَمُ (٤)

(١) التهج: ٣٨١/١٨، ح ١٦٢.

(٢) مجمع الأمثال: ٣٢٠/٢، حرف الميم.

(٣) المستقصى: ٣٥٧/٢.

(٤) شرح التهج: ٣٨١/١٨.

؛ وَمِنْ ثَمَّ الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا وَلِيَ الْخِلَافَةَ ، وَنَصَبَ
وَلَاتَهُ عَلَى الْأَقْطَارِ وَالْأَمْصَارِ ، كَانَتْ كُتُبُهُ وَرِسَالُهُ تَتَرَى عَلَيْهِمْ مِنْ حِينَ
لَاخِرٍ ، يَحْذَرُهُمْ عَنِ الْإِسْتِثَارِ أَشَدَّ تَحْذِيرٍ ، وَيَحَاسِبُهُمْ عَلَى الذَّرَةِ وَالذَّرَةِ ،
وَإِذَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ أَمْرٌ يَخَالِفُ مَا أَرَادَ ، وَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ ، عَزَلَ الْمُخَالَفَ مِنْ
سَاعَتِهِ ، وَعَاقَبَهُ عِقَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ حُدُودَهُ ، وَلَا تَأْخُذْهُ فِي
اللَّهِ لَوْمَةٌ لَا تُمْ . وَمَنْ طَالَعَ سِيرَتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ الْوَلَاةِ الْمَنْصُوبِينَ مِنْ
قَبْلِهِ ، عَلِمَ صَدَقَ ذَلِكَ كُلُّهُ ، وَيَكْفِيكَ قَضِيَّةَ وَالِيهِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَمَا بَلَغَهُ
مِنْ تَصَرُّفِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ :

«وَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ ، مَا كَانَتْ لَهَا
عِنْدِي هَوَادَةٌ ، وَلَا ظَفْرًا مَنِّي بِإِرَادَةٍ ، حَتَّى آخِذًا لِحَقِّ مَنِّهَا ، وَأُزِيحَ الْبَاطِلَ
عَنِ مَظْلَمَتَيْهَا» . (١)

وَلِيَنْظُرَ النَّازِرُ إِلَى مَالِكِ الْأَشْتَرِ ، حِينَ وَلَاهُ عَلَى مِصْرَ ، مَا شَرَحَ لَهُ
مِنْ وَظَائِفِ الْوَلَاةِ وَطَبَقَاتِ الرَّعِيَّةِ (٢) .

(١) التهج: ١٦/١٦٨ .

(٢) التهج: ١٧/٣٠-١١٧ ، كتاب ٥٣ ، متناً وشرحاً .

١٧٤ - مَنْ هَالَهُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ

من كلام له عليه السلام في شُعب الشك الأربع: التماري، والهول، والتردد، والاستسلام؛ قوله عليه السلام: «مَنْ هَالَهُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ» (١).

بيانٌ لنتاج الهول، وقد تكلمنا على البقية (٢) وكلام الإمام عليه السلام مصوغٌ للذم؛ لأنَّ التكوُّص جاء الذم به في آيتين من القرآن الكريم: «فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ» (٣) و «فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تُنْكَصُونَ» (٤).

في باقرِي: «أَنَّهُمْ لَمَّا اتَّقَوْا كَانَ إِبْلِيسُ فِي صَفِّ الْمُشْرِكِينَ فِي (حَرْبِ بَدْر) أَخَذَ أَبِيدَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَتَنَكَّصَ عَلَى عَقِبَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْحَارِثُ: يَا سَرَّاقَةً! أَتَخَذُلُنَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ؟ فَقَالَ: إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، فَقَالَ: مَا تَرَى إِلَّا خَوَاسِيسَ يَثْرِبُ، فَدَفَعَ فِي صَدْرِ الْحَارِثِ،

(١) التهج: ١٨/١٤٣، الحكمة: ٣١.

(٢) حرف الميم مع التَّوْن.

(٣) الأنفال: ٤٨.

(٤) المؤمنون: ٦٦.

وانطلق، وانهزم الناس». (١).

وقبل الآية الثانية: «لا تجثروا اليوم إنكم منا لا تنصرون» قد كانت آيتي تلتى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون». تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها. والتكوص: الرجوع القهقري. (٢) كلمة تقال إذا أحجم عن الشيء خوفاً وجبناً، قال ابن دريد: نكص على عقبيه: رجع عما كان عليه من خير لا يقال ذلك إلا في الرجوع عن الخير. (٣). ومنه: «قدّم للوثبة يداً، وأخّر للتكوص رجلاً». الرجوع إلى وراء، وهو القهقري. (٤)

والمثل السائر في منع التكوص: (من لم يزكب الأهوال لم يتل الآمال). (٥) إذا هال الإنسان ما بين يديه، ونكص خوفاً على فوات أمر دنيوي، فقد استخف بالدين، إذا كان ممّا عت به. فعليه الركوب وإن فاته التفع الدنيوي؛ لأنّ ما يظفر به من الآخرة أكثر، وهذا عند التزاحم بين أمرين، أحدهما دنياً، والآخر آخرة. فلا يكون ممّن يبيع تلك بهذه فيخسرهما جميعاً ويصبح مصداقاً لقوله تعالى: «خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين». (٦)

(١) تفسير الصافي: ٦٧٢/١.

(٢) تفسير الصافي: ١٤٤/٢.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٤٧٧/٥، في (نكص).

(٤) النهاية: في (نكص)، وحرف القاف مع الدال.

(٥) مجمع الأمثال: ٣٣١/٢، حرف الميم.

(٦) الحج: ١١.

١٩
ومن صفات المؤمن أنه صَلَبٌ في أمر الدين، لا يهوله شيء، ولا يهتم بما فاتته من الدنيا؛ إذ هي صغيرة في عينه، وإذا جاءه ما وافق الهوى خالفه. قال عليه السلام:

«كان لي فيما مضى أخ في الله، وكان يعظمه في عيني صغرا للدنيا في عينه، وكان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يتشهى ما لا يجد، ولا يكسر إذا وجد، وكان أكثر دهره صامتاً، فإن قال بَدْ القائلين، ونَقَعَ غليل السائلين، وكان ضعيفاً مستضعفاً، فإن جاء الجد فهو ليث عادي، وصل واد، لا يبدلي بحجة حتى يأتي قاضياً، كان لا يلوم أحداً على ما لا يجد العذر في مثله حتى يسمع اعتذاره، وكان لا يشكو وجعاً إلا عند بُرئه، وكان يفعل ما يقول، ولا يقول ما لا يفعل، وكان إن غلب على الكلام لم يُغلب على السكوت، وكان على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلم، وكان إذا بدَّه أمران نظر أيهما أقرب إلى الهوى فخالفه، فعليكم بهذه الخلائق فالزموها وتنافسوا فيها، فإن لم تستطيعوها فاعلموا أن أخذ القليل خير من ترك الكثير». (١)

وإنما ذكرنا هنا كلامه عليه السلام عن آخره؛ لأنه بُغية المؤمن التي لا يتفك عنها مهما كانت حالته، ولعمر الحق أنها لبها الكفاية؛

الله رب الناس فارفع همكا لا شيء غير الله أن يهتكاً (٢)

(١) التهجد: ١٨٣/١٩، الحكمة: ٢٩٥.

قوله عليه السلام: «... على ما لا يجد العذر في مثله...»، في بعض النسخ: «على ما يجد...» بدون (لا). (٢) سيرة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم -: ٩٠، مع تغيير ما.

١٧٥ - مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ

هذا المَثَلُ مِنْ خُطْبَةِ نَصْهَا:

«بنا هتديتم في الظلماء، وتستتم العلياء، وبنا انفجرتم عن السَّرار. وُقِر سمعٌ لم يفقه الواعية، وكيف يُراعي النِّبَاة من أصمته الصَّيحة! رُبط جَنَانٌ لم يفارقه الحفَقان. ما زِلْتُ أنتظر بكم عواقب الغدر، وأتوسمكم بحِلية المغتربين...»

اليوم أنطق لكم العجاء ذات البيان. عَزَبَ رأيي امرئٍ تخلف عني، ما شككتُ في الحقِّ مذ أُريتُهُ. لم يُوجس موسى عليه السَّلام خيفةً على نفسه؛ أَشْفَقَ مِنْ غلبة الجُهاال ودَوَلِ الضَّلال. اليوم تواقفنا على سبيل الحقِّ والباطل. مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ». (١)

اشتملت الخطبة الشريفة على عدّة أمثال لا تحفى على الأريب، قيل: إنّ هذه الأمثال ملتقطةٌ مِنْ خطبة طويلة منسوبة إليه عليه السَّلام. قوله عليه السَّلام: «بنا انفجرتم عن السَّرار». السَّرار: اللَّيلة والليلتان يستتر فيهما القمر في آخر الشهر فلا يظهر. «وُقِر سمعٌ لم يفقه

(١) التَّهَجُّج: ٢٠٧/١، ط ٤. وفي بعض النسخ: (بل أشفق...).

الواعية». دعاءٌ على السَّمع الَّذي لا يسمع الصَّرخة: أي العِبَر والمواعظ.
 «كيف يراعي النَّبَأَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ»، مَثَلٌ آخَر. النَّبَأُ الصَّوْتُ
 الضَّعِيفُ: أي مَنْ لم ينتفع بالمواعظ الجَلِيَّةِ كيف ينتفع بالخَفِيَّةِ منها؟
 «رُبَطَ جَنَانٌ لم يَفَارِقْهُ الخَفَقَانُ»، مَثَلٌ آخَر. وهو دعاءٌ لقلبٍ لم يَفَارِقْهُ
 الخَفَقَانُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى. «اليومُ أَتُطَقُّ لَكُمْ الْعَجَمَاءُ ذَاتَ الْبَيَانِ»،
 مَثَلٌ آخَر. يريد عليه السَّلَامُ: تمثيل الرَّمُوزِ الخَفِيَّةِ الغامِضَةِ في كلامه
 وهي مع غموضها جَلِيَّةٌ لذوي النِّهْيِ بِالْبُهِمِ الصَّامِتَةِ النَّاطِقَةِ بِدَلَائِلِ
 الصَّنْعِ، ووجود بَارئِهَا جَلَّ جَلَالُهُ.

نظيره الحديث: «سَلِ الْأَرْضَ: مَنْ شَقَّ أَنْهَارُكَ، وَأَخْرَجَ ثَمَارُكَ؟
 فَإِنْ لَمْ تَجِبْكَ حَوَارًا، أَجَابَتْكَ أَعْتَابَارًا». (١)

قوله عليه السَّلَامُ: «لَمْ يُوجِسْ مُوسَى خَيْفَةً عَلَى نَفْسِهِ» تمثِّلُ بقوله
 تَعَالَى: «فَأَوْجِسْ فِي نَفْسِهِ خَيْفَةً مُوسَى». (٢) يقول عليه السَّلَامُ: كما
 خَافَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى ضَلَالِ قَوْمِهِ، كَذَلِكَ أَنَا خَائِفٌ عَلَى تَغْلِبِ
 الْجَهَالَةِ عَلَى قَوْمِي، وَإِحَاطَةِ الضَّلَالَةِ بِهِمْ، وَهَذَا مَثَلٌ قُرْآنِي.

«اليومَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ» عَلَى قِرَاءَةِ تَقْدِيمِ الْقَافِ
 عَلَى الْفَاءِ: أي اتَّضَحَ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ، وَوَافَقْنَا عَلَيْهِمَا نَحْنُ وَأَنْتُمْ، وَعَرَفْنَاهُمَا
 حَقَّ الْمَعْرِفَةِ. قوله عليه السَّلَامُ: «مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ» لم يُردْ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 نَفْيَ الظَّمِّ إِبْطَاقًا؛ لِأَنَّ الْوَائِقَ بِالْمَاءِ قَدْ يَظْمَأُ، كَالْعَطْشَانِ الْوَاجِدِ لِلْمَاءِ،
 وَقَدْ تَمَثَّلَ لِهَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ:

(٢) طه: ٦٧.

(١) شرح النَّهْجِ: ٢١١/١.

وما صباة مشتاقٍ على أملٍ من اللقاء كمشتاقٍ بلا أملٍ

والصائم في شهر الله يُصبح جائعاً، تنازعه نفسه إلى الطعام، وفي أيام فطره لا يجد تلك المنازعة في نفسه؛ ذلك بأن النفس حريصة على ما مُنعت منه. (١)

وهذا المثل من الأمثال الرفيعة السائرة. يريد عليه السلام بالماء الموثوق به نفسه الشريفة المقدسة؛ بلى والله إنه الماء المعين الزلال للوائقين به عليه السلام السالكين منهجه، والمعول في كل المعضلات، حتى قال القائل عندما دهمته معضلة: لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن أعوذ بالله من معضلة ولا أبو حسن لها. (٢) وإنه الهداية التي لا ضلالة معها، والتصير الذي لا يخذل مستنصره، والبحر الزاخر؛ عن أبي هريرة قال: كنت عند النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- إذ أقبل علي بن أبي طالب، فقال النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: «هذا البحر الزاخر، هذا الشمس الطالعة، أسخى من الفرات كفاً، وأوسع من الدنيا قلباً، ومن أبغضه فعليه لعنة الله». (٣) والوسيلة إلى الله عز وجل في نجح الطلبات، والفوز بالمهمات، والثقة الكاملة في جميع أمور الدين والدنيا،

(١) شرح التهجد: ٢١١/١ - ٢١٢.

(٢) الغدير: ٩٨/٣، وفيه ألفاظ أخر منها: لا أبقاني الله بأرض لست فيها أبا الحسن،

لولا علي لهلك عمر. المصدر: ٩٧/٣، وفي المصدر: ١٠١/٦ - ١٠٣.

(٣) السفينة: ٧١٢/٢، في (هر).

وكذا بقية الأئمة الأحد عشر من نسله الطاهر، والصديقة الطاهرة،
والرسول النهر العظيم، صلى الله تعالى عليهم وسلم.

روى الشيخ الكليني عن محمد بن يحيى، عن علي بن النعمان،
رفعه عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام:

«يَمُصُّونَ الثَّمَادَ، وَيَدْعُونَ النَّهْرَ الْعَظِيمَ، قِيلَ لَهُ: وَمَا النَّهْرُ الْعَظِيمُ؟
قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ، وَالْعِلْمُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ. إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَمَعَ لِمُحَمَّدٍ
سِنَنَ النَّبِيِّينَ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ وَهَلَمَّ جَرّاً إِلَى مُحَمَّدٍ. قِيلَ لَهُ: وَمَا تِلْكَ
السِّنَنُ؟ قَالَ: عِلْمُ النَّبِيِّينَ بِأَسْرِهِ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَيَّرَ ذَلِكَ كُلَّهُ عِنْدَ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ أَمْ
بَعْضُ النَّبِيِّينَ؟ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: اسْمَعُوا مَا يَقُولُ؛ إِنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ مَسَامِعَ مَنْ
يَشَاءُ؛ إِنِّي حَدَّثْتُه أَنَّ اللَّهَ جَمَعَ لِمُحَمَّدٍ عِلْمَ النَّبِيِّينَ، وَأَنَّهُ جَمَعَ ذَلِكَ كُلَّهُ عِنْدَ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ سَأَلَنِي: أَهَلْوَ أَعْلَمُ أَمْ بَعْضُ النَّبِيِّينَ؟!» (١).

(١) أصول الكافي: ٢٢٢/١ - ٢٢٣، باب أَنَّ الْأئِمَّةَ وَرَثَةُ الْعِلْمِ، الْحَدِيثُ ٦، قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَهَلَمَّ جَرّاً» مِنْ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ، ذَكَرَهُ الْمِيدَانِيُّ فِي مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ: ٤٠٢/٢، حَرْفُ الْهَاءِ، كَمَا سَبَقَ فِي حَرْفِ الْهَمْزَةِ مَعَ التَّاءِ، وَذَكَرْنَاهُ فِي الْأَمْثَالِ الْبَاقِرِيَّةِ، وَهُوَ مَثَلٌ يَضْرِبُ لِأُمُورٍ مُتَعَاقِبَةٍ.

١٧٦ - المنيّة ولا الدنيّة

قال عليه السّلام:

«المنيّة ولا الدنيّة، والتّقلّل ولا التّوسّل». (١)

قال الشّاعر:

أقسم بالله لَمَحَصَ النّوى	وشرب ماء القُلُب المالحه
أحسن بالإنسان من ذلّه	ومن سؤال الأوجه الكالحه
فاستغن بالله تكن ذاغنى	مغتبطاً بالصفقة الرّابحه
فالزهد عزّ والثّقى سُودٌ	وذلة النّفس لها فاضحه
كم سالم صيح به بغتة	وقائل عهدي به البارحه
أمسى وأمسّت عنده قَيْنَة	وأصبحت تنذبه ناعحة
طوبى لمن كانت موازيته	يوم يلاقي ربّه راجحة
وقال أيضاً:	
لمص الثّماد وخرط القّتاد	وشرب الأجاج أوان الظّما
على المرء أهون من أن يُرى	ذليلاً لخلق إذا أعدا

(١) التّهج: ١٩/٣٦٢، ح ٤٠٤.

وخير لعينيك من منظرٍ إلى ما بأيدي اللئام، العَمى (١)

ذكر المثل جمع، منهم الميداني، قال: «المنية ولا الدنية»: أي
أختارُ المنية على العار، ويجوز الرفع: أي المنية أحب إليّ. ولا الدنية: أي
ولست ممّا أحب وأختار. قيل: المثل لأوس بن حارثة. (٢)

وممن أصدقها قولاً وفعلاً الحسين بن عليّ كآبيه عليها السلام، قال
عليه السلام يوم كربلاء: «ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين
اثنتين: بين السّلة والدّلة، وهيهات من الدّلة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله
والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبيّة؛ أن نوثر
طاعة اللئام على مصارع الكرام». (٣) وقال عليه السلام أيضاً: «لا أرى
الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برماً». (٤) وإنّ ذلك من شيم
أصحابهم، فضلاً عنهم عليهم السلام، ولم تكن الدنية توجد إلّا عند
أهلها: أهل الأطماع محتملي الضيم، وأما من لا يحتمل ضيماً ففيه قال
القائل:

ويركب حدّ السيف من لا يضيّمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مرّحل (٥).

(١) شرح التهج: ٣٦٢/١٩.

(٢) مجمع الأمثال: ٣٠٣/٢، حرف الميم.

(٣) اللّهُوف: ٣٨.

(٤) اللّهُوف: ٣٠.

(٥) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ٢١٠/٢.

١٧٧ - موجودها كمفقودها

من خطبة له عليه السلام في التوحيد، وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة غيرها، أولها: «ما وحده مَنْ كَيْفَهُ، ولا حقيقته أصاب مَنْ مثله».

ثم يُواصل عليه السلام في الخطبة إلى هذه الفقرة: «خضعت الأشياء له، وذلت مستكينة لعظمته، لا تستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره، فتمتنع مِنْ نفعه وضرره، ولا كُفء له فيكافئه، ولا نظير له فيساويه؛ هو المُغني لها بعد وجودها، حتى يصير موجودها كمفقودها... ..» (١).

بما أَنَّ الأشياء محكومة بالفناء؛ لإفناء الله تعالى لها، صار وجودها كفقدها، وكأنها لم تكن في عالم الوجود؛ لأنَّ واجب الوجود بالذات هو الله وحده لا سواه جلّ جلاله.

وهل خُلِقَتْ من شيءٍ أو مِنْ لا شيءٍ؟ سؤال أجاب عنه المعصوم عليه السلام: بأنّها خُلِقَتْ لا مِنْ شيءٍ، لا مِنْ لا شيءٍ، ولا مِنْ شيءٍ. جاء ذلك في حديث جابر الجعفي قال:

(١) التّهج: ٨٩/١٣، ط ٢٣٢.

«جاء رجل من علماء أهل الشام إلى أبي جعفر عليه السلام، فقال: جئت أسألك عن مسألة لم أجد أحداً يفسرها لي، وقد سألت ثلاثة أصناف من الناس، فقال كلُّ صنفٍ غير ما قال الآخر، فقال أبو جعفر عليه السلام: وما ذلك؟ فقال: أسألك ما أول ما خلق الله عز وجل من خلقه؟ فإن بعض مَنْ سألته قال: القدرة. وقال بعضهم: الروح. فقال أبو جعفر عليه السلام: ما قالوا شيئاً، أخبرك أنّ الله علا ذكره كان ولا شيء غيره، وكان عزيزاً ولا عز؛ لأنه كان قبل عزّه؛ (١) وذلك قوله: «سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبَّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ». (٢) وكان خالقاً ولا مخلوق، فأول شيء خلقه من خلقه الشيء الذي جميع الأشياء منه: وهو الماء، فقال السائل: فالشيء خلقه من شيء أو من لا شيء؟ فقال: خلق الشيء لا من شيء كان قبله، ولو خلق الشيء من شيء إذا لم يكن له انقطاع أبداً، ولم يزل الله إذاً معه شيء، ولكن كان الله ولا شيء معه، فخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه: وهو الماء». (٣)

قوله عليه السلام: «خلق الشيء لا من شيء كان قبله» إبطال لشقي السؤال: أي من شيء أو من لا شيء؟. وإنما ذكرنا الحديث الشريف كله لبيان الارتباط.

(١) أي كان عزيزاً بذاته، ولم يظهر عزّه على خلقه؛ لأنه كان قبل ظهور عزّه على خلقه، إذ كان ولا شيء غيره. هامش التوحيد للصدوق: ٦٧.

(٢) الصافات: ١٨٠.

(٣) التوحيد: ٦٦ - ٦٧.

ثمَّ المَثَلُ يماثلُه المَثَلُ السَّائِرُ: (وجوده كعدمه). (١) ويضاهيه بعض
المضاهاة المَثَلُ الحَسَنِيّ: «مَثَلُكَ مَثَلُ البَعُوضَةِ، إِذْ قَالَتْ لِلنَّخْلَةِ:
اسْتَمْسِكِي فَإِنِّي طَائِرَةٌ عَنْكَ، فَقَالَتِ النَّخْلَةُ: وَهَلْ عَلِمْتُ بِكَ وَاقِعَةً
عَلَيَّ، فَأَعْلَمُ بِكَ طَائِرَةٌ عَنِّي» (٢).



(١) جارٍ على الألسن.
(٢) شرح التهج: ٢٩٣/٦.

١٧٨ - المودة قرابة مستفادة

من المثل السائر قوله عليه السلام:

«المودة قرابة مستفادة» (١).

ومثله المثل الآخر العلوي: «المودة أشبك الأنساب» (٢) وعن بعض: (النفس بالصدق أنس منها بالعشيق، وغزل المودة أرق من غزل الصباية) (٣) والعتاب دليل المودة.

مركز تحقيق التراث

إذا ذهب العتاب فليس وُدٌ ويبقى الود ما بقي العتاب (٤)

والعتاب خير من الفقد؛ قال الميداني: معاتبة الإخوان خير من فقدهم، هذا مثل قولهم: (وفي العتاب حياة بين أقوام) (٥) هذا إذا لم

(١) التهج: ٣١/١٩، الحكمة: ٢٠٧. البحار: ٧٧، ٢٨٨، وج: ٨٢/٧٨.

(٢) البحار: ٤٢١/٧٧.

(٣) التمثيل والمحاضرة: ٤٦٢.

(٤) المصدر: ٤٦٥.

(٥) مجمع الأمثال: ٣١٧/٢، حرف الميم.

يُكْثِرُ، وَإِلَّا فَكَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

ولا خير في قرني لغيرك نفعها ولا في صديقي لا تزال تعاتبه
يخونك ذوالقُربى مراراً وربّما وفي لك عند الجهل من لا تُناسبه (١)

والعتاب يجلب الرضا، كما جاء في مناجاة التائبين: «لك العُتبي حتى ترضى». (٢) والمودة سلكٌ خفيٌّ ثابتٌ بين أرواح المتوادين، بها يتقاربون، وإن كانت ديارهم بعيدة وأبدانهم.

قال الطائي:

ذو الودّ متي وذوالقربى بمنزلة وإخوتي أسوةٌ عندي وإخواني
أرواحنا في مكانٍ واحدٍ وغدت أبداننا بشامٍ أو خراسان

قال ابن عباس: القرابة تُقطع، والمعروف يُكفر، ولم يُرَ كتقارب القلوب، كَتَبَ بعضٌ لآخر: إن تكن الدار من الدار بعيدة، فإنّ الروح من الروح قريبٌ، وطير السماء على إلفه من الأرض يَقَعُ، وقال أبو العتاهية:

وللقلب على القلب دليلٌ حين تلقاه
وللشكل على الشكل مقاييسُ وأشباه
وفي العين غِنَى للعين من أن تنطق أفواه (٣)

(١) عيون ابن قتيبة: ٢٩/٣.

(٢) مفاتيح الجنان: ١١٨.

(٣) العيون: ٧/٣ - ٨.

وللمودة آداب: خلوصها، ووضعها فيما تليق به، فيودة الله عز وجل
 ومن يريد من نبي ووصي، أو مؤمن ميمّن أمر بمودته، فلا يود من
 حاد الله أو أحداً من هؤلاء، قال تعالى: «لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم
 الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو
 إخوانهم أو عشيرتهم». (١)

وقد تناول القرآن الكريم المودة في سبعة وعشرين موضعاً، مقدوحةً
 وممدوحةً، لا مجال لذكرها في المقام.



مركز تحقيقات کتبی و پژوهشی علوم اسلامی

8

٢٠



مركز تحقيقات كميبيوتر علوم ارسدي

١٧٩ - النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا

قال عليه السّلام:

«النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا». (١)

ولماذا ذكره السيّد الرضويّ طاب ثراه مرّتين؟ لا أدري.

قال الشّارح المعتزليّ في الموضع الأوّل: والعلة في أنّ الإنسان عدوّ ما يجهله، أنّه يخاف من تقريعه بالتقصّ، وبعدم العلم بذلك الشّيء، خصوصاً إذا ضمّه ناد أو جمع من النّاس، فإنّه تتصاغر نفسه عنده، إذا خاضوا فيما لا يعرفه، وينقص في أعين الحاضرين. وكلّ شيء آذاك، ونال منك فهو عدوك. (٢)

وفي الموضع الثّاني قال: هذه من ألفاظه الشّريفة التي لا نظير لها، وقد تقدّم ذكر ما يناسبها. وكان يقال: مَنْ جَهِلَ شَيْئاً عَادَاهُ. وقال الشّاعر:

جَهِلْتُ أَمْرًا فَأَبْدَيْتُ التَّكِيرَ لَهُ وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ

(١) التّهج: ٤٠٣/١٨، الحكمة: ١٧٤. وج: ٨٦/٢٠، الحكمة: ٤٤٧.

(٢) شرح التّهج: ٤٠٣/١٨.

وقيل لأفلاطون: لِمَ يبغض الجاهل العالم، ولا يبغض العالم الجاهل؟ فقال: لأنَّ الجاهل يستشعر النقص في نفسه، ويظنُّ أنَّ العالم يحتقره، ويزدريه فيبغضه، والعالم لا نقص عنده، ولا يظنُّ أنَّ الجاهل يحتقره، فليس عنده سببٌ لبغض الجاهل. (١)

أقول: المصراع الثاني مِنَ الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام مِنْ قافية الألف، أبياتٌ أولها:

الناس مِنْ جهة التمثال أكفاء أبوهم آدم والأُم حواء

إلى قوله عليه السلام:

وقيمة المرء ما قد كان يُخسِنُه والجاهلون لأهل العلم أعداء (٢)

إنَّ الجحود يأتي مِنْ قبل الجهل، ولا يخلو الجاحد مِنْ عداوة، وهما يلزمهما الكفر. من هنا جاء في التصحيح الصادقي: «لو أنَّ العباد إذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا لم يكفروا». (٣)

والكلام العلوي صالحٌ ليضرب به المثل لردع الجاهل، ونفاسة العلم، وفيه الإشارة إلى أنَّ طابع الإنسان الأولي هو الجهل، إلَّا مَنْ علَّمه الله عزَّ وجلَّ، فيسلم منه؛ وإليه تنظر آية: «والله أخرجكم مِنْ بطون أمهتكم لاتعلمون شيئاً» (٤).

(١) التحل: ٧٨.

(٢) شرح التهج: ٨٦/٢.

(٣) الديوان: ٧.

(٤) الوسائل: ٢١/١، وج: ١١٥/١٨.

١٨٠ - نحن النُمرقة الوسطى

قال سيدنا ومولانا أمير المؤمنين عليه السلام:
«نحن النُمرقة الوسطى التي يلحق بها التالي، وإليها يرجع
الغالي». (١)

قال البحراني: النُمرقة: الوسادة الصغيرة، واستعار لفظها له ولأهل
بيته بصفة الوسطى، باعتبار كونهم أئمة الحق، ومستنداً للخلق في تدبير
معاشهم ومعادهم، على وجه العدل المتوسط بين طرفي الإفراط
والتفريط، ومن حق الإمام الحق المتوسط في الأمور، أن يلحق به التالي:
أي المفرط والمقصر، وأن يرجع إليه الغالي: أي المفرط المتجاوز لحد
العدل. (٢)

النُمرقة - بضم فسكون ففتح -: الوسادة، وآل البيت - عليهم السلام -
أشبه بها للاستناد إليهم في أمور الدين، كما يستند إلى الوسادة في راحة
الظهر واطمئنان الأعضاء، ووصفها بالوسطى لاتصال سائر التمارق
بها، فكأن الكل يعتمد عليها، إما مباشرة أو بواسطة ما بجانبه.

(١) التهج: ٢٧٣/١٨، الحكمة: ١٠٦.

(٢) شرح التهج: ٢٩٧/٥.

وآل البيت - عليهم السلام - على الصراط الوَسَط العَدْل، يلحق بهم
 مَنْ قَصَرَ، وَيَرْجِع إِلَيْهِمْ مَنْ غَلَا وَتَجَاوَز. (١)
 قال العسكري عند المَثَل: (خيرُ الأمور أوسطها): ولا أعلم فيما
 رُوي في التَّوَسُّط أحسن مِنْ قول علي عليه السلام: «عليكم بالنُّمْرُقَة
 الوُسْطَى، فَإِلَيْهَا يَرْجِعُ الْغَالِي، وَهِيَ يَلْحَقُ التَّالِي». (٢)
 قال السَّيِّد الخطيب: وهذه الكلمة مِنْ جملة حديث جرى بين
 أمير المؤمنين عليه السلام وبين الحارث الهمداني، ذكره بتمامه الطبري
 في (بشارة المصطفى) ص: ٥، فراجعه هناك. (٣)
 أقول: نقلنا الحديث المُشار إليه عند المَثَل: «اعرف الحق، تعرف
 أهله»، (٤) و«قصيرة مِنْ طويلة». (٥) فراجعه.
 قال المعتزلي: النُّمْرُق والنُّمْرُقَة بالضمّ فيهما: وسادة صغيرة، ويجوز
 النُّمْرُقَة بالكسْرِ فيهما؛ ويقال للظنْفِسة فوق الرَّحْلِ: نمْرُقَة. والمعنى: أن كلَّ
 فضيلة فَإِنَّهَا مَجْتَمِعَةٌ بطرفَيْنِ معدودَتَيْنِ مِنَ الرِّذَالِ، كما أوضحناه آنفاً،
 والمراد: أن آل محمد عليه وعليهم السلام هم الأُمُرُ المتوسِّط بين الطرفين
 المذمومَيْنِ، فكلَّ مَنْ جَاوَزَهُمْ فالواجب أن يرجع إليهم، وكلَّ مَنْ قَصَرَ
 عنهم فالواجب أن يلحق بهم.

(١) هامش مصادر التَّهَج: ١٠٢/٤.

(٢) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ٢٧٨/١ - ٢٧٩.

(٣) مصادر التَّهَج: ١٠٢/٤.

(٤) الهمة مع العين من الأمثال العلوية.

(٥) القاف مع الصاد من الأمثال العلوية.

فإن قلت: فَلِمَ استعار لفظ التمرقة لهذا المعنى؟ قلت: لَمَّا كانوا يقولون: قد ركب فلانٌ من الأمر مُنكراً، وكانت الطَّنفسة فوق الرّحل مِمَّا يركب، استعار لفظ التمرقة لما يراه الإنسان مذهباً يرجع إليه، ويكون كالرّاكب له، والجالس عليه، والمتورّك فوقه، ويجوز أيضاً أن تكون لفظة (الوسطى) يراد بها: الفضلى، يقال: هذه الطريقة الوسطى، والخليفة الوسطى، ومنه قوله تعالى: «قَالَ أَوْسَطُهُمْ» (١): أي أفضلهم، ومنه: «جَعَلْنَكُمْ أُمَّةً وَسَطًا» (٢). (٣) وعليه فالواجب على المعتزلي الرجوع إليهم عليهم السّلام.



(١) القلم: ٢٨.

(٢) البقرة: ١٤٣، والآية: «وكذلك...».

(٣) شرح النهج: ٢٧٣/١٨.

١٨١ - نسأله المعافاة في الأديان، كما نسأله المعافاة في الأبدان

من خطبة له عليه السلام أولها:
«نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ، وَنَسْأَلُهُ
المعافاة في الأديان، كما نسأله المعافاة في الأبدان». (١)

تعرضنا لبعض الأمثال فيها، وهو: «مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفَرِ سَلَكُوا
سَبِيلًا» والبحث عنه (٢)، ووعدنا التَّكَلُّمَ عَلَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نَسْأَلُهُ
المعافاة في الأديان»، وهذا محلّ إنجازه. قال الشارح المعتزلي: لَمَّا كَانَ الْمَاضِي مَعْلُومًا جَعَلَ الْحَمْدُ بِإِزَائِهِ؛
لأنَّ الْمَجْهُولَ لَا يَحْمَدُ عَلَيْهِ، وَلَمَّا كَانَ الْمُسْتَقْبَلُ غَيْرَ مَعْلُومٍ جَعَلَ الْإِسْتِعَانَةَ
بِإِزَائِهِ؛ لِأَنَّ الْمَاضِي لَا يَسْتَعَانُ عَلَيْهِ. (٣)

إذا لوحظ الشيء في وقوعه ولا وقوعه إلى الزمان، جاء التقطيع،
وصار محدوداً، وأما لو كان النظر إلى نفس الشيء لا بالقياس إلى

(١) التهج: ٨٠/٧، ط: ٩٨.

(٢) حرف الميم مع التاء.

(٣) شرح التهج: ٨١/٧.

زمان ما فلا وجه لما ذكره، فافهم.

ثم قال الشارح: ولقد ظرف وأبدع عليه السلام في قوله: «و نسأله
المعافاة في الأديان، كما نسأله المعافاة في الأبدان»؛ وذلك أن للأديان
سُقماً وطباً وشفاءً؛ كما أن للأبدان سُقماً، وطباً وشفاءً.

قال محمود الوراق:

وإذا مرضت من الذنوب فداوها بالذكر؛ إن الذكر خير دواء
والسقم في الأبدان ليس بضائر والسقم في الأديان شر بلاء

وقيل لأعرابي: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قيل: ما تشتهي؟ قال:
الجنة، قيل: أفلا ندعوك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني. (١)
قد ذكرنا البيتين وما قبلهما سابقاً. (٢)

في حديث «إنَّ العمل السيِّئ أسرع في صاحبه من السكين في
اللحم». (٣) وقوله تعالى: «وهو الذي يتوفكم بالليل ويعلم ما جرحتم
بالنهار». (٤) شاهد عليه: أي معاصي النهار تجرح صاحبها.

وقد جاء: «عجبتُ مَنْ يحتمي من الطعام مخافة الذاء، كيف
لا يحتمي من الذنوب مخافة النار!». (٥) ومن الحكم المنسوبة إليه

(٥) شرح التهج: ٨٢/٧.

(١) شرح التهج: ٨١/٧.

(٢) حرف الميم مع الثاء.

(٣) السفينة: ٤٨٨/١، في (ذنب).

(٤) الأنعام: ٦٠.

عليه السلام: «دع الذنوب قبل أن تدعك». (١) وقد جاء في دعاء ليلة
التصنيف من شعبان:

«لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا». (٢) وعن
الكاظم عليه السلام: حق على الله تعالى أن لا يعصى في دار إلا
أصحابها للشمس حتى تطهرها» (٣).

١٨٢ - نفس المرء خطاه إلى أجله

قال عليه السلام:

«نفس المرء خطاه إلى أجله». (٤)

التنفس بالتحريك واحد الأنفاس، ومنه الحديث: «يجزى بين الأذان
والإقامة نفس». (٥) ومنه الحديث النبوي: «إني لأجد نفس الرحمن
من قبل اليمن».

وهو مستعار من نفس الهواء الذي يردّه التنفس إلى الجوف، فيبرد
من حرارته ويعدها، أو من نفس الريح الذي يتنسمه فيستروح إليه،

(١) التهجد: ٣١٠/٢٠، رقم الحكمة: ٥٥١.

(٢) مفاتيح الجنان: ١٦٧.

(٣) السفينة: ٤٨٨/١، في (ذنب).

(٤) التهجد: ٢٢١/١٨، الحكمة: ٧٢.

(٥) مجمع البحرين، في (نفس).

أَوْ مِنْ نَفْسِ الرَّوْضَةِ، وَهُوَ طِيبُ رَوَائِحِهَا، فَيَتَفَرَّجُ عَنْهُ، يُقَالُ: أَنْتَ فِي نَفْسٍ مِنْ أَمْرِكَ، وَاعْمَلْ وَأَنْتَ فِي نَفْسٍ مِنْ عَمْرِكَ: أَيِ فِي سَعَةٍ وَفَسْحَةٍ قَبْلَ الْهَرَمِ وَالْمَرَضِ. (١) كَأَنَّهَا الْمَرْءُ فِي كُلِّ نَفْسٍ يَتَنَفَّسُ، قَدْ خَطَا خُطْوَةً إِلَى مَوْتِهِ، الْمَعْبَرُ عَنْهُ بِأَجَلِهِ، إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ أَنْفَاسُهُ الَّتِي هِيَ دَقَائِقُ حَيَاتِهِ الْمَصْحُوبَةِ بِدَقَّاتِ قَلْبِهِ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

دَقَّاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقُ وَثَوَانٌ

إِنَّمَا الْمَرْءُ أَيَّامٌ، إِذَا مَضَى يَوْمٌ عَلَيْهِ مَضَى بَعْضُهُ، وَأَطْوَلُهَا يَوْمٌ وُلِدَ، وَكُلَّمَا كَبُرَ قَلْتُ وَقَصُرْتُ؛ قَالَ سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
«فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا، وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ، إِذْ وَطِئَ الذَّهْرُ بِهِ حُسْكُهُ، وَنَقَضَتِ الْأَيَّامُ قَوَاهُ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحَتُوفُ مِنْ كُتُبٍ، فَخَالَطَهُ بَثٌّ لَا يَعْرِفُهُ، وَنَجَّى هَمٌّ مَا كَانَ يَجِدُهُ، وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فِتْرَاتٌ عَلَيَّ آنَسَ مَا كَانَ بِصَحَّتِهِ، فَفَزَعَ إِلَى مَا كَانَ عَوْدُهُ الْأَطْبَاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ، وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ، فَلَمْ يَطْفِئْ بِبَارِدٍ إِلَّا تَوَزَّ حَرَارَةً وَلَا حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَةً حَتَّى فُتِرَ مَعْلَلُهُ، وَذَهَلَ مَرَضُهُ...
فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا، وَتَرَكَ الْأَحِبَّةَ، إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غَصَصِهِ، فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِدُ فِطْنَتِهِ، وَبَيَسَتْ رَطُوبَةُ لِسَانِهِ...

(١) التَّهْيَاةُ: ٩٣/٥، فِي (نَفْسِ).

وإنَّ للموت لغمراتٍ هي أفظع مِنْ أن تستغرق بصفةٍ، أو تعتدل على عقول أهل الدنيا». (١)

«وحتى متى أتعلل بالأمانى وأسكن إلى الغرور وأعبد نفسي للدنيا على غضاضة سوء الاعتداد مِنْ ملكاتها - إلى أن يقول الإمام السَّجاد عليه السَّلام: - وقوارع الموت تختلف حكمي في نفسي، ويعتدل حكم الدنيا.

وهنَّ المنايا أي وادٍ سلكتهُ عليها طريقي أو عليَّ طريقها
فقد آذنتني بانقطاع وفرقة وأومض لي مِنْ كل أفقٍ بُروقها» (٢)

وقال القائل:

بينما الفتى مَرَحَ الخطأ فرحاً بما يسعى له إذ قيل: قد مرض الفتى
إذ قيل: بات بليلاً مانامها إذ قيل: أصبح مُثقلًا ما يُرتجى
إذ قيل: أمسى شاخصاً وموجهاً إذ قيل: فارقهم وحلّ به الردى (٣)

في حديث علويّ: «مَنْ عَدَّ غَدًا مِنْ أَجَلِهِ، فَقَدْ أَسَاءَ صَحْبَةَ الْمَوْتِ». (٤)
قيل لأُمير المؤمنين عليه السَّلام: ما الاستعداد للموت؟ قال: «أداء

(١) التهج: ١٥١/١١ - ١٥٢.

(٢) البحار: ١٥٤/٧٨.

(٣) شرح التهج: ١٦٨/١١.

(٤) الوسائل: ٦٥١/٢.

الفرائض، واجتناب المحارم، والاشتغال على المكارم، ثم لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه» (١) .

١٨٣ - نفور المِعْزَى مِنْ وَغْوَعة الأسد

من كلام له عليه السلام:

«أيتها النفوس المختلفة، والقلوب المتشتتة؛ الشاهدة أبدانهم، والغائبة عنهم عقولهم، أظأركم على الحق وأنتم تنفرون عنه نفور المِعْزَى مِنْ وَغْوَعة الأسد! هيات أن أطلع بكم سرار العدل، وأقيم اعوجاج الحق». (٢)



قال المعتزلي: (أظأركم): أعطفكم، ظأرت الناقة ظأراً، وهي ناقة مظلورة إذا عطفها على ولد غيرها. وفي المثل: (الظعن يظأر): أي يعطف على الصلح. والوَغْوَعة: الصوت، والوَغْوَاع مثله. وقوله - عليه السلام -: «هيات أن أطلع بكم سرار العدل». يفسره الناس بمعنى: هيات أن أطلعكم مضيئين ومنورين لسرار العدل.

(١) السفينة: ٥٥٤/٢، في (موت).

ونقل المثل الثعالبي بلفظ: (أنفاس المرء خطاه إلى أجله). التمثيل والمحاضرة: ٤٠٣، وفيه (حياة المرء ثوب مستعان)، وغيره مما يرتبط بالمقام.

(٢) التهجد: ٢٦٣/٨، كلام: ١٣١.

والسّرار: آخر ليلة في الشهر وتكون مظلمة، ويمكن عندي أن يفسر على وجه آخر؛ وهو أن يكون السّرار بمعنى: السرور وهي خطوط مضيئة في الجبهة، ويجمع سرار على أسرة. قال عنتره:

بزجاجة صفراء ذات أسرة قُرنت بأزهر في الشمال مقدّم (١)

يصف عليه السلام غير المحمودين من أصحابه، بأنهم متفرقو القلوب، مختلفو النفوس، ذوو الانحراف، أبدانهم حاضرة في مجلسه عليه السلام، وعقولهم غائبة، إما لعدمها باتباع الشهوات، أو أنهم لا يستفيدون منها كما هي حقها؛ ونعمة العقل على الأغلب غير مشكورة؛ إذ لم تستعمل فيما يرضي الله عز وجل، بل أصبحت نكراء؛ لأن «العقل ما عبّد به الرحمن واكتسب به الجنان، فقليل: وما عند معاوية؟ فقال عليه السلام: تلك النكراء والشيطنة». (٢)

والإمام عليه السلام لم يعرفه أصحابه، بل أكثر العالم كذلك، قال عبد الباقي:

إنّ لله في معاليك سرّاً أكثر العالمين ما علموه
وقبله:

يا أبا الأوصياء أنت لطف
صهره وابن عمّه وأخوه

(١) شرح النهج: ٢٦٣/٨ - ٢٦٤.

(٢) أصول الكافي: ١١/١، ح: ٣.

الآيات (١).

قوله عليه السلام: «تنفرون عنه نفور المِعْزَى مِنْ وَغْوَعة الأسد»
مَثَلٌ يضرب لغاية التفور والفرار، بمحض الصوت، دون وقوع الواقعة،
وربما مِنْ شدة خوف المِعْزَى مِنَ الأسد، لجأ إلى الأسد بدل الفرار، وإن
دلّ على شيء فإنما يدلّ على بيان حال أصحابه غير المحمودة.



مركز تحقيقات کتب ویران علوم اسلامی

(١) السفينة: ٢٣١/٢.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

١٨٤ - هَبَلْتُكَ الْهَبُولَ

«وأعجب من ذلك طارق طرّقنا بملفوفة في وعائها، ومعجونة شَيْئَتُهَا؛ كأنها عُجْنَتْ بريق حَيَّةٍ أو قَيْئِهَا، فقلتُ: أصلُ أم زكَاةٍ أم صدقةٍ؟ فذلك محرم علينا أهل البيت، فقال: لا ذا، ولا ذاك، ولكنها هدية. فقلتُ: هبَلْتُكَ الْهَبُولَ، أَعَنْ دِينَ اللَّهَ أَتَيْتَنِي لِتُخَدَعَنِي، أَمْحَبَبْتُ أَمْ ذَوْجَتَهُ أَمْ تَهْجُرُ؟!...»

هذا جزءٌ من كلام له عليه السلام أوله: «والله لأن أبيت على حسك السعدان مُسَهَّدًا...» (١).

قال المعتزلي: «هَبَلْتُكَ الْهَبُولَ»: أي نكلتك أُمُك، والهبول: التي لها عادةٌ بشكل الولد. (٢) وجاء الهبول في خطبةٍ أخرى: «ومن العجب بَعَثْتُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أُبْرَزَ لِلطَّعَانِ، وَأَنْ أَصْبِرَ لِلْجِلَادِ. هَبَلْتُهُمُ الْهَبُولَ، لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أَهْدَدُ بِالْحَرْبِ وَلَا أَرْهَبُ بِالضَّرْبِ...» (٣).

(١) النهج: ٢٤٥/١١، كلام: ٢١٩.

(٢) شرح النهج: ٢٤٩/١١.

(٣) النهج: ٣٠٣/١، الخطبة: ٢٢.

في مصادر النهج للسيد الخطيب: ج: ١، ص: ٢٧٣، في الخطبة: ٢٢ هكذا: «ومن العجب بَعَثْتُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أُبْرَزَ لِلطَّعَانِ، وَأَنْ أَصْبِرَ لِلْجِلَادِ».

وما رواه الطريحي، قال: في حديث علي عليه السلام: «لَأَمَّكَ الهَبْلُ» الهَبْلُ بالتحريك مصدر قولك: (هَبَلْتُه أُمَّه): أي ثكلته. هَبْلٌ كَصُرْدٍ: اسم صنم رمى به علي عليه السلام من ظهر الكعبة، فأمر به، فذُفِنَ من باب بني شيبه. (١) وهو المثل السائر.

قال الميداني: (هبلته أُمَّه): أي أثكلته، هذا يتكلم به عند الدعاء على الإنسان. والهَبْلُ مثل الثكل. (٢) وجاء: «ثكلتك الثواكل يا عقيل!» في نفس الخطبة، وهو عين الدعاء بلفظ مماثل له ومنه: «ثكلتك أُمَّكَ» (٣) فالهَبْلُ والثكل يتبادلان في الدعاء على الإنسان. وقيل: يؤتى بالهَبْل للمدح. قال العسكري: ومنه قولهم: (هوت أُمَّه وهَبَلْتُ أُمَّه) يقال: في موضع الحمد والمدح، قال كعب بن سعد الغنوي:

هَوْتُ أُمَّه ما يبعث الصبح غادياً وماذا يؤذي الليل حين يؤوب (٤)

ليس في البيت شاهد على الهَبْل.

ثُمَّ وَعَدَ الإمام عليه السلام إعطاء عقيل من عطائه الخاص بعد الحصول، فأبى إلا من بيت مال المسلمين زيادةً على سَهْمِهِ منه، فأحى له الحديد، بتفصيل في محله، فلا يرد عليه عليه السلام، أنه لم يعطه ما يكفيه.

(١) مجمع البحرين: في (هبل).

(٢) مجمع الأمثال: ٤٠٥/٢، حرف الهاء.

(٣) التهج: ٥٦/٢، الحكمة: ٤٢٥.

(٤) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال: ٢٥٤/٢.

وَأَمَّا الطَّارِقُ - وَهُوَ الْآتِي بِاللَّيْلِ - الَّذِي هُوَ عَجَبٌ عِنْدَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 مِنْ قِصَّةِ عَقِيلٍ، فَقَدْ قَالَ الْمُعْتَزَلِيُّ: إِنَّهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ. (١) وَعَلَيْهِ فَهُوَ
 الْمُسْتَمِيعُ الْآخَرُ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتِمَاحَةً مَشْفُوعَةً بِهَدِيَّةٍ وَصَفَهَا بِمُلفوفَةٍ
 فِي وَعَائِهَا، وَمَعْجُونَةٍ بَقِيَءٍ حَيَّةٍ أَوْرِيَقَهَا. تَعَرَّضْنَا لِهَذَا التَّمْثِيلِ فِي: «كَأَنَّمَا
 عُجِنَتْ بَرِيقُ حَيَّةٍ». (٢) فَلَا نَطِيلَ. وَفِيهِ عِظَةٌ بِالْغَةِ بِأَنَّ الْهَدِيَّةَ قَدْ
 تَذَهَبَ بِالذِّينِ.

١٨٥ - هَذَرَ فَنِيْقَ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ

أَحَدُ تَمَثِيلَاتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي خُطْبَةٍ لَهُ:
 «... هَذَرَ فَنِيْقَ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ...». (٣)

قَالَ الشَّارِحُ: الْفَنِيْقُ: فَحْلُ الْإِبِلِ. وَهَذَرَ: رَدَّدَ صَوْتَهُ فِي حَنْجَرَتِهِ،
 وَكَذَلِكَ هَذَرَ بِالتَّشْدِيدِ تَهْدِيرًا.
 وَفِي الْمَثَلِ: (هُوَ كَالْمُهْذَرِّ فِي الْعُنَّةِ). (٤) يَضْرِبُ لِلرَّجُلِ يَصِيحُ
 وَيَجْلِبُ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ شَيْءٌ، كَالْبَعِيرِ الَّذِي يَحْبَسُ فِي الْعُنَّةِ - وَهِيَ

(١) شرح التَّهْجِ: ٢٤٧/١١.

(٢) الْكَافُ مَعَ الْهَمْزَةِ مِنْ كِتَابِ: (الْأَمْثَالُ الْعُلُوتِيَّةُ).

(٣) التَّهْجِ: ١٩١/٧، الْخُطْبَةُ: ١٠٧.

(٤) مَنْتَهَى الْأَرْبِ: فِي (هَدَرَ). وَشَرَحَ التَّهْجِ: ١٩٢/٧. وَأَقْرَبُ الْمَوَارِدِ: فِي (هَدَرَ)،

وغيرها.

الخطيرة-ويمنع من الضراب، وهو يهدر. وقال الوليد بن عقبة لمعاوية:

قطعت الدهر كالسديم المعنى تُهدر في دمشق ولا ترم

والكُظوم: الإمساك والسكوت، كظم البعير يكظم كُظوماً: إذا أمسك الجرة، وقوم كُظم: ساكتون. (١) السديم: الذي يرغب عن فعله فيحال بينه وبين الأفق، ويُقيد إذا هاج، فيرعى حوالي الدار. (٢)
وجاء في خطبة الزهراء عليها السلام التي خطبتها في مسجد المدينة: «... وَنَبَغَ خَامِلُ الْأَقْلِينَ، وَهَدَرَ فَنِيْقُ الْمُبْطِلِينَ». (٣)

قال ابن الأثير: والهدير: ترديد البعير صوته في حنجرته، والفنيق: هو الفحل المكرم من الإبل الذي لا يركب ولا يهان لكرامته عليهم. ومنه حديث الحجاج لما حاصر ابن الزبير بمكة ونصب المنجنيق عليها:

• خطارة كالجمل الفنيق • (٤)

والمراد بالهادر الخامل في قولها عليها السلام: هي الأصوات التي هدرت حول الخلافة، حتى صفا لهم الجؤ. وهي من الخطب البليغة عز

(١) شرح التهج: ١٩٢/٧.

(٢) هامش المصدر، لأف الطعام لأفاً: أي أكله أكلاً جيداً. اللسان في (لأف).

(٣) الاحتجاج: ١٣٧/١.

(٤) النهاية: في (فنيق).

قائلها من النساء، وكيف لا؟! وهي بنت النبي المختار، وزوجة عليّ
الكرار أمير المؤمنين صلى الله عليهم وسلّم.

كما أنّ المقصود من قوله عليه السلام: «هَدَّرَ فَنِيْقَ الْبَاطِلِ بَعْدَ
كُظُومٍ» في ذلك الزّمان: هو الهادر بعد السكوت التّابِع بعد الخمول، ومنْ
يردّد صوته لأمر باطل، مهما كان نوعها، ومنْ أيّ الصّنف كان الهادر،
وهو فاش في الظّامعين في المناصب والرّئاسة الدنيويّة الزائلة.

ولم تثبت الخلافة عندنا إلّا بالتنصيب من الله تعالى ورسوله
صلى الله عليه وآله وسلّم على مَنْ أَرَادَهُ، لا بالشورى والانتخاب، بل
كما سمعت بالانتصاب بنصب سماويّ، لخطورة أمر الخلافة في الأرض
للناس بل للعالم كلّ، وإنّما الشورى في الأمور العاديّة لا الدنيّة، لقوله
تعالى «وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ» (١) لإضافة الأمر إليهم: أي ما كان مِنْ
خصائصهم العاديّة، كما هو المراد من آية: «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ» (٢) بعد
الفراغ عن كونه نبيّاً، لا أنّ منصب التبوّة يثبت بها، وكذلك الإمامة،
والدليل عليه قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ
خَلِيفَةً» (٣).

والبحث مُشَبَّعٌ في محلّه المتاح. وقد خرجنا عمّا نحن بصددّه من شرح
المثل العلويّ الذي قد تحقّق محتواه بعد عصور الأئمة عليهم السلام، بل
في عصورهم عليهم السلام أيضاً. وهو أحد الأمور الغيبية، حيث

(١) الشورى: ٣٨.

(٣) البقرة: ٣٠.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

تجدد التغيرات المُذاعة مِنْ وراء الأجهزة الإعلامية العالمية إلى العالم كله.

ولعلّ ما أخبر به الإمام عليه السّلام في هذه الخطبة الشريفة يأتي زمان يكون التحقق فيه أكثر، والله العالم.

ولم تذكر الخطبة حتّى يعلم ما أخبر به عليه السّلام من الأمور التي ستقع أو وقعت، فليراجع، إلى ما نقلنا عنه من المصدر.

١٨٦ - همج رعاغ أتباع كل ناعق

من كلام له عليه السّلام لكميل بن زياد التّخعيّ :
قال كميل بن زياد: أخذ بيدي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، فأخرجني إلى الجبان، فلما أضحرت نفس الصّعداء، ثم قال:

«يا كميل بن زياد! إنّ هذه القلوب أوعى، فخيرها أوعاها، فاحفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة: فعالم ربّائي، ومتعلّم على سبيل نجاة، وهمج رعاغ، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق...» (١).

قال الشارح: الجبان والجبانة: الصّحراء. وتنفس الصّعداء: أي

(١) التّهج: ٣٤٦/١٨، كلام: ١٤٣.

تنفس تنفساً ممدوداً طويلاً.

قوله عليه السلام: (ثلاثة) قسمةٌ صحيحةٌ؛ وذلك لأنَّ البشر باعتبار الأمور الإلهية: إمَّا عالمٌ على الحقيقة يعرف الله تعالى، وإمَّا شارحٌ في ذلك فهو بُعدٌ في السفر إلى الله يطلبه بالتعلُّم، والاستفادة من العالم، وإمَّا لا إذا ولا ذاك، وهو العاصي الساقط الذي لا يعبأ الله به.

وصدق عليه السلام في أنَّهم همجٌ رعاغٌ، أتباع كلِّ ناعقٍ، ألا تراهم ينتقلون من التقليد لشخصٍ إلى تقليد الآخر، لأدنى خيالٍ وأضعف وهمٍ! (١) قال ابن الأثير: في حديث عليٍّ -عليه السلام-: «وسائر الناس همجٌ رعاغٌ»، الهمج: رذالة الناس. والهمج: ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم والحمير. وقيل: هو البعوض. فشبه به رعاغ الناس. يقال: هم همج هامج على التأكيد. ومنه حديثه أيضاً: «سبحان من أدمج قوائم الذرة والهمجة» هي واحدة الهمج. (٢)

وقال الطريحي: الهمج بالتحريك جمع همجة: وهو ذبابٌ صغيرٌ كالبعوضة يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها، ويستعار للأسقاط من الناس والجهلة، ويقال للرعاغ من الناس: همج. والرعاغ بالمهملات وفتح الأول: العوام والسفلة. وفي الحديث: «نحن العرب، وشيعتنا منّا، وسائر الناس همجٌ أو هيجٌ»، قال الراوي: قلت: وما الهمج؟ قال: الذباب، قلت: وما الهيح؟ قال: البق. (٣)

وفسر رعاغ الناس بسقاطهم وأخلاطهم والواحد رعاغة. (٤) رجل

(٣) مجمع البحرين: في (همج).

(١) الشرح: ٣٤٧/١٨ - ٣٤٨.

(٤) النهاية: في (رعاغ).

(٢) النهاية: في (همج).

رعاة وهجاجة: أي ليس له فؤاد ولا عقل، وهو من الرّعرة، وهي اضطراب الماء على وجه الأرض؛ لأنّ العاقل يوصف بالتثبّت والتماسك، والأحقّ بضدّ ذلك. (١)

بعد معرفة معنى الكلمتين: أي الهمج والرّاع، يتّضح ما وصفهم أمير المؤمنين عليه السّلام بقوله: أتباع كل ناعقٍ إلى آخره. وفي الحقيقة، هو تفسيرٌ لهم وبيان ما لا ينفكّ عنهم، فثبت الوصف على كلّ مَنْ لم يكن داخلاً في القسمين: العالم الرّبّانيّ، والمتعلّم على سبيل نجاة. والتّطبيق قهريّ وعقليّ فمَنْ شاء فليدخل إمّا في الصّنف الأوّل أو الثاني الممدوح، أو يكون من الهمج الرّاع. ولا يخفى أنّ الخطبة المشتملة على المثل المذكور رواها جمعٌ، منهم المجلسيّ طاب ثراه، فراجع (٢).



١٨٧- هنالك لودعوت أذاك منهم

في آخر خطبة له عليه السّلام، وقد تواترت عليه الأخبار، باستيلاء معاوية على البلاد، حيث قال عليه السّلام:

«اللّهمّ إنّي قد مللتهم وملّوني، وسئمتهم وسئموني، فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً منّي. اللّهمّ مُثّ قلوبهم كما يماث الملح في الماء، أما واللّهِ لوددتُ أنّ لي بكم ألف فارسٍ من بني فراس بن غنم:

(٢) البحار: ٧٦/٧٨.

(١) الفائق: في (رع).

هنا لك لودعوت أتاك منهم فوارس مثل أزمية الحميم» (١)

قال بعض الشراح: نسبَه ابن منظور في لسان العرب إلى (الهذلي)،
مع مغيرة بسيطة قال: قال الهذلي:

هنا لك لودعوت أتاك منهم رجال مثل أزمية الحميم
ووجه استشهاد الإمام عليه السلام به، أنه كان يتمنى لو أن لديه
بدل أهل الكوفة مَنْ إذا دُعوا أجابوا مُسرعين، وَمَنْ إذا استُغيثَ بهم
أغااثوا، فقد جاء قبله: «أما والله...».

وبنوفرس بن غنم أوفراس بن غنم: حيٌّ عربيٌّ مشهورٌ بالشجاعة.
وأزمية الحميم: سُحب الضيف. ويضرب بها المثل؛ لأنها أخف وأسرع
في الانتقال (٢) ووجه الخفة؛ لأنها لاماء فيها، والتي فيها لا تكون إلا في
الشتاء، يُريد - عليه السلام - بذلك: أن فوارس بني غنم مسرعون إذا دُعوا،
وللإغاثة إذا استُغيثوا. فلو كان مع الإمام عليه السلام مَنْ يستنهض بهم
ويُستغاث، لما كان لمعاوية وأضرابه الجرأة لتسئم عرش الرئاسة، ولكن
قدخلاله الجوف طفق يصفر ويحول، وتمنى الإمام عليه السلام فوارس بني غنم
وهو أحد تمثياته، وقد تمنى استبدال كلِّ عشرين أصحابه بواحدٍ من أذئاب
معاوية، حيث أن أهل الشام يشبتون إذا دُعوا، وإن كانوا على أمرٍ باطلٍ،
وأما أصحابه فهم على الحق، ولا ثبات لهم كما جاء في كلام له عليه السلام (٣).

(١) التهج: ٣٣٣/١، ط: ٢٥. (٣) التهج: ٧٠/٧ - ٧١، كلام: ٩٦.

(٢) رسالة الإسلام: عدد: ٧ - ٨، ص: ١٢٢.



١٨٨ - وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها

تمثل به الإمام عليه السلام في جوابه لمعاوية:
«وزعمتُ أني لكل الخلفاء حسدتُ، وعلى كلهم بغيتُ، فإن
يكن ذلك كذلك، فليست الجناية عليك، فيكون العذر إليك.

• وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها • (١).

من قصيدة لأبي ذؤيب الهذلي يرثي بها نشيبة بن محرث الهذلي،
أولها: - من الظويل -

هل الدهر إلا ليلة ونهارها	وإلا طلوع الشمس ثم غيارها
أبى القلب إلا أم عمرو وأصبحت	تحرّق ناري بالشكاة ونارها
وعيرها الواشون أني أحبّها	وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها

: أي إن كنتُ حاسداً لهم وباغياً كما زعمتُ، فليس ذنب ذلك
عليك، وأنت على عذر منه. وفي نفي الجناية عن معاوية إن صدق في

(١) التهج: ١٨٣/١٥، ك: ٢٨. ورسالة الإسلام: عدد: ٧-٨، ص: ١٢٤-١٢٥،
وفيهما الأبيات التي منها المتمثل به الإمام عليه السلام.

رمي الحسد والبغي إليه عليه السلام إبطال لا ستمساكه بذلك لرئاسته،
وأنه ليس بكفيل لهم، ولاحق له، ولا ولاية عليهم، أو أن من يطلب
حقاً ثابتاً على الآخرين ليس بجناية، وإن أوهمها، وكم من مواطن فيها
مطالبة الحقوق معدودة من الجناية عند قوم وليست كذلك.

ولا يرتاب المطلع على حادثة السقيفة والشورى، وما نصّ الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم على إقامة الإمام عليه السلام مقامه من بعده
يوم غدیر خم، أن الخلافة من حقه الثابت، فطالبة الحق ليست جناية،
ولا حسداً، ولا بغياً منه عليهم. ومن هوان الدنيا مخاطبة أمير المؤمنين من
أمثال معاوية، كما نُسب إليه عليه السلام: «أن الدهر أنزلي حتى قيل:
عليّ ومعاوية».

ولعل من أهم الغصص وأمضها مواجهة الأندال ومكالمتهم، ومن
ذلك قول زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام، مخاطبةً ليزيد بن
معاوية: «ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك، إني لأستصغرُ قدرك،
وأستعظمُ تقريعك، وأستكثرُ توبيخك...» (١). عند دخول
حرم الحسين عليه السلام في مجلس يزيد عليه لعنة الله.

(١) اللّهُوف: ٧١.

١٨٩ - وحسبك عاراً أن تبیت ببطنة

في كتاب له عليه السلام الى عثمان بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دُعي إلى وليمة قوم من أهلها، فضى إليها، أوله:

«أما بعد يا ابن حنيف! فقد بلغني - إلى قوله عليه السلام: - أو أبيت مبطاناً، وحوّلي بطون غرثي، وأكباد حرّى، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك عاراً أن تبیت ببطنة وحولك أكباد تحنّ إلى القيّد...؟!» (١).

وفي لفظ:

• وحسبك داءً أن تبیت ببطنة • (٢)

قال المعتزلي: وهذا البيت من أبيات منسوبة إلى حاتم بن عبد الله أطائي الجواد. وأولها:

أيا ابنة عبد الله، وابنة مالك ويا ابنة ذي الجدين، والفرس الورد!

(١) التهج: ٢٠٥/١٦، و٢٨٦، كتاب ٤٥. (٢) مصادر نهج البلاغة: ٣/٣٦٦، ٣٦٩.

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له أكبلاً فإنني لست آكله وخذني
قصياً بعيداً، أو قريباً فإنني أخاف مذمات الأحاديث من بعدي
كفى بك عاراً أن تبيت بيطنة وحولك أكباد تحنُّ إلى القيد
وإنني لعبد الضيف مادام نازلاً وما من خلالي غيرها شمية العبد (١)

أقول: قوله:

«كفى بك عاراً أن تبيت بيطنة»

يعطي ما نقله المعتزلي. وما قدمناه. المعنى دون اللفظ.
وكيف كان، ليس أمير المؤمنين عليه السلام ليحذر الناس عن أمرٍ
وهو يأتيه، ككثير من وعاظ، وناهين عن المنكر، أو يأمر به فيتركه! فإذا
هو يندد عن البيطنة، فلم تكن صفته ذلك. وكيف، وهو القائل: «أو
أبيت مبطاناً، وحولي بطون غرثي، وأكباد حرتي»؟!
وكان عليه السلام يقتات بما قالوا فيه: «إن كان هذا قوت ابن أبي
طالب، فقد قعد به الضعف...»! في نفس الكتاب.
والقائل أيضاً: «فإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمرته، ومن
طعمه بقرصيه»: أي لا ثالث لهما. والطمر: الثوب الخلق البالي من
إزار ورداء، يستر بها جسده الشريف.
وكان عليه السلام يطوي الليالي بالبكاء والعبادة. وغشيته من

(١) شرح نهج للمعتزلي: ٢٨٦/١٦، ٢٨٨.

خشية الله جلّ جلاله في حديقة بني التجار معروفة!!
يقول: «أِهْ مِنْ قَلَّةِ الزَّادِ، وَطُولِ الطَّرِيقِ، وَبُعْدِ السَّفَرِ، وَعَظِيمِ
المورد». (١).

فِيَا مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ رَأْسًا! : طَاطَىْ أَمَامَ إِمَامِكَ الْعَظِيمِ.

١٩٠ - ودع عنك نهباً صيح في حجراته

تمثل به أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له لبعض أصحابه، وقد
سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام، وأنتم أحقّ به؟ فقال عليه السلام.
«يا أخا بني أسد! إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوُضَيْنِ تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ، وَلَكَ بَعْدُ
ذِمَامَةُ الصُّهْرِ وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ، وَقَدْ اسْتَعْلِمْتَ فَاعْلَمْ:
أَمَّا الْاسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ، وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَبًا، وَالْأَشَدُّونَ
بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - وَآلِهِ - وَسَلَّمَ نَوْطًا، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً، شَحَّتْ
عَلَيْهَا نَفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَّتْ عَنْهَا نَفُوسُ آخَرِينَ، وَالْحَكَمَ اللَّهُ، وَالْمَعُودُ إِلَيْهِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ودع عنك نهباً صيح في حجراته ولكن حديثاً ما حديث الرّواحل
...». (٢).

(١) مصادر التهج: ٥٩/٤، ح ٧٧. (٢) التهج: ٢٤١/٩، كلام: ١٦٣.

قال الميداني بلفظ: «دَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيح في حجراته»: التَّهَبُ: المال المنهوب، وكذلك التُّهْبَى. والحجرات: التواحي. يضرب لِمَنْ ذهب مِنْ ماله شيء، ثُمَّ ذهب بعده ما هو أجلّ منه.

وهذا مِنْ بيت امرئ القيس، قاله حين نزل على خالد بن سدوس بن أصمع التَّهْنَانِي، فأغار عليه باعث بن حُوَيْص، وذهب بإبله، فقال له جاره خالد: أعطني صنائعك ورواحلك، حتّى أطلب عليها مالك، ففعل، فانطوى عليها، ويقال: بل لَجِقَ القوم فقال لهم: أَعَرُّتُمْ على جاري يا بني جديلة؟! فقالوا: واللّه ما هولك بجار، قال: بلى واللّه ما هذه الإبل التي معكم إلّا كالرّواحل التي تحتي، قالوا: كذلك، فأنزلوه وذهبوا بها. فقال امرؤ القيس فيما هجاه به:

ودَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيح في حجراته ولكن حديثاً ما حديث الرّواحل؟

يقول: دَعِ التَّهَبُ الَّذِي انتبهه باعث - بن حويص - ولكن حدثني حديثاً عن الرّواحل التي ذَهَبَتْ أَنْتَ بها، ما فعلت؟ ثم قال في هجائه:

وأعجبنى مشي الحُرْقَةِ خالدٍ كمشي أتانٍ حُلَّتْ عن مناهل (١)

سردنا مورد ضرب المثل - صدق أم لا - لمعرفة موضع التَّمَثَل.

(١) مجمع الأمثال: ٢٦٧/١ - ٢٦٨، حرف الذال.

يريد عليه السلام: أنَّ نهب هؤلاء القوم لحقوقنا الثابتة كنهب الأموال والزواجل، بَدَل أن يردّوا الأولى لصاحبها، اغتصبوا الأخرى. وكذلك معاملة القوم معنا قد غَصَبُونَا حَقَّنَا الَّذِي خَصَّنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ، وهي الخلافة، وبعدها يَرَوْنَ أَنَّ لِحَقِّ لِنَابِهَا مَذْكُوراً فِي الدَّهْرِ. وَلَا غَرْو فِي ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الدَّهْرَ مِنْ عَادَاتِهِ الْمَعَادَاةَ لِأَرْبَابِ الْحَقِّ. ثُمَّ إِنَّ السَّائِلَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، وَكَانَتْ مَصَاهِرُهُ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَهُمْ، فَمَا أَنْكَرَهُ الْمُعْتَزِّلِيُّ رَدّاً عَلَى الْقُطْبِ الرَّائِنْدِيِّ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ، فَرَاغَ؛ (١) لظهور قوله عليه السلام: «وَلَكِ بَعْدُ مَامَةُ الضَّهْرِ» فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَصَاهِرَةِ.

وَأَمَّا الْبَيْتُ، فَقَالَ الْمُعْتَزِّلِيُّ: أَنَّهُ لِأَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ حَجَرِ الْكَنْدِيِّ، وَرَوَى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَسْتَشْهَدْ إِلَّا بِصَدْرِهِ فَقَطْ، وَأَتَمَّهُ الرَّوَاةُ. (٢)

وَكَيْفَ كَانَ، فَقَدْ بَانَ الْغَرَضُ مِنَ التَّمَثُّلِ بِهِ، وَأَنَّ الْكَلَامَ مِنْ بَدْئِهِ إِلَى خَتْمِهِ صَرِيحٌ فِي اغْتِصَابِ الْخِلَافَةِ، وَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأَوَّلِيُّ بِهَا لِشِدَّةِ السَّبَبِ وَعِلْوِ النَّسَبِ، وَإِنَّمَا اسْتَبَدَّ عَلَيْهِ ظُلْماً وَزُوراً، وَقَدْ جَاءَ فِي إِحْدَى زِيَارَاتِهِ الْمَأْثُورَةِ: «أَشْهَدُ أَنَّكَ أَوَّلُ مَظْلُومٍ قَدْ غُصِبَ حَقُّهُ» (٣).

(١) شرح التهجد: ٢٤٢/٩.

(٢) شرح التهجد: ٢٤٣/٩.

وقد ذكر البيت والتَّمَثُّلُ بِهِ وَمَنْ قَالَهُ، صَاحِبُ رِسَالَةِ الْإِسْلَامِ: عَدَدُ: ٧ - ٨، ص:

(٣) البحار: ١٠٠/٢٦٥، ب: ١٤، زيارته صلوات الله عليه. ١٢٤.

١٩١ - وقد يستفيد الظَّنة المُتَنَصِّح

تمثل به عليه السَّلام في أثناء جوابه لكتاب معاوية:
«وما كنت لأعتذر من أني كنت أنقم عليه أحداثاً، فإن كان الذنب
إليه إرشادي وهدايي له، فربّ ملوم لا ذنب له.

• وقد يستفيد الظَّنة المُتَنَصِّح • (١).

وهذه الفقرة ذكرناها عند المثل: «ربّ ملوم لا ذنب له» (٢)
والإعادة لأجل ربط المثل الجاري وهو من الطويل. قال بعض:
صدره:

• وكم سقتُ في آثاركم من نصيحة •

والظَّنة: التَّهمة والمُتَنَصِّح: المُبالغ في التَّصح لِمَنْ لا ينتصح،
وربّما كان مأخوذاً مِنْ قولهم: سقطت به النصيحة على

(١) النّج: ١٥/١٨٣، ك: ٢٨.

(٢) حرف الرّاء مع الباء.

الظَّئِنَةُ (١) ومعناها: أن المنتصِّح قد تَأْتِيهِ التَّهْمَةُ بسبب إخلاصه النَّصِيحَةَ إلى مَنْ لَا يَنْتَصِحُ بِهَا. (٢)

أقول: لقد قَضَى النَّاصِحُ مَا عَلَيْهِ مِنْ أَدَاءِ رِسَالَتِهِ، وَيَكُونُ بَعْدَهُ السَّامِعُ مُخَاطَباً بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَحِبُّونَ النَّصِيحِينَ». (٣)

وقد جَاءَ فِي أَمْثَالِ نَبَوِيَّةٍ: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ» (٤)

بِتِمَامِ مَعْنَى الْكَلِمَةِ مِنْ نُصِجَ قَوْلِي وَعَمَلِي لِلْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْخَلْقِ، وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَصَحَ الْخَلَائِقَ سَوَاءً أَكَانُوا فِي زَمَانِهِ، أَوْ الْأَزْمَنَةِ الْمَتَأَخِّرَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، بِبُلُوغِ كِتَابِهِ الَّذِي بَعْدَ كَلَامِ الْخَالِقِ تَعَالَى وَفَوْقَ كَلَامِ الْمَخْلُوقِ، وَلَيْسَ هُوَ إِلَّا شَرْحاً وَتَفْسِيراً لَهُ، ثُمَّ التَّعْبِيرُ بِاسْتِفَادَةِ الظَّئِنَةِ، وَهِيَ التَّهْمَةُ لِأَجْلِ حَصُولِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى.

فَكَلَّ مَا أَتَى الْمُؤْمِنَ فِي طَرِيقِ أَدَاءِ الرِّسَالَةِ عَدَّةً مِنَ الْفَوَائِدِ، وَإِنْ كَانَ بظَاهِرِهِ مِنْ نَوْعِ الْأَذَى وَالْأَمْرِ الْمَكْرُوهِ، وَيَتَحَقَّقُ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ». (٥) وَعَلَيْهِ فَلَا وَجْهَ لِحْمَلِهِ عَلَى الْمَجَازِ أَوْ التَّهْكُمِ.

وقد شرحنا باقي الفقرة فيما تقدَّم، فراجع (٦)

(١) المستقصى: ١١٩/٢. (٦) حرف الرَاءِ مع البَاءِ.

(٢) رسالة الإسلام: عدد: ٧-٨، ص: ١٢٥.

(٣) الأعراف: ٧٩.

(٤) الأمثال النبوية: ١/٤٢٣، رقم المَثَل: ٢٧٠.

(٥) البقرة: ٢١٦.

١٩٢ - وَقَرَ سَمِعٌ لَمْ يَفْقَهُ الْوَاعِيَةَ

من خطبة له عليه السّلام:

«بنا اهتديتم في الظّلماء، وتسنّمتم العلياء، وبنا انفجرتم عن السّرار،

وَقَرَ سَمِعٌ لَمْ يَفْقَهُ الْوَاعِيَةَ...» (١).

قوله عليه السّلام: (وَقَرَ سَمِعٌ...) من الوقر بالفتح: الثقل في الأذن، أوزهاب السمع كلّهُ، ومنه قوله تعالى: «فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا» (٢) والثّبات، ومنه الحديث: «الإيمان ما وقر في القلوب» (٣): أي ثبت. والتّعظيم، وفي الحديث: «مَنْ وَقَرَ صَاحِبَ بَدْعٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ» (٤): أي عظّمه. و «وَقَرُوا كِبَارَكُمْ» أي: عظّموهم، يشمل السّنّ والشأن كالمعلّمين. (٥) والمناسب للمقام الأوّل، وهو دعاء على صاحبه، وأمّا المَثَل: (كَانَتْ وَقْرَةً فِي صَخْرَةٍ) يضرب للصابر في المصيبة (٦)، فَمِنْ

(١) التّهج: ٢٠٧/١ ط: ٤. وفي بعض النسخ: «وتسنّمتم ذروة العلياء».

(٢) فضّلت: ٤٤.

(٣) مجمع البحرين: في (وقر).

(٤) الوسائل: ٥٠٨/١١، ح: ٣.

(٥) مجمع البحرين: في (وقر).

(٦) منتهى الأرب في لغة العرب: في (وقر).

الثاني، أي الثبات.

والمثل: (وَقَرَّ نَفْسُكَ تُهَبُّ) (١) فمن الثالث: أي تهاب وتعظم. ومنه قول العلامة الطباطبائي في الدرة الباهرة:

لا تجعلن مسجداً طريقاً وَقَرُّهُ إِذْ كَانَ بِهِ حَقِيقاً

ومنه: كان عبدالله بن مُسكان ممن يوقر الصادق عليه السلام، بحيث لا يدخل عليه شفقة أن لا يوفيه حق إجلاله، فكان يسمع من أصحابه. (٢)

فلنعد إلى الموضوع.

قال المعتزلي: (وُقِرَّ سَمِعَ)، هذا دعاء على السمع الذي لم يفقه الواعية بالثقل والصمم. وَقَرَّتْ أُذُنٌ زَيْدٍ بضم الواو فهي موقورة، والوقر بالفتح: الثقل في الأذن. والواعية: الصارخة من الوعاء وهي الجلبة والأصوات، والمراد: العبر والمواعظ. (٣)

وإنما عددناه من الأمثال لتصريح المعتزلي عند شرح الخطبة، قال: هذه الكلمات والأمثال ملتقطة من خطبة طويلة منسوبة إليه... (٤) يريد بالأمثال منها قوله عليه السلام: «انفجرت عن التيرار». (٥) و«وُقِرَّ سَمِعَ لم يفقه الواعية»

(١) مجمع الأمثال: ٣٨٢/٢، المولدون، حرف الواو.

(٢) السفينة: ٦٧٦/٢، في (وقر). (٤) المصدر.

(٣) شرح التهج: ٢٠٨/١ - ٢٠٩. (٥) حرف الهمزة مع التون.

ومالم نذكره هنا من بقيّة الخطبة: «وكيف يراعي النبأ مَنْ أَصَمَّهُ الصَّيْحَةُ! رُبط جنان لم يفارقه الخفقان - وآخرها - مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ». (١) استخرجنا منه عدّة أمثال، ذكرنا كلّ واحد تحت عنوان خاصّ، أولها تحت: «انفجرت عن الشّرار»، وآخرها بعنوان: «مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ». (٢) وهكذا البقيّة.

١٩٣ - ويل أمّه

هذه الكلمة استعملها الإمام عليه السّلام في كلام له، في ذمّ أهل العراق، أوله:

«أما بعد يا أهل العراق! ... ولقد بلغني أنكم تقولون: عليّ يكذب! قاتلكم الله تعالى فعلى مَنْ أَكْذِبُ؟ أَعلى الله؟ فأنا أول مَنْ آمَنَ به، أم على نبيّه؟ فأنا أول مَنْ صدّق به، كلاً والله؛ لكنّها لهجة غيبت عنها، ولم تكونوا مِنْ أهلها، وَيْلُ أمّه، كيلاً بغير ثمن، لو كان له وعاء: ولتعلمن نبأه بعد حين». (٣) (٤)

إنما أثبتنا أكثر كلامه عليه السّلام لربط الكلمة التّمثيليّة به. ونظيره قوله عليه السّلام عند مروره على قتلى حرب الجمل، وأُجلِس كَغِب ابن سور: «ويلُك، لقد كان لك علم لو نفعك». (٥)

(٤) التّهج: ١٢٧/٦، ك ٧٠.

(٥) شرح التّهج: ٢٤٨/١.

(١) التّهج: ٢٠٧/١.

(٢) حرف الميم مع التّون.

(٣) ص: ٨٨.

قال المعتزليّ في شرحها: «ويلمه» الضمير راجع إلى مادّة عليه معنى الكلام من العلم؛ لأنّه لما ذكر اللهجة وشهوده إياها وغيوبتهم عنها دلّ ذلك على علم له خصّه به الرّسول عليه السّلام فقال: (ويلمه). وهذه الكلمة تقال للتّعجب والاستعظام؛ يقال: (ويلمه فارساً!). وتكتب موصولةً كما هي بهذه الصّورة، وأصله: (ويل أمّه) مرادهم: التعظيم والمدح، وإن كان اللفظ موضوعاً لضدّ ذلك، كقوله عليه الصّلاة والسّلام: «فاظفر بذات الدين تربت يداك» (١). وكقولهم للرّجل يصفونه ويقرّظونه: (لا أباً له). (٢)

جاءت كلمة (ويل أمّه) في قصّة جذيمة مع الزّباء ومولاه قصير، أشرنا إلى إجمالها عند المثل: «لَوْ كَانَ يُطَاع لِقَصِيرٍ أَمْرٌ». وفيها: أَنْ نَصَحَ قَصِيرٌ جَذِيمَةَ. فلقبته الخيول والكتائب، فحالت بينه وبين العصا. والعصا: فرسُ جذيمة، فركبها قصير، ونظر إليه جذيمة على متن العصا مولياً فقال: (ويل أمّه حزماً على متن العصا)، فذهبت مثلاً... (٣) والقصّة طويلة اختصرناها لموضع المثل.

كما وجاء المثل المبحوث عنه في خبر له عليه السّلام أخبر بقاتل يقتله في غير ساحة حرب ولا معركة رجال: «ويلمه أشقى البشر!» انظر المصدر (٤).

(١) أثبتناه في حرف التاء مع الزاء من الأمثال النبوية: ٣١٧/١، رقم المثل: ٢٠٦.

(٢) شرح التهج: ١٣٣/٦.

(٣) مجمع الأمثال: ٢٣٤/١، حرف الحاء.

(٤) شرح التهج: ٢٣٥/١.

وقد ذكرنا الخبر في (الأمثال العلوية) تحت المثل: «إنّه وأحرثمود لمقرونان في قرن».



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

2

١٩٤ - يبيعك بالتآفه

في كلام له لابنه الحسن عليها السلام:
«إِيَّاكَ وَمَصَادِقَةَ الْفَاجِرِ؛ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّآفِهِ» (١).

وقد وصفه عليه السلام بصفات، كما في حديث الصادق عليه السلام قال: «كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ قَالَ: «يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتَجَنَّبَ مُوَاجَهَةَ ثَلَاثَةٍ: الْمَاجِنِ الْفَاجِرِ، وَالْأَحْقَ، وَالْكَذَّابِ؛ فَأَمَّا الْمَاجِنُ الْفَاجِرُ فَيَزِينُ لَكَ فِعْلَهُ، وَيَحِبُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ، وَلَا يَعِينُكَ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ وَمَعَادِكَ، وَمُقَارَبَتِهِ جَفَاءً وَقِسْوَةً، وَمُدْخَلَهُ وَمَخْرَجَهُ عَارٌ عَلَيْكَ...» (٢).

الماجن: الذي لا يبالي قولاً ولا فعلاً، يزین لك فعله، و يحب أن تكون مثله. والفاجر: المنبعث في المعاصي والمحارم، والزاني، والكاذب؛ المائل عن الصدق، ومنه الدعاء: «لا تجعل لفاجر عليّ يداً ولا منة» (٣). ولعل أكثر استعمال الفاجر في الكذب والزنا، وجاء: «التاجر

(١) التهج: ١٥٧/١٨، الحكمة: ٣٨.

(٢) الوسائل: ٤١٦/٨.

(٣) مجمع البحرين: في (مجن وفجر)، مع تصرف ما.

فاجرٌ ما لم يتفقه». (١) و«لا تسألوا الفاجرة: مَنْ فجربك؟». (٢) وفي القرآن الكريم ما يقابل التَّقْوَى «أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ». (٣) «فألهمها فجورها وتقورها». (٤) والأبرار: «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ». (٥) ثم الوجه في بيع الفاجر صديقه بالتأفه عدم مبالاة به بالقيم الإنسانية والفضائل النفسية، إِمَّا لسلب الفهم والفكر الصائب منه؛ إذ الفجور والتَّمرّد على الله تعالى يسلب الفهم الإنساني، ويستبدل بنور الفكر الظلام، فيفقد الميزة بين التأفه والشمين. وفي القرآن العزيز ما يشير إليه بقوله تعالى: «لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا». (٦) «وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ». (٧) وقد قال تعالى: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ». (٨)

وليس الفاسق إلّا الفاجر، فافهم تعرف إن شاء الله. والأكثر هو عدم المبالاة بالقيم الإسلامية، وإن كان له الميزة بينها؛ ومن أجل ذلك تَمَّت عليه الحجة، واستحقّ من الله عز وجل العقوبة والحزني في الدارين، فعلى اللبيب ترك مصادقة الفاجر حتّى لا يباع في سوق الفجرة، فيخسر رأس المال: وهو عمره الذي لا ثمن له إلّا الجنة.

(١) الوسائل: ٢٨٥/١٢.

(٢) الوسائل: ٤١١/١٨، الأمثال النبوية: ٩٣/٢، رقم المثل: ٤١١، حرف اللام

مع الألف.

(٦) الأعراف: ١٧٩.

(٣) ص: ٢٨.

(٧) المنافقون: ٧.

(٤) الشمس: ٨.

(٨) التوبة: ٦٧.

(٥) الانفطار: ١٣ و١٤.

١٩٥ - يدالله على الجماعة

من كلام له عليه السلام قال للخوارج أوله:
«فإن أبيتم إلا أن تزعموا أنني أخطأت وضللت... إلى قوله
عليه السلام: - وخير الناس في حالاً النمط الأوسط، فالزموه وألزموا
السواد الأعظم؛ فإن يدالله على الجماعة، وأياكم والفرقة؛ فإن الشاذ من
الناس للشيطان، كما أن الشاذ من الغنم للذئب...» (١).

وقد رواه جمعٌ من محدّثي الشيعة والسنة (٢) عن النبي صلى الله
عليه وآله وسلّم هذا اللفظ وبلفظ: «يدالله مع الجماعة». ذكرنا ذلك
في الأمثال النبوية (٣) ومعناه: الجماعة المتفقة من أهل الإسلام في
كنف الله، ووقايته فوقهم، وهم بعيدٌ من الأذى والخوف (٤).

واليد: القدرة والرعاية التي تكون عن اقتدار، وتفوقٍ حيث استعملت
بحرف (على)، كما أن كلمة (مع) يقصد بها عدم مفارقة الرعاية.

(١) التهج: ١١٢/٨، كلام: ١٢٧.

(٢) التمثيل والمحاضرة: ٢٧.

(٣) ج: ٣٥٨/٢، رقم المثل: ٦٤٥، حرف الياء مع الدال.

(٤) النهاية: في (يد).

والكلمة المذكورة تقال للترغيب إلى الاتحاد، والتحذير عن الفرقة، وقد حذر الإمام عليه السلام القوم عنها بضرب المثل بالشاة المتخلفة عن الشياه فكما أنها تكون للذئب كذلك المتخلف عن جماعة المسلمين تفتسه الذئاب الإنسيّة والجنيّة: وهي الشياطين ولا يستطيع دفعها عن نفسه عند فقد الدفاع الجماعيّ.

على أنّ الإسلام دين الله، مِنْ أَمَمَ آدابه اجتماع القلوب والأبدان عليه بإظهار التوحيد لله، والإخلاص له تعالى، وليس دين رهبان وانفراد، كما في الرضويّ: «إنما جعلت الجماعة لئلا يكون الإخلاص والتوحيد والإسلام والعبادة لله إلا ظاهراً مكشوفاً مشهوراً...» (١)

وجاء الأمر بإحراق الدار على تارك صلاة الجماعة في صدر الإسلام أو مطلقاً «فإن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - هم بأن يحرق قوماً في منازلهم لتركهم الحضور لجماعة المسلمين...» (٢)

ولأدنى غلقة أقول: حديث إحراق بيت الإمام عليه السلام أنكره الجمهور، وأثبتته جمع منهم لعله ترك البيعة لا غيرها بأمر عمر، قيل له: فيها فاطمة، قال: وإن. (٣) وإليه يشير الشاعر:

(١) الوسائل: ٣٧٢/٥.

(٢) الوسائل: ٢٨٨/١٨ - ٢٨٩.

(٣) الإمامة والسياسة: ١٢/١، ط - مصر/١٣٨٢. تاريخ الطبري: ج: ٣، ص: ١٩٨، نقلاً من دلائل الصدق: ٨٨/٣. العقد الفريد: ٦٣/٣، ط - مصر/١٣٣١. الملل والتحل في الفرقة النظامية.

وقوله لعليّ قالها عمرُ أكرم بسماعها، أعظم بمُلقبها:
أُحرقتُ بآبِكَ، لا أُبقي عليكُ بها إن لم تبايع، وبنْتُ المُصطفى فيها
مَنْ كانَ مثْلَ أبي حفصٍ يَفُوهُ بها أمام فارس عدنانٍ وحامياها؟!(١).

١٩٦ - يُذري الروايات إذرء الرّيح الهشيم

قال عليه السّلام في أوصاف الفاقِد لأهليّة القضاء بين النّاس:
«يُذري الروايات إذرء الرّيح الهشيم». (٢)

تعرّضنا للأوصاف بمناسبة الأمثال المذكورة في كلامه عليه السّلام
بهذا الصّدّد. (٣)

وفي رواية ابن قتيبة: «يُذَرُّو الرّواية ذَرُّو الرّيح الهشيم»: أي يسرد
الرّواية كما تنسف الرّيح هشيم التّبت، وهو ما ييس منه وتفتّت، ومنه
قول الله جلّ وعزّ: «فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذَرُوهُ الرّيح» (٤). (٥) وعلى
الرّواية الأولى نفس المادّة الاشتقاقية من باب الإفعال، وكلاهما بمعنى
التّسف والإطارة. والرّيح أصله الرّوح، وجمعه الأرواح، وتجمع على

(١) ديوان حافظ إبراهيم: ٨٢/١.

(٢) التّهج: ٢٨٣/١، كلام: ١٧.

(٣) حرف اللّام مع الميم، والهاء مع الواو، والخاء مع الباء، والهمزة مع الرّاء.

(٤) الكهف: ٤٥.

(٥) غريب الحديث: ١٢٤/٢.

أرياح قليلاً، وعلى رياح كثيراً. والرَّوْح: نسيم الرِّيح، ومنه الحديث: «كان يقول إذا هاجت الرِّيح: اللَّهُمَّ اجعلها رياحاً، ولا تجعلها ريحاً». العرب تقول: لا تلقح السَّحاب إلّا من رياح مختلفة، يريد: اجعلها لقاحاً للسَّحاب ولا تجعلها عذاباً. ويحقق ذلك مجيء الجمع في آيات الرِّحمة، والواحد في قصص العذاب كالرِّيح العقيم، وريحاً صرصراً. (١) والهشيم: اليابس من التّبت والهشيم: كسر الشّيء اليابس والمجوّف. وهو من باب (ضرب) والهاشم: الكاسر، سمي به هاشم بن عبد مناف؛ لأنّه أول من هَشَمَ الثريد لقومه، وأسمه عمرو. (٢) والمراد هنا من الهشيم: التّبت المنسوف، كما تقدّم.

قال ابن أبي الحديد: «يُذري الروايات» هكذا أكثر التسخ، وقد أوضحه. قوله - عليه السّلام -: (إذراء الرِّيح) يقال: طعنه فأذراه: أي ألقاه وأذريت الحبّ للزّرع: أي ألقيته. فكأنه يقول: يُلقي الروايات كما يُلقي الإنسان الشّيء على الأرض. (٣)

وقال غيره: وفيه تشبيه تمثيلي، ووجه الشّبه صدور فعل بلا رويّة، من غير أن يعود إلى الفاعل نفع وفائدة، فإنّ هذا الرّجل المتصفّح للروايات ليس له بصيرة بها، يمرّ على رواية بعد أخرى ويمشي عليها من غير فائدة. (٤)

بل الظاهر من إذراء الروايات هو لأجل الجهل بوجوه الأحكام

(٣) شرح التهذيب: ٢٨٥/١.

(٤) منهاج البراعة: ٢٥٨/٣.

(١) النهاية: في (روح).

(٢) مجمع البحرين: في (هَشَمَ).

المختلفة باختلاف موضوعاتها، إذ لكل موضوع حكمٌ يخصه، والفقهاء يستخرجونه من الكتاب والسنة، إذا أحسن الاستخراج، وإلا فراح يضرب الأدلة الشرعية بعضها ببعض، ويستخرج خلاف الحق، ثم يقضي على ما رأى، فيحسبه حكم الله تعالى، وليس منه. فالإلقاء والمرور من لوازم هذا الاستخراج الباطل، وعلى الفقهاء إذا عرفوا ذلك منه منعه بل خلعه عن منصب القضاء؛ لأنه الشقي بحكم النص (١).

١٩٧ - يريد أن ينفعك فيضرك

من كلام له لابنه الحسن عليها السلام:
 «يا بني! إياك ومصادقة الأحمق؛ فإنه يريد أن ينفعك
 فيضرك» (٢).
 مركز تحقيق التراث، مكتبة آية الله العظمى

قال الشارح المعتزلي بهذا الصدد في أبيات له:

حياتك لا تصحبن الجهول	فلا خير في صحبة الأخرق
يظن أخوالجهل أن الضلا	ل عين الرشاد فلا يتقي
ويكسب صاحبه حُمقه	فيُسرق منه ولا يُسرق

(١) الوسائل: ٧/١٨.

(٢) التهج: ١٨/١٥٧، الحكمة: ٣٨.

وأقسم أن العدو اللبـيـب — بـ خـيـرٌ مـن المـُشـفـق الأـحـمـق (١)

وحقيقة الحُـمـق: وُضِعَ الشَّيْءُ في غير موضعه مع العلم بـقبحه. (٢) وقيل: الحـمـق: قَلَّةُ العـقـل وفساده، أَوْ مَن يَسْبِقُ كَلامه فِكْرَه: وَهُوَ مَن لَا يَتَأَمَّلُ عِنْدَ التَّنَطُّقِ، هَلْ ذَلِكَ صَوَابٌ أَمْ لَا؟ فَيَتَكَلَّمُ مِنْ غَفْلَةٍ. وَالتَّسْفِيهِ: الْمُبْذَرُ الَّذِي يَصْرِفُ أَمْوَالَهُ فِي الْأَغْرَاضِ غَيْرِ الصَّحِيحَةِ، أَوْ مَن يَنْخَدِعُ فِي الْمَعَامَلَةِ. (٣) وَكُلُّ لَمْ يَنْفَكْ عَنِ الْجَهْلِ الَّذِي يَقَابِلُهُ وَصَفَ الْعَاقِلُ وَهُوَ مَن يَضَعُ الشَّيْءَ فِي مَوَاضِعِهِ، عَلَى مَا وَصَفَهُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَلِكَ. (٤) وَعَلَامَةُ كُلِّ مَنهَا كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ، وَقَلْبُ الْأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ). (٥)

ثُمَّ إِنَّ الْإِضْرَارَ فِي مَوْضِعِ التَّنْفَعِ، وَالتَّنْفَعُ فِي مَوْضِعِ الْإِضْرَارِ مِنْ أَظْهَرِ عِلَالِمِ الْحَمَقِ، وَمِنْ أَجْلَى مُصَادِقِ وَضْعِ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهِ وَأَجْمَعِهَا. وَلِلْحَمَقِ آثَارٌ وَقِصَصٌ أَثْبَتَهَا الْكِتَابُ، مِنْهَا:

أَنَّ أَحْمَقًا وَرَثَ نِصْفَ دَارِ أَبِيهِ، فَقَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَبِيعَ حَقَّتِي مِنَ الدَّارِ وَأَشْتَرِيَ بِالثَّمَنِ التَّنْصِفَ الْبَاقِي، فَتَصِيرُ الدَّارُ كُلُّهَا لِي. وَعَنْ بَعْضٍ: رَأَيْتُ أَعْرَابِيًّا يَبْكِي وَسَأَلْتَهُ عَنْ بَكَائِهِ، فَقَالَ: بَلَّغْنِي أَنَّ جَالُوتَ قَتَلَ مَظْلُومًا. (٦)

(١) شرح التَّهْج: ١٥٧/١٨. (٢) التَّهْج: ٦٦/١٩، الْحِكْمَةُ: ٢٣٢. (٣) التَّهْج: ١٥٩/١٨، ٤٠. (٤) التَّهْج: ١٦٧-١٦٠/١٨. (٥) شرح التَّهْج: ١٦٠/١٨. (٦) مجمع البحرين: في (حق) و(سفه).

أقول: لو فتش حالنا لكان في قصص حقنا الغنى عن النظر إلى الحمقى الظاهريين. أليس حدّ الحمق والجهل مَنْ يضع الشيء في غير موضعه؟ أو لم نكن نعصي الله عز وجلّ، بدل أن نطيعه؟ فلقد وضعنا الشيء في غير موضعه، وهذا من أفظع الوضع الممقوت غير المحبوب عقلاً فنحن حقى، علمنا بذلك أم لم نعلم، سميناً به أولم نسّم!!.

١٩٨ - يَغْبِقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ

من خطبة له عليه السلام، ويومئى بها إلى الملاحم:
«وأخذوا يَمِيناً وشمالاً ظَنُناً في مسالك الغنى، وتركاً لمذاهب الرشد، فلا تستعجلوا ما هو كائن مُرَصِّدٌ، ولا تستبطئوا ما يجيئ به الغد؛ فكم من مُستعجلٍ بما إن أدركه وَدَّ أَنَّهُ لم يُدركه. وما أقرب اليوم من تبشير غدٍ!

يا قوم! هذا إِيَّانَ ورود كلِّ موعودٍ، ودنوّ من طلعة ما لا تعرفون. ألا وإن من أدركها مِنَّا يسري بسراج منير، ويحدّ وفيها على مثال الصالحين، ليحلّ فيها ربّقاً، ويعتق فيها رقاً، ويصدع شعباً، ويشعب صدعاً؛ في سترق عن الناس؛ لا يبصر القائف أثره ولوتابع نظره؛ ثم ليشحذن فيها قوم شحذ القين التصل، تجلّى بالتنزيل أبصارهم، ويومئ بالتفسير في مسامعهم، ويغبقون كأس الحكمة بعد الصبح». (١)

(١) التهجد: ١٢٦/٩، ط: ١٥٠.

اشتملت الخطبة على الإخبار بظهور الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، وأهوال ما قبل القيامة، والدّجال وفتنته.

قال المعتزليّ: إِبَانُ الشَّيْءِ بالكسر والتّشديد: وقته وزمانه، وكُنِيَ عن تلك الأهوال بقوله -عليه السلام-: «وَدُنُو مِنْ طُلْعَةٍ مَا لَا تَعْرِفُونَ»؛ لأنّ تلك الملاحم والأشراط الهائلة غير معهودٍ مثلها، نحو: دابة الأرض، والدّجال وفتنته، وما يظهر على يده من المخاريق والأمور الموهمة، وواقعة السفينائيّ، وما يقتل فيها من الخلائق الذين لا يُخصى عددهم.

ثمّ ذكّر: أنّ مهديّ آل محمّد صلى الله عليه وآله -وسلم- وهو الذي عني بقوله: «وإنّ مَنْ أذركها منّا يسري في ظلمات هذه الفتن بسراج منير»، وهو المهديّ وأتباع الكتاب والسّنة. (١)

والمعتزليّ ممّن ينكر أن يكون المهديّ عليه السلام موجوداً حتّى الآن، قال: قوله عليه السلام: «في سُتْرِ عَنْ النَّاسِ» هذا الكلام يدلّ على استتار هذا الإنسان المشار إليه، وليس ذلك بنافع للإماميّة في مذهبهم، وإنّ ظنّوا أنّه تصريحٌ بقولهم؛ وذلك لأنّه من الجائز أن يكون هذا الإمام يخلقه الله تعالى في آخر الزّمان، ويكون مستتراً مدّةً، وله دعاة يدعون إليه، ويقرّرون أمره، ثمّ يظهر بعد ذلك الاستتار، ويملك الممالك، ويقهر الدّول، ويمهد الأرض، كما ورد في قوله: «لا يبصر القائف»: أي هوفي استتارٍ شديدٍ لا يدرك القائف؛ وهو الذي يعرف الآثار، والجمع (قافة) ولا يعرف أثره ولو استقصى في الطلب؛ وتابع النّظر والتأمّل. (٢)

(١) شرح التّهج: ١٢٨/٩.

(٢) شرح التّهج: ١٢٨/٩ - ١٢٩.

قوله عليه السّلام: «ثمّ ليشحذنّ فيها قومٌ شحذ القَيْنِ النَّصْلَ» اطلب تفسيره من محله المُتاح. (١)

قوله عليه السّلام: «ويَغْبِقُونَ كأس الحكمة بعد الصُّبوح». الغَبوق: شُرب العشيّ. والصُّبوح: شُرب الغداة.

قال البحرانيّ: عبّر عن أخذهم الحكمة ومواظبتهم على تلقّفها بعد استعدادهم لها بالغَبوق والصُّبوح، ولفظا الصُّبوح والغَبوق مستعاران؛ لكونهما حقيقتين في الشُّرب المخصوص المحسوس. (٢)

قال الميدانيّ: (هَرِيقَ صَبُوحُهُمْ على غَبُوقِهِمْ) يُضْرَب للقوم ندموا على مآظهم منهم. وقال بعضهم: أي ذَهَباً جميعاً، فلا صَبُوح ولا غَبُوق. (٣)

وقال أيضاً: (عن صَبُوحٍ تَرَقَّق). الصُّبوح: ما يُشْرَبُ صباحاً، والغَبُوق: ضده... (٤).

(١) حرف الشّين مع الحاء، والقَيْن: الحدّاد.

(٢) شرح التّهج: ٢١٥/٣.

(٣) مجمع الأمثال: ٣٨٦/٢، حرف الهاء.

(٤) مجمع الأمثال: ٢١/٢، حرف العين. وللمثل قصة، فراجع المصدر.

١٩٩ - يقعد عنك أحوج ماتكون إليه

كلمةٌ حكيمةٌ من كلمات الإمام التي قالها لابنه الحسن عليهما السلام: «... وإياك ومصادقه البخل؛ فإنه يقعد عنك أحوج ماتكون إليه». (١)

قيل: يقابل البخل الجود، والشح السخاء. قال بعض الحكماء: السخاء هيئة للإنسان داعية إلى بذل المقتنيات. حصل معه البذل أولم يحصل، وذلك خُلُقٌ، ويقابله الشح. وأما الجود فهو بذل المُقتني ويقابله البخل، هذا هو الأصل، وإن كان كل واحدٍ منها قد يستعمل في موضع الآخر.

والذي يدل على صحة هذا الفرق، أنهم جعلوا اسم الفاعل من السخاء والشح على بناء الأفعال الغريزية، فقالوا سخيٌ وشحيحٌ، فبنوه على (فعل). كما قالوا: حليمٌ وسفيهٌ وعفيفٌ، وقالوا: جائدٌ وباخلٌ، فبنوهما على فاعل كضاربٍ وقاتلٍ. فأما قولهم: بخيلٌ فصروفٌ عن لفظ (فاعل) للمبالغة، كقولهم في راحمٍ رحيمٍ. ويدل أيضاً على أن السخاء غريزةٌ وخُلُقٌ، أنهم لم يصفوا الباري سبحانه به، فيقولوا: سخيٌ.

(١) التهج: ١٨/١٥٧، الحكمة: ٣٨.

فَأَمَّا الشَّحُّ فَقَدْ عَظُمَ أَمْرُهُ، وَخَوْفٌ مِنْهُ، وَلِهَذَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
 «ثَلَاثٌ مَهْلِكَاتٌ: شَحٌّ مَطَاعٌ، وَهَوًى مَتَّبَعٌ، وَإِعْجَابٌ الْمَرْءِ
 بِنَفْسِهِ» (١). (١) فَخَصَّ الْمَطَاعَ تَنْبِيْهًا عَلَى أَنَّ وَجُودَ الشَّحِّ فِي النَّفْسِ فَقَطْ
 لَيْسَ مِمَّا يَسْتَحِقُّ بِهِ ذَمًّا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ فِعْلِهِ، وَإِنَّمَا يَذَمُّ بِالْإِنْقِيَادِ لَهُ. قَالَ
 سُبْحَانَهُ: «وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ» (٢) وَقَالَ: «وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ
 الشُّحَّ» (٣). (٣) فَأَمَّا الْجُودُ فَإِنَّهُ مَحْمُودٌ عَلَى جَمِيعِ أَلْسِنَةِ الْعَالَمِ، وَلِهَذَا قِيلَ:
 كَفَى بِالْجُودِ مَدْحًا أَنَّ اسْمَهُ مُطْلَقًا لَا يَقَعُ إِلَّا فِي حَمْدٍ. وَكَفَى بِالْبَخْلِ ذَمًّا
 أَنَّ اسْمَهُ مُطْلَقًا لَا يَقَعُ إِلَّا فِي ذَمٍّ. (٤)

أَقُولُ: اسْتِعْمَالُ (جَائِدٌ وَبَاخِلٌ) غَيْرُ مَأْلُوفٍ، وَالْمَأْلُوفُ هُوَ الْجَوَادُ
 وَالْبَخِيلُ. فَكَيْفَ يُجْعَلُ الْمَأْلُوفُ فِرْعَاءً، وَغَيْرُ الْمَأْلُوفِ أَصْلًا؟
 قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَقْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجُ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ»؛ بِإِمْسَاكِهِ فِي
 بَذْلِ الْمَالِ لَكَ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَمْسِ الْخَلْقِ إِلَيْكَ مِنْ أَقْرَبَائِكَ.
 وَالْبَخْلُ خَلَّةٌ مُمَقَّوَةٌ، تُوجِبُ لِصَاحِبِهَا حَرَمَانَ الْجَنَّةِ، وَالْبَعْدَ مِنْ
 رَحْمَةِ اللَّهِ الْوَاسِعَةِ، وَتُورِدُهُ مَوَارِدَ السَّخَطِ وَالْهَلَاكِ. وَقَدْ ضُرِبَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ،
 فَقَالُوا: (أَبْخَلَ مِنْ صَبِيٍّ، وَمِنْ كَسِيحٍ). قَالُوا: هُوَ رَجُلٌ بَلَغَ مِنْ بَخْلِهِ أَنَّهُ
 كَوَى إِسْتِ كَلْبِهِ حَتَّى لَا يَنْبَحَ، فَيَدَلُّ عَلَيْهِ الضَّيْفُ. (بَشْرُ مَالِ الشَّحِيحِ
 بِحَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ). (٥)
 وَلِلْبَحْثِ تَتِمَّةٌ.

(١) السَّفِينَةُ ٧٢١/٢ فِي (هَلَكِ) حَدِيثُ نَبَوِيٍّ.

(٢) الْحَشْرِ: ٩.

(٤) شَرْحُ التَّهْجِ: ٣١٦/١٩ - ٣١٧.

(٣) التَّسَاءُ: ١٢٨.

(٥) مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ: ١٢٠/١، حَرْفُ الْبَاءِ.

٢٠٠ - ينحدر عني السيل، ولا يرقى إليّ الطير

من الخطبة الشَّقْشَقِيَّة قوله عليه السَّلام:

«ينحدر عني السيل، ولا يرقى إليّ الطير». (١)

وعند المَثَل: «محلي منها محل القطب من الرِّحَا» (٢) قلنا:

قال المعتزلي: في هذا الفصل من باب البديع في علم البيان عشرة ألفاظ:

أولها: قوله: «لقد تقمَّصها» أي جعلها كالقميص مشتملةً عليه والضمير للخلافة. (٣)

الثانية: قوله: «ينحدر عني السيل»، يعني: رفعة منزلته عليه السَّلام، كأنه في ذروة جَبَلٍ أو يَفَاعٍ مشرفٍ ينحدر السيل عنه إلى الوهاد والغيطان. قال الهذلي:

وعيطاء يكثر فيها الزَّلِيل وينحدر السيل عنها انحدارا (٤)

(١) التهج: ١٥١/١، الخطبة: ٣.

(٢) حرف الميم مع الحاء.

(٣) شرح التهج: ١٥٢/١.

(٤) عيطاء: مرتفعة. والزَّلِيل: الزَّلَل. هامش المصدر. والزَّلَل في اللِّغة: الانزلاق.

الثالثة: قوله عليه السلام: «ولا يرقى إليّ الطير»، هذه أعظم في
 الرفعة والعلو من التي قبلها؛ لأن السيل ينحدر عن الرابية والهضبة. وأما
 تعذر رقي الطير فربما يكون للقلال الشاهقة جداً، بل ما هو أعلى من
 قلل الجبال، كأنه يقول: إنني لعلو منزلي كمن في السماء التي يستحيل
 أن يرقى الطير إليها. قال أبو الطيب:

فوق السماء، وفوق ما طلبوا فإذا أرادوا غايةً نزلوا

وقال حبيب:

مكارمُ لَجَّتْ في عُلُوِّ كَأَنها تُحاولُ ثأراً عِنْدَ بعضِ الكواكب (١)

لا يمتري اثنان أنه عليه السلام هو في القمة من كل نواحي الكمال،
 من العلم والشجاعة والفصاحة والصبابة وما يستأهل به للخلافة دون
 غيره، وأنه في الرفعة ما لا يطمع فيه طامع، ولئن كان المثل المذكور
 يُضرب به في الرفعة لغيره مجازاً وتوسعاً، ففيه عليه السلام واقع موقعه
 الحقيقي، بل لا مَساغَ لسواه. ويريد عليه السلام بذلك: التّفرد
 بالموهلات للخلافة، وأن مَنْ عداه مهما كان نوعه فاقد لها، غاصبٌ
 للمنصب.

والعجب من المعتزليّ مع خبرته بأساليب الكلام، كيف أهمل هذه

(١) شرح التهج: ١٥٢/١ - ١٥٣.

التاحية؟ وما الذي حمله على تأويل ما هو الصريح في الاغتصاب للخلافة؟ حكم عقلك. ثم «فاقض ما أنت قاضي إنما تقضى هذه الحياة الدنيا». (١)

وقد نصّ على أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير وما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم من تصريح بلفظ الخليفة فيه، وأنه مُنجز عِدّته، ووصيته من بعده. (٢) والنصوص على الأئمة من ولّيه المعصومين عليهم السلام (٣).

٢٠١ - اليمين والشمال مضلّة

في خطبة له عليه السلام لما بُويع بالمدينة: «شُغِلَ مَنْ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ. سَاعَ سَرِيعِ نَجَا، وَطَالِبُ بَطِيءِ رَجَا، وَمَقْصَرٌ فِي النَّارِ هَوَى».

اليمين والشمال مضلّة، والطريق الوسطى هي الجادة، عليها باقي الكتاب وآثار النبوة، ومنها منفذ السنّة، وإليها مصير العاقبة هَلَكَ مَنْ ادَّعى. وخابَ مَنْ افترى». (٤)

(١) طه: ٧٢.

(٢) الغدير بأجزائه الأحد عشر. شرح نهج الخوئي: ٣٨٩/٢.

(٣) أصول الكافي: ٢٨٧/١.

(٤) النّهج: ٢٧٣/١، الخطبة: ١٦، البحار: ٣/٧٨. نهج السعادة: باب الخطب:

١٩٣/١، وص: ٨٠.

ونقل المعتزلي من كتاب (البيان والتبيين) بلفظ: «ألا لا يُرعى مَرعٌ إلا على نفسه. شُغل من الجنة والنار أمامه. ساعٍ مجتهدٌ ينجو، وطالبٌ يرجو، ومقصرٌ في النار؛ ثلاثة. واثنان: مَلَكٌ طائرٌ بجناحيه، ونبيٌ أخذ الله بيده؛ لاسدس. هَلَكَ من ادعى، ورَدِيَ من اقتحم. اليمين والشمال مضلّة، والوسطى الجادة؛ منهج عليه باقي الكتاب والسنة وآثار النبوة...» إلى نهاية الخطبة. (١)

قوله عليه السلام: «شُغل من الجنة والنار أمامه» يفسره ما في خطبة أخرى: «ألا إني لم أرَ كالجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها». (٢)
قال الشارح: يقول إن من أعجب العجائب من يؤمن بالجنة، كيف يطلبها وينام! ومن أعجب العجائب من يؤمن بالنار، كيف لا يهرب منها وينام! أي لا ينبغي أن ينام طالب هذه، ولا الهارب من هذه. (٣)
والمراد من الشغل: الطلب لموجبات الدخول في الجنة، والهرب عما يستوجب به النار، لمن أيقن بحشر ونشر، وجنة ونار.

ثم الطوائف الأربع في الخطبة الثانية أو الثلاث في الأولى بيان لموضع الموجبات والمستوجبات لدخول الجنة أو النار: الساعي السريع الناجي، والطالب البطيء الراجي، والنبي الآخذ بيده الله عز وجل، والمقصر الخاسر الهاوي في النار؛ وأما المَلَك الطائر بجناحيه لا إيجاب ولا

(١) شرح التهجد: ٢٧٥/١.

(٢) التهجد: ٩١/٢.

(٣) شرح التهجد: ٩٣/٢.

استيجاب فيه، لعدم التكليف الشرعي عليه، حتى تكون له المثوبة بالطاعة أو العقوبة بالعصيان.

وأما قوله عليه السلام: «اليمين والشمال مضلة»: أي محل الإضلال والضلال، «ففي كل شيء هما متصوران من العقائد، والعبادات، والأخلاقيات، والمعاملات، والسياسات، والعادات المتداولة بين الناس، وفي الأحكام العقلية، وغيرها مما يتصور فيه الإفراط والتفريط، والحد الوسط الذي هو خير الأمور، كما جاء في النبوي: «خير الأمور أوسطها».(١)

وقد كتبت كتبت حول هذه الأنواع؛ لبيان المحبوب منها والمبغوض، ولم تنزل الكتب السماوية، ولا أرسلت الرسل بها إلى الناس، إلا وقد جاءت بالبيان الكافي، ناهية عما فيه آفة مفسدة، وأمر بما فيه المصلحة على ماسلكه أهل العدل، وفي مقدمتهم الإمامية الإثنا عشرية. فتجد الإمام عليه السلام طبقاً للكتاب الكريم والسنة الشريفة يعبر عما هو المطلوب والمرضي عند الله عز وجل بالجادة الوسطى، وعما هو المبغوض عند الله تعالى باليمين والشمال اللذين هما موضع الضلال والإضلال وإلى ما هما من آثار سيئة في الدارين.

وطبق جمع اليمين والشمال على دولتي الشرق والغرب، والوسط الوسطى، والعقل قاض بالتطبيق بعد المعرفة الكافية بالشرائع السماوية

(١) العروج: ٢/٢٩٥. الأمثال النبوية: ١/٣٩٣، رقم المثل: ٢٤٩، حرف الحاء

مع الياء.

على كلّ مَنْ انحرف عنها مهما كان قُطره، مِنْ شَرْقٍ أَوْ غَرْبٍ أَوْ غَيْرِهَا،
بعد ما كان سبيل الحقّ واحداً، كما قال تعالى: «فَإِذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا
الضَّلَالُ». (١) «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ
بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَمِ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ». (٢)

فسبيل الحقّ واحد، وما سواه كثير، وفي قوله تعالى: «إِهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا
الضَّالِّينَ» (٣) بيانٌ للطريق الواحد المطلوب، وتحذيرٌ عن الطُرُق الباطلة
الكثيرة.

ففي نبويّ: «خَطَّ خَطّاً، ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ الرَّشْدِ. ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ
شِمَالِهِ خَطَّوْطاً ثُمَّ قَالَ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. هَذِهِ سُبُلُ،
عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ. ثُمَّ تَلَا: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي
مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ». (٤) (٥) وآخر: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ
فِرْقَةً، فِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ نَاجِيَةٌ وَالْبَاقِيَةُ فِي النَّارِ» (٦).

(١) يونس: ٣٢.

(٢) الأنعام: ١٥٣.

(٣) الفاتحة: ٦ - ٧.

(٤) الأنعام: ١٥٣.

(٥) تفسير الكشاف: ٨٠/٢.

(٦) الوسائل: ٣١/١٨.

ثمّ الكلمة العلوية مِنَ المَثَلِ المطبّق عليه تعريفه مِنَ الحكمة الجارية على الألسُن، كما
مرّ غير مرّة نقلاً عن العسكري. انظر أول الكتاب في التمهيد.

٢٠٢ - يُوهي الصَّم الصَّلاب

في خطبة له عليه السَّلام:

«كلامكم يُوهي الصَّم الصَّلاب، وفعلكم يُطمع فيكم الأعداء. تقولون

في المجالس: كَيْتٌ وكَيْتٌ، فإذا جاء القتال قلتُم: حَيْدِي حَيْدِي...». (١)

تكلَّمنا عن المَثَلين: «كَيْتٌ وكَيْتٌ»، و«حَيْدِي حَيْدِي». (٢)

قوله عليه السَّلام: (يُوهي) مِنَ الوَهْيِ يَدُلُّ عَلَى ضَعْفٍ وَاسْتِرْخَاءٍ،

وَشَقٍّ، وَمِنْهُ الْمَثَلُ:

خَلَّ سَبِيلَ مَنْ وَهَى سَقَاؤُهُ وَمَنْ هَرِيقَ بِالْفَلَاةِ مَاؤُهُ

يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ أَمْرُهُ. (٣) وَالتَّبْوِيُّ: «الْمُؤْمِنُ وَاهٍ رَاقِعٌ»:

أَيُّ مَذْنُوبٌ تَائِبٌ، شَبَّهَ بِمَنْ يَهْيِي ثَوْبَهُ فَيَرْقَعُهُ. (٤)

(١) التَّهَجُّج: ١١١/٢، الخطبة: ٢٩.

وَيُمَازِلُ الْمَثَلَ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ مَا ذَكَرَهُ الْمِيدَانِيُّ: (يُوهِي الْأَدِيمُ وَلَا يَرْقَعُ). يُضْرَبُ لِمَنْ يُفْسِدُ وَلَا يُصْلِحُ. مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ: ٤١٦/٢، حَرْفُ الْيَاءِ.

(٢) حَرْفُ الْكَافِ مَعَ الْيَاءِ، وَالْحَاءُ مَعَ الْيَاءِ.

(٣) مَنْتَهَى الْأَرْبِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ. فِي (وَهَى).

(٤) الْأَمْثَالُ التَّبْوِيَّةُ: ١٥٢/٢، رَقْمُ الْمَثَلِ: ٤٦٤، حَرْفُ الْمِيمِ مَعَ الْمَمْزَةِ.

قال ابن فارس: يدلّ على استرخاءٍ في شيءٍ. يقال: وَهَتْ عَزَالِي السَّحَابِ بِمَائِهِ. وكلّ شيءٍ استرخى رباطه فهو واهٍ؛ والشَّقُّ في الأديم وغيره. (١)

قوله تعالى: «فهي يومئذٍ واهية» (٢) أي ضعيفةٌ جداً. والمعنى: أنّها واهيةٌ مسترخيةٌ، ساقطة القوة بانتقاض بُنيّتها بعد إذ كانت مستمسكةً محكمةً. ذكره الشيخ الطريحي، وقد تناول الحديث النبوي أيضاً، فراجع. (٣)

و (الصَّم) واحدة الأصم، ومنه الحجر الأصم: الصّلب المصمت. ويوصف به الجبل، وصّام كقطّام: الداهية، ومنه المثل: (صَمِي صَمَام): أي زيدي يا داهية! (٤) و (الصّلاب) جمع الصّلب: الشّدة والقوّة. قال:



مركز تحقيقات كهنوت و علوم اسلامی

وماؤكما العذب الذي لو شربته وبي صالب الحُمى إذ أشفاني (٥)

قال الشارح المعتزلي: يقول لهم الإمام عليه السلام: أبدانكم

(١) معجم مقاييس اللغة: في (وهي).

(٢) الحاقة: ١٦.

(٣) مجمع البحرين: في (وهي).

(٤) منتهى الأرب في لغة العرب: في (صمم).

(٥) معجم مقاييس اللغة: في (صلب). اختصاراً.

مجتمعة، وأهواؤكم مختلفة، متكلمون بما هو في الشدة والقوة، يُوهي الجبال الصم الصلبة، وعند الحرب يظهر أن ذلك الكلام لم تكن له ثمرة. (١)

ذمهم الإمام عليه السلام على نفاقهم؛ حيث يقولون بما لا يفعلون، والخطاب لا يخص أصحابه فحسب، بل كل من كان على صفتهم شمله الذم؛ وقد وبخ الله عز وجل المؤمنين غير العاملين بما يقولون في آي من القرآن الكريم منها:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ». (٢)

وطبعاً إذا اطلع العدو على أن خصمه لا يجاوز قوله فعله، طمع فيه، وأقدم على إبادته، فأصبح مقهوراً، والعدو قاهراً؛ فحذّروهم عليه السلام أن يكونوا كذلك، وكم قال لهم مثل ذلك، فلم يتحدّروا، وأدّبهم بسوطه، فلم يتأدّبوا؛ لو كانوا يعلمون من هو المحذّر! هو الذي شَرَفَتْ به مكة ومنى، وزمزم والصفاء، صاحب الحوض وحامل اللواء، البائت على فراش النبي، ومُفديهِ بنفسه من الأعداء، قالعُ باب خيبر والذاحي به في الفضاء، مكلمُ الفِثية في كهفهم بلسان الأنبياء، قالعُ الصخرة وقد عَجَزَ عنها الرجال الأشداء، مظهر العجائب أسد الله الغالب ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(١) شرح التهج: ١١٢/٢.

(٢) الصف: ٢-٣.

هذا ما أردناه من أول الغيث قبل الانسكاب (١) من سماء

نهج البلاغة نهج العلم والعمل؛
كما قال القائل:

نهج البلاغة نهج العلم والعمل	فأسلكه يا صاح تبليغ غاية الأمل
كَمْ فِيهِ مِنْ حِكْمٍ بِالْحَقِّ مُحْكَمَةٍ	تُخَيِّ الْقُلُوبَ وَمِنْ حُكْمٍ وَمِنْ مَثَلٍ
أَلْفَاظُهُ دَرَرٌ أَغْنَتْ بِحِلْيَتِهَا	أَهْلَ الْفَضَائِلِ مِنْ حَلِيِّ وَمِنْ حُلَلٍ
وَمِنْ مَعَانِيهِ أَنْوَارُ الْهَدَى سَطَعَتْ	فَانْجَابَ عَنْهَا ظَلَامُ الزَّيْغِ وَالزَّلَلِ
وَكَيْفَ لَا وَهُوَ نَهْجٌ طَابَ مَنُهجُهُ	أَهْدَى إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ
وَمَا قَالَهُ الْمُرتَضَى مُرتَضَى	كَلَامٌ عَلِيٌّ كَلَامٌ عَلِيٌّ (٢)

والله عز وجل نسأل أن ينهَجَ بنا نهَجَ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ الْكَرَامِ
صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ وَسَلَّم، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ الْمُوصُوفِ فِي
التَّصَوُّصِ، مِنْهَا الرِّضْوَى:

«... بِأَبِي وَأُمِّي سَمِيَّ جَدِّي، شَبِيهِي وَشَبِيهَ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَام

(١) إشارة إلى ما ذكرناه في أول الكتاب من تقديم قسم من الأمثال المُستخرجة قبل
الاستيعاب بقول القائل:

* وَأَوَّلُ الْغَيْثِ رُشٌّ، ثُمَّ يَنْسَكِبُ *.

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٥/١، ما عد البيت الأخير.

عليه جيوب التور تتوقّد بشعاع ضياء القدس...» (١) وأنّ يجمعنا معهم في دار السلام، وآخر دعوانا: «أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (٢).



(١) إثبات الهداة للشيخ الحرّ: ٤٥٦/٣. ولعلّ في الشّبه الموسويّ الإيماء إلى الغيبة، أوخفاء الولادة، أوغير ذلك.

(٢) يونس: ١٠.